صَيْـــــدُ
الـقَـلَـــــم
"قُطـوفٌ وخَـواطِـر"
عبد المنعم مصطفى حليمة
" أبو بصير الطرطوسي "

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ـ مقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

هذه مجموعة من الخواطر .. قد صادَها القَلَمُ في أوقات متفرقة من حياتي .. بحسب ما يوحي إلي المنظر .. أو الحدَث .. أو الموقف .. أو الواقع الذي نعايشه .. ونجاهده .. ونكابده .. فهي من هذا الوجه تلخص تجربة ومعاناة رجلٍ قارب الخمسين من عمره .. قد طاف كثيراً من بلاد العرب والعجَم .. وخَبرَ الناسَ بكل أطيافهم وتوجهاتهم .. وخالط كثيراً منهم وخالطوه .. سائلاً الله تعالى السداد، والتوفيق، والقبول الحسن.

ومن وجه آخر فهي لم تُكتَب لمجرد التنفيس عن النفس أو الترويح عنها .. أو لغرض من أغراض الأدب والإنشاء بعيداً عن حياة الناس .. وعن واقعهم ومعاناتهم .. لا؛ ليس شيئاً من ذلك .. وإنما كُتبت من أجل الإصلاح .. وتهذيب النفوس .. وسد الخلل .. وتوحيد الصفوف .. وإعمار ما يهدمه ويُفسده المفسدون .. ما استطعت .. وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وهو أرحم الراحمين.

هذه الخواطر ـ بإذن الله ـ زاد للمصلحين والمجاهدين .. يعينهم على الإصلاح والجهاد .. ومقاومة الفساد والمفسدين .. وهم في مسيرهم يُكابدون معاناة الإصلاح والجهاد.

هذه الخواطر .. كلمة حق زاهق رمينا بها قصور وعروش ومعسكرات الطُّغاة الظالمين.

أصارحكم القول: أن كثيراً من هذه الخواطر كُتبت .. وكان الدمعُ يُسابق المِداد .. وأحياناً كانت ترافقها الضحكات .. والابتسامات .. بحسب موضوع الخاطرة .. والغرض الذي كُتبت له .. فهي كُتبت من القلب .. سائلاً الله تعالى أن يجعل قلوب الناس وعاءً لها .. ولعل القارئ المتمعّن ـ وهو يتنقّل بين مواضيع الخواطر وبساتينها ـ يشعر بذلك .. ويحصل له بعض ما حصل لكاتبها؛ فتدمع عينه حيثما دمعت عين صاحبها .. ويضحكُ فِيه ويبتسم حيثما ضحك وتبسّم صاحبها!

وكما هو ملاحظ .. فإن هذه الخواطر لم تُكتَب وتُرتَّب بحسب المواضيع أو الأبواب .. وإنما تُركت من غير ترتيب ولا تبويب .. فموضوع كل خاطرة يختلف عن موضوع الخاطرة التي قبله والتي بعده .. ولعلّ ذلك أشوق للنفس وأروح لها .. وهي تتقلب صفحات هذا الكتاب .. الذي أسميته " صَيْدُ القَلَم ".

كما أن الأحاديث النبويّة الواردة في هذا الكتاب .. قد تفاديت ذكر تخريجاتها؛ لأن مقام الخواطر مقام اختصار وإيجاز .. لا يتناسب معها التوسع في التعليق والعزو والتخريج .. لكن أؤكد للقارئ أنّ جميع الأحاديث الواردة في هذا الكتاب، هي ـ ولله الحمد ـ صحيحة أو حسنة الإسناد مما يصح به الاستدلال .. ومما حكم عليه أهل العلم والاختصاص من علماء الحديث ـ المتقدمين منهم والمتأخرين ـ بالصّحّة أو الحسن .. والأحاديث الضعيفة الواردة فيه قليلة جداً، مع الذكر والتنبيه إلى أنها أحاديث ضعيفة .. سائلاً الله تعالى السداد، والتوفيق، والقبول .. وحسن الختام، إنه تعالى سميع قريب مجيب.

وصلى اللّه على محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلّم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد المنعم مصطفى حليمة

" أبو بصير الطرطوسي "

1429/10/21 هـ. 2008/10/21 م.[1].

[1] هذا التاريخ هو التاريخ الذي كُتِبت فيه المقدمة .. وأُخرِجَت فيه الخواطر في كتاب .. وإلا فإن البداية التي بدأت فيها كتابة هذه الخواطر تمتد تقريباً إلى عام **1421** هجري، الموافق **2000** ميلادي .. والكتابة فيها مستمرة ـ بإذن الله وعونه ـ إلى أن يتوفاني الله .. سائلاً الله تعالى العفو والمغفرة، وهو أرحم الراحمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1- لا إله إلا الله.

لا إله إلا الله .. تعني لا معبود بحقٍّ في الوجود إلا الله تعالى.

تعني الانخلاع والبراء ـ ظاهراً وباطناً ـ من كل ضروب الكفر والشرك .. والدخول في التوحيد الخالص ظاهراً وباطناً.

تعني الانعتاق والتَّحرر من العبودية للعبيد ...

تعني الكفر بالطواغيت؛ كل الطواغيت على اختلاف أنواعهم ومسمياتهم: بالاعتقاد، والقول، والعمل .. والإيمان بالله تعالى وحده بالاعتقاد، والقول، والعمل.

وأيما امرئٍ يقول لا إله إلا الله على غير هذا الوجه .. فهو لم يفهم لا إله إلا الله، ولم يقل لا إله إلا الله التي تنجيه يوم القيامة!

* * * * *

2- محمدٌ رسولُ الله ﷺ.

شهادة أن مُحَمَّداً رسول الله .. تعني إفراده ﷺ بالمتابعة والاقتداء .. فلا يُقدم قولٌ على قوله .. ولا سُنة أحد على سُنته .. ولا دين على دينه.

تعني أن لا تُقدم بين يديه وسنّته بشيء، وأن لا تُعقب على قوله وحكمه.

تَردُّ بقولِه جميعَ أقوالِ الرجال .. ولا تَرد قولَه بأقوال وأفهام الرجال .. مهما علا شأن أولئك الرجال أو اتسع صيتهم في الأمصار.

تعني التسليم والرضا بحكمه، وبكل ما جاء به من عند ربه .. مع انتفاء الحرج وضيق الصدر.

تعني أن توقره وتحبه ﷺ .. وتحب الاقتداء به وبسنَّته .. أكثر من نفسك، وأهلك، ومالك، وولدك.

وأيما امرئٍ يشهد أن مُحَمَّداً رسول الله على غير هذا النحو .. فشهادته ناقصة .. وهو لم يشهد حقيقةً أن مُحَمَّداً رسولُ الله .. مهما زعم خلاف ذلك .. أو ردد تلك الشهادة على لسانه.

* * * * *

3- متى يكونُ الفَرَج ..؟

تعلمت أن الشدة مهما طالت لا بد من أن يعقبها فرج بإذن الله .. وأن العسر مهما طوّق صاحبه لا بد أن يليه يسر وسعة .. وأنَّ الظُّلمةَ لا بد أن يتبعها نور وفجر صادق .. وأن العسرَ ـ مهما اشتدت عُقدَه ـ لا يمكن أن يغلب يسرين.

لا شيء يعجّل الفَرَجَ كالصبر والاحتساب .. ولا شيء يؤخر الفَرَجَ كالتَّسخط وشكوى الخالق ﷻ للمخلوق!

كم من مكروب ومعسر يستشرف الفرج من اتجاه معين إلى حدٍّ يظن فيه أن المخرج مما هو فيه من كرب وضيق لا يمكن أن يأتيه إلا من هذا الاتجاه .. فيأبى الله تعالى إلا أن يجعل له الفرج والمخرج من اتجاه آخر لم يكن وارداً في البال والحسبان .. ليعلم أن الفارجَ اللهُ!

* * * * *

4- مَن هم المصلحون ..؟

هم الذين يصلحون إذا فسد الناس .. لا توحشهم الغربة، ولا قلة الأنصار أو الأتباع!

هم الذين يقفون في الخطوط الأمامية للفساد الجارف؛ يدفعون الفساد والمفسدين، فيدفع الله بهم الباطل والمبطلين.

هم الذين يمنعون المفسدين من خرق السفينة، حتى لا تغرق، فيهلك جميع من فيها!

هم الذين لا يعبأون بكثرة الجماهير؛ إذا كانت هذه الجماهير تسير في الاتجاه الخاطئ!

هم الذين يأطرون الآخرين إلى الحق ولو بالسلاسل .. مهما قابلهم الآخرون بالسياط، والرجم، والطرد!

هم الذين لا يبالون بمرضاة الناس في مرضاة رب الناس .. فمرضاة الناس غاية لا تُدرك، ومرضاة الخالق ﷻ سهلة تدُرك لمن يسرها الله له.

هم الذين يدورون مع الحق حيثما دار .. لا يلتفتون عنه مهما كانت التكاليف، وكانت الإغراءات!

هم الذين يتمسكون بالسُّنَّةِ زمن فشُو البِدَع .. ويُميطون عن السنة ما علق بها من بدع وأهواء.

هم الذين يَصدعون بالحق للحق .. لا يعبأون بإرهاب ولا ترغيب!

هم الذين لا ينتظرون الثناء أو المكافأة على أعمالهم من أحدٍ سوى الله تعالى.

نسأل الله تعالى بمنه ورحمته وقدرته أن يجعلنا جميعاً منهم .. إنه تعالى على ما يشاء قدير.

* * * * *

5- من هم المفسدون ..؟

هم الذين يواكبون ويُمالئون الجماهير الضالة على باطلهم .. خشية أن تنصرف عنهم وجوه الناس!

هم الذين يخذلون الحق ويكتمونه، من أجل فُتاتٍ يسير يُرمى إليهم من الطُّغاة!

هم الذين يأكلون ويسترزقون بالدين، ويستشرفون العطاء والإحسان مما في أيدي الطواغيت الظالمين!

هم الذين يرضون الناس بسخط رب الناس!

هم الذين يتقدمون في المواضع التي ينبغي فيها التأخر .. ويتأخرون في المواضع التي ينبغي فيها التقدم!

هم الذين يشهدون الزور؛ فيشهدون على الباطل بأنه حق، وعلى الحقِّ بأنه باطل!

هم الذين يحبون أن تشيعَ الفاحشةُ في الذين آمنوا ...!

هم الذين لا يعرفون إلا أنفسهم .. ولا يرون إلا أنفسهم وحظوظهم .. لا يهمهم مجداً إلا مجد أنفسهم وذواتهم .. ولو كان ذلك مؤداه إلى ضياع حقوق العباد والبلاد!

* * * * *

6- نادمٌ على شيءٍ واحد ..!

نادم على موقف خانتني فيه أعصابي فخفت فيه من الصدع بالحق ..!

نادم على موقف خفت فيه الباطل وجنده ..!

نادم على موقف لم أنصر فيه الحق كما ينبغي .. خوفاً على نفسٍ أو رزق!

نادم على ذلك لسببين:

أولهما: لأنني لا أقدر أن أعيد عقارب الساعة والزمن إلى الوراء لأستدرك ما قد فاتني في تلك المواقف والأوقات من نصرة للحق ..!

ثانيهماً: لأنه قد ظهر لي ـ عين اليقين ـ أن الخوف من المخلوق لا يقدم أجلاً ولا يؤخر رزقاً .. ولا يجلب نفعاً ولا يدفع ضراً .. فعلام الخوف .. وعلام قد خفت؟!

صدق رسولُ الله ﷺ إذ يقول:" لا يمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه؛ فإنه لا يقرب من أجلٍ ولا يُبعد من رزق ".

* * * * *

7- ضريبة الحق .. وضريبة الباطل.

ضريبة الحق مهما عظمت فهي بين أمرين: إما نصر، وإما شهادة، وهما في حقيقتهما كلاهما نصر وعز وكرامة!

أما ضريبة الركون إلى الباطل والرضا به، فهي توجب على صاحبها الدخول في عبودية العبيد ..!

توجب عليه أن يقدم النفس، والعِرض، والأرض، والولد، والمال وكل ما يملك في سبيل الطاغوت .. ثم بعد كل ذلك الطاغوت لا يرضى عنه .. فهو دائماً يطالبه بالمزيد والمزيد من العطاء، والفداء، والولاء!

توجب عليه أن يفقد عزته، وكرامته، وشخصيته .. ليذوب في شخص الطاغوت، ورغباته!

وبعد كل ذلك، والأهم من كل ذلك توجب عليه سخط رب العالمين .. والعذاب المهين الأليم يوم الدين!

أعجب من أناس يشحون على الخالق ﷻ بالقليل .. بينما في سبيل الطاغوت يجودون بالنفس والمال وكل ما يملكون؟!

أولئك ـ لا شك أنهم ـ هم الخاسرون الظالمون الجاهلون .. الذين لا يعقلون!

* * * * *

8- الديمقراطية ..!

الديمقراطية تعني الإباحية بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى ..!

تعني إباحة الحكم بغير ما أنزل الله ..!

تعني إباحة المحظورات .. وارتكاب المنكرات ..!

تعني الإباحة في أن تقول ما تشاء .. وتفعل ما تشاء .. وتعتقد ما تشاء .. وتتدين بالدين الذي تشاء .. لا حدود لهذه الإباحية تنتهي عندها إلا فيما يصطدم مع أهواء ورغبات الطواغيت المستكبرين ..!

والديمقراطيون الحقيقيون هم الإباحيون .. مهما حاول المبهورون المهزومون في بلادنا أن ينكروا ذلك .. أو أن يضفوا على الديمقراطية والديمقراطيين من المعاني والألقاب غير ذلك!

* * * * *

9- الحرية في الإسلام ..!

وقفت على جميع نصوص آيات القرآن الكريم .. وعلى كثير من أحاديث النبي ﷺ فلم أجد لكلمة الحرية وروداً، ولا ذِكراً ..!

الحر والحرية في مصطلحات الفقهاء هو الإنسان الحر الذي يقابل العبد المملوك لسيده .. وبغير هذا المعنى لم يستخدموا هذه الكلمة في كتبهم ولا كلامهم!

حرية الإنسان في الإسلام مقيدة بقيود الشرع .. فهو حُر في المشروع وفي إطار الشرع وتعاليمه .. وهي لا شك مساحة واسعة جداً لا يجدها الإنسان في أي دين أو ملة أخرى.

وأيما حرية تخرج عن هذا المفهوم والإطار فالإسلام منها براء .. لا يعترف بها ولا يقرها؛ لأنها حينئذٍ لن تكون الحرية .. وإنما ستكون الإباحية والبهيمية والشيوعية المتحررة من قيود وضوابط الأخلاق والدين .. وستكون العبودية للأهواء والشهوات .. وللطغاة!

* * * * *

10- يأبى الله أن يضع القبول إلا لأوليائه ..!

يأبى الله أن يضع القبول ـ في الأرض وفي السماء ـ إلا لأوليائه ولو بعد حين .. وهم المتقون المجاهدون، المتَّبعون المقتدون لا المبتدعون المنحرفون ..!

هم الذين يرضون الله وإن سخط الناس .. ويقدمون مرضاة الله على مرضاة الناس.

قال ابن تيمية رحمه الله: قد جعل الله لأهل محبته علامتين: اتباع الرسول، والجهاد في سبيل الله؛ وذلك أن الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح، وفي دفع ما يبغضه من الكفر والفسوق والعصيان ا– هـ.

قلت: والولاية تنقص وتضعف على قدر ما يضعف الجهاد، وتنقص المتابعة للرسول ﷺ ولسنته ..!

فإن قيل: كم من فاسق بل وكافر يوضع له القبول عند جماهير كثيرة من الناس .. فكيف نوفق بين ذلك، وبين ما تقدم ؟!

أقول: القبول يقاس من أوجه عدة:

منها: باعتبار الزمن، فكم من طاغية وظالم صفقت له في حياته جماهير عديدة من الناس لكنه ما إن يهلك، ويرحل إلى ربه ليلقى جزاءه .. فإن محبيه ينقلبون إلى أعداء وخصوم .. وأن الناس الذين كانوا يصفقون له، والأجيال من بعدهم، لا تذكره إلا باللعن والطعن والسوء .. وفي المثل:" على حسَبِ التَّكبُّرِ في الولايةِ يكونُ التَّذلُّلُ في العَزْلِ ".

بينما ذاك النبي الذي لم يؤمن به من قومه إلا الرجل الواحد ـ كما جاء ذلك في الحديث ـ وإن كان في الحقبة الزمنية التي يعيش فيها يظهر للناس أنه لم يوضع له القبول، لكنه على امتداد الزمان، والقرون، والأجيال نجد أنه هو الذي وضع له القبول دون أعدائه من المجرمين، وبرهان ذلك أن ملايين من الموحدين على ممر الأزمان وإلى يوم القيامة يخصونه بالدعاء والصلاة كلما صلوا وسلموا على جميع الأنبياء والمرسلين.

كم من عالم لم يعرف الناس ـ في زمانه ـ قدره .. ويعيش بينهم غريباً طريداً .. ثم بعد أن يقضي نحبه، ويُلحد له في الأرض .. يضع الله له القبول والثناء الحسن على ألسنة العباد!

ومنها: أن القبول يُقاس باعتبار نوعية الناس الذين نال عندهم القبول؛ أي أن القبول المعتبر هو القبول الحسن الذي يوضع للمرء عند الصالحين المؤمنين .. فهؤلاء شهادة الواحد منهم توازي وتعلو شهادة أمة من الكافرين المجرمين.

ومنها: أن القبول ـ المؤقت الآني ـ الذي يوضع للمجرمين الفاسقين بين الناس، يكون إما لإرهاب يدفعونه عن أنفسهم، أو لرغبة بما في أيديهم من عطاء .. فإذا ذهب هذا وذاك .. انقلب القبول إلى بغض، وطعن، ولعن .. وليس هكذا القبول الذي يوضع للمؤمنين الصالحين.

* * * * *

11- إذا أردت أن يُوسَّع عليك في الرزق.

إذا أردت أن يُوسع عليك في الرزق فصِل رحمك؛ يوسع الله عليك في الرزق!

إذا وقعت في فقر وحاجة فصِل رحمك .. يُرفع عنك الفقر، وتُقضى لك حاجتك!

هذا أمر قد جربته بنفسي أكثر من مرة؛ حيث كانت لي ـ في هذه الغربة ـ عمّة .. كلما وقعت في حاجة وضيق .. كنت أقصد زيارتها .. فأرزق بعدها .. وتُقضى حاجتي!

فإن كنت في شكٍّ من ذلك فاقرأ قوله ﷺ:" من سرَّه أن يُعظِم الله رزقه، وأن يُمدَّ في أجله فليصل رحمه ".

وقال ﷺ:" من سرّه أن يُبسط له في رزقه، ويُنسأ في أثره فليصل رحمه ".

* * * * *

12- أكثر ما يُسيء العالِم ..!

أكثر ما يُسيء العالِم أربعة أشياء:

1- أن يقول مالا يفعل .. فينفع غيره ولا ينتفع .. ونفسه أولى بالنفع من غيره .. والله تعالى يقول: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾الصف:3.

2- أن يكتم العلم مع حاجة الناس إليه .. والنبي ﷺ يقول:" ما من رجل يحفظ علماً فيكتمه، إلا أُتي به يوم القيامة مُلجماً بلجامٍ من النار ".

وقال ﷺ:" من سُئل عن علم يعلمه فكتمه، أُلجم يوم القيامة بلجامٍ من نار ".

3- أن يركن في معاشه على الراتب الذي يأخذه من الطاغوت .. فهو كلما أراد أن يقول كلمة حق في الظالمين .. فكر في راتبه ومعاشه .. ولقمة عيشه .. وعيش أطفاله .. فيجبن ويخذل الحق!

كان ابن المبارك يتجر ويقول: لولا خمسة ما اتجرت: السفيانان، وفضيل، وابن السماك، وابن علية، فيصلهم بالعطاء . فقدم سنة، فقيل له: قد ولى ابن علية القضاء ـ وقيل صدقات البصرة ـ فلم يأته، ولم يصله ..!

فركب ابن علية إليه فلم يرفع به رأساً، فانصرف فلما كان من غدٍ كتب إليه رقعة، يقول: قد كنت منتظراً لبرّك، وجئتك فلم تكلمني، فما رأيته مني؟!

فقال ابن المبارك: يأبى هذا الرجل إلا أن تُقشَّر له العصا، ثم كتب إليه:

يا جاعـلَ العلـمِ له بـازيا ... يصطادُ أموالَ المساكين

احتلـتَ للدنيـا ولـذاتهـا ... بحيلـةٍ تَـذهـبُ بالديـنِ

أين رواياتـك فـي سـردها ... في تركِ أبوابِ السلاطين

إن قلتَ أُكرهتُ فذا باطلٌ ... زلَّ حمارُ العلمِ في الطينِ

فلما وقف على هذه الأبيات قام من مجلس القضاء فوطئ بساط الرشيد، وقال: الله، الله، ارحم شيبتي فإني لا أصبر على القضاء ..!

قلت: هذا فيمن يعمل في القضاء عند هارون الرشيد .. فكيف بمن يعمل في القضاء عند طواغيت الحكم في هذا العصر .. ويجعل من نفسه أسيراً لرواتبهم .. وعطائهم؟!

4- أن يخالط الطواغيت الظالمين، ويتردد على مجالسهم .. والنبي ﷺ يقول:" من أتى أبواب السلطان افتتن، وما ازداد أحد من السلطان قرباً إلا ازداد من الله بعداً ".

* * * * *

13- الجاهِلُ العالِم ..!

هو الجاهل الذي يكسيه الطاغوت ـ لحاجة في نفسه ـ ثوب العلماء .. ويُضفي عليه ألقاب العلماء .. ويصنع له دعاية مكثفة ليقنع به الناس .. ويجند لذلك جنوداً وأبواقاً يرددون اسم هذا الجاهل العالم في الأمصار

وفي كل وادٍ ونادٍ .. بأن هذا الجاهل هو العالم الذي دونه العلماء .. فالعلم لا يؤخذ إلا منه .. والدين لا يُؤخَذ إلا منه .. فطاعته طاعة، ومعصيته ليس بعدها إلا الهلاك .. فإذا نجح الطاغوت في ذلك، وتحققت غايته، وصدّق الناس كذبه .. قام الآخر ـ الجاهل العالم ـ بدوره كبوق، وكساحر من سحرة فرعون، لا هم له إلا كيف يذب عن سيده الطاغوت .. وكيف يجادل عنه، وعن حكمه .. وكيف يُضلل الشباب ويُحزبهم له .. وكيف يطلق الأحكام الجائرة على كل من يخالفه، أو يعارضه .. أو تسول له نفسه بسوء نحو سيده .. ولي نعمته .. الطاغوت!

وما أكثر هؤلاء ـ في هذا الزمان ـ لو أردنا أن نذكر أسماءً ..!!

* * * * *

14- من هو العالِم ..؟

للعالم خصائص وصفات، أهمها وأعلاها وأجلُّها أن يدور ـ ظاهراً وباطناً ـ مع التوحيد حيث دار .. يقودُه التوحيد .. يشهد بالتوحيد .. ويدعو إلى التوحيد .. ويأمر بالتوحيد .. ويعلّم التوحيد!

ومتى خرج عن ذلك الوصف ـ بقليل أو كثير ـ خرج من دائرة العلماء .. ومن صفة العلماء، بالقدر الذي ابتعد فيه عن التوحيد .. والدليل على ذلك قوله تعالى:[شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ]آل عمران:18.

وعليه أيما امرئٍ لا يشهد بهذه الشهادة؛ بالقول والفعل .. أو يشهد بما يضادها ويخالفها من الشرك .. فهو بنص الآية الكريمة يخرج من صفة ومسمّى العلماء، ومن صفة أولي العلم .. مهما اتسع صيته، واشتهر اسمه في الأمصار، أو تزيّ بزي العلماء!

* * * * *

15- الصديق الوفي ..!

هو الذي تجده عند الحاجة .. ولو احتجته في شيء لا تخسره ..!

هو الذي يسترك ـ في السخط والرضا ـ لو رأى منك عيباً، أو زَلَّة..!

هو الذي لا يشي سرّك إلى أحدٍ .. وفي السخط والرضا سواء ..!

هو الذي يقيل عثراتك وكبواتك .. عند حصولها .. ولا بد من حصولها!

هو الذي ينصحك ولا يغشُّك .. ولا يكذبُك .. ولو نصحك فهو ينصحك غيرة عليك .. لا طعناً فيك!

هو الذي ينصفك .. وينصف الحق منك .. في السخط والرضا سواء!

هو الذي يُؤثرك على نفسه عند موارد الشح والقِل ..!

هذا هو الصديق الوفي .. وهو في الناس قليل .. فإن وجدته لا تفرط به!

* * * * *

16- خوارج هذا الزمان ..!

خوارج هذا الزمان .. يُعرفون بصفات وخِلال:

منها: أنهم يُكفِّرون بالخطأ، وبالظن، والشبهات .. وبأمورٍ لا ترقى إلى اليقين .. بل وبأمور لا تكون في عالم الوجود والواقع!

يكفي أحدهم ليصدر التكفير في حق فلان .. أن يُقال له قِيل عنه كذا وكذا ..!

ومنها: أنهم لا يَعرفون مبدأ إقالة العثرات .. ولا مبدأ اعتبار الحسنات .. ولا مبدأ اعتبار المقاصد عند ورود المتشابهات .. ولا مبدأ رفع الملام عن الأئمة الأعلام كما يقول بذلك شيخ الإسلام!

ومنها: أنهم لا يَعذرون بالجهل .. ولا بالتأويل .. ولا بعجز لا يمكن دفعه!

ومنها: قلة الإنصاف والعدل .. فهم لأدنى خلاف يُكفِّرون .. ويجرمون .. ويخلدون في النار!

ومنها: الجهل بالدين .. فينطلقون إلى آيات قيلت في أئمة الكفر والإجرام .. فيحملونها على المؤمنين الموحدين!

ومن ذلك كذلك أنهم ينطلقون إلى كتب أهل العلم فيكثرون النقل منها .. فيضعونها في غير موضعها المراد .. فيظن المغررون المضللون من الشباب أنهم بذلك علماء .. لأنهم استندوا إلى أقوال العلماء في تنطعاتهم وأحكامهم الجائرة على الآخرين .. وبشيء من المتابعة والتدقيق يجد القارئ الواعي أن هذه النصوص التي استدلوا بها من أقوال أهل العلم هي عليهم وليست لهم .. أو على الأقل ليس فيها دلالة على ما ذهبوا إليه!

ومنها: الحقد الدفين على المسلمين الموحدين .. تحت عنوان إحياء عقيدة الولاء والبراء كما يزعمون ..!

ولو قيل عنهم: أنهم يُحيون عقيدة البراء والبراء .. وليس الولاء والبراء .. لكان التعبير بحقهم أصوب وأدق!

ومنها: أنهم ينفون عن أنفسهم تهمة التكفير بالذنوب .. لينفوا عن أنفسهم مسمى الغلو أو الخوارج .. وهم ـ في حقيقتهم ـ يكفرون بلا ذنب كما تقدم .. ففاقوا بذلك الخوارج الأوائل .. وسبقوهم سبقاً بعيداً!!

ومنها: أنهم يُعرفون بالكبر والتعالي على العباد .. لا يوجد عندهم كبير يحترمونه أو يرجعون إليه .. فالكبير والصغير عندهم سواء!

هؤلاء هم خوارج هذا الزمان .. فاحذرهم .. وحذِّر الناس منهم .. واحذر أن تكون واحداً منهم وأنت لا تدري ..!!

* * * * *

17- حتى تكون سلفياً ..!

حتى تكون سلفياً ـ في هذا الزمان، عند سلفيي آخر زمان ـ لا بد لك من ثلاثة أشياء:

1– أن تمسك عن تكفير طواغيت الحكم المعاصرين .. وأن تجادل عنهم!

2– أن تقول أن العمل ليس شرطاً لصحة الإيمان .. وأن المرء يكفيه للنجاة يوم القيامة أن يأتي بالتصديق والقول ..!

3– أن تبالغ في إطراء الشيخ فلان، وفلان، وفلان ..!!

فإن أتقنت فعل هذه الأشياء .. فأنت سلفي جلد .. وأبو السلفيين!

* * * * *

18- غاياتُ البلاء ..!

ينزل البلاء في العبد لغايات ومقاصد عدة، منها: البلاء الذي ينزل بالعبد لرفع مقاماته ودرجاته في الجنان .. كالبلاء الذي ينزل بالأنبياء، والصديقين، والشهداء.

ومنها: البلاء الذي ينزل بالعبد تطهيراً لذنوبه وخطاياه ..!

ومنها: البلاء الذي ينزل بالعبد انتقاماً وتبكيتاً وتعذيباً .. وذلك إما لكفره أو ظلمه وفجوره!

ومنها: البلاء الذي ينزل بالعبد انتقاماً، وتطهيراً لذنوبه معاً!

ومنها: البلاء الذي ينزل تمحيصاً لما في القلوب .. ليميز الخبيث من الطيب .. ويُعرف المصلح من المفسد .. والصادق من الكاذب .. والمجاهد من القاعد!

ومنها: البلاء الذي يخلِّص قلب العبد من شوائب التعلق بالدنيا وأسبابها .. فيذكّره أن له رباً يغار عليه .. يريد منه إخلاص الحب والتعلق .. وأن يدعوه ويسأله ليجيبه ويُعطيه!

ومنها: لدفع بلاء أشد يتربّص به، وتحصيل خير راجح، لا يتأتَّى إلا بنوع بلاء.

والفقيه هو الذي يحسن تفسير البلاء إذا نزل بساحته .. ويعرف من أي نوع هذا البلاء الذي نزل به .. ويتهم نفسه ـ كسبب لنزول البلاء به ـ ولا يتهم خالقه!

* * * * *

19- أحياناً يكون الجهل نعمةً ..!

وذلك عندما يكون العلم سبباً يحمل صاحبه على الظلم والطغيان، وعلى التعالي والترفع على العباد!

عندما يكون المرء ضعيف العزيمة والإرادة .. خبيث النفس والطوية .. لا يقدر على أن ينهض بنفسه إلى مستوى العلم الذي يتعلمه ويتلقاه!

فيكون العلم الذي يتعلمه في واد .. وأخلاقه وسلوكه، وواقعه في وادٍ آخر .. فيعكس بذلك صورة قاتمة منفرة عن دين الله!

فكم من طويلب علم حديث عهد بالعلم ومسائله .. تراه يتكبر ويطغى، ويترفع، ويحتقر مخالفيه .. ويتجرأ على الخوض في المسائل العظام التي لو طرحت في زمن عمر بن الخطاب ﷺ لجمع لها أهل بدر ..!

فتقول في نفسك من نعم الله على هذا المرء أن جعله جاهلاً .. فهو بهذا الحظ اليسير من العلم يطغى هذا الطغيان .. ويستعلي هذا الاستعلاء .. فكيف لو كان عالماً أو أكثر إلماماً .. لأهلك الحرث والنسل .. وفتن البلاد والعباد .. وشغل العلماء به وبإصلاح ما يُفسد!

* * * * *

20- كفر لا ينتبه إليه كثير من النساء ..!

كثير من النساء إذا ما أُطلق أمامهن موضوع التعدد في الزواج .. أو ذكر لهن عن امرأة تزوج عليها زوجها من امرأة ثانية .. إلا وتَراهنَّ يبادرن إلى القول، والتعقيب، والاعتراض: يا حرام .. مسكينة .. هذا ظلم .. لا يجوز .. فيه ظلم للزوجة الأولى .. هذا الزوج ظالم .. نسي ما بينه وبين الزوجة الأولى من فضل .. أنا بالنسبة لي لا أقبل بالتعدد ولو أدى الأمر إلى الطلاق .. التعدد غير جيد .. وغير عادِل .. وغير ذلك من العبارات والاطلاقات التي تفيد تحريم ما أحل الله .. وتقبيح ما حسنه الله تعالى .. واعتبار أن ما شرعه الله تعالى وأباحه لعباده هو من الظلم والجور .. وهذا عين الكفر الذي لا خلاف عليه!

فعلى المرأة المسلمة ـ الحريصة على دينها وآخرتها ـ أن تملك عليها لسانها .. وأن تحذر من هذه الاطلاقات والموارد القاتلة .. ولو أرادت أن تعبر عن غيرتها على زوجها ـ وإن كانت في غير موضعها ـ فلها ذلك، ولكن بدون اللجوء إلى مثل هذه الاطلاقات والعبارات الجائرة الآنفة الذكر!

ونحو ذلك: أن تؤمَر امرأة بالحجاب الذي أمرَ اللهُ به .. فتقول: هكذا وأنا سافرة أجمل وأليق، وأحسن .. الحجاب بشع، وقبيح .. لا أحبه، ولا أطيقه .. أكرهه .. فهذا كذلك من الكفر الصريح لما يتضمن من تحليل ما حرم الله، وتحسين ما قبحه، وحرمه .. ولما فيه من الطعن الظاهر بالشارع الحكيم الذي شرع هذا الحجاب، وهذه الأحكام .. وما أكثر النساء ـ من ذوي الأسماء الإسلامية ـ اللاتي يتفوهن بمثل هذه الكلمات والعبارات .. وهن

يدرين أو لا يدرين .. والمرأة السافرة التي تعترف بتقصيرها، وتسأل الله تعالى لنفسها الهداية، أهون ألف مرة من تلك المرأة التي تُطلق تلك الاطلاقات وتجادل دون السفور والتبرج!

قال رسول الله ﷺ:" إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار ".

وقال ﷺ:" إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب ".

وقال ﷺ:" إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله بها سخطه إلى يوم القيامة "؛ وهذا يشمل الرجال والنساء سواء .. فهلَّا انتهيتنَّ!

* * * * *

21- السياسة في الإسلام.

السياسة في الإسلام؛ تعني قيادة الأمة والشعوب ورعايتها بالإسلام .

تعني قيادة الدنيا بالدين.

تعني حكم البلاد والعباد بشرائع الإسلام.

تعني إقامة العلاقات مع جميع الأطراف والطوائف ـ الداخلية منها والخارجية ـ على أساس تعاليم ومبادئ الإسلام.

تعني الجهاد .. تعني الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر .. من أجل الإسلام.

تعني مناصحة الحكام، ومراقبتهم، ومساءلتهم، وتقويم اعوجاجهم .. وأحياناً الخروج عليهم .. من أجل الالتزام بتعاليم الإسلام.

تعني تقدير المصالح والمفاسد .. ودفع الضرر الأكبر بالضرر الأصغر .. وتقديم أكبر المصلحتين، ودفع أكبر المفسدتين.

تعني دفع المفاسد .. وجلب المصالح!

تعني العمل بالإسلام .. من أجل الإسلام!

فهي وسيلة شرعية .. من أجل غاية شرعية .. ألا وهي الإسلام!

هذه هي السياسة في الإسلام .. وما سوى ذلك من ضروب الكذب، والاحتيال، والغدر، وأساليب التلون والتسلق الملتوية ـ وإن سميت سياسة في عرف بعض المعاصرين ـ فهي ليست من الإسلام في شيء .. ولا من السياسة الشرعية الإسلامية في شيء .. ولا الإسلام منها في شيء!

* * * * *

22- استغلال الدين لمآرب سياسية!

ظلت هذه العبارة فترة من الزمن مبهمة علي .. وفي كثير من الأحيان كنت لا أحسن تفسيرها أو مشاهدة الواقع الذي يمكن أن نحملها عليه!

إلى أن رأينا نماذجاً من الناس تهوى التسلّق إلى القمم، والغايات .. بطرق ملتوية شيطانية خسيسة ما أنزل الله بها من سلطان!

رأينا أناساً يرفعون شعار الدين ـ لاستمالة الشعوب إليهم ـ من أجل غايات ومكاسب شخصية ضيقة!

رأينا أناساً يرفعون شعار " الإسلام هو الحل " .. فإذا وصلوا إلى غاياتهم .. وتحققت مآربهم الحزبية أو الشخصية .. رفعوا شعار "الكفر هو الحل .. الديمقراطية هي الحل" .. العمل بالقوانين الوضعية المضاهية لشرع الله هو الحل ..!

رأينا أناساً يتكلمون عن ضرورة مناصحة الحكام وتقويم اعوجاجهم .. فإذا وصلوا .. دخلوا في موالاة الحكام، وشاركوهم اعوجاجهم!

رأينا أناساً يتكلمون عن برامجهم نحو هذا الدين .. وكيف سينصرون هذا الدين .. فإذا وصلوا ـ على أكتاف أنصار وأتباع الدين ـ وعلوا كراسي الحكم والزعامة .. فإذا ببرامجهم نحو نصرة هذا الدين ـ التي كانوا قد وعدوا بها وقطعوها على أنفسهم ـ تتحول إلى برامج شخصية تصب في تحقيق المكاسب الدنيوية الضيقة لذواتهم، وعوائلهم، وأحزابهم ..!

رأينا أناساً ـ في مرحلة التسلق ـ كيف يتقربون إلى المستضعفين بالوعود والأماني .. فإذا وصلوا إلى غاياتهم وقممهم .. أوصدوا أبوابهم دون العباد .. وتنصلوا من وعودهم، وتحولوا إلى ذئاب ماكرة .. كأنه ليس بينهم وبين هؤلاء المستضعفين وعد قطعوه على أنفسهم!

فلما رأيت كل ذلك .. أدركت حينئذٍ المراد من تلك المقولة ـ حمالة الأوجه ـ: استغلال الدين لمآرب سياسية، وشخصية!

* * * * *

23- السياسة لا تبرر الوسيلة!

كثير ممن استهوتهم الزعامة، وحب الشرف والرياسة .. تراهم يقارفون المنكرات والموبقات .. فإذا سألتهم وأنكرت عليهم .. اعترضوا عليك: بأن هذا من السياسة .. ومن لوازم العمل السياسي .. فنحن سياسيون لا بد لنا من ذلك!

وإذا رأيتهم يقارفون الشرك .. يصرحون بالكفر .. يجلسون مجالس الكفر .. برروا لك فعلهم هذا بأنه سياسة .. وأن السياسة لا بد لها من ذلك .. وأن من مقتضيات العمل السياسي الناجح التكتيك والمراوغة .. ولو بالكفر والشرك!

وإذا رأيتهم يدخلون في موالاة الطواغيت الظالمين .. برروا لك فعلهم كذلك بأنه من السياسة .. وأن السياسي لا بد له من ذلك!

ولهؤلاء نقول: السياسة لا تبرر الوسيلة؛ لأن الغاية ـ في الإسلام ـ لا تبرر الوسيلة .. ولو وقعتم بالكفر باسم السياسة .. فالسياسة لا تمنع عنكم لحوق الإثم والكفر .. فليست السياسة من جملة موانع التكفير أو الأعذار التي تمنع من لحوق الوعيد بصاحبها!

* * * * *

24- إذا أردت أن تعيش طويلاً ..!

إذا أردت أن تعيش طويلاً أكثر من عمرك، وأردت أن يبقى ذكرك خالداً ـ بالخير ـ بين الناس .. لا بد من أن تعيش للآخرين؛ تعيش همومهم وآلامهم .. تعيش هم هدايتهم وأطرهم إلى الحق!

تقابل السيئة منهم بالحسنة .. وتدفع بالتي هي أحسن!

وعلى قدر العطاء للآخرين .. وعلى قدر الغرس وبذر بذور الخير هنا وهناك .. والإخلاص لله في ذلك كله .. يطول العمر .. ويدوم الذكر .. إلى أن يمتد مئات السنين .. ويزيد الله لمن يشاء!

أكثر الناس عطاء وبذلاً للآخرين هم الأنبياء والرسل؛ لذلك هم أكثر الناس خلوداً على ألسنة الناس بالدعاء والثناء الجميل!

الإنسان الذي يعيش لنفسه .. لا يعرف إلا مصلحة نفسه .. لا همَّ له إلا همَّ نفسه .. لا يعيش طويلاً مهما عَمَّر!

فهو سرعان ما يُنتسى وكأنه لم يكن حياً يوماً من الأيام .. وإلى أن ينساه الأقربون ـ من رحمه ـ فهو لا يُذكر على ألسنتهم إلا بالسوء، والثناء السيء!

قال رسول الله ﷺ:" أحبُّ الناس إلى الله أنفعُهم .. وأحب الأعمال إلى الله ﷻ سرور تُدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربةً، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجةٍ أحبُّ إليّ من أن أعتكف في المسجد شهراً .. ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجةٍ حتى يُثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزلُّ الأقدام ".

وقال ﷺ:" أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة، قلنا: وثلاثة ؟ قال: وثلاثة، قلنا: واثنان؟ قال: واثنان، ولم نسأله في الواحد "!

وقال ﷺ:" أهل الجنة من ملأ الله أذنيه من ثناء الناس خيراً وهو يسمع، وأهل النار من ملأ أذنيه من ثناء الناس شراً وهو يسمع ".

* * * * *

25- وسائل الغرب في صد شعوبهم عن الإسلام ..!

لدول الغرب وسيلتين في صد شعوبهم عن الإسلام قلَّ من ينفد ويتحرر من ضغطهما وأثرهما، هما:

أولاً: اعتمادهم على عنصر إثارة الشهوات بكل ما تعني كلمة الإثارة من معاني ودلالات .. اعتمادهم على ضغط الشهوات .. التي تحيط بالإنسان الأوربي من كل حدب وصوب .. والتي تستغرق منه كل وقته وأنفاسه ولو عمَّر ألف سنة!

الشهوات التي تمنع الإنسان الأوربي من أن يلتفت ولو لبرهة من الزمن لخطاب الإيمان والعقل .. لخطاب الفطرة والتوحيد!

فهو يتنقل ـ وعلى مدار الوقت ـ من شهوة إلى شهوة .. ومن مكر إلى مكر .. ومن ظلمة إلى ظلمة، كما قال تعالى عنهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾سبأ:33.

فهو ليس مكر الليل وحسب .. أو مكر النهار وحسب .. بل هو مكر متواصل من غير انقطاع؛ مكر الليل والنهار معاً .. وإن مكرهم لتزول منه الجبال!

ثانياً: اعتمادهم على عنصر غرس الحقد والكراهية للإسلام والمسلمين في نفوس شعوبهم وأبنائهم .. ولا يتورعون ـ في سبيل ذلك ـ أن يسلكوا سبل الكذب، والتلفيق، والخداع، والتشويه .. وأن ينفقوا على ذلك مئات الملايين من الدولارات!

كل وسائل إعلامهم المقروءة .. والمسموعة .. والمرئية .. تدل على ذلك .. وتشير إلى ذلك .. لعلمهم أن الإنسان إذا كره شيئاً، وملأ قلبه بالحقد عليه .. لم يعد يقدر على إنصاف هذا الشيء، أو الإنصات إليه .. أو مجرد رؤيته .. فضلاً عن قبوله أو التعايش معه!

بهاتين الوسيلتين يضمنون الحفاظ على شعوبهم وأجيالهم بعيداً عن هدي ونور الإسلام ..!

وأيما إنسانٍ أوربي يتحرر من ضغط وأثر هاتين الوسيلتين ـ ولو لفترة يسيرة من الزمن ـ إلا ويصبح قاب قوسين أو أدنى من الهداية .. والله تعالى يهدي من يشاء!

* * * * *

26- أسلوب جديد في الكذب على أهل العلم ..!

أصبح من الصعب على الوضّاعين الكذَّابين أن يسلكوا طريق الكذب الصريح على أهل العلم .. لتوفر المراجع المنقول عنها بين أيدي الناس .. ولعلمهم أن لهذا الدين جنوداً يحرسونه من تحريف المحرفين المبطلين، وكذب الكذابين!

فالتجأوا إلى أسلوب جديد خبيث ـ يحقق كثيراً مما في نفوسهم من هوى ومرض ـ يصعب إدانتهم به، قلَّ من يتنبه إليه من القراء؛ وهو لجوؤهم إلى قول العالم الذي قِيل في فقرة واحدة مترابطة متماسكة .. ذات موضوع أو فكرة واحدة .. أولها يدل على آخرها .. وآخرها يفسر أولها .. فيقسمونها إلى عدة فقرات؛ كأن كل فقرة قيلت في موضوع مستقل ومختلف عن موضوع الفقرة التي قبلها .. ويكثرون ـ الوضع خلال كلماتها القليلة ـ من إشارات الاستفهام والتعجب، والفواصل، والفواصل المنقوطة، وغيرها من علامات الترقيم التي قد تضفي معنىً جديداً آخر على النص لا يريده العالم صاحب النص!

فتتفكك بذلك معاني ودلالات الفقرة إلى معانٍ ودلالات أخرى .. هي في نفس الوضاع الكذاب؛ لهوى ومآرب خسيسة في نفسه .. لا يريدها العالم لحظة كتابته لتلك الفقرة!

هذا أسلوب جديد في الكذب والتدليس على أهل العلم، يحترفه عدد كبير من الكتبة المعاصرين .. فاحذروه .. واحذروهم!

* * * * *

27- احذر قرين السوء ..!

احذر قرين السوء؛ احذر مجالسته أو مؤاكلته .. أو مصاحبته في شيء .. ليس من جهة الخوف من التأثر بطبائعه وأخلاقه السيئة وحسب .. وإنما كذلك من جهة انقلابه عليك ـ لأتفه الأسباب ـ فيكشف سترك، وسرك، وما يعرفه عنك، ويزيد ..!

ومن جهة تزكيتك له للناس ـ من حيث لا تدري ولا تحتسب ـ فيقول: آكلت فلاناً .. جالست فلاناً .. صاحبت فلاناً .. حاورت فلاناً .. ذهبت مع فلان .. أنا أعرف فلاناً .. فيصطاد بك الناس لسمعتك الطيبة بينهم!

ومن جهة إساءته لسمعتك وأخلاقك ومكانتك .. وذلك عندما ينسب نفسه إليك، وإلى صحبته لك! فيتشبَّع بك ـ على العباد ـ بما ليس عنده ولا فيه ..!

احذره من جهة إساءته لدينك .. ولمروءتك ورجولتك ..!

لهذه الأسباب وغيرها .. احذر مجالسة قرين السوء، ومصاحبته ..!

* * * * *

28- ماذا يعني حق الفيتو الذي تمتلكه بعض الدول ..؟!

يعني ذلك أن تلك الدول ـ التي تملك حق الفيتو ـ فوق المساءلة والمحاسبة .. وفوق أن تدان في شيء .. وما سواها من دول الأرض تُحاسب وتُسأل، وتُدان ..!

يعني أن تلك الدول لا يمكن أن يطالها القانون ـ مهما ظهر منها من إجرام أو تجاوزات ـ فيلزمها بما لا ترغب ولا تريد .. بخلاف الدول الأخرى ـ التي لا تملك ذلك الحق المفترى ـ فإن القانون يطالها، ويلزمها .. ويحيل بينها وبين ما تريد .. وإن كان الذي تريده حقاً وعدلاً!

يعني كذلك أن من حق تلك الدول أن تمنع أي عقوبة تنزل في أي دولة أخرى تدخل في حلفها وظلها وتحت غطائها، مهما كانت هذه الدولة من ذوي الإجرام، والسوابق، والتعدي على حقوق الآخرين .. كما هو حاصل في الفيتو الأمريكي الذي يحمي الإجرام اليهودي الصهيوني في فلسطين من أي إدانة توجه إليهم .. فضلاً عن أن تطال دولتهم العقوبات الدولية كما تطال غيرها من الدول التي لا تجد الحماية أو الغطاء من أي دولة من تلك الدول الخمسة التي تملك حق الفيتو ..!

هذا مما يجعل دول العبيد والاستضعاف في سباق محموم ومستمر، للبحث عن دولة من دول الأسياد التي ترضى أن تكون لها غطاءً في المحافل الدولية .. وبخاصة عند حصول الخصومات والنزاعات التي لا بد منها لكل دولة .. وهذا لا يتحقق لها إلا بعد عملية ابتزاز كبيرة تكلفها مصادرة حرية القرار .. والسيادة على الأرض!

يعني أن هذا الحق المفترى يقسم العالم إلى قسمين: أسياد .. وعبيد!

أسياد لا يطالهم القانون .. وهم فوق المساءلة والمحاسبة .. وفوق القوانين والشرائع .. مهما تمادوا في غيهم وإجرامهم .. ومجونهم .. واعتداءاتهم!

وعبيد ـ وهم أكثر أهل الأرض! ـ تسلخ ظهورهم السياط لأدنى مخالفة لقوانين ورغبات .. وأهواء .. ومصالح أولئك الأسياد!

وجه جديد وسافر من أوجه الاستعمار .. واستعباد العبيد للعبيد!

ومع ذلك كثير من أبناء جلدتنا المهزومين .. يتعاملون مع هذا الحق الجائر ـ الذي يكرس سياسة وطغيان طواغيت الاستكبار في الأرض ـ على أنه من المسلمات التي لا تقبل الجدال .. أو النقاش أو الاعتراض .. وكأنه

قانون منزل من السماء .. بل ويجلونه ويقدسونه ويرهبونه أكثر من القوانين والشرائع التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه ورسله!

هذا كله يحصل في زماننا المعاصر الذي يزعمون فيه العدالة، والمساواة، ومحاربة العنصرية والتفرقة بين الشعوب ..؟!!

* * * * *

29- الطاغوت ..!

الطاغوت: هو كل ما عُبد من دون ـ أو مع ـ الله تعالى، ولو بوجه من أوجه العبادة، وكان راضياً بذلك!

فالذي يُعبَد ـ من دون أو مع الله ـ من جهة الطاعة، والتحاكم .. هو طاغوت!

والذي يُعبد ـ من دون أو مع الله ـ من جهة المحبة والموالاة والمعاداة .. هو طاغوت!

والذي يُعبد ـ من دون أو مع الله ـ من جهة الخوف والخشية، والرجاء .. هو طاغوت!

والذي يُعبد ـ من دون أو مع الله ـ من جهة الدعاء والاستغاثة، والطلب .. هو طاغوت!

والذي يُعبد ـ من دون أو مع الله ـ من جهة الركوع والسجود .. هو طاغوت!

والذي يُعبد من جهة إقراره على صفة أو خاصية هي من صفات وخصوصيات الله تعالى وحده .. فهو طاغوت!

أي أن الطاغوت يمكن أن يكون شيطاناً .. ويمكن أن يكون صنمَاً أو حجراً .. ويمكن أن يكون هوىً متبعاً .. ويمكن أن يكون إنساناً .. ويمكن أن يكون نظاماً وشعاراً .. ويمكن أن يكون قانوناً ودستوراً!

فاحذر هذه الطواغيت كلها .. واحذر أن تدخل في شيء من عبادتها وأنت لا تدري .. فتهلك!

* * * * *

30- لماذا خلق الله إبليس ..؟!

خلق الله تعالى إبليس؛ لكي تعلم أن الله تعالى قادر على كل شيء .. ومليك كل شيء .. قادر على خلق وإيجاد الأضاد .. الخير والشر .. الحق والباطل .. الصحة والمرض!

لكي تظهر آثار أسماء الله تعالى وصفاته في خلقه .. فيغفر للمذنبين المخطئين التائبين .. وينتقم من الجبارين الظالمين!

فالله تعالى غفور رحيم؛ وهذا من مقتضاه وجود العبد الذي يذنب فيستغفر، ويسأل الله تعالى الرحمة والغفران ..!

والله تعالى عزيز، جبار، قهار، منتقم، شديد العقاب .. وهذا من مقتضاه وجود الجبابرة المستكبرين في الأرض .. فيذلهم الله، ويقهرهم على ما يريد ويشاء، ويأخذهم أخذ عزيز مقتدر .. وهذا كله ما كان ليظهر للعباد لولا أنّ الله تعالى قد خلق إبليس!

لكي تعبد الله تعالى من جهة التضحية والجهاد .. جهاد النفس .. وجهاد الباطل .. وجهاد شياطين الإنس والجن!

لكي تتضرع إلى الله أن يغفر لك الذنب والزلات .. وتسأله التوبة وحسن الختام .. فالله تعالى يحب منك ذلك .. وهذا ما كان ليكون لولا أن الله تعالى قد خلق إبليس!

لكي تعبد الله تعالى في السراء والضراء .. في الشدة والرخاء .. في الخوف والرجاء!

لكي تظهر حقيقة عبوديتك ـ بمعناها العام ـ لله ﷻ .. وذلك لا يتحقق إلا بخلق إبليس مادة كل شر وباطل، وفساد!

لكي يظهر علم الخالق ﷻ في خلقه .. من ينصره ورسلَه .. ومن يخذله ويخونه .. من يدخل في عبادة الله تعالى وتوحيده .. ومن يدخل في عبادة الطاغوت .. من يجاهد في سبيل الله تعالى .. ومن يجاهد في سبيل الطاغوت!

لكي تشعر بلذة وفضل ونعمة العافية والإيمان .. وهذا لا يدرك ـ على وجه الحقيقة والتمام ـ إلا إذا عُرف ووجد ضده من الكفر والجحود وما يرتد على صاحبه من شقاء، وضنك، وانحطاط .. فالشيء يُعرف بضده!

لكي تمتلئ نار جهنم بالكافرين الظالمين .. كما تمتلئ الجنة بالمؤمنين الموحدين .. كما قطع بذلك على نفسه ﷻ.

فكل هذه الحكَم والغايات، والمعاني، وغيرها مما لا يعلمه إلا الله .. مرتبطة بالحكمة من خلقِ إبليس وإيجاده .. والتي لأجلها خلق الله تعالى إبليس.

* * * * *

31- أكتب لكم كأنني سأموت غداً ..!

معذرة إخواني لو صارحتكم .. أنني أكتب لكم كأنني سأموت غداً ..!

كلما أردت أن أخلد للراحة .. أتذكر الموت .. أتذكر أنني قد أقبض الساعة .. فأخاف على القليل اليسير المتبقي في الجعبة من الضياع .. فأنهض لأكتب لكم ..!

كلما أردت أن أخلد للراحة .. أتذكر مخالب الظالمين المحيطة بنا من كل حدب وصوب التي لا تألوا جهداً في اغتيال المصلحين العاملين .. وأن هذا الوقت المتاح .. قد لا يتاح لي غداً .. فأخاف على هذا القليل اليسير المتبقي من الضياع .. أو أن يُمنع عن المسلمين .. فيطالنا إثم التقصير في بيان هذا القليل من الحق المتبقي .. فأنهض لأكتب لكم ..!

أكتب لكم كأنني سأموت غداً .. ولا أزكي نفسي على الله .. فهل أنتم تقرؤون لنا .. ولعلمائنا .. كأنكم ستموتون غداً ..؟!

فرجائي منكم .. ثم رجائي .. الدعاء .. الدعاء .. ولا أريد شيئاً غير الدعاء!

غفر الله لي ولكم .. وعفا عني وعنكم.

* * * * *

32- كما قال الشيخ في الشريط ..!

قدر الله أن نخرج في سفر وفي صحبتنا شخص لم ينصف أذنيه ـ ولا آذان إخوانه ـ من فِيه ..!

فكان يتكلم طيلة الوقت بصوت مرتفع .. يزبد وتنتفخ عروق وجهه ورقبته .. وفي نهاية كل عبارة أو جملة .. يقول مدللاً على صحة ما تقدم من كلامه .. كما قال الشيخ في الشريط!

يُشرِّق .. ويُغرّب .. بعلم وبغير علم .. ثم يقول: كما قال الشيخ في الشريط ..!

توسع الحديث .. فخاض صاحبنا في المسائل الكبار .. وهو لا ينسى أن يقول بين نفَسٍ وآخر .. وبين الجملة وأختها: كما قال الشيخ في الشريط ..!

والويل لمن يقطع عليه سلسلة أفكاره وأقواله .. وقد حاول أحد الإخوان أن يفعل ليرشّد له الحديث .. فنظر إليه نظرة المستنكر المشنّع؛ وكأنه يقول له: كيف تقاطع كلامي وحديثي وأنا أسرد الكلام سرداً كما قال الشيخ في الشريط ..!

فقلت في نفسي: يا سبحان الله .. هذا الرجل قد أتعبنا وأتعب آذاننا معه، ورأس ماله كله أنه سمع شريطاً لشيخ .. فكيف لو سمع إلى أشرطة .. أو قرأ كتاباً .. أو كتباً .. فإنه لن ينصف آذان الخلق من فِيه .. ومن طول لسانه ..!!

ألم أقل لكم أن الجهل أحياناً قد يكون نعمة للمرء ..!

* * * * *

33- المرء يُحشَر مع من أحب.

المرء يُحشَر مع من أحب .. فليَعرف أحدكم من يُحب .. وليحرص على أن لا يحب إلا صالحاً تقياً؛ يحب الأنبياء والمرسلين ومن سار على نهجهم من العلماء، والموحدين المجاهدين .. عسى أن يُحشَر معهم يوم القيامة .. أو يُرحم بسببهم!

كم يحزنني أن أرى بعض الدعاة .. بعض طلاب العلم .. بعض الإخوان المضلَّلين المجتهدين في الطلب والعبادة .. ثم هم يعلنون في مناسبات عدة عن حبهم وولائم للطواغيت الظالمين .. والظالمون عنهم وعن جدالهم، وحبهم، ساهون مشغولون!!

ألا يخاف هؤلاء أن يُحشروا معهم يوم القيامة ..؟!

فإن قالوا: نحن نحب مُحَمَّداً ﷺ ..!

أقول: لا يجتمع حب النبي ﷺ وحب أبي جهل في قلب امرئٍ واحد .. لا يجتمع حب النبي ﷺ وحب الطواغيت الظالمين .. فإن حب أحدهما لازم لانتفاء حب الآخر ولا بد!

فكما أنه لا يجتمع إيمان وشرك في قلب امرئٍ .. كذلك لا يجتمع حب المؤمنين الموحدين وحب الظالمين المشركين في قلب واحد!

وافتراض اجتماعهما هو من قبيل اجتماع الشيء وضده في آنٍ واحد .. وهذا لا يستقيم عقلاً ولا شرعاً!

* * * * *

34- المستقبل لهذا الدين ولو بعد حين.

تأملت حالَ الشعوب والأمم الضالة .. !!

تأملت حال الضياع والقلق والخوف .. الذي يعيشونه ..!

تأملت حال السقوط الهائل لمبادئ الأخلاق والدين ..!

تأملت حالة التفكك التي أصابت حياتهم الاجتماعية ..!

تأملت حبهم للهروب من الواقع إلى عالم النسيان عن طريق اللجوء إلى اللعب واللهو، والمخدرات، والمسكرات ..!

تأملت غياب العدل .. تأملت حال الظلم المستشري في الأمصار .. والذي تتمثل ذروته في تعبيد العبيد لشرائع وإرادة العبيد!

تأملت هذه الأحوال السائدة في تلك البلاد والأمم .. فأدركت أن المستقبل لهذا الدين ولو بعد حين .. أدركت أن النصر لهذا الدين مهما طال ظلام الكفر والشرك ..!

أدركت أن فجر الحق لا بد من أن ينبثق ويسود الربوع والسهول والمدن .. ولو بعد حين .. وما ذلك على الله بعزيز!

قال رسول الله ﷺ:" إن الله زوى ـ أي جمع وضم ـ لي الأرض، فرأيت مشارقَها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها ".

وقال ﷺ:" ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدَر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر ".

* * * * *

35- عواقبُ الغُلو في البُغض ..!

المرء الذي يغالي في بغض وكره شيء، لزمه الوقوع في ثلاثة أنواع من الظلم:

1- ظلم هذا الشيء، وعدم إنصافه، أو إنصاف جانب الحق فيه!

2- عدم الانتفاع من هذا الشيء؛ إذ المغالي في بغض شيء لا يُطيق أن ينظر لهذا الشيء فضلاً عن أن يتواضع للانتفاع من هذا الشيء .. فيظلم بذلك نفسه، وربما ـ بسبب ذلك ـ يحرم نفسه خيراً كثيراً ..!

فكم من طويلب علم ـ بل وعامي! ـ يغالي في بغض عالم من العلماء .. فيمنعه ذلك من الانتفاع منه ومن علمه، وهو في أشد الحاجة إليه ..!

3- ظلم الآخرين؛ إذ المغالي في البغض ـ في الغالب ـ لا يرضى أن ينأى بنفسه عن الانتفاع من هذا الشيء، حتى يحمل الآخرين على ما وقع فيه من الغلو في بغض هذا الشيء وعدم الانتفاع أو الاستفادة منه ..!

إضافة إلى ما تقدم ـ وهو الجانب الأهم والأخطر ـ وقوعه في العذاب الشديد يوم القيامة؛ لأن الله تعالى لا يحب الظلم، ولا الظالمين.

* * * * *

36- عواقب الغلو في المحبة والموالاة ..!

من غالى في محبة وموالاة المخلوق، لزمه الوقوع في خمسة أشياء:

1- أن يرفع هذا المخلوق فوق قدره ومكانته .. وربما يصل غلوه فيه درجة الشرك؛ وذلك عندما يبلغ غلوه درجة أن يوالي ويعادي في ذات هذا المخلوق .. فيعقد الولاء والبراء فيه .. وليس في الله ﷻ!

2- أن يحط من قدر نفسه وعقله على قدر ما غالى وزاد من قدر محبوبه ..!

3- أن يظلم الآخرين .. وذلك بمجافاة كل من لا يدخل ـ ولو في الحق ـ في موالاة من غالى في حبه وموالاته ..!

4- وقوعه في الخطأ والزلل ولا بد؛ لأن المغالي في الموالاة في الغالب لا يحسن التمييز بين خطأ محبوبه وصوابه .. فسيئته في عينه حسنة .. وحسنته جبل من الحسنات .. لذا فهو يتابعه في الحالتين ـ حالة خطئه وصوابه ـ على أنهما صواب ..!

5- أن يرد الحق لو جاء من غير طريق محبوبه .. أو بخلاف ما يراه محبوبه .. فيظلم نفسه بذلك ظلماً شديداً .. وما أكثر الناس الذين يفعلون ذلك؟!

* * * * *

37- الاعتدالُ في الحبِّ والبُغض ..!

لتفادي عواقب الغلو في الحب والبغض أمر الإسلام بالاعتدال، وصفته: أن يكون حبك للشيء لغيره لا لذاته؛ أي تحب الشيء لله تعالى وليس لذات الشيء .. فلا يُحب لذاته إلا الله تعالى .. وما سواه يُحب له لا معه.

أن تواليه وتجافيه بقدر ما فيه من خير أو شر .. من غير إفراط ولا تفريط!

أن تنزله منزلته التي يستحقها شرعاً .. فلا تضع من يجب عليك رفعه .. ولا ترفع من يجب عليك وضعه .. ولو وضعت فلا تبالغ عن المشروع .. وكذلك لو رفعت!

أن تنصف الحق منه .. في الرضا والسخط.

قال ﷺ:" أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما ".

وعن أسلم، عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: لا يكن حبك كلَفاً، ولا بغضك تلفاً.

فقلت: كيف ذاك؟ قال: إذا أحببت كَلِفتَ كلَفَ الصبي، وإذا أبغضت أحببت لصاحبك التلف!.

والكَلَف: هو الولوع بالشيء مع شغل القلب.

* * * * *

38- هل تريد أن يحبك اللهُ ورسولُه ..؟

قال رسولُ الله ﷺ:" إن كنتم تحبون أن يُحبكم اللهُ ورسولُه، فحافظوا على ثلاثِ خصالٍ: صِدق الحديث، وأداء الأمانة، وحُسن الجوار ".

* * * * *

39- لن ننتصر حتى نكون أكثر منهم عدلاً ورحمة بالعباد ..!

تأملت عوامل القوة في دول الغرب التي تمدهم بالحياة رغم كل ما يُعانونه من تفسخ وسقوط في القيم والأخلاق:

فوجدتهم يحسنون إلى ضعيفهم وفقيرهم .. ويقتصون له من قويهم!

لا يوجد عندهم إنسان يتسول .. أو يضطر للتسول؟!

كل إنسان من حقه أن يُؤمَّن له السكن الذي يأويه .. والمال الذي يكفيه .. والعلاج المجاني من كل مرضٍ يعتريه!

أطفالهم تُصرف لهم المعونات والرواتب .. وهم ـ لا يزالون ـ في بطون أمهاتهم!

وهذا الذي تقدم ذكره يُعطى لكل من دخل ـ ويدخل ـ في أمانهم وعهدهم من المستضعفين في الأرض ..!

يصدق فيهم قول عمرو بن العاص كما في صحيح مسلم:" إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرةً بعد فرَّة، وخيرهم لمسكينٍ ويتيم وضعيف، وخامسة حسنةٌ جميلة؛ وأمنعهم من ظلم الملوك ".

فأدركت أن سرَّ قوتهم، وظهورهم، وتمكينهم في الأرض .. في هذا الذي يفعلون!

ثم نظرت إلى بلاد المسلمين على تعداد أقطارها وأسمائها:

فوجدت القهر، والظلم، والفقر، والحرمان ..؟!

وجدت القوي يقتص من الضعيف بمكيالين .. والضعيف لا يستطيع أن يقتص من القوي ولا بنصف أو ربع مكيال!

وجدت القتل بغير وجه حق .. وجدت سجون الظالمين مليئة بالمستضعفين الأبرياء ..!

وجدت كيف أن الناس يُغيَّبون عشرات السنين في السجون .. بالشبهات والظنون من غير ذنبٍ يقترفونه!

وجدت كيف يعتبرون الانتماء لهذا الدين الحنيف .. جريمة كبرى .. وخيانة عظمى .. يؤخذ عليها أهلها بالنواصي والأقدام!

وجدت الكلابَ المسعورة كيف يطاردون الشباب الأمل .. وكيف يلاحقونهم .. ويداهمون البيوت عليهم في وسط الظلام، والناس نيام!

وجدت أعواد المشانق تُنصب للعلماء الأحرار ..!

وجدت الخوف والإرهاب والرعب يسود قلوب العباد من سطوة الظالمين الجلادين ..!

وجدت خيرات الأمة تُنهب .. لتصب في جيوب ومصالح أعداء الأمة!

وجدت الفساد والمجون، والفسوق، والعصيان بكل أنواعه وضروبه .. الذي لا يليق بأمة الإسلام!

وجدت كيف يسوَّد الأمر إلى غير أهله .. وكيف أن طواغيت أقزام قد استعلوا عرش الحكم على البلاد والعباد ..!

وجدت الخيانة، والغدر، والعمالة ..!!

وجدت شرع الله تعالى يُحارب ويُستهان به ..!!

فأدركت سرَّ وسبب ضعف وتأخر هذه الأمة ..!

وأدركت كذلك أن النصر لهذه الأمة لا يمكن أن يتأتى لها إلا بعد أن نكون أكثر من الآخرين عدلاً ورحمة بالعباد .. وبعد أن يقتص الضعيف من القوي بنفس المكيال والميزان الذي يقتص به القوي من الضعيف!

وبعد أن نعود جميعاً ـ بصدق وإخلاص ـ إلى الله ..!

صدق من قال: إن الله لينصر الدولة الكافرة العادلة، على الدولة المسلمة الظالمة!

* * * * *

40- التقليد ..!

التقليد خُلق مشين؛ لأنه يعني أشياء وأشياء:

يعني تغييب الميزان الذي به يُعرف الحق من الباطل .. والخطأ من الصواب .. والذي به تُعرف الأشياء على حقيقتها!

يعني فقدان الوظيفة الحقيقية للسمع، والبصر، والفؤاد ..!

يعني أن تنظر للأشياء من خلال عيون الآخرين .. وتسمع الأشياء من خلال آذان الآخرين .. وتحكم على الأشياء من خلال حكم الآخرين ممن تقلدهم!

يعني أن تُقاد حيث يقودونك .. وإن كان في ذلك هلاكك!

يعني أن تفقد شخصيتك وتمايزها عن الآخرين .. وغيابها في شخص من تقلده!

يعني ضعف شخصيتك .. ويعني الهزيمة النفسية .. لأن التقليد ـ في الغالب ـ لا يقع إلا من ضعيف مهزوم .. أمام قوة من يقلدهم!

فالتقليد يقود صاحبه ـ في الغالب ـ إلى العصبية .. والتعصب الأعمى لمن يقلده!

لأجل ذلك حارب الإسلام التقليد .. وحض على الاتباع بعلم وبصيرة .. والفرق بين الاتباع والتقليد فرق شاسع كبعد السماء عن الأرض .. وكالفرق بين العلم والجهل!

* * * * *

41- قرصنة أمريكية ..!

طالعتنا وكالات الأنباء بخبر مفاده: أن أمريكا ستعاقب دول الأوبك المصدرة للبترول إن سعت إلى تخفيض إنتاجها .. ورفع أسعارها .. ومن ضمن العقوبات المقترحة "مصادرة أموال دول أوبك الموجودة في أمريكا"!!

فعقب وزير النفط القطري على هذه العقوبات والتهديدات الأمريكية بقوله: بأنها خرافات، ومفاهيم خاطئة!

ووصف الأشياء بأسمائها الحقيقية كان يُلزم الوزير القطري بأن يقول: هذه قرصنة أمريكية!

هذا سطو أمريكي دولي على أموال الآخرين ..!

هذا غدر أمريكي للأمانات المودعة عندها ..!

هذا استحلال أمريكي منظم ووقح لسرقة واغتصاب أموال الآخرين ..!

لكن الوزير عما يبدو قد خانته أعصابه .. وألفاظه .. فجبن .. فقال: هذه خرافات ..!!

* * * * *

42- بين إرهاب المستضعفين .. وإرهاب المستكبرين!

من المفاهيم والمصطلحات التي يُكال بها بمكيالين .. مصطلح ومفهوم الإرهاب!

عندما يسعى المستضعفون في الأرض إلى رفع الظلم والقهر، والقتل عن أنفسهم .. هم بذلك إرهابيون خطرون!

عندما يسعون للدفاع عن أنفسهم، وحرماتهم، ومقدساتهم .. فهم بذلك إرهابيون ومعتدون!

عندما يسعون لطرد المستعمر المحتل من أوطانهم وبلدانهم .. هم بذلك إرهابيون ينبغي القضاء عليهم وبكل قوة ..!

عندما يرمي أحدهم عدوه المحتل ـ المدجج بالسلاح ـ بحجر، أو يضربه بسكين فهو بذلك يُصنّف كإرهابي من الدرجة الأولى ..!

بل آخر ما وصل إليه إنصاف الظالمين المعتدين عدهم لمن يصدع بالحق في وجه الطغاة الآثمين المعتدين .. أو يحض على جهادهم .. أنه من الإرهابيين الذين ينبغي أن يُحارَبوا ..!

بل إغاثة أطفال جياع ـ قتلهم حصار قوى الظلم والاستكبار ـ بدريهمات قليلة .. هو إرهاب، ودعم للإرهاب ..!

بينما الإرهاب الحقيقي للمستكبرين الظالمين المعتدين .. فهو أمن وسلام، وحق مشروع وعدل .. وواجب وطني وقومي ودولي لا خلاف عليه!

قتلهم لشعب بكامله .. ليس من الإرهاب!

تدمير آلاف البيوت على أصحابها .. ليس من الإرهاب!

زجهم لعشرات الآلاف من الشباب في غياهب السجون ليس من الإرهاب ..!

قتلهم للأطفال والنساء براجمات صواريخهم وطائراتهم ليس من الإرهاب ..!

محاصرتهم لشعب بكامله .. ومنع الغذاء والدواء عن أطفالهم ونسائهم، وشيوخهم، ليس من الإرهاب!!

دعم دول الاستكبار في الأرض ـ بمئات الملايين من الدولارات ـ للطواغيت الذين يحكمون شعوبهم بالإرهاب، وبقوة الحديد والنار .. ليس من الإرهاب، ولا يُصنف على أنه دعم للإرهاب ..!

صناعتهم للقنابل الذرية النووية التي تقتل الأطفال والنساء .. وتدمر مدناً بكاملها .. قبل أن تصيب الجندي في ميادين القتال .. ليس من الإرهاب!

هذا التسابق المسعور على صناعة الأسلحة الفتّاكة .. الذي يذهب ضحيتها المدنيون الأبرياء قبل غيرهم .. ليس من الإرهاب!

هذا كله ليس إرهاباً وهو حق مشروع .. بينما طفل يرمي يهودياً محتلاً بحجر .. فهو إرهابي، وجهاده فيه نظر .. وهو غير مشروع!!

* * * * *

43- ألا تستحي من الله يا عبد الله ..؟!

لو هاتفك صديق عزيز، يعزُّ عليك إلا أن تجيبه .. وتلبي نداءه .. وإن لم تفعل يصيبك الحرج الشديد نحوه .. هذا حالك معه وهو مخلوق مثلك .. وفضله عليك كفضلك عليه، وربما أقل!

فكيف بذي الجلالِ والإكرام العزيز الجبار، من له الأسماء الحسنى، والصفات العليا .. لا فضل لك عليه، وفضله عليك لا يُحصى، أنت الفقير إليه وهو الغني عنك وعن غيرك .. في كل ليلة ينزل إلى السماء الدنيا ـ نزولاً يليق بجلاله وكبريائه وعظمته ـ يناديك ـ وأنت ملتحف فراشك ـ: عبدي ها أنذا أتيتك .. ألك حاجة أقضيها لك .. استغفرني أغفر لك .. ادعني أستجب لك .. سلني أعطيك .. وأنا القادر على ذلك!

يظل يناديك بتلك الكلمات المباركات الرفيقات إلى أن ينفلق الفجر .. وأنت أنت .. عميق النوم .. مشدوداً إلى فراشك ولحافك .. وكأنه لم ينادك أحد!

ألا تستحي من الله يا عبد الله .. الخالق يناديك وأنت لا تجيبه؟!!

* * * * *

44- عِلْمُ الأسماءِ والصِّفات.

أجلُّ العلوم وأشرفها .. علم الأسماء والصفات .. العلم الذي يتعلق بأسماء الله تعالى وخصائصه وصفاته ..!

العلم الذي يُعرِّف العبد على ربه ﷻ .. يُعرفه على خصائصه وصفاته، وأسمائه التي لا يُشركه فيها أحد من خلقه .. فيزداد حباً وتعلقاً بخالقه ﷻ .. ويزداد خضوعاً وانقياداً لأمره!

فعلى قدر علم العبد بخصائص الرب ﷻ وصفاته، وأسمائه .. على قدر ما تتحقق عبوديته وطاعته لهذا الرب ﷻ .. ويرقى توحيده!

كمال العبودية والتوحيد مرتبط بكمال العلم بأسماء الله تعالى، وصفاته، وأفعاله ..!

لذا كان أكمل الناس عبودية لله ﷻ الأنبياء والمرسلين .. لأنهم أعرف الناس بالله ﷻ .. وأعرفهم بخصائصه، وصفاته، وأسمائه، وأفعاله ﷻ .. وأعرفهم بحقه على عباده!

لا يعصي العبدُ ربه إلا لنوع جهل بأسماء الله تعالى وصفاته .. وعلى قدر جهله بهذا العلم الجليل تكون المعاصي منه .. ويكون الشرود عن الطاعة .. فكل منهما علامة على الآخر ويدل عليه!

فالمشرك هو أجهل الخلق بأسماء الله تعالى وصفاته .. لذا فهو أجرأ الخلق على الخالق ﷻ وعلى عصيانه، والكفر به ..!!

على قدر علم العبد بأسماء الله تعالى وصفاته .. على قدر ما يعرف عظمة التوحيد وفضل نعمة الهداية التي منَّ الله بها عليه ..!

على قدر ما يعرف تفاهة الشرك .. وحقارة المشركين .. والنجس الذي هم فيه يتخبطون ويتقلبون؛ نجاسة الشرك .. وعبودية المخلوق للمخلوق الضعيف العاجز الذي لا يملك لنفسه حولاً ولا قوة!

على قدر علم العبد بأسماء الله تعالى وصفاته، وأفعاله .. على قدر ما يمتلك الحصن المنيع الذي يصعب غزوه أو اقتحامه من قبل شياطين الأنس والجن .. على قدر ما يملك المناعة الإيمانية ضد الفتن بجميع صورها وأشكالها ..!

لأجل ذلك كله قلنا في أول كلامنا أن علم الأسماء والصفات هو أجل وأعظم علم يتعلمه الإنسان .. ومع ذلك نجد كثيراً من الدعاة والشيوخ ممن يدرِّسون الناس هذا العلم العظيم .. يدرسونه على أنه علم كلامي جدلي .. علم يقابل كلام الجهمية المعطلة، أو المجسمة المشبهة .. كيف نثبت، وكيف ننفي .. كيف نرد على هذه الفرقة أو تلك .. من دون الوقوف على دلالات هذا العلم وغاياته التي تزيد العبد إيماناً وانقياداً وحباً لخالقه ﷻ ..!

فقست بذلك قلوبهم .. وقست قلوب الناس معهم .. ونفروا الناس عن تعلم هذا العلم العظيم .. وصوروا لهم ـ بأسلوبهم العقيم ـ صعوبة تعلمه .. وهذا كله بسبب جهلهم ومخالفتهم لطريقة النبي ﷺ في تلقين هذا العلم الشريف لأصحابه الكرام ﷺ أجمعين.

* * * * *

45- جسدٌ في حديقة .. وقلب في قبر!

مثل ذلك مثل المشرك الذي يعيش في قصر .. والقصر في حديقة .. بينما قلبه الذي في صدره ـ بسبب كفره وشركه وخروجه عن الطاعة ـ كأنه يعيش في قبر ..!

لا يعرف الأمان ولا الاطمئنان، ولا الأُنس الحقيقي .. لأنه لا يعرف الله .. ولا يعرف الذكر الذي به تطمئن القلوب ..!

فهو رغم أن جسده يعيش في حديقة .. إلا أنه في قلبه يعيش ظلمة الخوف، والقلق .. ظلمة الذنب، ووحشة البعد عن الله .. والخوف من المجهول وما بعد الموت!

ظاهره يوحي بالسرور .. بينما في باطنه يعيش الكرب، والحزَن .. وضيق الصدر الذي ينتابه على مدار الوقت ..!

صدق الله:﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾الأنعام: 125.

هذا في حياته الدنيا، أما بعد مماته فإن جسده يكون في قبر .. وروحه في نار جهنم وبئس المصير ..!

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ . فَادْخُلُواْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾النحل:28-29.

ومن قبل قال بعض العبَّاد الصالحين: لو يعرف الملوك ـ الذين يسكنون القصور ـ اللذة التي نعيشها في قلوبنا لجالدونا عليها بالسيوف ..!!

* * * * *

46- لا تمدوا الباطل بالحياة ..!

في كثير من الأحيان نحارب الباطل .. نستبطئ زوالَه .. ولكن في نفس الوقت نغذيه ونمده بالحياة .. ونقويه علينا .. بذنوبنا ومعاصينا!

كم من طاغية جاثم على صدر ومقدرات الأمة وددنا أن يزول .. وبنفس الوقت نمده بحبل من القوة من عند أنفسنا بسبب معاصينا وذنوبنا، وانحرافنا عن الحق .. يبتلينا الله به بسبب ـ بل بأسباب ـ من عند أنفسنا ..!

كم من معركة هُزم فيها المسلمون .. وانتصر فيها أعداؤهم .. بسبب بعض الذنوب والمعاصي التي كان قد ارتكبها بعض المسلمين أو الجند .. وكانوا لا يلقون لها بالاً!!

أعجب لأناس ـ هم من أبناء جلدتنا، ويتحدثون بلغتنا ـ يرفعون شعار إزالة دولة يهود .. وتحرير فلسطين كامل فلسطين .. وهم يرتكبون الموبقات والكبائر .. وكثير منهم لا يتورع أن يُظهر الكفر البواح ..!

هؤلاء ـ علموا بذلك أم لم يعلموا ـ يطيلون عمر اليهود في فلسطين .. ويُطيلون أمد دولتهم .. وأمد معاناة أهل فلسطين .. وهم شركاء اليهود في قتل أطفال ونساء ومستضعفي أهل فلسطين!

هم سبب رئيسي في تأخير النصر .. وحصول الجلاء .. سواء علموا بذلك أم لم يعلموا!

نصر الله ـ يا قوم! ـ لا يتنزل .. إلا إذا نصرنا الله .. ونصرنا لله يكون بامتثال أوامره .. وبالانتهاء عن نواهيه وزواجره .. أن نأخذ الإسلام كله ـ وليس بعضه ـ بقوة وصدق وجد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾محمد:7.

نصر الله يتنزل عندما نصلي الفجر في القدس .. كما نصلي ظهر الجمعة في القدس!

أهل الباطل أوهن من بيت العنكبوت لو كنتم تعلمون .. ومع ذلك فهم أقوياء .. لا لأنهم أقوياء بحق .. بل لأننا نحن الضعفاء .. فقوتهم تأتي من جهة ضعفنا .. وضعفنا يأتي من جهة ذنوبنا ومعاصينا، وتفرقنا في ملل، وأحزاب ما أنزل الله بها من سلطان .. يأتي من جهة شرودنا عن الطاعة، وإقامة الصلاة ..!

احذر يا أخا الإسلام أن تمد الباطل .. أن تمد الطواغيت الظالمين بمدد من القوة والحياة .. أن تمدهم بذلك بذنوبك .. فتكون عوناً لهم على إخوانك وأنت لا تدري!!

واعلم أن ذنبك في الحجاز والشام .. يؤثر على تأخير نصر إخوانك في فلسطين والشيشان!

* * * * *

47- ظاهرة سوء الاستدلال ..!

ظاهرة سوء الاستدلال ظاهرة قديمة حديثة .. فمن قبل ـ وإلى يومنا هذا ـ استدل الخوارج بآيات ونصوص قيلت في الكفار المشركين .. فحملوها على المؤمنين الموحدين!

ومن قبل ـ وإلى يومنا هذا ـ استدل المرجئة بآيات ونصوص قيلت في المؤمنين الموحدين .. فحملوها وأنزلوها على الكافرين المجرمين!

ومن سوء الاستدلال كذلك أن يلجأ الباحث ـ عندما تعوزه الحجة والبينة ولا يجد الدليل الصحيح على مسألته ـ إلى الإكثار من كلام أهل العلم ونصوصهم .. وإلى تسويد عشرات الصفحات في المسألة البسيطة التي تُبحث في عدة سطور .. حتى يظن القارئ أن هذا الباحث قد أحاط بالمسألة من جميع أطرافها وأبعادها، وقد أقام الحجة على المخالفين بما لا يسع لأحد مخالفته .. وبشيء من التأمل والمتابعة نجد أن هذه النصوص المطولة ـ التي نقلها هذا الباحث من أقوال أهل العلم ـ في واد، ومسألته التي يستدل عليها في وادٍ آخر ..!

وأحياناً نجد أن كثيراً من هذه النصوص المنقولة من كلام أهل العلم هي حجة عليه وعلى ما يريد تقريره وإثباته، وليست له .. وهو لا يدري!!

هذه ظاهرة متفشية في زماننا .. ما أكثر أهلها وأصحابها!!

* * * * *

48- فيمن يعمل لغيره ..!

من الغباء والحمق أن يكدح المرء طيلة يومه ثم في نهاية النهار يحرم نفسه وأهله وأطفاله مما كان قد اكتسبه من مال وربح، ويعطيه للآخرين .. لأناس هو لا يحبهم، ولا يميل إليهم!

من الغباء والحمق أن يزرع الإنسان .. ليحصد غيره ما يزرع .. ومن دون أن يستفيد شيئاً مما قد زرع!

مثل هذا مثل الإنسان المجاهد، العابد، القائم، الصائم .. ثم هو يشتم الآخرين، ويغتابهم، ويعتدي على حرماتهم وحقوقهم ..!

فيأتي كل واحد من هؤلاء يوم القيامة للقصاص، وتحصيل حقوقهم ممن كان قد ظلمهم أو اعتدى عليهم في شيء .. فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته .. حتى لا يبقى عنده شيء من الحسنات تتشفع له من عذاب يومئذٍ، فيُقذف به في النار ..!

كما في الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:" أتدرون من المفلس ؟" قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال:"المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أُخِذَ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طُرح في النار ".

فلا تزهدن ـ يا عبد الله ـ بحسناتك .. فتوزعها على الآخرين في يوم تكون الحسنة فيه لا يعدلها ملء الأرض ذهباً ...!

* * * * *

49- نريد أن ندخل الجنة ولكن ..!

ما أوسع ساحة الأماني عند الناس .. وما أقل ساحة العمل والبذل والعطاء ..!

نريد أن ينتصر الإسلام .. أن تعلو كلمته وتقام دولته .. ولكن من دون أن نضحي في سبيل ذلك بجهد يسير مستطاع .. أو حتى بذل دريهمات قليلات!

نريد أن نكون مع الأنبياء والصديقين والشهداء في أعلا الجنان .. ونُزوَّج بالحور العين .. ولكن من دون بذل ولا عطاء، ولا جهاد ..!

نريد أن تُرفع المعاناة عن المسلمين في العالم .. ولكن من دون أن يقدم أحدنا درهماً واحداً في سبيل ذلك ..؟!

عند الحديث عن الأماني والتمنيات فالذي نريده كثير .. وكثير جداً .. وكبير .. وعندما يأتي الحديث عن العمل .. عن التضحية والبذل والعطاء .. عن تكاليف هذا الذي نريده .. تنكمش الأنفس الشحيحة .. ويشح البذل والعطاء .. وتتوارى الوجوه!

الجهاد جيد .. لكن غيرنا الذي ينبغي أن يجاهد!

المجاهدون فضلاء .. ولكن لا أريد لولدي أن يجاهد!

الشهادة طيبة .. لكن لا نريد أن تراق منا قطرة دم في سبيل الله!

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾التوبة:111.

وفي الحديث:" لا صدقة ولا جهاد .. فبمَ تدخل الجنة "؟!

* * * * *

50- فاعلية الإعلام ..!

للإعلام فاعلية كبيرة .. وأثر بليغ على عقول وتوجه الناس!

ولو استخدم في الباطل .. لا تسأل عن حجم الخراب والفساد الذي يمكن أن يحققه!

فكم من طاغية كافر .. ظهر من خلال الإعلام الفاسد المكثف على أنه بطل دونه في الاستقامة والعدل أبو بكر، وعمر، وعلي .. والعياذ بالله!

فكم من جاهل مشبوه .. ظهر من خلال الإعلام والدعاية المكثفة والمسخرة له على أنه عالم مجاهد .. وإمام .. فوق الشبهات أو أن يُشار إليه بنقيصة ..!

فكم من خائنٍ عميل .. ظهر من خلال الإعلام الفاسد المكثف في أعين الناس على أنه مخلص وشريف، ونزيه ..!

وكم من ظالم مغتصب للحقوق .. معتدٍ على البلاد والعباد .. يُظهره الإعلام الفاسد في أعين الناس أنه هو المظلوم، وأنه صاحب حق وقضية، وأن المظلوم المعتدى عليه هو الظالم الذي ينبغي أن يُعاقب ويُقتص منه ..!

فكم من حق ظهر في أعين الناس على أنه باطل .. وكم من باطل ظهر في أعين الناس على أنه حق، ومن المسلمات التي لا تقبل النقاش .. كل ذلك بسبب ضغط الإعلام الجاهلي، وكثافة الدعايات التي تبثها أبواق الإعلام الباطل والمتنوعة في سبيل ذلك ..!

وفي كثير من الأحيان يستطيع الإعلام الفاسد ـ من خلال الدعايات المكثفة والمتنوعة ـ أن يضع حاجزاً نفسياً كبيراً بين الناس وبين أن يلتفتوا إلى الحق أو يسمعوا إليه .. فضلاً عن أن يُجالسوه أو يتبعوه!

وفي كثير من المجتمعات التي يعاني أهلها من الخواء العقدي الإيماني .. والجهل الثقافي .. يكفي لتسيير الناس في اتجاه معين دون سواه ـ يرتضيه الطاغوت ـ أن يُصنَع لهم فلم أو فلمان .. أو مسلسل تلفزيوني ونحو ذلك ..!!

فكم من مسلسل تلفزيوني ساقط نجد صداه وأثره ـ في اليوم التالي ـ في أحاديث، وأخلاق، وسلوك الناس ..!

فعلى الشباب المسلم ـ ذكوراً وإناثاً ـ وهم في طريقهم لطلب العلم .. وفي الدعوة إلى الله .. أن يتفطنوا لذلك .. أن يتفطنوا لهذا المكر الخبيث الذي يُبث في الليل والنهار .. حتى لا يقعوا في الظلم والخطأ، وفي شباك ومكر الإعلام الباطل، وهم يعلمون أو لا يعلمون!

* * * * *

51- الطواغيت يضحكون من المشايخ ..!

كأني بطواغيت الحكم يضحكون من المشايخ ويسخرون منهم .. والمشايخ في غمرات الجدال والخصام والخلاف على كفرهم، ونفاقهم، ومروقهم من الدين ..!

كأني بالطواغيت يقولون لبعضهم البعض: انظروا لهؤلاء الشيوخ المغفلين .. كل هذا الكفر البواح الذي نحن عليه .. والذي فيه متلبسون .. فهم لا يرونه .. ولو رأوه فإنهم يحملونه على الكفر الأصغر؛ كفر دون كفر .. حقاً إنهم مغفلون وبسطاء .. وبساطتهم تستدعي أن ننظر إليهم بعين العطف والشفقة، والإحسان ..!

بدَّلنا شرع الله .. حاربنا دين الله .. شرَّعنا مع الله .. والينا أعداء الله .. نشرنا الرذيلة والفساد في البلاد وبين العباد .. وعلى مدار الساعة .. مكنا اليهود في بلاد المسلمين .. ومع ذلك فهم يحملون علينا مقولة ابن عباس: كفر دون كفر .. حقاً إنهم مغفلون وبسطاء إلى حدٍّ يستدعي السخرية منهم، والاستخفاف بهم .. إلى الثمالة والقهقهة!!

أحدنا أكفر من فرعون، ومن أبي جهل، وأبي لهب الذي نزل فيه﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾المسد:1.

ومع ذلك فهم يجادلون عنا .. يخاصمون المخالفين لأجلنا .. يوالون ويعادون فينا .. فرقوا صفوف المسلمين إلى فرق متنافرة متناحرة لأجلنا نحن طواغيت الحكم .. حقاً إنهم مغفلون .. لكن يجب أن نرعاهم ونقربهم وندنيهم منّا؛ لأنهم يدافعون عنا .. ويصبغون الشرعية علينا وعلى أنظمتنا وحكمنا .. ويُقنعون الناس بنا وبوجوب طاعتنا!

وهذا عمل هام بالنسبة لنا لا يمكن القيام به من دونهم .. لذلك نحن نقربهم وندنيهم، ونغدق عليهم بالعطاء .. ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾الشعراء:42.

* * * * *

52- القافلة تسير والكلاب تنبح ..!

يُضرَب هذا المثل .. عندما قوافل الجهاد والاستشهاد تمضي للجهاد في سبيل الله .. والمثبطون المرجفون ينادونهم من جنبات الطريق أن إلينا .. يشككونهم بشرعية وجدوى جهادهم .. فيقال لهم حينئذٍ: القافلة تسير والكلاب تنبح ..!

عندما تمضي قوافل الشهداء إلى ربهم بنفس راضية مرضية .. ثم يأتي المثبطون من حولهم يقولون: لو بقوا هؤلاء عندنا لما قتلوا .. لو أصغوا إلينا وإلى نصائحنا لما قتلوا .. ويتموا أطفالهم .. ورملوا نساءهم .. فيقال حينئذٍ: قافلة الحق تسير .. وكلاب الباطل والإرجاف تنبح!

عندما يمضي الحق إلى غاياته بثبات ويقين .. ومن دون أن يعير الباطل التفاتةً أو نظرة .. ثم تأتي قوافل النفاق والإرجاف لتنبح وتشكك في الحق وغاياته .. وتنفر الناس عنه .. فيقال حينئذٍ: القافلة تسير والكلاب تنبح ..!

عندما يُحاول أهل الباطل ـ بكل تشعباتهم ومذاهبهم ـ ثني المسلم عن الحق الذي هو عليه .. فيقال: القافلة تسير والكلاب تنبح .. وما أكثر هؤلاء الكلاب التي تنبح في زماننا هذا!

* * * * *

53- لا تُحَمِّل الأمورَ ما لا تحتمل ..!

ما بعد الضيق إلا الفرج .. وما بعد العسر إلا اليسر .. وما من غمٍّ أو هم يدوم ..!

كم من كرب، نعالجه بغم في القلب .. وهم على الوجه .. وقلق في النفس .. فنزيده اشتعالاً واستفحالاً .. ثم بعد فترة من الزمن يسيرة وإذا به ـ بإذن الله ـ يزول وكأنه لم يكن .. يصبح في عالم النسيان والخيال!

يزول .. لكن الذي لا يمكن أن يزول تلك الآثار السلبية ـ التي خلفتها طريقة التعامل مع هذا الكرب ـ على القلب والأعصاب، والنفس، وربما على الآخرين من الناس المحيطين بنا والمعايشين لنا ..!

كثير من الأمور هي أقل من بسيطة .. يمكن أن تعالج على طريقة ما بال أقوامٍ .. وبالتلميح دون التصريح .. أو بكلمة أو كلمتين .. ترانا نتعامل معها بانفعال، وغضب، وحدة، وتوتر، وغم، وهم، وقلق ..

واحمرار في الوجه .. وانتفاخ في الأوداج .. قد يؤدي إلى جلطات أو سكتات في القلب .. وإرهاق في الأعصاب .. إضافة إلى أجواء النكد التي تعلو المحيط الذي نعايشه، ونختلط به!

كثير من الأمور نظنها كبيرة .. ونتعامل معها على أنها قضايا كبيرة .. ثم بعد فترة قصيرة من الزمن تظهر بحجمها الحقيقي الصغير الحقير .. فيقع الندم على الإفراط في الطريقة التي تعاملنا معها وما فرطنا به في حق أنفسنا، وحق غيرنا .. ولات حين مندم!

* * * * *

54- لماذا الانتفاضة فقط ..؟!

منذ فترة نسمع ـ عبر وسائل الإعلام المختلفة ـ تصريحات لمسؤولين .. ومعلقين .. وسياسيين وغيرهم تقول: الحل لتحصيل الحقوق في فلسطين، وطرد الصهاينة المعتدين يكمن في صمود الانتفاضة .. في دعم انتفاضة الشعب الفلسطيني .. في استمرار الانتفاضة ...!

مواجهة الصهاينة المعتدين .. يجب أن تكون من خلال دعم الانتفاضة .. والوقوف إلى جانب الانتفاضة .. الانتفاضة خيار استراتيجي لا رجعة عنه .. الانتفاضة .. الانتفاضة ..!

أقول: ابتداءً لا أقلل من قدر وأهمية الانتفاضة .. ولا من جهاد الشعب المسلم الفلسطيني هناك .. فهم على ثغرة عظيمة من ثغور الإسلام نسأل الله تعالى لهم الثبات والنصر.

ولكن لماذا الانتفاضة فقط ..؟!!

لماذا أطفال الحجارة فقط ..؟!!

لماذا النساء والشيوخ فقط ..؟!!

لماذا الشعب الفلسطيني الأعزل من كل شيء .. مقابل جيش صهيوني همجي متوحش ـ يقتل الأطفال الرضَّع! ـ مدجج بأحدث الأسلحة الفتاكة .. فقط ..؟!!

لماذا لا يكون الحل ـ إضافة إلى جهاد الانتفاضة ـ تحرير حدود بلاد الطوق من سطوة وهيمنة كلاب الحراسة الأوفياء لليهود أكثر من اليهود لليهود .. لتأخذ الشعوب العربية والإسلامية دورها المفروض والصحيح، وتتحمل مسؤولياتها الشرعية في تحرير القدس وسائر البلاد من رجس الصهاينة اليهود ..؟!

لماذا لا يكون الحل ـ إضافة إلى جهاد الانتفاضة ـ تحرير الجيوش العربية على الأقل ـ التي صنعت لحماية عروش الطواغيت ـ لتأخذ طريقها الصحيح في الجهاد إلى جانب الانتفاضة .. وأهل الانتفاضة؟!

لماذا لا يكون الحل ـ إضافة إلى جهاد الانتفاضة ـ أن يُزاح الغبار عن الترسانة الضخمة للأسلحة المخبأة في مخازن طواغيت العرب .. والتي اشتريت بأموال المسلمين؟!

لماذا هذه الأسلحة ـ التي يتراكم عليها الصدأ والغبار ـ لا تُشهر إلا في وجه الشعوب .. ولقهر الشعوب لإرادة وحكم الطواغيت ..؟!

لماذا لا تأخذ طريقها ـ بجوار حجر الانتفاضة، وطفل الانتفاضة ـ لتحرير الأرض، وطرد المغتصبين الصهاينة ..؟!

لماذا لا ترتفع الأصوات وبقوة ـ من كل الأطراف والجهات والهيئات المعنية ـ بالمطالبة بذلك .. إضافة إلى دعم الانتفاضة ..؟!

فعدم حصول ذلك أو شيء منه يجعلنا نجزم أن شعار دعم الانتفاضة الذي يردد في وسائل إعلام الظالمين .. وتلوكه ـ بكل وقاحة وقلة حياء ـ أفواه كثير من المسؤولين، والمثقفين المشبوهين .. هو عبارة عن كلمة حق يراد بها باطل .. يُراد بها مص نقمة الشعوب المقهورة وإخماد غضبهم .. يُراد بها الهروب من المسؤولية الحقيقية .. ومن تحمل تبعات هذه المرحلة الهامة وما تقتضيه من واجبات .. ليقف الطفل الفلسطيني بحجره .. الإنسان الفلسطيني الأعزل من كل شيء .. إلا من إيمانه .. وحيداً فريداً .. أمام مسؤوليات التحرير والجلاء .. وما أضخمها!

ألا قاتل اللهُ الطواغيت الظالمين .. كلاب الحراسة الأوفياء!!

* * * * *

55- مِن الكِبر ..!

الكِبرُ ردُّ الحقِّ .. واحتقارُ الخَلْق!

وله صور عدة بعضها أظهر وأصرح من بعض، منها: ردُّ الحق لكونه يأتي من صغير الشأن .. وضيع الجاه .. لا يُؤبَه له!

ومنها: عدم رد الفضل إلى أهله؛ حتى لا يُقال قد استدل بصعلوك وضيع .. أو استفاد ممن هم دونه مرتبة ودرجة!

ومنها: عندما لا يُنصف المرءُ الحقَّ من نفسه، ومن حزبه، وشيخه .. فيرد قول الحق بقول الخَلق!

ومنها: قبول الحق لكونه جاء من القنوات التي يهواها، ويميل إليها .. ورده لكونه جاء من جهات لا يرضاها، ولا يميلُ إليها ..!

ومنها: الاستخفاف بالخلق .. والنظر إليهم باستعلاء وفوقية .. وأنهم دونه .. ومن الدوابِّ المسخرات له!

وأعرفُ، من يحمل قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾ على عباد الله ..!!

ومنها: الأنَفَة عن القيام بأعمالٍ مشروعةٍ ـ رغم الحاجة إليها ـ لكونها أعمالاً وضيعة لا تليق به!

ومنها: الأنَفَة عن مجالسة المساكين والفقراء؛ لكونهم من طبقة دون طبقته!

ومنها: التمنّع عما ينفعه ويرغبه .. تَكلّفاً وترفّعاً .. رغم حاجته إليه!

فهذا كله من الكِبر الذي يمقته الله تعالى .. ويُردِي صاحبه في السخط والعذاب الأليم .. وربما يؤول به إلى الكفر وهو لا يدري.

عن عبد الله بن مسعود: أن رسول الله ﷺ قرأ سورة " النجم " فسجد فيها، وما بقي أحدٌ من القوم إلا سجد.

فأخذ رجل من القوم كفّاً من حصى أو تراب فرفعه إلى وجهه، وقال: يكفيني هذا!!

قال عبد الله: فلقد رأيته بعد ذلك قُتِل كافراً!

* * * * *

56- احفظ بصرك من أن يقع على سوء ..!

البصر بريد الظاهر إلى الباطن .. والنفق الذي تتسرب منه الصور وإيحاءاتها لتنطبع ـ بكل دلالاتها وأبعادها ـ في النفس، والقلب، والذهن .. فاحرص أن لا تنظر إلا إلى خير ..!

إن أردت أن تسلَم لك قوة فراستك وحافظتك .. فاحرص أن لا يقع بصرك على سوء!

إن أردت أن تحافظ على صفاء ذهنك وإيمانك .. واعتدال مزاجك وطبعك .. فاحرص أن لا يقع بصرك على سوء .. أي سوء!

كم من نظرة فاسدة ظل صاحبها أسيراً لها ولمعانيها القبيحة لساعات .. وربما لأيام .. لا يستطيع الفكاك من سلطانها وأثرها .. قد استحوذت عليه وعلى تفكيره، وذوقه، وعقله، ومشاعره .. من كل حدبٍ وصوب!!

لا يرى في نفسه إلا تلك الصورة التي رآها .. ولا يُفكر إلا بها .. ولا يتذوق إلا دلالاتها القبيحة الفاسدة .. بل ولا يشعر إلا بها!!

فلو أتبع مثل هذه النظرة .. نظرة أخرى .. ونظرة أخرى .. فمتى يقدر على أن يتذوق حلاوة الحق وجماله ..؟!

متى سيتحرر من ضغط تلك النظرات ليقوم بواجبه نحو دينه، وأمته، ونفسه .. وما أكثر تلك الواجبات!

تأمل لو فرشوا لك طعاماً شهياً ـ ما لَذَّ وطاب ـ على مائدة محاطة بالقاذورات .. وخراء الكلاب والخنازير وغيرهم من الدواب والهوام .. أترى لنفسك شهية في الطعام ...؟!

كلما مددت يدك إلى الطعام .. وقع بصرك على تلك القاذورات والصور القبيحة المحيطة بالمائدة .. فتتذكر تلك الدلالات الخبيثة التي توحيها إليك تلك الصور .. فتمسك عن الطعام ولا بد .. مهما كان بطنك طاوياً من الجوع!

وكذلك لو عُرضت عليك صور الحق والجمال .. وفي ذهنك قائمة طويلة عريضة من الصور القبيحة الفاسدة .. تقلبها وتعالجها في نفسك .. فإنك لا تقدر على تذوق جمال وفائدة صور الحق .. ولا أن تنتفع منها في شيء ..!

جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال:" أولياء الله الذين إذا رُؤوا ذُكر الله ".

لماذا إذا رُؤوا يُذكر الله ..؟!

لأن صورتهم تذكر بالعلم .. تذكر بالطاعة .. تُذكر بالعبادة .. تُذكر بالجهاد .. تُذكر بالاستقامة .. تُذكر بكل خصال وقيم الخير .. فيُذكَر الله حينئذٍ ولا بد!

لذا فقد أثر عن بعض أهل العلم أن النظر إلى وجوه الصالحين المجاهدين عبادة .. لأنها تحمل صاحبها على الذكر والعبادة ...!

ثم إذا كان النظر إلى أولياء الله الصالحين عبادة .. ويُذكِّر بالله ﷻ .. فإن مفهوم المخالفة يقتضي بأن يكون النظر إلى صور الظالمين المجرمين .. تُذكِّر بالشيطان .. تُذكر بالكفر والشرك .. تذكر بالفجور والمجون .. بحسب حال الصورة المنظور إليها!

كم من وجه .. ترى عليه معالم الكفر والجور والفسوق .. يُذكرك بكل معاني القبح والفجور .. فتجد نفسك غير قادرٍ على إطالة النظر إليه ..!

لذا فقد أُثر عن الإمام أحمد أنه كان إذا رأى مشركاً نصرانياً يغض الطرف عنه، ويقول: كيف أنظر إلى رجل يُكذب الله ورسوله، ويدَّعي أن له ولد ..؟!

فهو مجرد أن يراه يُذكره بهذا الكفر والشرك، وبتلك الصور القبيحة ..!

وكان الشافعي قد وقع بصره على كعب امرأة .. فتأثر حفظه .. فتمثل ذلك قائلاً:

شكوت إلى وكيعٍ سوءَ حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي

وقال العلم نورٌ ونورُ الله لا يُؤتاه عاصي

من هنا ـ ومن أجل جميع ما تقدم ـ قد نص الشارع على الأمر بغض البصر، فقال تعالى:[قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ]النور:30.

* * * * *

57- احذروا الملغومين ..!

الذين يُجادلون عن طواغيت الحكم .. ويذودون عنهم واحد من اثنين:

إما أنه رجل مُغفَّل .. جهله مركب .. أعمى البصر والبصيرة .. لا يريد أن يفهم .. وقليل منهم مَن يُعذَر..!

وإما أنه ملغوم مدسوس .. مدفوع ومدفوع له .. يُجادل عن الطواغيت .. متستراً ببعض الشيوخ .. مستعيناً على جداله ببعض النصوص والأقوال المبتورة .. ليظهر للآخرين بثوب طالب العلم .. وأنه يعتمد في جداله على نصوص الشرع .. وأقوال أهل العلم .. ليُشوش بذلك على الشباب دينهم وعقيدتهم .. والشرع وأهل العلم منه ومن تدليساته براء ..!

وكلا الصنفين .. لا تسمح هذه المرحلة العصيبة التي تمر بها الأمة .. أن نسمع لهم .. أو نقف عندهم كثيراً من الوقت .. نجادلهم ويُجادلوننا .. لأن الجدال لن يُجدي معهم نفعاً .. ولأن الوقوف عندهم طويلاً سيكون مكلفاً جداً لأصحاب الحركات الجادة في نصرة هذا الدين!

لذا فإني أنصح إخواني ناصح المشفق المحب .. أن لا يلتفتوا إلى القوم .. وأن لا يُكثروا من جدالهم .. وأن يُحافظوا على أوقاتهم فيما ينفع .. وأن يُحسنوا التمييز بين من يسأل ويبحث استرشاداً وطلباً للحق فيُقبلون عليه .. وبين من يسأل فتنة .. وتجسساً .. وتفريقاً بين المسلمين .. فينبذونه ويتجاهلونه .. ليموتوا في غيظهم وحقدهم وجحورهم .. وإن كان كثير مما يقولونه لتهد له الجبال هداً .. يصعب الصبر عليه .. ولا حول ولا قوة إلا بالله!!

* * * * *

58- خوارج على الدعاة .. مرجئة مع الطغاة!

نبتت نابتة سوء باسم السنة والسلف ـ والسنة والسلف منهم براء ـ لا هم خوارج على الإطلاق .. ولا هم مرجئة على الإطلاق .. وإنما هم مزيج من هذا وذاك!

فهم على الدعاة والمخالفين لهم من أهل القبلة والتوحيد خوارج .. شداد .. غلاظ .. لا يقيلون لهم العثرات .. ولا يعرفون لهم تأويلاً أو عذراً!

لأدنى مخالفة ـ وأحياناً بلا مخالفة ـ أو خلاف ـ بحق وبغير حق ـ يرمون المخالفين لهم من أهل التوحيد .. بالتفسيق، والتضليل، والتبديع، وربما بالتكفير .. ولا يتورعون ـ في سبيل ذلك ـ أن يثيروا الشغب، والفتن، وتفريق الصف إلى صفوف .. والجماعة إلى جماعات .. والحزب إلى أحزاب .. وهذا كله يتم باسم السلف والسلفية .. ومحاربة الحزبية!!

أما مع طواغيت الحكم والظلم والفجور .. فهم مرجئة .. رحماء .. أذلاء .. يقيلون عثراتهم .. بل وكفرياتهم إلى حد التكلف والتملق .. يتعاملون معهم كأولياء أمور تجب طاعتهم .. والدخول في موالاتهم ونصرتهم .. والتجسس لصالحهم على كل من يخالفهم أو يُعاديهم!!

يتوسعون لهم في التأويل في مواضع لا يصح فيها التأويل شرعاً ولا عقلاً ..!

يصورون سيئاتهم للناس على أنها حسنات .. وأن سيئاتهم مهما عظمت وتنوعت فهي لا تخرج عن كونها كفراً دون كفر .. وعن كونها تحت المشيئة .. وهذا كله ـ خسئوا وكذبوا ـ كما قال ابن عباس!!

ألَّفوا عشرات المصنفات المدعومة .. يُجادلون فيها عن الطواغيت الظالمين .. وعن كفرهم وباطلهم .. وبالمقابل يُشهِّرون فيها ـ بأقبح الأوصاف وعبارات التنفير ـ بعلماء التوحيد والسنة والجهاد .. الأحياء منهم والأموات!

يغضبون حيث يغضب السلطان .. ويرضون ويبشون حيث يرضى السلطان .. وفتاواهم تدور مع السلطان ومصلحة السلطان ـ وليس مع الحق ـ حيثما دار .. لذا تجدهم ـ دون غيرهم ـ من المقربين إلى العتبات .. والبلاط الملكي .. يُخصّون بالعطاء والمنح والقُتات!

فهم بهذه الأوصاف مزيج غريب فريد ـ لم يعرفه التاريخ من قبل ـ جمعوا فيه بين أسوأ ما قيل في الخوارج الغلاة وأسوأ ما قيل في المرجئة الجُفاة ..!

وهم ـ بحق ـ بلوة هذا العصر .. ليس لها من دون الله كاشفة .. قد تلبَّس أمرهم وضلالهم على كثير من الناس .. لذا تعينت الإشارة إليهم .. والتحذير منهم .. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* * * * *

59- مصيبة الأمة ..!

مصيبة الأمة ـ في كل زمان ومكان ـ في صنفين إن صلحا صلحت الأمة، وإن فسدا فسدت الأمة، ألا وهما: العلماء والحكام!

وفساد الحكام تبَعٌ لفساد العلماء إذ العلماء هم الأسبق في الفساد .. ولولا فسادهم أولاً لما تجرأ الحكام على الفساد!

فلمَّا أمسك العلماء عن القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. على مستوى الفرد والجماعة .. والحاكم والمحكوم .. تجرأ الحكام على مقارفة المنكر ونشره وترويجه .. وعلى ترك المعروف والعمل به!

ولما اقتنع العلماء أن دورهم ينتهي عند عتبات المساجد؛ إذ دورهم مقصور على الوعظ والإرشاد وممارسة شعائر العبادة داخل المساجد .. تجرأ الحكام على فصل الدين عن الدولة .. وقصّموا الناس إلى قسمين: رجل سياسة لا دخل له في الدين .. ورجل دين لا دخل له في السياسة وشؤون الحكم!

ولما جبن العلماء ـ إلا من رحم الله ـ عن الصدع بالحق في وجوه الظالمين .. واقتصرت همهم عند كيفية تحصيل لقمة العيش .. وتأمين حياة أكثر متاعاً ورفاهية .. تجرأ الحكام على اقتحام أبواب الظلم والطغيان .. إذ الرادع لهم عن ذلك هم في شغل فاكهين .. ومتاع زائل صدهم عن الاهتمام بالآخرين .. لا شيء يعنيهم مما يعاني منه العباد من ظلم الطواغيت!

ولمَّا استشرف العلماء ما في أيدي الحكام الظالمين من فُتاتٍ ومال .. جعل الحكام يقتنعون أن هذا السحت الذي يأخذونه بالقوة من العباد عن طريق الضرائب وغيرها .. هو حق مشروع .. ولو كان غير ذلك لما أكل منه العلماء واستشرفوا له الأعناق!

ولمَّا تدافع العلماء على أبواب السلاطين .. يتنافسون فيما بينهم على مجالستهم وخطب ودهم .. ومتاعهم .. ومناصبهم .. جعل الحكام يستخفّون من قدر العلماء ومن دورهم الريادي الذي ينبغي أن يكون .. كما جعلهم أكثر اقتناعاً بأن حكمهم شرعي .. وأنهم على حق .. وأن ما سواهم على باطل!

فالعلماء بذلك يصبغون الشرعية على الطواغيت .. وعلى أنظمة حكمهم .. والطواغيت في المقابل يتكئون عليهم في الباطل .. وفي إقناع الشعوب بما هم عليه من نُظم وقوانين .. كلما اعترض عليهم معترض قالوا له وللناس: نحن معنا العلماء .. معنا فلان وفلان .. فمن معك أنت .. لا أُمَّ لك؟!!

فكم من حركة جهادية جادة لم يُكتب لها النجاح بسبب تخلي العلماء عنها .. وخذلانهم للجهاد والمجاهدين .. ثم بعد ذلك يسألون المجاهدين على وجه الاعتراض والتهكم والشماتة: ماذا حققتم .. وماذا جلب جهادكم للعباد والبلاد غير الدمار ..؟!!

وفاتهم أنهم ـ بمواقفهم وخذلانهم للجهاد والمجاهدين ـ هم السبب الأكبر في حصول مثل هذه النتائج غير المرضية ..!

أقول: لمّا رضي العلماء بذلك ـ إلا من رحم الله ـ وتخلوا عن دورهم الحقيقي في قيادة الأمة والشعوب .. فقدَ الناس القدوة والأسوة الحسنة التي يقتدون بها ويتأسون بأخلاقها وسلوكها .. فضلوا وتاهوا واتبعوا كل ناعق جاهل من ساسة الحكم الجاهلي .. أو دعاة العلمانية الكافرة!

وأصبح واقع فصل الدين عن السياسة والدولة والحياة .. واقعاً معايشاً ـ منذ نحو قرنٍ بكامله! ـ ومن مسلمات هذا العصر التي لا تقبل النقاش عند كثير من الناس ..!

صدق ابن المبارك لما قال:

* * * * *

60ـ عقل ابن آدم في قلبه وليس في رأسه ..!

شاع بين الناس أن عقل ابن آدم في رأسه .. والصواب أنه في قلبه!

قال تعالى:[وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا]الأعراف:197.

وقال تعالى:[أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ]الحج:46.

فرد عقل الأشياء إلى القلوب التي في الصدور .. وليس في الرؤوس!

وقال تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾محمد:24.

فرد تدبر القرآن وفقه آياته إلى القلوب .. وذمهم بأن قلوبهم مقفلة مغلقة لا تفقه شيئاً!

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ق: 37. أي لمن كان له عقل الذي في القلب.

قال ابن حجر في الفتح: قال المفسرون: أي عقل، وعبر عنه بالقلب لأنه محل استقراره ا– هـ.

قال علي ابن أبي طالب ﷺ:"إن العقل في القلب، والرحمة في الكبد، والرأفة في الطحال، والنَّفس في الرئة".

فإن مات القلب بالكفر والشرك مات معه العقل ولم يعد يفقه شيئاً، كما قال تعالى عن المشركين: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾الملك:10. فنفوا عن أنفسهم أن يكون لهم عقلاً يعقلون به حقيقة الأشياء وغاياتها .. إذ لو كان لهم عقل لما كانوا في أصحاب السعير!

وغيرها كثير من الآيات في القرآن الكريم التي تصف المشركين بأنهم لا يعقلون .. ولا يفقهون .. ولا يعلمون.

فإن قيل: كيف نفسر هذا الشعور في الرأس عندما نقدم على حل مسألة من المسائل أو مشكلة من المشاكل ..؟!

أقول: هذا الشعور الذي نجده في الرأس .. هو عمل الذهن الذي في الدماغ .. ووظيفته تنتهي عند تفسير ظواهر الأمور دون الاهتداء إلى حقيقتها وباطنها وغاياتها، كما قال تعالى عن المشركين: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾الروم:7.

فالذهن الذي يقتصر عمله وعلمه على ظاهر الحياة الدنيا .. يستوي فيه الكافر والمسلم .. أما العقل الذي في القلوب الذي يفقه حقيقة الأشياء وغاياتها .. ويهتدي إلى التزامها .. فهو مقصور على المؤمنين دون غيرهم!

فالكافر له ذهن .. وليس له عقلاً!

من هنا ورد النهي عن وصف الكافر بأنه عاقل .. أو أن يُقال عنه ما أعقله .. أو عنده عقل ونحو ذلك من الاطلاقات الشائعة على ألسنة عوام المسلمين .. وبعض خواصهم!

* * * * *

61- أشد ما قِيل في هجران المسلم لأخيه المسلم!

فقد صَحَّ عن النبي ﷺ أنه قال:" لا يحلُّ لمسلمٍ أن يُصَارِمَ مسلماً فوق ثلاث، فإنهما ناكِبانِ عن الحقِّ ما دَامَا على صِرامِهما، وإن أولهما فيئاً يكون كفَّارته عند سبقه بالفيء، وإن ماتا على صِرامهما لم يدخلا الجنةَ جميعاً أبداً، وإن سلَّم عليه فأبى أن يَقبلَ تسليمه وسلامه، رد عليه المَلَك ورد على الآخَرِ الشيطان ".

وقال ﷺ:" مَن هَجَرَ أخاه سنةً فهو كسفكِ دمه ".

وقال ﷺ:" المُستَبَّانِ شيطانانِ يتهاتَران ويتكاذَبَان "!

وعن عبد الله بن مسعود قال:" إذا قال الرجل لصاحبه: أنت عدوِّي فقد خرج أحدهما من الإسلام، أو برئ من صاحبه"!

فأين المتهاجرون المتخاصِمُون في الدنيا من ذلك ..؟!

* * * * *

62- اعتذار إلى طاغية ..؟!

ما فتئ النظام الطائفي الحاكم في سورية يشترط على المعارضة الإسلامية ـ المهجَّرة خارج البلاد ـ شروطاً لا بد من التزامها والوفاء بها لمن يريد العودة إلى موطنه وأهله .. منها:

1- أن يعتذروا عن مواقفهم السابقة .. وعن دينهم الذي حملهم على معارضة النظام الطائفي الظالم .. ويعلنوا براءتهم منه!!

2- أن يدخلوا في طاعة وموالاة القيادة السياسية الحاكمة في سورية ..!

وباختصار: أن يُعلنوا كفرهم بدينهم الإسلام .. وإيمانهم بدين وحزب الطائفة المتنفذة الحاكمة في البلاد .. وأن يمجدوا الطاغوت فيها!

وهو نفس قول وشروط الطواغيت الظالمين من قبل .. كما قال تعالى عنهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾إبراهيم:13.

إنها سُنن الظالمين التي لا تتغير ولا تتبدل ..!

وبعد فإنه يحق لنا أن نسأل: من الذي ينبغي أن يعتذر لمن ..؟!

من الذي ظلم مَن .. من الذي سفك الدم الحرام .. وانتهك الحرمات ..؟!

من الذي هدّم بيوت الله على من فيها من المصلين ..؟!

من الذي أقام المجازر الجماعية الجبانة بحق الآمنين المؤمنين .. وما مجزرة حماه عن مسامع الظالمين ببعيدة؟!

من الذي غدر بمئات المساجين ـ في تدمر وغيره من السجون ـ وهم مكبلين بالسلاسل والقيود ..؟!

من الذي ملأ السجون ـ وإلى اليوم! ـ بالآلاف من الشباب الأبرياء .. من خيرة شباب وكوادر الأمة ..؟!

من الذي خرج على ثوابت الأمة وعقيدتها، وثقافتها، ودينها ..؟!

من الذي أفسد ويُفسد في الأرض ..؟!

من الذي باع الأرض للعدو .. وانتهك العِرض؟!

من الذي حارب ويحارب الفضيلة .. بكل أبعادها ومعانيها؟!

الجواب يعرفه الجميع: إنه النظام الطائفي الظالم الحاكم في سورية .. إنها العصابة المتنفذة في البلاد!

فمن منا أولى بالاعتذار للآخر .. ومَن الذي يجب عليه أن يبادر بالتوبة والاعتذار؟!

وقد صَدَقَ القائِلُ:

قالوا اعتذر عمَّا جرى، فأجبت ماذا قد جرى ؟!

أولم تُسلْ منا الدماءُ بغير ذنبٍ أهرا ؟!

أولم نُحاصَر في المدائن والشوارعِ والقرى ؟!

من فجَّر المحرابَ واجتاحَ المساجد واجترا ؟!

من هدَّم المدنَ الجريحة فوقنا مستكبرا ؟!

من ذبَّح الأسرى وهم بقيودهم واستهترا ؟!

وأباح قتل الراكعين الساجدين ودمَّرا ؟!

وأشاع بين الجيلِ أخلاقَ الدناءة وافترى ؟!

فبغير نهج المصطفى قد نشَّؤوه ليفجُرا !

جعلوا الولاء لحزبهم وغدا البرا مُستنكَرا !

* * *

قالوا اعتذر عما جرى، فأجبت: ماذا قد جرى ؟!

أنا لست من ترك الحدود، وعاد يمشي القهقرا !

وأذاع أن النصر حالَفه، وعاد مظفَّرا !

أنا لم أهدِّد بالكلام عدونا المتجبرا !

أنا ما انهزمت أمامه، ودعيت بعد غضنفرا !

* * *

قالوا اعتذر عما جرى لتزور أهلك أشهرا !

لتراك أمك أو أبوك .. فليت أني لا أرى !

وطناً يدوس كرامتي، وأُذاد فيه عن الذّرا !

لا كان لي وطناً .. وأولى أن أظلَّ مهجَّرا !

كي لا أمرِّغ جبهتي الشمَّا كما فعل الورى!

كي لا أُساق إلى القبورِ مقدِّساً ذاك الثرى!

تأبى علي عقيدتي أن أرتضي هذا الفرَى !

وأكون في هذا القطيع مصفِّقاً ومصفراً !

هذا الفساد وما ترون غداً سيُصبح أكبرا!

ما دام من زرع الفسادَ مُسوّداً ومُسيطرا!

* * * * *

63- عملاء للعملاء ..!

عرفنا العملاء .. فمن هم العملاء للعملاء ..؟!

هم أولئك الذين يدخلون في موالاة ونصرة العملاء .. ثم يحسبون أنهم شرفاء أو على شيء ذي بال!

هم أولئك الذي يمجدون العملاء ويترامون على عتباتهم يستجدون منهم العطاء، أو نظرة عطف وحنان .. أو اعتراف!

هم أولئك الذين لا يخرجون عما رسمته لهم الطواغيت العملاء من السياسات أو الخطوط الحمراء والخضراء ..؟!

هم أولئك الذين يرون في العملاء ـ رغم ثبوت عمالتهم بالدليل القاطع ـ أنهم ولاة شرعيون على الشعوب تجب طاعتهم ونصرتهم، والدخول في عسكرهم وجندهم!

هم الذين يرون في الخروج على الطواغيت العملاء جريمة نكراء .. يؤخذ عليها بالنواصي والأقدام!

هم الذين يرون في العملاء ـ رغم ثبوت عمالتهم وخيانتهم ـ أنهم الحراس الأوفياء لمصالح الأمة والشعوب ..!

هم أولئك الذين يلتمسون الحلول .. والنصر والتحرير .. من خلال الطواغيت العملاء .. ومن خلال مؤسساتهم ومنظماتهم .. ومن خلال استعطاف العملاء، والبكاء والشكوى للمخلوق!

هم الذين لا يرون نصراً ممكناً إلا من خلال العملاء وجيوشهم ..!

فهؤلاء هم عملاء العملاء .. فإن وجدتموهم ـ وما أكثرهم ـ فلا تصدقوهم .. وإن تمسحوا بالإسلام، وبراياته، وشعاراته ..!

وإن حملوا المصاحف على رؤوسهم .. فلا تصدقوهم!

وإن رفعوا شعارات الجهاد .. وتحرير المسجد الأقصى .. لا تصدقوهم مهما علا صياحهم وصراخهم .. أو خرجوا في مظاهرات وارتفعت هتافاتهم بتنديد اليهود الصهاينة .. لأنهم عملاء للعملاء الذين لا يريدون الجهاد .. ولا تحرير المسجد الأقصى!

لا تصدقوهم لأنهم عملاء لكلاب الحراسة الأوفياء لمصالح ودولة الصهاينة اليهود ..!

كيف يَصدُق قولهم بأنهم يريدون تحرير الأقصى .. وهم بنفس الوقت عملاء للعملاء الذين لا يريدون تحرير المسجد الأقصى..؟!

كيف يصدق قولهم بأنهم يريدون الجهاد والتحرير، ورفع الذل والعار .. وهم يرون شرعية حكم العملاء .. وطاعة العملاء .. وأن لا يقدموا بين يدي العملاء بفعل أو أي شيء ذي بال إلا بعد موافقة أسيادهم العملاء ..؟!

فهم بنصرتهم ومبايعتهم للعملاء .. شركاء العملاء في الوزر والخيانة، والعمالة والإثم، وضياع فلسطين .. وإن لم يعترفوا بذلك!

هؤلاء هم عملاء العملاء .. وما أكثرهم .. فإن وجدتموهم فارجموهم ولا تصدقوهم .. وإن زعموا بلسانهم أنهم يحبون فلسطين .. أو أنهم يريدون تحرير المسجد الأقصى!

* * * * *

64- مَن أولى بالإعدام ..؟!

ليس دفاعاً عن ذاك الذي حمله الفقر والحصار والجوع .. وتضور الأطفال من حوله جوعاً .. على العمالة والخيانة .. ثم أُعدم على الملأ .. كما حصل ويحصل في فلسطين؟!

ولكن من أولى بالإعدام .. هذا الفقير الذي حمله الفقر والجوع على العمالة فأعطى بعض المعلومات عن إخوانه وأهل بلدته للعدو .. أم أولئك الطواغيت الظالمين الذين حملهم الشبع والطمع بالمزيد .. على العمالة والخيانة .. الذين جندوا أنفسهم ـ على الملأ ـ لحماية مصالح وأمن الصهاينة اليهود ..؟!!

من أولى بالإعدام .. هذا الفقير .. أم أولئك الطواغيت الذين باعوا الأرض والعِرض .. وكل من على الأرض .. للعدو بثمن بخس ـ بل وبلا ثمن ـ في اتفاقيات وصفقات بعضها سريّ وبعضها المعلن ..؟!!

من أولى بالإعدام .. هذا الفقير .. أم الطغاة الذين يعملون ككلاب حراسة أوفياء لحماية مصالح وحدود دولة الصهاينة اليهود .. وعلى مدار الساعة؟!

من أولى بالإعدام .. هذا الفقير .. أم أولئك الطواغيت الظالمين الذين استعدوا الأمة بكاملها .. من أجل سواد عيون أسيادهم من الصهاينة اليهود ؟!

من أولى بالإعدام .. هذا الفقير .. أم أولئك الطواغيت الظالمين الذين يلاحقون ويسجنون المجاهدين .. قربة لأسيادهم اليهود ..؟!

من أولى بالإعدام .. هذا الفقير .. أم أولئك الطواغيت الظالمين الذين يوقِّعون ـ على الملأ ـ سفقات البيع، والاتفاقيات الأمنية التي بموجبها يصبحون جواسيس ورجال أمن ومخابرات عند أسيادهم الصهاينة اليهود ..؟!

من أولى بالإعدام .. هذا الفقير .. أم أولئك الطواغيت الذين ألغوا آيات الجهاد ـ التي تحض على جهاد الصهاينة اليهود ـ من مقررات الدراسة لأبنائنا الطلاب .. نزولاً عند رغبة أسيادهم الصهاينة اليهود ..؟!

الجواب: هو ذاك الفقير فإنه أولى بالإعدام .. وذلك عندما يكون القضاة هم ذاتهم؛ أولئك الطواغيت العملاء .. كلاب الحراسة الأوفياء!

* * * * *

65- لا تكن النملةُ أفضلَ منك ..!

﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾النمل:18.

نملةٌ .. من أضعف وأضأل مخلوقات الله .. تحرس قومها وبني جنسها .. من أضخم جيش على وجه الأرض .. جيش قهر جبابرة وملوك الأرض .. إنه جيش سليمان عليه السلام ..!!

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾النحل:11.

نملةٌ .. لم يمنعها ضعفها وضآلة حجمها من أن تحرس قومها في الخطوط الأمامية المتقدمة من الخطر .. خطر جيش وجند سليمان!!

لم يخفها سليمان وجنده .. لم يخفها جيش سليمان العرمرم الذي لا يُقهر من قوة على وجه الأرض ..!

نملةٌ .. لم تفكر ـ على طريقة الأنانيين الانتهازيين ـ بنفسها .. كيف تنجو بنفسها من الخطر .. وليكن بعد ذلك لقومها ما يكون .. لا .. هي لم تفعل شيئاً من ذلك .. كما يفعل ذلك كثير من بني البشر!

بل جعلت نفسها وروحها دون قومها .. وكأنها تقول لا نجوت إن لم ينجُ قومي .. لا عشت إن لم يعش بني قومي .. وأي حياة أعيشها وبني قومي وأهلي قد تحطمت بيوتهم .. وهم صرعى كالذر تحت أقدام جنود سليمان .. لا نجوت إن لم ينج بني قومي وجنسي ..!

ثم هي ما إن ترى طلائع جيش سليمان قد ظهرت .. واقتربت من المنازل .. لم تنتظر أن تأتي قومها لتخبرهم خبر الجند والجيش .. فالوقت ليس لصالحها .. وجيش سليمان أسرع إليهم منها .. فما كان منها إلا أن صرخت وصاحت بأعلى صوتها: يا أيها النمل .. النجاة النجاة .. ادخلوا حصونكم ومساكنكم .. فإن لم تفعلوا .. ليطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ..!!

تأمل حرف المد ومجيء الهمزة بعده في ﴿ يا أيها ﴾ مما يوحي بنداء .. ومدٍّ في الصوت والنداء .. وبكل ما أوتيت من قوة﴿ يا ..... أيها النمل ﴾ .. لكي يسمعها قومها قبل أن يستشرفهم خطر جيش سليمان ..!

نملةٌ لا قيمة ولا وزن لها في ميزان القوى .. لا تخشى أكبر قوة على وجه الأرض!!

نملةٌ لا قيمة ولا وزن لها في ميزان القوى .. تفعل كل هذه الأفاعيل .. تفعل مالا يفعله كثير من الناس الانتهازيين الأنانيين في عصرنا ..!

كم من إنسان يفر من مواجهة العدو .. ولا يُبالي بما يُصيب أهله وإخوانه من بعده .. فهو في السلم والحرب لا يعرف إلا نفسه .. ولا يعرف مصلحة إلا مصلحة نفسه ..؟!

كم من حارس يُؤتى إخوانه من جهته بسبب إهماله وتقصيره .. كم من حصنٍ أو مدينة تُنتهك حرماتها من قبل العدو بسبب إهمال وتقصير حرَّاسها.. أتكون هذه النملة خيراً لقومها منهم لقومهم وإخوانهم ..؟؟!

هذه النملة ـ على ضعفها وضآلة حجمها ـ تعطي درساً كبيراً لأولئك الذين يؤثرون الراحة والدعة، والفراش الوثير .. لا يهمهم من أمر العامة وأمتهم شيئاً إلا أنفسهم وذواتهم!

هذه النملة ـ على ضعفها وضآلة حجمها ـ خير من أولئك الذين يقولون: الحمد لله أنها جاءت على أخي وجاري .. ولم تجئ علي .. وقد نجوت منها وإن هلك غيري ..!

أبيت شبعاناً .. وهذا المهم .. وإن بات جاري وأطفاله وهم يتضورون جوعاً ..!

اعلم يا أخي أنك مهما قل شأنك فأنت لست أقل شأناً من تلك النملة .. فأقل ما يمكنك القيام به أن تفعل فعلها مع قومك وأهلك .. فتنذرهم الأخطار التي تداهمهم من كل حدبٍ وصوب، وصباح ومساء؛ الأخطار التي تداهمهم في دينهم، وفي أخلاقهم، ومعاشهم، وأمنهم، وأوطانهم!

اعلم يا أخي أنك على ثغر عظيم من ثغور الإسلام .. فاحرص أن لا يؤتى الإسلام من جهتك وقِبلك ..!

وإني لأعيذك أن تكون هذه النملة خيراً لقومها منك لإخوانك وأهلك وأمّتك ..!

* * * * *

66- عندما يكون الباطل قوياً ..!

عندما يكون الباطل قوياً؛ تسود شرائعه وقوانينه، ومفاهيمه وثقافته الباطلة الأمصارَ وكأنها حق مُسلَّم به لا يقبل النقاش أو التغيير!

الكل يُحاول أن يسترضيه .. أو أن يتعايش معه .. ومع قوانينه .. خشية سخطه وسطوته!

فباطل الباطل هو الحق .. وما سواه أو خالفه فهو الباطل!

وهذا ليس غريباً على الناس الذين تشعبت وتاهت بهم الدروب والأهواء .. ولكن الغرابة والمشكلة الكبرى تكون عندما يُحاول بعض أهل الحق .. بقية الخير في الأرض ـ لسبب أو آخر ـ مجاملة هذا الباطل ومداهنته على حساب الحق الذي هم عليه!

المشكلة الكبرى تكون عندما يستوحش أهل الحق الغربة التي يفرضها عليهم الباطل .. فيحملهم ذلك على طلب وده واسترضائه، والتصالح معه!

المشكلة الكبرى تكون عندما تحملهم سطوة الباطل .. وسعة انتشاره .. ورواجه بين الناس .. على أن يتكيَّفوا مع هذا الباطل .. ومع مفاهيمه ومصطلحاته .. وكأنه واقع لا بد من الاعتراف بشرعيته ودستوريته، والرضى به!

المشكلة الكبرى تكون عندما يصل أهل الحق ـ إلا من رحم الله ـ موصلاً من الضعف والعجز فيحملهم على أن يكسوا الباطل وراياته ثوب الحق .. والشَّرْعيَّة .. ليعترف الباطل بهم .. أو ليجدوا لأنفسهم موطأ قدم بين الأمم والشعوب!

من قبل وجدوا التيار الجارف ينادي بالاشتراكية .. فقالوا فرَقاً من العزلة التي فرضها عليهم الباطل .. باشتراكية الإسلام .. وأن الاشتراكية من الإسلام، والإسلام من الاشتراكية!

واليوم وجدوا التيار قد انحرف مع الديمقراطية .. وأن الشعوب قد فُتنت بهذا الدين الجديد .. فقالوا ـ إلا من رحم الله من بقية الخير ـ فرَقاً من الباطل وسطوته: بديمقراطية الإسلام .. وأن الديمقراطية من الإسلام .. والإسلام من الديمقراطية!

المشكلة الكبرى تكون عندما يصل الشعور بأهل الحق أنهم طرف في المجتمعات كأي طرف باطل آخر .. يتساوى حقهم مع باطل أهل الباطل في الحقوق والواجبات!

عندما يصل أهل الحق إلى هذا الموصل .. لا تسأل عن حجم المفاسد والأضرار التي تصيب الأمة في عقيدتها وهويتها ووجودها .. كما هو معايش وملموس الآن!

* * * * *

67- مَن هم الغرباء ..؟!

من هم الغرباء ..؟!

هم الأتقياء، الأنقياء، الأخفياء ..!

هم الذين يظهرون حينما يختفي الناس .. ويختفون حينما يظهر الناس ..!

هم الذين يتقدمون حينما يتراجع غيرهم .. ويتأخرون حينما يتقدم غيرهم في مواضع الشهرة والطمع!

هم الذين يصلحون إذا فسد الناس .. ويُصلحون ما يُفسده الناس!

هم النذير الصريخ الذين يقفون في وجه التيارات الجارفة نحو الهاوية والهلاك .. لا يبالون لرضا أو سخط مخلوق ..!

هم الذين يُرجمون من الباطل وأهله .. ومع ذلك فهم لا يُبالون .. ولا يلتفتون عن صراط الله المستقيم!

هم الذين يضعون نصب أعينهم مرضاة الخالق .. وإن سخط عليهم الساخطون!

هم الذين لا تغرهم الجماهير الكثيرة .. ولا صفيق المصفقين .. يستوي عندهم ـ في الحق ـ القليل والكثير .. كما يستوي عندهم إقبالهم وإدبارهم .. من يعصيهم من الناس أكثر ممن يُطيعهم!

هم الذين لا يثنيهم عن نصرة الحق .. قلة الأعوان والأنصار .. ووحشة الطريق!

فتنة الشدة والرخاء عندهم سواء ..!

هم الراحلة من بين مائة إبل ..!

هم القابضون على دينهم .. يوم يكون القابض على دينه كالقابض على جمر .. في زمانٍ يكون فيه الإسلام غريباً كما بدأ غريبا!

هم الذين لم يترك الحق لهم صاحباً .. أو أنيساً يجلسون إليه!

هم تلك الشجرة الطيبة التي تمتد جذورها في الأرض إلى أن تنتهي إلى عهد النبوة الأمجد!

هم تلك الشجرة الطيبة التي تأبى عليها جذورها الضاربة في الأعماق .. أن ترتوي إلا من معين الرعيل الأول!

هم الذين يمسّكون بكتاب الله حين يُترك، ويعملون بالسنة حين تُطفأ ..!

يحبون الحياة .. من أجل الجهاد!

ويحبون الموت .. من أجل لقاء الأحبة .. مُحَمَّداً وصحبه .. في جنان الخُلد.

هؤلاء طوبى لهم .. طوبى لهم .. طوبى لهم .. على لسان سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ .. لا يضرهم على أي وجه .. وفي أي بلدٍ .. ماتوا.

* * * * *

68- غرباء الغرباء ..!

عرفنا الغرباء .. فمن هم غرباء الغرباء؟!

هم الذين يعيشون غربة مغلظة ومركبة .. غربة بعضها فوق بعض!

هم الذين يعيشون بين الغرباء غرباء ..!

هم الذين لا يجدون أنساً حقيقياً إلا بربهم .. وبمناجاته .. والتفكر بأسمائه وصفاته ﷻ!

هم صفوة الغرباء وطليعتهم .. الذين تبتدئ بهم سيوف الباطل والظلام قبل غيرهم!

هم الذين يجدون في الغرباء من حولهم نوع تفريط وتقصير بواجباتهم نحو هذا الدين ..!

هم الذين يعضون على دينهم وتوحيدهم بالنواجذ .. لا يفرطون بشيء منه .. ولو تقطعت أوصالهم، وتطايرت أشلاؤهم .. أو تخطفتهم سجون الطواغيت الظالمين!

هم الذين يضيق الغرباء بهم ذرعاً .. لفرط تمسكهم بغرس وسنة نبيهم صلوات الله وسلامه عليه ..!

هم أولو العزم من الغرباء .. مذهبهم الأخذ بالعزيمة مطلقاً .. درءاً للوقوع في الأمور المتشابهات ..!

هم الذين لم يترك لهم فرط تمسكهم بالحق والصدع به صاحباً أو جليساً يأنسون إليه من بين الغرباء .. فهم مع الغرباء غرباء ..!

أخرج مُحَمَّد بن وضاح القرطبي في رسالته "البدع والنهي عنها": عن عبد الله بن المبارك قال: أعلم أن الموت اليوم كرامة لكل مسلم لقي الله على السنة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فإلى الله نشكو وحشتنا وذهاب الإخوان، وقلة الأعوان، وظهور البدع ..!

وعن عدي بن حاتم ﷺ قال: إنكم في زمانٍ معروفه منكرُ زمانٍ قد مضى، ومنكره معروف زمان لم يأتِ ..!

وعن فُضيل قال: في آخر الزمان يمشي المؤمن بالتقية، وبئس القوم قوم يُمشى فيهم بالتقية .. وذلك لفرط الغربة التي يعيشها بين قومه!

وعن أم الدرداء قالت: دخل علي أبو الدرداء وهو غضبان، فقلت له: ما أغضبك؟ فقال: والله ما أعرف فيهم من أمر محمدٍ ﷺ شيئاً إلا أنهم يصلون جميعاً!

وعن ميمون بن مهران قال: لو أن رجلاً أُنشر فيكم من السلف ما عرف فيكم غير هذه القبلة ..!

وعن الحسن البصري قال: لو أن رجلاً أدرك السلف الأول ثم بُعث اليوم ما عرف من الإسلام شيئاً إلا هذه الصلاة ..!

وعن عيس بن يونس، عن الأوزاعي، عن حبان بن أبي جبلة، عن أبي الدرداء قال: لو خرج رسول الله ﷺ إليكم اليوم ما عرف شيئاً مما كان عليه هو وأصحابه إلا الصلاة!

قال الأوزاعي: فكيف لو كان اليوم ..؟!

قال عيسى: فكيف لو أدرك الأوزاعي هذا الزمان ..؟!

قلت: فكيف لو أدرك سلفنا الصالح هذا الزمان الذي نحن فيه .. فإنهم لا يعرفون شيئاً مما كانوا عليه .. حتى الصلاة التي فرّط بها كثير من خلق الله .. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* * * * *

69- بماذا جُعلت أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس ..؟

جُعلت أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس .. لا لنسب .. ولا لعرق أو لون .. ولا لجاه أو مُلْك .. وإنما لكونها الأمة التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾آل عمران:110.

ومتى تتخلى الأمة عن مهمتها الأساسية هذه .. فإنها مباشرة تفقد خاصيتها بأنها خير أمة أخرجت للناس .. وعلى قدر ضعف وتحجيم مساحة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأمة .. تضعف فيها خاصية الخيرية تلك .. ويضعف دورها الريادي بين الأمم .. وتكون لقمة سائغة سهلة المنال والغزو لأطماع الأمم الأخرى.

عندما تفقد الأمة خاصية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. تفقد خاصية وجودها وحياتها .. تفقد جهاز المناعة والمقاومة .. وتحكم على نفسها بالهلاك والزوال .. وأن تكون في آخر ركب الأمم والشعوب، تقدماً وتحضراً ورقياً ..!

تأملوا قوله ﷺ كما في حديث الاستهام على سفينة:" فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً ".

* * * * *

70- هدية إلى مجاهدي كشمير ..!

عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال:"عصابتان من أمتي أحرزهما الله من النار: عصابة تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى ابن مريم عليه السلام".

والهند لم تُغز كاملاً من قِبل المسلمين بعد .. وهو أمر كائن ـ بإذن الله ـ ولو بعد حين .. وإني لأرجو أن يكون مجاهدي كشمير من طلائع هذا الغزو .. وهم ممن عناهم الحديث .. ومن العصابة التي أحرزها الله من النار .. والله تعالى يختص برحمته من يشاء.

* * * * *

71- دلالاتُ حديث ..!

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:" لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق ـ موضعان بقرب حلب ـ فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذٍ، فإذا تصافّوا، قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبَوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله، لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم، ويُقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتح الثلث، لا يُفتنون أبداً، فيفتتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح ـ أي المسيح الدجال ـ قد خلفكم في أهلكم، فيخرجون وذلك باطل، فإذا جاءوا الشام، خرج، فبينما هم يعدون للقتال، يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام، فأمّهم، فإذا رآهم عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده ـ أي بيد عيسى بن مريم ـ فيريهم دمه في حربته " مسلم.

أفاد الحديث أموراً عدة، منها:

1- أن هذا الفتح للقسطنطينية المشار إليه في الحديث .. هو غير الفتح الأول الذي تم على يد السلطان الفاتح .. فهو فتح ثانٍ؛ بدليل العلامات والأحداث التي تحصل إثر فتح القسطنطينية والتي لم تحصل في الفتح الأول الذي تم على يد مُحَمَّد الفاتح .

2- وهذا من لوازمه أن القسطنطينية سيعود حكمها ووصفها إلى حكم ووصف دار الحرب .. بعد أن فُتحت على يد السلطان مُحَمَّد الفاتح .. وقد وقع ذلك بعد الانقلاب العلماني الذي قاده الطاغية " أتاتورك " .. واستطاع من خلاله أن يحول الدولة التركية من دولة إسلامية إلى دولة علمانية كافرة تحارب الله ورسوله .. ولا تزال هي كذلك إلى اليوم!

3- وصول الروم إلى دابق ـ موضع قرب حلب ـ يكون عن طريق تركيا .. لأنه لا يوجد طريق يمكن للروم أن يسلكوه إلى ذلك الموقع إلا عن طريق تركيا لقربها من حلب .. وهذا يدل على أن تركيا يومئذٍ تكون في مصاف الروم .. وتكون مع أعداء الأمة ضد الأمة .. كما هي عليه اليوم!

4- أن الجزيرة العربية .. وبخاصة منها المدينة المنورة .. لن تكون خاضعة أو تابعة لأي سلطة أو سياسة خارجية معادية .. وأن أمراءها يومئذٍ تكون قراراتهم الهامة والمصيرية بأيديهم .. لا تُملى عليهم من غيرهم .. ولا توجد قوة في الأرض يهابونها أو تستطيع أن تفرض عليهم مالا يريدون .. وهذا ظاهر في رفضهم لطلبات الروم ـ الممثلة في أمريكا وأوربا اليوم ـ بأن يخلوا بينهم وبين المسلمين في الشام ..!

قالوا: لا والله، لا نخلي بينكم وبين إخواننا ..!

5- أن أمريكا ومعها أوربا سيؤول أمرها ـ ولو بعد حينٍ بإذن الله ـ إلى الضعف والهوان إلى حدٍّ لا تستطيع معه أن تمنع مسلمي المدينة من نجدة إخوانهم في الشام .. كما أنها لا تستطيع أن تقف أمام ضربات مجاهدي المدينة والشام .. مما يترتب عليه فتح القسطنطينية من جديد، وسقوطها بأيدي المسلمين!

6- وهذا يعني أن هذا الاحتلال والتواجد الضخم للقوات الأمريكية والغربية في الجزيرة العربية .. سيزول ولو بعد حين .. وما ذلك ببعيدٍ بإذن الله.

7- أن المسلمين ـ وبخاصة منهم مسلمي الجزيرة والشام ـ ستعود إليهم وحدتهم على أساس رابطة العقيدة والدين .. وأن هذه الفرقة السائدة .. والحدود المصطنعة اليوم لا بد أنها ستزول .. يظهر ذلك في تلاحم مسلمي أهل المدينة مع إخوانهم في الشام .. وقتالهم في صف واحد ضد أهل الكفر والشرك من الروم ..!

8- قوله ﷺ:" قد علقوا سيوفهم بالزيتون "؛ يُفيد أن القتال يومئذٍ سيكون بالسلاح الأبيض .. وفي منطقة فيها زيتون .. وأن هذه الأسلحة النووية الفتاكة ستزول بعد أن تُزيل معها صانعيها من الناس .. إلا إذا فُسرت السيوف الواردة في الحديث على أنها كناية على مطلق السلاح .. وهذا بعيد والله تعالى أعلم.

9- أن الشام ستكون مهبط عيسى عليه السلام .. وأنها المنطلق للفتح والتحرير ومواجهة الملاحم الكبرى مع أمم الكفر .. وهذا يعني أن الشام سيعود إليها مجدها ودورها الصحيح الريادي في نصرة هذا الدين .. وأن هذا النظام الطائفي الحاقد الحاكم في الشام اليوم .. ما هو إلا سحابة سوداء تظلل سماء الشام .. لا بد أنها ستنقشع وتزول.

هذه بعض البشارات العظيمة التي يزفها لنا هذا الحديث النبوي العظيم .. التي يحق لكل مسلم صادق الإيمان أن يفرح لها ويُسر.

* * * * *

72- طاعة المشركين ..!

طاعة الإنسان الكافر أربعة أقسام: كفر، وفسوق، ومباح، وواجب.

طاعة كفر، وهي ثلاثة أنواع:

1- أن تطيعه لذاته لكونه فلاناً .. ولأن الأمر صادر عنه .. بغض النظر عمَّا يأمر به أو ينهى عنه .. هل أصاب به الحق أم لا .. فهو مطاع لذاته وشخصه وليس لكونه أصاب الحق .. وهذه طاعة عبادة لا يجوز أن تُصرف إلا لله تعالى وحده .. لأن المطاع لذاته هو الله تعالى وحده .. وما سواه يُطاع له ﷻ.

2- أن تطيعه في الكفر والشرك .. كأن يأمرك بأن تعبد غير الله تعالى .. أو أن تكفر .. فتطيعه على ذلك .. فهذا كفر لكونك أطعته في الكفر والشرك .. وإن كنت لا تطيعه لذاته.

3- أن تطيعه في الوقوع في المعاصي على وجه الاستحلال .. كأن تطيعه في شرب الخمر وغيرها من المعاصي على أنها حلال .. فهذه كذلك طاعة كفر وشرك!

هذه الأوجه الثلاث من الطاعة كفر .. توقع صاحبها في الكفر ولا بد.

أما طاعة الفسوق: هي أن تطيعه في ارتكاب المعاصي على غير وجه الاستحلال .. أو الجحود لحرمتها .. كأن يدعوك إلى شرب الخمر فتطيعه على ذلك وتجيب دعوته على غير وجه استحلال شرب الخمر .. فهذا النوع من الطاعة فسوق لا يرقى إلى درجة الكفر .. ولا يُكفِّر به إلا الخوارج الغلاة.

أما الطاعة المباحة: هي أن تطيعه في غير ما تقدم .. أن تطيعه في أمر الأصل فيه أنه مباح .. كطاعتك له في التزام قوانين المرور .. وغيرها من القوانين الإدارية أو التنظيمية التي لا تعارض نصاً من نصوص الشريعة.

أما الطاعة الواجبة: هي أن تطيعه فيما فيه طاعة لله ورسوله .. كأن يأمرك بالصدق والأمانة، وأن لا تغش ونحو ذلك .. أو يأمرك بأمر لو لم تطعه فيه لتحقق هلاكك أو لنزل بك ضر ظاهر .. كأن يأمرك الطبيب

الكافر بتناول أدوية معينة أو بالتزام حالات معينة لو لم تلتزم بها يتحقق المكروه والضرر، وربما هلاكك .. فهنا يجب عليك طاعته في ذلك طاعة لله ولرسوله .. ودفعاً لنزول الضرر الأكبر بك.

هذه هي أقسام طاعة الإنسان الكافر ـ لا يجوز الخلط بينها أو إعطائها كلها حكماً واحداً ـ لو تأملت نصوص الشريعة ذات العلاقة بالموضوع لما وجدتها تخرج عن هذا التقسيم، والله تعالى أعلم.

* * * * *

73- القدس وأهلُ الإرجاء ..!

هل حقاً أن أهل الإرجاء ـ وما أكثرهم ـ يريدون تحرير المسجد الأقصى من براثن حكم يهود ..؟!

هل هم حقاً صادقون في الجهاد ضد يهود .. وتحرير البلاد من رجسهم وباطلهم؟!

الجواب: لا .. لا يريدون .. وهم غير صادقين في دعواهم الجهاد ضد يهود ..؟!

وبرهان ذلك: أنهم يرون تحرير فلسطين والمسجد الأقصى .. عن طريق الحكام العملاء الذين لا يريدون تحرير فلسطين ولا المسجد الأقصى ..!

فهم لا يزالون يُجادلون عن الطواغيت التي تعمل ككلاب حراسة أوفياء على حدود دولة الصهاينة اليهود .. ويرون شرعيتهم ووجوب طاعتهم، وعدم الخروج عليهم ..!

فهم لا يزالون يحملون مقولة ابن عباس " كفر دون كفر " على طواغيت الحكم الذين يمتهنون الحراسة ـ وبكل وفاء ـ على حدود ومصالح دولة الصهاينة اليهود ..!

فهم بذلك يقولون بالشيء وضده في آنٍ واحد ..!!

يقولون بتحرير فلسطين .. وبطاعة الطواغيت الذين لا يريدون تحرير فلسطين، ويمنعون من تحرير فلسطين!

يقولون بتحرير فلسطين .. وبشرعية الطواغيت الذين لا يريدون تحرير فلسطين .. ويُحيلون بين الشعوب وبين رغبتهم في تحرير فلسطين ..؟!

يقولون بتحرير فلسطين .. وبتجريم من يخرج على الطواغيت الذين لا يريدون تحرير فلسطين .. ولا المسجد الأقصى ..!

وأكثر المواضيع إحراجاً لهم أن تسألهم عن كيفية تحرير فلسطين .. والمسجد الأقصى؟!

ولو سألتهم لأجابوك من فورهم بضرورة هجرة المسلمين من فلسطين .. وتفريغ البلاد للصهاينة اليهود .. والعيش بذل تحت رحمة الطواغيت الذين لا يريدون تحرير فلسطين؟!

لذلك قلنا ونقول: هؤلاء المرجئة كذابون .. وهم غير صادقين في زعمهم أنهم يريدون تحرير فلسطين والمسجد الأقصى من براثن حكم يهود .. وهم من العملاء للعملاء .. اعترفوا بذلك أم أنكروا!

* * * * *

74- قل آمين ..!

ستموت ـ لا محالة ـ كما مات غيرك .. ولو كنت في بروج مشيدة بعضها فوق بعض .. فاحرص كيف تموت!

إن لم تمت مقبلاً .. ستموت مدبراً أو قاعداً!

إن لم تمت في مواطن الجهاد والرباط .. ستموت في مواطن الفرار والتخلف عن الزحف!

إن لم تمت في مواطن الطاعة .. ستموت في مواطن المعصية .. والترف والإسراف!

إن لم تمت في مواطن العزة والكرامة والشرف .. ستموت في مواطن الذل والهوان، والعمالة والخيانة!

إن لم تمت في مواطن القتال .. سلاحك على كتفك .. وأنت تعلو قمم السفوح والجبال .. ستموت في الزحام بين الخيام .. مواطن التشرد والذل والاستجداء!

إن لم تمت وأنت عبد لله .. وفي سبيل الله .. ستموت وأنت عبد للطاغوت .. وفي سبيل الطاغوت .. وشتان شتان بين ميتةٍ وميتة .. ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾.

فاحرص ـ يا عبد الله ـ كيف تموت .. وكيف تطلب الشهادة من مظانها .. وعلى أي وجه تلقى الله .. واسأل الله تعالى دائماً حسن الختام.

أسأل الله تعالى لي ولك أن يختم لنا بالشهادة؛ شهادة خالصةً لوجهه الكريم لا سمعة فيها ولا رياء .. قل آمين.

* * * * *

75ـ أكبر طاغوت في العالم ..!

سُئلتُ عن أكبر طاغوت في العالَم ...؟!

قُلْت: هي أمريكا؛ حيث قد بلغت من الظلم والاستعلاء والطغيان، والإرهاب مبلغاً لم يبلغه طاغوت على وجه الأرض ..!

فهي تتصرف كإله في الأرض .. تخوف الناس سخطها وغضبها بدلاً من أن تخوفهم سخط وغضب الرب ﷻ ..!

زعمت لنفسها أنها صاحبة العدل المطلق .. والذي له العدل المطلق هو الله تعالى وحده!

فرضت قانونها وشرعها على الناس .. وحاربت قانون وشرع الله تعالى!

الناس يخشونها ـ إلا من رحم الله ـ أكثر مما يخشون الله ﷻ ..!

والذين يدخلون في طاعتها وموالاتها ـ رهبة أو رغبة ـ أكثر ممن يدخلون في طاعة وموالاة الله ﷻ ..﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾.

لا يجوز ـ في قوانينها ـ أن يُرد لها قرار أو أمر .. ومن فعل فقد يتعرض لسخطها وغضبها .. وهو سرعان ما يُرمى بالإرهاب لتملك الذريعة لاستئصاله!

هي الطاغوت الأكبر .. لأنها تتزعم الحرب ـ الظاهرة والباطنة ـ على الله ورسوله، والمؤمنين .. بزعم محاربة الإرهاب!

فهي عقبة كأداء .. أمام أي مشروع إسلامي يستهدف استئناف حياة إسلامية على مستوى أي قطر من الأقطار .. فضلاً أن يكون على مستوى الأمة!

فهي تدعم وتتزعم الإرهاب والظلم العالميين .. باسم محاربة الإرهاب .. زعمت!

فما من ظالم معتدٍ محتل في العالم إلا وأمريكا من ورائه .. بجميع صنوف الدعم والتأييد .. مادام هذا الظالم يسعى في تحقيق مصالحها ومآربها .. ويسير وفق سياساتها ومخططاتها!

فكم من حاكم طاغٍ ينتهك حقوق وحرمات الإنسان .. ويُمارس صنوفاً من الإرهاب بحق شعبه .. تغض الطرف عنه .. بل وتدافع عنه في جميع المحافل والميادين السياسية والعسكرية سواء .. مادام هذا الحاكم الطاغي رضي لنفسه وشعبه العبودية والتبعية لها ولسياستها!

ترى لنفسها حقاً على العباد .. تأخذه منهم ولو بطرق الغصب والسطو والاحتلال .. وليس للعباد حقاً عليها يسألونها إياه .. فهي فوق المساءلة أو أن تُسأل عما تفعل!

خمسون بالمائة من موارد الأرض لها .. وشعوب الأرض تتقاسم فيما بينها بقية الخمسين!

طغيانها وجرائمها عدل وتحضر وحرية .. وعدل الآخرين إرهاب وظلم وتخلف!

ما تقوله عبر وسائل إعلامها هو الصدق الذي لا يرقى إلى الشك .. فضلاً عن أن يحتاج إلى التحقق ..

وما يقوله غيرها الأصل فيه الكذب .. وهو يحتاج إلى التحقق والتثبت قبل أن يُصدَّق ..!

لأجل هذه الأسباب كلها، قلت: أن أمريكا هي أكبر طاغوت في العالم!

ولكن ظلمها وطغيانها لا ولن يدوم .. فالأمم تقوم بالعدل وتزول بالظلم .. واعلم أن لكل طاغية متجبر ـ على مر العصور والدهور ـ علامات .. فلما علا .. واستكبر .. مات!

قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾الإسراء:16.

* * * * *

76 ـ قطط وكلاب تشكو السمنة ..!

دخلت مرة أتسوق في إحدى المحلات الكبيرة .. في دولة من الدول الأوربية .. فوجدت عشرات الرفوف من الأطعمة والمعلبات .. والوجبات الجاهزة .. مخصصة لقططهم وكلابهم المغنّجة السمينة!

فقلت في نفسي يا سبحان الله! .. قططهم وكلابهم تشكو السمنة إلى حد البطر .. وأطفالنا في أفغانستان .. والعراق .. والشيشان .. وغيرها من البلدان .. يسفُّون الحصى والتراب .. ويلتقطون الفضلات المرماة في القمامة .. ليسكتوا بها أمعاءهم وبطونهم من الجوع ..؟!

لا تذهب بعيداً يا رجل .. لعل هناك دراسات متطورة ومتحضرة ـ نجهلها نحن ـ أثبتت أن قططهم وكلابهم أفضل من أطفال المسلمين .. ولها من الحرمة ما ليس لأطفال المسلمين .. وتستحق من الخدمة والرعاية مالا يستحقه أطفال المسلمين!

نعم .. هذه هي العدالة المطلقة التي رفعت شعارها أمريكا .. وتشبَّعت بها زوراً .. وتقاتل في هذه الأيام من أجلها!

* * * * *

77- ديكتاتورية الديمقراطية ..!

قد عرفنا ديكتاتورية الدكتاتورية .. وطغيان وظلم الديكتاتوريين .. لكن كثيراً من الناس لا يعرفون ديكتاتورية الديمقراطية .. وطغيان وديكتاتورية الديمقراطيين .. ومتى تتحول الديمقراطية إلى ديكتاتورية متوحشة ..؟!

الديمقراطية ـ في حقيقتها ـ وُجدت لخدمة أهداف وأطماع طبقة معينة من الناس .. وأنظمة معينة ألِفت استعمار الناس واستحمارهم .. ومتى تخرج الديمقراطية عن هدفها المحدد هذا .. سرعان ما تتحول إلى ديكتاتورية جائرة متوحشة .. لا تعرف للإنسان .. ولا لمعاني الحريات ـ التي تزعمها ـ حرمة .. ولا قيمة!!

فهذه أمريكا زعيمة الديمقراطيات في العالم تعلن على لسان رئيسها وعلى الملأ .. بأن الشعوب .. وجميع الدول .. فريقان لا ثالث لهما: فريق معها .. يتابعها في حملتها ضد الإرهاب ـ زعمت! ـ وهو الفريق المتحضر الذي يستحق كامل الدعم، وأن يعيش .. وفريق لا يتابعها في سياستها وحملتها الآنفة الذكر .. فهو ضدها .. وهو شعوب لا تستحق الدعم أو العيش .. تجب إبادتها وإزالتها .. وأن تتعرض لجميع العقوبات الدولية العادلة .. التي أقلها فرض حصارات التجويع والمرض عليها ..!

الناس لا خيار لهم .. إما مع أمريكا وسياستها الطائشة .. فهم حينئذٍ ضد الإرهاب .. وديمقراطي متحضر .. وإما ضدها .. فهم حينئذٍ مع الإرهاب .. وغير ديمقراطي .. يجب أن تطالهم جميع قوانين محاربة الإرهاب ..!

ثم ها هي اليوم تعمل بكل وضوح ـ ضاربة بمبادئ ديمقراطيتها عرض الحائط ـ على استئصال نظام " طالبان " في أفغانستان بقوة السلاح .. الذي ارتضاه أكثر من 95% من شعب أفغانستان .. والتي تحكم أكثر من 95% من أراضي أفغانستان .. باعتراف الجميع .. لتستبدله بنظام عميل لها .. منبوذ مبتور .. لا يمثل من نسبة الشعب الأفغاني 5% من سكانها .. ومن أراضيها ؟!

الذي فعلته روسية الديكتاتورية في أفغانستان .. وبحق شعب أفغانستان .. خلال عشرين عاماً .. فعلته أمريكا الديمقراطية في أسبوعين ..!!

أين احترام حرية الاختيار للشعوب كما يزعمون .. وأين مبدأ الرضا بحكم الأكثرية التي تتشدق بها الديمقراطيات المعاصرة ..؟!

لا قيمة لشيء من هذا إن جاءت نتائج ديمقراطيتهم في غير صالح الأسياد المستعمرين .. مصاصي دماء الشعوب .. بطريقة راقية ومتحضرة!

والغريب المضحك أن أمريكا سمّت جرائمها هذه في أفغانستان .. والتي أدت إلى هلاك وإبادة، وتشريد شعب بكامله .. بالحملة من أجل الحرية الراسخة!!

* * * * *

78- عنصرية جوازات السفر ..!

زعموا أنهم يُحاربون التفرقة العنصرية بكل أبعادها ومعانيها .. ولكي تعرف كذب ادعاء القوم هذا، وأنهم يتشبعون بما ليس فيهم ولا عندهم .. لك فقط أن تراقب ما يحصل في المطارات عند دخول الناس وإيابهم ..!

حيث تتمايز الناس والصفوف .. بحسب جنسياتهم .. وألوان جوازات سفرهم!

فالذي يحمل جواز السفر الأمريكي أو الأوربي .. فهذا له طابور خاص به .. يُستقبل بباقات الورود والزهور من دون أن يُسأل أو يُفتش ..؟!

يكفي صاحبه أن يُشهر جوازه ـ عن بعد ـ في وجوه الموظفين يريهم لون جلدة جوازه .. ليبادروه بالانحناءات، والابتسامات، وعبارات الترحيب والتفخيم ..!

بينما من كان يحمل جواز سفر يدل عليه أنه ينتمي إلى الشرق العربي .. أو الإسلامي .. أو غيرها من البلدان .. تراه مكسوف الحال .. مكسور الجناح .. له معاملة خاصة به .. كأنه ليس من حقه الدخول أو الخروج ..!

فهو قبل أن يصل أرض المطار يُبادر القوم بأدعية الكرب .. مستعيذاً بالله تعالى من شرِّ هذا المكان، وشرِّ ما فيه، ومن فيه .. لعلمه المسبق بالمعاملة السيئة التي سيلقاها!

وبعد أن يصل أرض المطار .. يقف في طابور الانتظار الطويل .. طابور الإهانات .. مكتوب عليه خاص بالعرب فقط .. أو بكل من هو ليس أوربي أو أمريكي .. كما في بعض المطارات الأوربية .. حيث يخضع لقائمة طويلة من الأسئلة والتحريات .. وكأنه تحقيق أو استجواب في أحد فروع المخابرات ..!!

ما اسمك .. وما اسم أبيك وأمك وأختك .. وما هو عملك .. أين كنت وأين ذاهب .. ومن تعرف ومن لا تعرف .. ولماذا تريد الدخول .. وكم ستقيم .. ومن ستزور .. إلى آخر القائمة الإذلالية المعروفة .. مع التفتيش الدقيق .. وتحسس جميع أجزاء الجسم!

هذا إذا سَلِم من العبارات النابية .. والنظرات الحادة .. ولم يُطلب منه أن يقف على جنب .. فإذا أوقفوه على جنب .. هذا يعني أنه لن يخرج من أرض المطار .. قبل أن يستوفي التحقيق المخابراتي حقه .. الذي قد يستغرق ساعات طوال .. وربما أيام ..!!

ذنبه الوحيد أنه لا يحمل الجواز الأوربي .. وأنه يحمل جواز سفر يدل عليه أنه من الشرق العربي .. أو العالم الإسلامي .. أو غيره .. فأي عنصرية تعلو هذه العنصرية .. وأي عنصرية هذه التي يزعمون محاربتها؟!!

* * * * *

79- لماذا نحن نرفض الديمقراطية ..؟!

يظن البعض ـ إذ نرفض الديمقراطية ـ أننا من دعاة الديكتاتورية .. وحكم الفرد .. ومن دعاة الاستبداد والظلم .. والتحكم برقاب العباد .. لا ..!!

ولهؤلاء نقول: لا شيء أبغض إليه الطغيان .. والظلم .. وتحكم الفرد .. من الإسلام .. ومن المسلمين بحق ..!

والذي حملنا على رفض الديمقراطية .. هو: أنه لا يستقيم عقلاً ولا شرعاً أن نساوي بين الخالق والمخلوق .. فنرفع المخلوق بخصائصه وصفاته الوضيعة إلى مستوى الخالق بخصائصه وصفاته العُلا .. ونجعل من المخلوق نداً لله ﷻ في أخص خصائصه .. أو نُنزل الخالق وحكمه وشرعه وكلامه .. الذي له الكمال المطلق في كل ذلك .. إلى مستوى المخلوق .. ومستوى حكمه وكلامه الوضعي الوضيع .. ونسوي بينهما .. ونفاضل بينهما بحسب

ما تقتضيه رغبات الأكثرية .. فهذا لا يمكن أبداً .. وهو مرفوض عقلاً وشرعاً .. وهو إعلان صريح عن الخروج من العبودية لله ﷻ .. إلى عبودية العبيد ..!!

تأملوا جميع من رضي بالديمقراطية .. وتبناها كنظام ودستور للحياة .. ستجدون أنهم قد هان عليهم خالقهم .. وهان عليهم حكمه وشرعه .. ولو بوجه من الوجوه .. وبتفاوت فيما بينهم بحسب حماسهم للديمقراطية ونظامها .. الذي لا يرجو لله وقارا!!

ومن وجه آخر تراهم قد عظموا المخلوق وبجلوه ووقروه .. بقدر ما انتقصوا من قدر الله تعالى ﷻ ..!!

لأجل ذلك نقول ـ وبكل صراحة ووضوح ـ جازمين غير مترددين ولا آبهين بالمشنّعين: إننا ـ كمسلمين ـ نرفض الديمقراطية كماً وكيفاً .. لا للديمقراطية .. ولا لدعاتها وأربابها .. وأذنابها .. ولا للظلم والديكتاتورية والاستبداد .. ولا لجميع صور الأنظمة التي تُعبد العبيد للعبيد .. نعم للإسلام .. نعم لحكم الله تعالى وحده!

* * * * *

80- كيف ندعو الناس ..؟

هذه نقاط كمعالم لا بد للداعية من مراعاتها والانتباه إليها .. وهو يعيش غمار الدعوة إلى الله تعالى .. حملني على تدوينها ملاحظة بعض الأخطاء يقع فيها بعض الدعاة .. لا تليق بهم ولا بمهمتهم وعملهم الذي يصفه الله تعالى بأنه الأحسن .. كما في قوله تعالى:﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾فصلت:33.

أجملها في النقاط التالية:

1- ضرورة تحديد ما يحتاجه المدعو ـ قبل دعوته ـ ومعرفة جوانب النقص والتقصير عنده .. ليُعطى ما يسد به حاجته ويجبر به تقصيره .. ويصحح له مسيرته نحو ربه ﷻ.

2- أن يُحدِّث والآخر مشتاق لحديثه راغب فيه .. فإنه أدعى للقبول والانتفاع .. فإن لم يكن الآخر كذلك .. ابتدع الوسائل التي تجعله كذلك .. وتوخى الوقت الذي يكون فيه الآخر كذلك!

فليس من الفقه أن يُحدّث .. والآخرون لحديثه كارهون .. أو عنه مشغولون!

3- فإن حدَّثه .. يتخوَّله النصح والحديث .. ولا يُملَّنَّه .. ولا يُكثر مهما كان مقبلاً عليه منصتاً إليه .. فلأن يتركه وهو مشتاق له ولحديثه، خير من أن يتركه وهو مالٌّ له ولحديثه!

4- ما من مجلس، ولا اجتماع إلا وتتخلله لحظات يُستحسن الحديث فيها .. ولحظات يسودها الشغب ورفع الأصوات، واللغط .. لا يُستحسن الحديث فيها .. والداعية الفطن هو الذي يُحسن أن يميز بين هذا وذاك .. ويُعطي كل ذي حقٍّ حقه!

5- يجتنب ـ في حديثه وشؤونه كلها ـ العنف والشدة ما وجد لذلك سبيلاً .. فإن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله، ويُجزي عليه مالا يُجزي على العنف والشدة ..!

6- عندما يتكلم مع الآخرين ـ أيّاً كان هؤلاء الآخرين ـ لا بد من أن يُشعرهم بعطفه واهتمامه البالغ بهم .. وأنه صادق في حب الخير لهم .. وأنه غيور على مصالحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة أكثر من أنفسهم لأنفسهم .. فإنه بذلك يُظهر معادن الخير والاستجابة الكامنة في نفوسهم .. مالا يمكن أن يَظهر بالترهيب أو التهديد .. أو الاحتقار والازدراء أو العنف!

7- الداعية الناجح هو الذي ينجح في أطر الناس إلى الجنة والرحمة .. أما الذين ينفِّرون .. ولا يُحسنون إلا فقه التنفير .. فهؤلاء لا يجوز أن ينضموا إلى قافلة الدعاة إلى الله!

8- يجب على الداعية أن يحسن التمييز بين من يسأل استرشاداً وطلباً للحق .. وبين من يسأل فتنة ومكراً وخداعاً .. وحفراً للحفر .. أو لمجرد الجدال والثراء الفكري .. فيطيل الوقوف والإنصات عند الأول .. مهما كلف الأمر وكانت النتائج .. بينما الآخر يمر عليه مر الكرام، ولا يُبالي به!

فالأوقات لها ثمن .. وهي أقل بكثير من المهام والأعمال التي ينبغي القيام بها .. والوقوف عند هؤلاء ـ أصحاب الحفر ـ مقتلة للوقت من غير قيمة ولا فائدة ..!

9- إن جادل يُجادل بالتي هي أحسن .. ويدفع بالتي هي أحسن .. ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة .. وهما الكتاب والسنة!

10- من فقه الداعية إن جالس الغلاة الذين يجنحون للغلو والتشدد في التكفير .. أن يتوسع في الحديث عن الرجاء .. وعن آيات الوعد والرحمة .. وأن الله غفور رحيم!

وإن جالس أهل الإرجاء والتفريط .. أن يتوسع في الحديث عن الخوف من الله ومن عذابه .. وعن آيات الوعيد والعذاب .. وأن الله تعالى شديد العقاب!

والعمل بخلاف ذلك كمن يضع على الهشيم الوقود .. فيزيد الداء داءً!

11- فإن خُير بين أمرين اختار لسامعه وسائلِه أيسرهما وأنفعهما له .. مادام الأيسر مشروعاً ومأذوناً به!

12- لا بد للداعية الصادق من أن يغضب لله تعالى ولحرماته .. وبخاصة في زمانٍ تكاثرت فيه المنكرات، والتجاوزات .. ولكن عليه أن يعرف ـ قبل أن يغضب ـ كيف يغضب .. ولماذا يغضب .. والقدر الذي يغضب به .. ولمن يغضب .. ومتى يهدأ عنه الغضب .. فلا يجعل الغضب يتحكم به!

فكم من داعية تراه يبالغ في الغضب لفوات بعض السنن والنوافل .. وما يدخل في دائرة المستحبات .. بينما تراه لا يبالي عندما تُترك الفرائض .. ويستهان بالواجبات والأصول!

كم من داعية تراه يغضب .. ويحمر .. ويزبد في مواضع تُعالج على طريقة "أين بعيرك الشّارد يا خوَّال"؟!

فإن سألته .. قال لك: هذه غضبة لله .. والله منها براء!

وفي حالات يجب أن تعالج على طريقة "كأنما حب الرمان يتفقأ من وجهه" .. فلا يتحرك له ساكن ..!

13- عند الإقدام على تغيير المنكر .. يجب على الداعية أن يراعي ويوازن بين المصالح والمفاسد .. فلا يزيل المنكر بمنكر أكبر .. والمفسدة بمفسدة أعظم أو حتى متساوية!

14- لا بد له ـ كداعية ـ من أن يصدع بالحق .. وأن لا يكتم شيئاً من الكتاب والعِلم .. وإلا لا يَستشرف مهمة الدعوة إلى الله .. فلا شيء يسيء الداعية كسكوته عن الحق .. ومداهنته للطواغيت الظالمين!

15- مما يُسيء الداعية أن يقوده تلامذته ومريدوه .. فيلتمس رضاهم .. ورضا الجماهير من حوله بسخط الله .. خشية أن ينفضوا عنه .. والصواب في حقه أن يقودهم ويأخذ بأيديهم إلى شاطئ الخير والسلامة .. ولو كانوا لذلك كارهين!

فالداعية بحق هو الذي يُصلح إذا فسد الناس .. وليس هو الذي يواكب الناس على فسادهم وباطلهم .. وعاداتهم الوضيعة!

16- الداعية هو الصورة العملية لهذا الدين .. إن أخطأ، قال الناس: أخطأ الإسلام .. وإن أصاب، قال الناس: أصاب الإسلام ..!!

فليتق الله في نفسه .. وليجتهد أن لا يُري من نفسه إلا الخير الذي يليق بعظمة وجلال هذا الدين ..!!

* * * * *

81- عجباً لهؤلاء القوم ..!

تأملت حال بعض الجماعات الإسلامية المعاصرة الواسعة الصيت والانتشار .. فوجدتها تدعو ـ وبشهية غريبة ـ إلى الحوار واللقاء، والتفاهم، والتعايش، والاعتراف المتبادل .. وبصدر منفتح وذهنٍ متحرر .. إلى آخر القائمة الانبطاحية .. مع الآخرين ممن هم ليسوا من أتباع هذا الدين ..!!

بينما تراهم على كثير من المسلمين ـ ممن يوجد لهم نوع خلاف معهم على بعض المسائل ـ أشداء غلاظ .. لا يُطيقون مجالستهم ولا الحديث إليهم .. ولا السماع منهم .. صدورهم نحو إخوانهم حرجة ضيقة .. والشُّقة بينهما واسعة بعد السماء عن الأرض ..!!

وهؤلاء ـ بواقع حالهم وعملهم، علموا أم جهلوا ـ عكسوا قوله تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ إلى أشداء على المؤمنين رحماء على الكافرين ..!

وعكسوا كذلك ـ بواقع حالهم وعملهم ـ قوله تعالى:﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ إلى أذلة على الكافرين أعزة على المؤمنين .. ولا حول ولا قوة إلا بالله !!

* * * * *

82- همتهم في الباطل ..!

في صبيحة يوم ماطر قُرع بابي .. وإذا أمام بيتي امرأتان .. فعرفت أنهما من جماعة "شهود يهوه"؛ وهي جماعة عقائدها مزيج بين النصرانيّة، واليهودية، والماسونيّة .. فأشعرتهما أنني لا أريد الاستماع إليهما .. فأبيا علي ـ وأنا أريد غلق الباب ـ إلا أن يُسمعاني شيئاً من كتبهم .. فقلت لهما: أعرف عنكم .. وعن دينكم .. أكثر من هذا الذي تقرأونه علي ..!

وقبل أن أغلق الباب .. رمت إحداهما ـ كمحاولة أخيرة لنشر مذهبهم الباطل ـ نشرة من نشراتهم داخل البيت .. وذهبتا!

فقلت: يا سبحان الله .. هم على الباطل .. ويدعون إلى النار .. ومع ذلك تراهم بهذه الهمة .. وهذا الحماس .. لدينهم وباطلهم .. ويتحملون في سبيله كل مشقة وعناء .. بينما كثير من المسلمين .. رغم أنهم على حق .. وأن دينهم هو الحق الذي ما بعده إلا الضلال .. لا ينشطون ولا يتحركون لدينهم كما يتحرك هؤلاء لدينهم الباطل!

فأي الفريقين أولى بالحركة والدعوة لدينه .. المسلمون أصحاب الدين الحق .. أم هؤلاء الكفرة الضالون .. أصحاب الدين الباطل ..؟!

أي الفريقين أولى بالنشاط لدينه .. الذين يدعون للنجاة والجنة .. أم الذين يدعون للخسران والنار ..؟!

* * * * *

83- مثلنا ومثلهم ..!

قال لي أحد المفتونين بالغرب وطريقة حياتهم: أنا مشفق عليكم .. فكيف تُطيقون الحياة بلا ملاهي .. ولا مراقص .. ولا خمر .. ولا نساء .. إنكم حقاً محرومون .. وحالكم يستدعي الشفقة والرحمة .. وأنا حزين لأجلكم كثيراً ..!

فقلت له: أما بالنسبة للتمتع .. فنحن كمسلمين نتمتع في الحلال المشروع أكثر مما تتمتعون أنتم بالحرام .. مع الفارق الكبير بين طعم ولذة الحلال وبين طعم ولذة الحرام ..!

وساحة الحلال والمباحات في ديننا أوسع بكثير من ساحة الحرام والمحظورات .. والنفس مهما أوتيت من قوة ورغبة .. فساحة الحلال تكفيها وزيادة .. هذا غير الذي ينتظر المسلمين ـ جزاء على ما صبروا وأطاعوا والتزموا ـ من نعيم الآخرة وجناتها التي فيها مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر .. وليس لكم من ذلك شيء!

واعلم أن مثلنا ومثلكم: كمثل سائق يسوق سيارة بكوابح .. يقف حيثما يلزم الوقوف .. ويسير حيثما ينبغي أن يسير .. فيعطي المشاة وكل ذي حقٍ حقه ..!

وسائق يسوق سيارة بلا كوابح .. فلا يبالي لشيء أمامه .. ولا يعرف حقاً ولا حرمة لشيء .. وكأن الطرق والشوارع كلها لم تُعبَّد إلا له ولسيارته .. ولو أراد التوقف لا يستطيع أن يقف!

فمثلنا هو سائق السيارة ذات الكوابح .. ومثلكم هو سائق السيارة التي لا كوابح لها .. فأي الفريقين أحق بالسلامة والسعادة .. وأينا الخاسر .. وأولى بأن يُحزن عليه ..؟! **فبُهت الذي كفر ..!!**

* * * * *

84- فعلت ذلك من أجل ثلاثة أشياء ..!

كنت أسير مع مجموعة من الإخوان الطيبين .. في شارع مكتظ بالناس .. تتوسطه امرأة نصف عارية .. توزع نشرات لا تخلو من دعاية إلى أوكار الفساد والفجور .. فكلما مر بجوارها واحد مدت يدها وأعطته نشرة من تلك النشرات .. ولما اقتربنا منها .. نفر منها الإخوان .. وابتعدوا عنها .. ولم يأخذوا منها شيئاً ..!

هذا الذي فعلوه مشكورين .. ومأجورين .. والذي فعلته؛ أني أخذت منها ما استطعت مما تحمل من تلك النشرات .. بعد أن أشعرتها بحاجتي إليها ..!

فما أن فعلتُ ذلك .. إلا والإخوان قد استداروا إلي .. وبادروني بكمٍّ من الأسئلة: كيف تفعل ذلك يا شيخ .. هل هذا يجوز .. أليس هذا يُعد من التعاون على المنكر ..؟!

فقلت لهم: فعلت ذلك من أجل ثلاثة أشياء:

أولاً: لأعجِّل انصراف هذه المرأة من الشارع .. فأريح الناس من شرها وفتنتها ..!

ثانياً: لأحيل بين الناس ـ ولو كان رجلاً واحداً ـ وبين تلك النشرات التي تدل على أوكار الفساد والفجور .. فرب ضعيف نفس وقف على نشرة من تلك النشرات فكانت البداية والنهاية له .. وسبب كل شر له!

ثالثاً: لكي نضعها ـ وقبل أن نلوث أنظارنا بها ـ في أقرب سلة للمهملات ..!

فهدأ روع الإخوان .. وشعروا أني فعلت الصواب .. والحمد لله رب العالمين.

* * * * *

85- الشيخ بوش ..!

لم يقف طغيان الحاكم الأمريكي .. عند حدود سفك الدماء .. وقتل النساء والأطفال .. وتدمير المدن .. ومحاصرة الشعوب وقتلهم جوعاً .. كما حصل ولا يزال يحصل في فلسطين .. وأفغانستان .. والعراق!!

لم يقف طغيانه عند حدود إلزام الشعوب وإجبارهم على تسمية السفَّاح المجرم بأنه على حق .. وأنه رجل سلام .. وفوق الشبهات .. وأن الضحية المعتدى عليها التي قُتلت بعد أن أُعطيت الأمان .. إرهابية ومجرمة!

لم يقف طغيانه عند حدود تحديد المفاهيم وفق هواه .. وبما يُشبع طغيانه وإجرامه وتعطشه للدماء .. ومن ثم إلزام الشعوب بما يراه ويمليه .. وتقسيمهم إلى قسمين: فمن لم يكن معه ومع طغيانه .. وغزواته .. وأحقاده .. فهو ضده .. وضد الإنسانية والحرية .. لا يستحق العيش .. وكأني به يقول ما قاله فرعون موسى لأهل مصر من قبل .. كما قال تعالى عنه: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾غافر:29. اختلفت الأسماء والأزمان .. لكن ذات الطغيان والجبروت فإنه يتكرر .. ولكن هذه المرة باسم التحضر والإنسانية والحرية .. وباسم فرعون أمريكا بوش!

لم يقف طغيانه عند حدود استعمار البلاد وغزوها .. ونهب خيراتها وثرواتها .. وكأنها حق له .. ولدولته .. ورثها من ملك أبيه وأجداده ..!

لم يقف طغيانه عند حدود دعم كل إجرام وإرهاب يحصل في العالم .. وبخاصة إن كان هذا الإجرام ضد الإسلام والمسلمين!

لم يقف طغيانه عند حدود تجفيف منابع الخير والعطاء .. وإغلاقه لمئات الجمعيات الخيرية التي تمشي في حاجة اليتامى، والمساكين .. بزعم ملاحقة الإرهاب ..!

لم يقف طغيانه عند تلك الحدود .. فإن للطغيان شره ونشوة تطلب المزيد .. ما دامت قادرة على المزيد ..!

فها هو اليوم يُفتي للمسلمين .. ويتدخل بشؤون فقههم ودينهم .. ولكن من دون سبحة ولا عمامة .. ولا استحياء: لا يجوز أن تسموا العمليات الجهادية بأنها عمليات استشهادية .. وإنما هي عمليات إرهابية وإجرامية .. والويل لمن يُخالفني في الرأي أو القول .. ويقول أنها عمليات استشهادية!

إرهاب ـ يا بوش! ـ حتى في الإفتاء ..!

أراك يا بوش بعد أن أعطيتنا دروساً في الطغيان والظلم والإرهاب .. لم يسبقك إليها طاغوت من قبل .. تريد أن تعلمنا ديننا .. وتعطينا دروساً في الفقه .. متى يكون المرء شهيداً ومتى يكون دون ذلك؟!

لكن العتب ليس على بوش .. وإنما على بني قومي الذين يأخذون بفتاوي بوش .. ويعملون بها .. ويسهرون على تطبيقها .. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

* * * * *

86- هم الأحياء ..!

قالوا لي: قد قُتل في مخيم الصمود " جنين " أكثر من خمسمائة مجاهد .. لنبكيهم ونرثيهم في مقال ..!

قلت: لا .. بل لنبكي ونرثي أمة المليار التي تخلت عن هؤلاء الأبطال إلى أن قُتلوا ..!

يكفيهم فخراً أنهم قُتلوا وليس في جعبة أحدهم طلقة واحدة ..!

يكفيهم فخراً أنهم لم يُدبِروا .. ولم يفروا .. وأن طلقات الغدر كلها جاءت في صدورهم لا في ظهورهم !!..

هم ـ على قلتهم وقلة عتادهم ـ خير ألف مرة .. من تلك الجيوش الجرارة .. التي تركت أسلحتها الثقيلة على جبهات القتال .. لتدبر وتفر .. من ساحات الواجب، والشرف، والجهاد ..!

هم ـ إن شاء الله ـ الأحياء عند ربهم يُرزقون .. وما سواهم من الأحياء هم الأموات .. إلا من كان على دربهم ينتظر .. وما بدلوا تبديلاً ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾الأحزاب:23. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* * * * *

87- الذين يشجبون سياسة الشجب والاستنكار ..!

ليس الغرابة في أن نسمع من طواغيت الحكم بيانات الاستنكار والشجب .. لما تقترفه أيادي بني صهيون بحق أبنائنا وإخواننا في فلسطين .. والاقتصار على ذلك .. فقد ألفنا منهم ذلك إلى حد السآمة والتقزز!

لكن الغرابة كل الغرابة أن نسمع صيحات شجب سياسة الشجب التي ينتهجها الحكام من أناس لا حق لهم في الإنكار أو أن يشجبوا شجب الحكام ..!!

كيف يشجبون الحكام .. ويشجبون سياسة الاقتصار على الشجب والاستنكار .. وكانوا بالأمس القريب يدعون للعمل مع هؤلاء الحكام من خلال مشاركتهم العمل النيابي .. والدخول في ألاعيب الديمقراطية؟!

كيف يشجبون الحكام .. وهم من جهة أخرى .. أو بالأمس القريب كانوا يُعطونهم البيعة والولاء .. والسمع والطاعة في الحق والباطل .. ويجادلون عنهم؟!

كيف يشجبون الحكام .. ويرمونهم بأوصاف العمالة والخيانة .. وهم كانوا بالأمس القريب يشجبون من كان يشجب هؤلاء الطواغيت المجرمين .. ويرمونهم لأجل ذلك بألقاب أقلها: أنهم خوارج .. وأصحاب فتنة ..؟!

ولما سألت أحدهم عن سبب هذا التناقض .. قال: الناس ناقمون .. غاضبون .. لا بد من أن نشجب هؤلاء الحكام .. ونشجب سياسة الاقتصار على الشجب والاستنكار .. وهذا أضعف الإيمان!

قلت: إذاً هي موجة تركبونها .. إذا مرت وهدأت .. وهدأ غضب الناس .. هدأتم وأمسكتم عن الشجب .. وعدتم إلى سيرتكم الأولى .. سيرة التعايش .. والخنوع .. والدخول في الطاعة .. والولاء!!

عدتم من جديد لتصبغوا عليهم وعلى خياناتهم .. الشرعية .. والقانونية .. من خلال استشرافكم للعمل عندهم في برلماناتهم ومراكز حكوماتهم .. والدعوة إلى ذلك ؟!!

عدتم من جديد لتحدثوننا عن الفتنة .. وأنها نائمة لعن الله من أيقظها .. وعن ضرورة الدخول في طاعتهم كولاة أمر شرعيين ..؟!!

عدتم من جديد لتضفوا عليهم ألقاب الجلالة والفخامة والتعظيم ..!!

ألا لعنة الله على الظالمين .. الخائنين!!

* * * * *

88- ماذا يعني الفراغ ..!

الفراغ داء يقود إلى أدواء .. وبخاصة إذا اجتمع مع الصحة، والغنى، وضعف الإيمان .. فحينئذٍ لا تسأل عن الهلكة والأمراض التي ستلحق بصاحبه!

الفراغ يعني الجمود والتوقف عن العطاء .. فالإنسان المؤمن معطاء .. لا يوقف عطاءه إلا الفراغ ..!

الفراغ يعني توقف عجلة الحياة عن البناء، والتقدم، والازدهار ..!

الفراغ يعني مضي العمر والوقت من غير ثمن .. ولا فائدة!

الفراغ يعني التخلف عن السباق .. وعن ركب السابقين إلى الخيرات .. والقعود مع الخوالف من العصاة وأهل التقصير ..!

الفراغ ـ وبخاصة إن طال ـ يعني تعطيل الغاية التي لأجلها خُلقت يا عبد الله ..!

أعجب لمسلم يشكو الفراغ، وهو يقرأ قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ﴾الانشقاق:6. وقوله تعالى:﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾الأنبياء:1. وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾الزلزلة:7–8. وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾الذريات:56. وقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾آل عمران:133. وقوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ﴾الحديد:21. فالأمر لا يتحمل الإبطاء .. وإنما يستدعي المسارعة والسباق .. ومن غير توقف .. وأنَّ للمسارع المسابق أن يجد لنفسه الفراغ!

* * * * *

89- ماذا نفعل ..؟!

استوقفتني مشاركة في منتدى من منتديات الحوار .. بعنوان:"الشباب يسأل: ماذا نفعل .." ؟!

قلت: يا سبحان الله! تقلُّ المهام والواجبات إلى حدٍّ يحمل الشباب على السؤال: ماذا نفعل ..؟!

أوقاموا بكل ما يجب عليهم القيام به .. نحو أنفسهم .. ودينهم .. وأمتهم .. والناس من حولهم .. ثم وجدوا الفراغ الذي حملهم على السؤال: ماذا نفعل ..؟!

اعلم أيها الشاب: أن لنفسك عليك حقاً من البناء، والتكوين، والتأسيس .. المادي والمعنوي!

وأن لربك عليك حقاً؛ وهو أن تعبده ولا تُشرك به شيئاً ..!

وأن لأهلك ورحمك .. عليك حقاً ..!

وأن لدينك .. ونصرة قضاياه .. عليك حقاً ..!

وأن للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .. وقضاياهم .. عليك حقاً ..!

وأن لأمتك ـ بكل جراحاتها وآلامها ـ عليك حقاً ..!

فهذه الحقوق لو نهضت بصدقٍ للقيام بما يجب عليك نحوها لاستهلكت منك أضعاف أضعاف عمرك .. ولما وجدت الوقت لكي تسأل أو تتساءل: ماذا أفعل ..؟!

صدق من قال: إن الأعمال أكثر من الأوقات .. لكن أين العاملون!

* * * * *

90- فيلٌ إرهابي ..!

استوقفني خبر تناولته بعض وكالات الأنباء مفاده: أن فيلاً ثار على أهل الهند في ولاية البنغال الغربية الواقعة شرقي الهند .. فقتل منهم تسعة أشخاص .. الواحد تلو الآخر .. ثم عاد أدراجه إلى قواعده ـ في الغابات ـ سالماً ..!

قلت: يا سبحان الله! لم ينتقم المسلمون لإخوانهم المسلمين في الهند .. الذين قتلتهم أيادي مجرمي السيخ والهندوس أبشع قتلة .. وحرقوا عليهم منازلهم .. فانتقم لهم هذا الفيل الجسور ..!

ومما جاء في تعليقاتهم على الحدث قولهم عن الفيل: بأنه مجنون .. ولولا شيء من الحياء وحتى لا يظهر كذبهم .. لقالوا عنه: فيل إرهابي ..!

كثَّر الله الفيلة المجانين .. فهي خير من كثير من عقلاء بني آدم!

* * * * *

91- لماذا خلق الله الشرَّ ..؟!

فريق من الناس يسأل استرشاداً .. وفريق يسأل فتنة وتشكيكاً: لماذا خلق الله الشرَّ ..؟!

ولهؤلاء وأولئك نقول: خلق الله تعالى الشرَّ لحكَمٍ جليلة عديدة، نعرف بعضها، ونجهل أكثرها .. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾البقرة:216.

من تلك الحِكَم: أن الله تعالى ربُّ العالمين .. ومن كمال الربوبية وشموليتها .. أن يكون الربُّ رباً لكلِّ شيء .. وخالقاً لكل شيء .. للخير والشرِّ معاً.

ومنها: لكي تظهر قدرته لخلقه .. وأن الله تعالى قادر على أن يخلق الشيء وضده .. وأنه ﷻ هو المتفرد بذلك .. فكما أن الله تعالى قادر على أن يخلق الخير، وعلى تصريفه كيفما يشاء، وحيث يشاء .. فهو ﷻ قادر على أن يخلق الشر، وعلى تصريفه كيفما يشاء، وحيث يشاء ..بلا ممانع ولا منازع .. وكما أن الله تعالى قادر على أن يخلق الحياة من لا شيء .. فهو سبحانه قادر على أن يخلق الموت وأسبابه ..!

ومنها: أن الدنيا دار عملٍ، واختبارٍ، وبلاء .. وهذا من لوازمه أن يخلق الله تعالى الخير والشر، كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾الأنبياء:35.

ومنها: أن المخلوق يحتاج لمن يجلب له الخير، ويدفع عنه الشر .. فلا يستقيم شرعاً ولا عقلاً أن يجد الأولى عند خالقه .. والأخرى عند غيره .. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً!

ومنها: أن الخير يُعرف بضده .. وأن الحقّ يُعرف بضده؛ فنعمة الخير تُعرف بشرِّ فقدانها .. والحق يُعرف قدره بمعرفة ضده من الباطل ..!

كيف تعرف نعمة التوحيد وفضله عليك .. وأنت تجهل الشرك .. وما يُجلبه من شرور وأضرارٍ على صاحبه في الدنيا والآخرة ؟!

كيف تعرف نعمة الصحة .. وأنت لا تعرف المرض .. ولم تجربه؟!

كيف تعرف نعمة الشبع .. وأنت لا تعرف الجوع .. ولم تجربه ..؟!

كيف تعرف نعمة الغنى .. وأنت لا تعرف الحاجة ولا الفقر .. ولم تجربه ..؟!

كيف تعرف نعمة الوصل .. والعيش مع الأهل والأحبة .. وأنت لا تعرف شر وفتنة وآلام الفراق ..؟!

كيف تعرف نعمة العلم .. وأنت تجهل الجهل وآثاره .. وهكذا كل شيءٍ فإنه لكي يُعرف على حقيقته لا بد من ضدٍّ له يُعرَف به.

ومنها: أن الشرَّ سببٌ للموت .. والإنسان لا بد له من الموت .. فالدنيا ما كانت، ولن تكون دار قرارٍ، وخلود لأحَد.

ومنها: أن الله تعالى يُعبد في السراء والضراء .. ويُحب أن يُعبد في الضراء كما يُعبد في السرَّاء .. وهذا من لوازمه وجود السراء والضراء .. والخير والشر.

ومنها: أن من مقتضيات ولوازم أسماء الله تعالى وصفاته .. وجود الخير والشر .. فالله تعالى هو الغني الرزاق .. وهذا من مقتضياته ولوازمه وجود الفقير المحتاج الذي يسأل الله تعالى الغنى والرزق .. فيعطيه.

والله تعالى غفور رحيم .. وهذا من لوازمه ومقتضياته وجود الشر والإثم .. الذي يحمل صاحبه على طلب الرحمة والمغفرة من ربه .. فيغفر له ويرحمه.

والله تعالى المنتقم الجبار .. وهذا من لوازمه ومقتضاه .. وجود الظالمين .. الذين ينتقم الله منهم ..!

وهكذا كل اسم من أسماء الله تعالى تجد أن له مقتضيات في خلقه ﷻ .. لا بد من ظهورها ووجودها!

ومنها: أن العبد لا يعرف فضل الله عليه .. إلا عندما يرى غيره مبتلاً بفقد ما منَّ الله به عليه .. فيجد نفسه مشدوداً للقول: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاه به، وفضلني على كثير من خلقه تفضيلاً ..!

ومنها: أن الخير الصرف يُطغي صاحبه ويُنسيه أن له رباً يُعبد .. كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾العلق:6-7.

فيأتي الشر ليُذكِّره .. ويأطره لأن يقول: يا رب اغفر لي .. يا رب ارحمني .. يا رب عافني واعف عني ..!

فالشرُّ في الغالب يأتي بالعبد ليقف بين يدي ربه منكسراً ضارعاً متذللاً .. خائفاً .. باكياً يسأله العفو والمغفرة .. وهذا مطلب شرعي يُحبه الله ﷻ .. بخلاف الخير .. وفعل الخير فإنه ـ في كثير من الأحيان ـ يحمل صاحبه على الغرور .. والأمن والرجاء .. إلا من رحم الله!

ومنها: ليندفع به شرٌّ أكبر .. فكم من شرٍّ يُبتلى به المرء ليندفع به شرٌّ أكبر وهو لا يدري .. كخرق الخضر عليه السلام للسفينة .. وقتله للغلام .. وما أكثر الأمثلة والشواهد على ذلك من حياتنا اليومية لو أردنا التوسع والاستدلال.

كم من مرة نُبتلى بشرٍّ .. نسخطه .. ثم ندرك بعد زمن يشاؤه الله .. أن هذا الشرَّ كان فيه خيراً كثيراً ..!

ومنها: أن الشرَّ يؤدب بعضه بعضاً .. فينتقم الله من شرٍّ بشرٍّ آخر .. فيسلط الظالمين بعضهم على بعض .. ويضرب الظالمين بالظالمين .. وهذا هو المراد من قوله ﷺ:" إن الله لينصر هذا الدين بالرجل الفاجر، وبأقوامٍ لا خلاق لهم ". فيدفع الله بهم ظلماً أشد .. وفجوراً أكبر!

ونحو ذلك الجهاد .. فيندفع بشر القتل والقتال .. شراً أكبر، وفتنة أكبر .. ليعم الأمن والأمان .. والخير والسلام!

ومنها: أن من النفوس من لا ينفع معها الخير .. فالخير يزيدها طغياناً وتجبراً .. بخلاف لو جُرب معها الشرّ فإنه يهذبها ويؤدبها ويُعيدها إلى رشدها وصوابها .. كما في القِصَاص بالنسبة للمجرمين الخارجين عن حدود الله ..!

ومنها: أن من مقتضيات البلاء والتمحيص .. وحتى يُعرف الحق من الباطل .. والمؤمن الصابر من غيره .. وجود الخير والشرّ .. والبلاء بالخير والشرّ ..!

فهل يرضى العبد بحكم الله تعالى وقضائه في الشر .. كم يرضى بحكمه في الخير .. أم أنه إذا أصابته سرّاء رضي وشكر .. وإن أصابته ضراء كفر وتضجّر .. واعترض؟!

فمن النفوس من تنجح في بلاء الخير دون الشر .. ومنها من تنجح في بلاء الشر دون الخير .. والنفوس المؤمنة الصالحة هي التي تنجح في بلاء الخير والشرِّ معاً .. وترضى وتسلم في بلاء الخير والشر .. وهؤلاء هم الفائزون!

ومنها: ليقذف الله الحق بالباطل فيدمغه .. وليصطفي الله من عباده الشهداء .. فالشر في كثير من صوره يكون بلاءً لأهل الخير .. ليُرى كيف سيتصرفون ويتعاملون معه ..!

ومنها: أن الشرّ في بعض صوره يكون لصاحبه طهوراً وكفارة لذنوبه وخطاياه ..!

ومنها: أن معالجة الشر .. والصبر عليه .. احتساب الأجر .. يرفع صاحبه يوم القيامة درجات ومقامات عالية في الجنان ما كان ليحظى بها لولا البلاء .. وصبره على البلاء ..!

ومنها: أن الله تعالى خلق الجنة والنار .. وهذا من تمام عدله وحكمته ﷻ .. ومن لوازم وجود الجنة والنار .. وجود الخير والشر .. والحق والباطل .. والظالم والمظلوم .. ليذهب كل فريق إلى ما أُعد له من نعيم مقيم أو عذاب أليم مهين ..!

هذه بعض الحكم من خلق الله تعالى للشر .. وما يعلمه الله تعالى ـ ونحن لا نعلمه ـ أكثر وأكثر .. ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾.

* * * * *

92- سنرحَل ..!

سنرحل .. عاجلاً أم آجلاً .. فاحرص أن تأتي بالعمل .. الذي يُقال لك يوم تبيض وجوه وتسود وجوه .. مرحباً بك .. لا بعداً لك ..!

سنرحل .. عاجلاً أم آجلاً .. وكما رحل غيرنا .. فاحرص أن تأتي بالعمل .. الذي يُقال لك بسببه .. رحمه الله .. لا .. لعنه الله ..!

سنرحل .. عاجلاً أم آجلاً .. فاعمل العمل الذي تستمر حسناته إلى ما بعد رحيلك .. وليس العمل الذي تستمر سيئاته إلى ما بعد رحيلك .. وموتك!

سنرحل .. عاجلاً أم آجلاً .. وتبقى آثارنا وكلماتنا حية تدب بين الناس .. تخاطبهم ويُخاطبونها .. فاحرص أن تُبقي خيراً ..!

سنرحل .. عاجلاً أم آجلاً .. فاحرص أن تُسدِّد حقوق الآخرين درهماً وديناراً .. واعتذاراً .. قبل أن يأتي اليوم الذي تُسدد فيه حقوقهم حسنات وسيئات ..!

سنرحل .. ونودع .. ونفارق .. عاجلاً أم آجلاً .. فإن كنت باكياً فابكِ على نفسك .. وما كنت قد فرطت به في جنب الله .. قبل أن يبكيك الآخرون إن وجد من يبكيك .. نسأل الله العفو والعافية!

* * * * *

93- كلماتنا كالغراس ..!

كلماتنا كالغراس .. لا بد من إروائها وتعهدها بالرعاية والخدمة .. لكي تعطي ثمارها .. وتظهر آثارها .. على أحسن وأفضل وجه ..!

وإرواء الكلمات لا يكون بالماء .. ولا الهواء .. ولا التمني .. ولا بالتنميق ولا بالزخارف وإنما يكون بالدماء .. والآلام .. وقيح الجراح .. والهجرة والفراق .. والصبر على البلاء .. وتبعات الطريق .. من المهد إلى اللحد!

تُروَى الكلمات .. وتظهر آثارها .. ويمتد زمن القبول لها عندما يصدقها العمل .. وتُترجم ـ بصدق وإخلاص ـ إلى واقع مشاهد وملموس ..!

فكما أن الغراس الجميلة العطشى .. تظل ذابلة .. منحنية الغصون والأطراف .. لا عطاء لها ولا ثمر .. إلى أن تُروى بالماء العذب الطاهر .. كذلك الكلمات .. مهما كانت قوية أو صادقة المعاني .. تظل خامدة .. راقدة .. لا حراك لها ولا أثر .. ضعيفة العطاء .. إلى أن تُروى بالدماء الطاهرة الزكية .. وبالمواقف الصادقة المخلصة التي تُترجم تلك الكلمات إلى واقع يراه الناس .. وينعكس على حياتهم ودينهم بالخير والفائدة!

* * * * *

94- طغيان العلم ..!

اعلم أن للعلم طغيان .. كما أن للغنى وجاه الرياسة طغيان .. فلا يحملنَّك طغيان العلم على الظلم والتعدي .. واحتقار الخلق .. ورد الحق!

ولطغيان العلم علامات:

منها: احتكار الآراء، والأقوال، والأفهام؛ فلا رأي إلا رأيك، ولا قول إلا قولك، ولا فهم إلا فهمك .. وعلى مبدأ فرعون الأول: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾غافر:29.

ومنها: اعتبار قولك صواباً لا يحتمل الخطأ .. وقول غيرك خطأ لا يحتمل الصواب ..!

ومنها: احتقارك للآخرين ـ وبخاصة منهم أقرانك من أهل العلم ـ وازدراؤك بأقوالهم وآرائهم ..!

ومنها: الاستخفاف بعقول الآخرين .. وبأعمالهم .. واجتهاداتهم .. وأنهم ليسوا على شيء!

ومنها: انتفاء التواضع والذلة للمؤمنين ..!

ومنها: سرعة الغضب .. وارتفاع الضغط .. واحمرار الوجه .. عندما يُعقب عليك بقول أو فهم مغاير لقولك أو فهمك .. بغض النظر عن مدى صحة التعقيب من عدمه .. وكأنك فوق التعقيب أو أن يُقال لك أخطأت!

ومنها: أن لا تقبل نصحاً .. ولا توجيهاً .. ولا رأياً .. ولا إرشاداً من أحدٍ .. وكأنك فوق ذلك كله ..!

ومنها: أن تُنصت الناس لقولك .. ولا تَنصت لأقوالهم .. ولا تعيرهم اهتمامك وسمعك!

ومنها: أن تجد في نفسك حرجاً من الرجوع إلى الحق فيما أخطأت فيه ..!

ومنها: الاستمرار في الخطأ .. والتمادي به مع علمك بأنه خطأ .. حتى لا يُقال فلان تراجع .. أو كان على خطأ!

ومنها: الشعور بنشوة الاستعلاء على عباد الله .. وأنك شيء آخر ومختلف .. وكأنك من طينة أخرى غير طينة بني آدم!

ومنها: أن تجعل بينك وبين الناس أبواباً .. تحيل بينك وبينهم ... تحيل بينهم وبين حاجتهم منك!

هذه بعض علامات طغيان العلم .. فأيما علامة تُبتلى بها فاعلم أنك مصاب بلوثة طغيان العلم .. فتجتهد على التخلص منها .. أعاذنا الله وإياك من طغيان العلم ولوثاته .. وكل أنواع الظلم والطغيان!

* * * * *

95- نوع من الجهاد لا نريده ..!

لا نريد الجهاد الذي تكون بواعثه الضجر .. وقلة الصبر على الواقع .. فيحمل صاحبه على استشراف مواطن الهلكة والموت .. ليستريح!

لا نريد الجهاد .. شهوة ساعة .. ليقال فلان جاهد في مكان كذا أو كذا .. فإذا انقضت .. انطفأت جذوة الجهاد في النفس .. وانتهى كل شيء!

لا نريد الجهاد .. الذي يحمل صاحبه على الاستعجال .. وقطف الثمار قبل أوانها .. فمن تعجل شيئاً قبل أوانه عوقب بحرمانه ..!

فأمر الجهاد عظيم .. لا يتقنه إلا الرجل المكّيث ..!

لا نريد الجهاد .. الذي يكون ذريعة للفرار من الواقع الذي يجب أن يُجاهَد .. أو الفرار من تحمل المسؤوليات الشرعية الملقاة على عاتق العباد ..!

لا نريد الجهاد .. الذي لا يُحسن تقدير المصالح من المفاسد .. ولا لما يجب أن يُقدم أو يؤخر .. ولا يُلقي بالاً لعواقب الأمور المعتبرة شرعاً وعقلاً ..!

لا نريد الجهاد .. الذي تنطلق قوافله لساحات القتال قبل أن تستوفي الحد الأدنى من الإعداد .. فتكون لقمة سائغة سهلة للعدو ..!

لا نريد الجهاد .. الذي تسيره رغبات ومصالح الطواغيت الظالمين .. فإذا أذنوا له ـ لغايةٍ في نفوسهم ـ انطلقت قوافله .. وإن لم يأذنوا له أمسكت قوافله وتوقفت ..!

لا نريد الجهاد الذي يميز أهله بين طاغوت وطاغوت .. فيوالون طاغوتاً ويُعادون طاغوتاً ..!

لا نريد الجهاد الذي يستبدل طاغوتاً بطاغوت .. وكفراً بكفرٍ آخر .. ونظاماً فاسدٍ بنظام فاسدٍ آخر ..!

لا نريد الجهاد الذي تنتهي تطلعاته وآماله عند حدود العطاء والاستشهاد .. وليكن بعدها ما يكون .. ومن غير تطلع إلى مراحل التأسيس والبنيان .. وتحقيق الأهداف!

لا نريد الجهاد الذي يقطف ثماره الطواغيت الظالمون .. وكأنه من المفروض علينا أن يكون منا العطاء والفداء .. والاستشهاد .. وعليهم ـ وهم على أريكتهم يتسامرون ويتآمرون ـ جني الثمار .. وفق أهدافهم ومآربهم .. ومخططاتهم الهدامة!

هذا النوع من الجهاد لا نريده .. ولا ندعو إليه .. ولا نؤيده!!

* * * * *

96- المجاهد الثرثار ..!

المجاهد الثرثار .. أعني به ذلك الذي يُكثر من استفتاء أهل العلم عن الجهاد الواجب .. وعن الجهاد الذي لا يُستأذن به الوالدان .. وعبر كل وسيلةٍ .. فيُسمع به القاصي والداني .. والعدو قبل الصديق ..!

ويراجع أبويه في كل ما يسمعه من أهل العلم .. ويُطيل في جدالهما .. وأنه لا حق لهما في أن يمنعاه من الجهاد .. وأنه ماضٍ إلى ساحات القتال لا يُثنيه أحد .. فيرهقهما حزناً وخوفاً عليه .. وربما كان سبباً في هلاكهما .. وكأنه يريد قتلهما قبل أن يقتل أعداء الملة والدين!

ثم لا هو يُجاهد .. ولا هو ينطلق للجهاد .. ولا هو يعمل بفتوى أهل العلم .. ولا هو يكون قد رحم والديه ..!!

وهذا خلق سيئ أُعيذ إخواني أن يتخلقوا به ..!

* * * * *

97- السَّهلُ .. والصَّعبُ!

الهدمُ سهلٌ .. الكلُّ يُتقنه .. والبناءُ صعبٌ لا يستشرفه إلا المهرة القادرون .. والمربون المخلصون!

سهلٌ أن تحبطَ عملك .. وتُبطلَه .. ولو كان قدَّ الجبال .. ولربما لا يُكلفك ذلك سوى كلمة .. أو قليلاً من المنِّ والأذى .. ولكن الصعبَ أن تعيد بناءَه من جديد!

سهلٌ أن تُفسد في الأرض .. وأن تحمل النفس على الفساد والإفساد .. ولكن الصعب أن تُصلح ما يُفسده المفسدون!

سهلٌ أن تشتم، وتلعن، وتسخر، وتتهكم .. فهذه لغةٌ الكلُّ يتقنها .. وهي لغة المفلسين .. أمّا أن تحمل النفس على العفة، والأدب، والرقي في الخطاب .. هو الصعب الذي لا يُتقنه إلا الأدباء!

سهلٌ أن تقولَ هذا خطأ .. وفلان أخطأ .. ولكن الصعبَ أن تأتي بالصحيح .. وبالبرهان الذي يُقنع الآخرين بأن الصحيح الذي أتيت به هو الصحيح!

سهلٌ أن تقول عن شيءٍ هذا لا ينفع .. أو أنه غير جيد .. ولكن الصعبَ أن تأتي بالبديل المقنع والأنفع!

سهلٌ أن تلعنَ الظلامَ .. ألف مرة .. ولكن الصعبَ أن تُشعل شمعة فتُضيء بها الطريق .. ولو مرّة!

سهلٌ أن تقول كان أبي .. ولكن الصعب أن تقول هاأنذا ..!

سهلٌ أن تقرأ الأخبار .. وتقلب صفحاتها .. ولكن الصعبَ أن تصنع الأخبار .. وأن تكون مادتها!

سهلٌ أن تظلمَ الآخرين .. فالكل يُتقن الظلم والاعتداء .. لكن الصعب أن تعدل .. وتنصف الآخرين والحقَّ من نفسك وغيرك ..!

ليس كمال العدل أن تنصف محبيك .. فعادة جميع الناس مع محبيهم العدل .. وإنما كمال العدل أن تنصف شانئيك ومبغضيك .. كما تنصف محبيك!

سهلٌ أن تُنصفَ نفسك من شانئيك .. وتنتقم لها .. ولكن الصعب أن تنصف شانئيك من نفسك .. وتسمح لهم بأن ينتصفوا لأنفسهم منك!

سهلٌ أن ترى عورات الآخرين وعيوبَهم .. لكن الصعب أن ترى عورات نفسك وعيوبها .. وما أكثرها لو دققت النظر!

سهلٌ أن توغر صدور الإخوان .. وتحملها على الحنق والغضب والانتقام .. لكن الصعبَ كل الصعب أن تعمل على إزالة الغيظ والبغضاء من الصدور والقلوب!

سهلٌ أن تُنفِّرَ .. لكن الصعب أن تُبشِّر وتؤلِّف بين النفوس والقلوب على الخير ..!

سهلٌ أن تُفرِّقَ .. ولكن الصعبَ أن توحد وتُألف بين القلوب ..!

سهلٌ أن تخسر إخوانَك وأصدقاءك .. ربما لا يُكلفك ذلك سوى كلمة أو بضع كلماتٍ .. لكن الصعب أن تجد الصديق الوفي الذي تتكئ عليه في الملمات .. وتملُّه ولا يملّك .. ولكي تجد هذا الصديق ربما يُكلفك ذلك سنوات ..!

سهلٌ أن تغضبَ .. ولأتفه الأسباب .. لكن الصعبَ أن تملك نفسكَ عند الغضب .. وتمسكها عن التوسع والإسراف في الانتقام ..!

سهلٌ أن تحملَ النفس على الإفراط والغلو .. أو التفريط والتسيب والجفاء .. فالكل يُتقن هذا أو ذاك .. وما أكثر أنصار الفريقين .. ولكن الصعب أن تحمل نفسك على التوسط والاعتدال من غير جنوحٍ إلى إفراطٍ أو تفريط .. وما أقل أنصار هذا الفريق!

سهلٌ أن تأمر بشيء وتنادي به .. لكن الصعب أن تأتمر وتلتزم هذا الشيء!

سهلٌ أن تستشرف ما لم تُعطَ .. وتزعم ما ليس فيك .. لكن الصعب أن تُثبت أنك أهل لما استشرفت له!

* * * * *

98- ماذا تقولون عني بعد الموت ..!

إلى من أحبَّنا في الله .. أو استفادَ شيئاً مما خطَّه بناني .. إن بلغك خبر وفاتي، لا تقل: كان فلانٌ عالماً .. وعلاّمة .. ومجاهداً .. وبطلاً .. وصدّاعاً بالحق .. لا تقل شيئاً من ذلك .. فإنه لا ينفعني .. فأنا أنهى عن ذلك .. ثم الله تعالى أعلم إن كان فيَّ شيء من ذلك ..!

ولكن قل: كان يحب اللهَ ورسولَه .. ومن والاهما .. ويبغض الطواغيت ومن والاهم .. ولا نزكيه على الله .. اللهم اغفر له .. اللهم اعف عنه .. اللهم ارحمه .. اللهم تجاوز عن سيئاته .. وأدخله ـ برحمتك التي وسعت كلَّ شيء ـ جنَّتك .. ولا تنس في الختام أن تُصلي على النبي المصطفى ﷺ؛ لأن كل دعاءٍ محجوبٌ حتى يُصلى عليه ﷺ.

فإن فعلت ذلك .. فقد وفَّيتَ وكَفيت .. وجزاك الله عني خيراً.

* * * * *

99- مصانع يعلوها الصَّدَأ ..!

لا أعني بالمصانع .. مصانع السيارات أو الطائرات أو غيرها من الأشياء .. وإنما أعني المصانع المعطلة من النساء اللاتي بلغن من العمر عتياً من غير زواج ..!

أعني تلك الفتيات الذابلات اليائسات اللاتي قاربن الثلاثين من عمرهن وهن من غير زواج .. ولا أبناء!

أعني تلك الفتيات اللاتي ضحكت عليهن شياطين الإنس والجن .. وجعلوا الواحدة منهن تسير وراء سراب الشهادات .. والوظيفة .. إلى أن تفقد شبابها .. وبالتالي فرصتها في الزواج الشريف .. وبالتالي فرصتها في أن تكون أماً لأبناء قد يكون منهم من هو كخالد .. أو صلاح الدين .. أو ابن تيمية .. أو الخطّاب .. وما أحوج الأمة إلى أمثال هؤلاء الرجال!

أنت يا أختاه .. وأعني تلك التي بلغت الثلاثين من عمرها من غير زواج .. المفروض فيكِ أن يكون عندك عشرة أبناء .. بإذن الله .. تعديهم للبناء .. والجهاد .. ليأخذوا دورهم الريادي في خدمة الأمة وقيادتها إلى النصر .. وإلى شاطئ السلامة والنجاة!

ما أجمله من منظر .. أن يطوف حولك عشرة من الأبناء .. ينادونكِ أمي .. أمي .. يتسابقون ـ وهم راغبون ـ إلى تقبيل يديك ورجليك .. وخدمتك ورعايتك في الكبر!

لا تزهدي بعطائك المميز والفريد هذا .. فالكل يُعطي ويُقدم للأمة ما يستطيع .. وأنتِ تقدمين الأبناء .. رجال الغد وأمله .. وقادته .. أنعم به من عطاء!

قضت حكمة الله تعالى .. أن تكون محاضن النساء وأرحامهن .. هي المصانع التي تُعد فيها الرجال .. قادة الغد والمستقبل!

قضت حكمة الله تعالى .. أن تكون أمة الإسلام ـ كأمة وسط ـ أمة عطاء، وتضحية، وجهاد .. وهذا من لوازمه أن تستمر أرحام الأمهات بالدفع والعمل ما شاء الله لها أن تعمل .. ليستمر العطاء .. ويستمر الجهاد .. ويستمر البناء!

كم من امرأة مغمورة لا يُؤبه لها .. تلد من يكون ـ كما هو مكتوب في علم الغيب ـ قائداً وموجهاً ومرشداً للأمة .. يحقق الله على يديه من الخير للبلاد والعباد ما لا يعلمه إلا الله!

من هنا جاء الإسلام ليحض الشباب على التزاوج المبكر، وعلى التكاثر والتناسل .. وخص بالثناء من النساء الودود الولود؛ أي كثيرة الولادة والإنجاب ..!

ومن هنا كذلك نجد أعداء الإسلام .. يعملون ـ بنشاط دؤوب ـ بين المسلمين وفي مجتمعاتهم على تأخير سن التزاوج .. وعلى نشر ثقافة منع الحمل والإنجاب .. تحت ذرائع شيطانية خبيثة مرذولة ومردودة .. ما أرادوا من ورائها إلا الشر لأمة الإسلام!

هذه نصيحتي للأخوات المؤمنات .. اللاتي ينشدن المعالي والسؤدد في الدنيا والآخرة .. اللاتي لم يفتهن قطار الزمان بعد .. ولم يعلهن الصدأ والذُّبول ..!

* * * * *

100- عادةٌ سُودانيَّةٌ جميلةٌ.

قدر الله لي منذ سنوات .. أن أصوم شهراً من أشهر رمضان المبارك في السودان .. كنت وحيداً غريباً طريداً ..!

كان ما إن يقترب موعد الإفطار .. إلا ويشتد حنيني إلى موائد الوالدة الحبيبة .. وطعامها الطيب .. واجتماع الأهل والأحبة ..!

لكن كان للأخوة السودانيين عادة جميلة جداً .. خففت عني كثيراً من ذلك الشعور .. فما إن يقترب موعد الإفطار إلا وتجدهم يُخرجون الطعام والشراب إلى أرصفة الطرق .. ليكسبوا حسنة الإفطار الجماعي .. أو إفطار صائم .. أو إطعام عابر سبيل .. وكانوا ما إن يروني إلا ويتسابقون إلى دعوتي: تفضل يا زول .. والله يا زول تتفضل .. وذلك كله من غير معرفة مسبقة بي!

أتذكر ذلك كلما اقترب قدوم رمضان، وأهل علينا هلاله!

إنهم فقراء .. لكنهم كرماء .. ولشدة كرمهم تظنهم أغنياء!

قلت: بمثل هذا التكافل والتعاون .. يُقاومون الفقر والجوع .. وحصار الظالمين!

ولكن أسأل: هل هذه العادة الحسنة الجميلة .. لا تزال موجودة .. أرجو ذلك!

* * * * *

101- مرة ثانية .. أرثي الشيخ حمود الشعيبي رحمه الله ..!

دُعيت من الجهات المختصة .. للمساءلة والمحاسبة، فقالوا لي: نُسبت إليك أمور تُصنفك في خانة الإرهابيين الخطرين ..؟!

ما هي ..؟!

قالوا: منها أنك كتبت رثاءً بالشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي ..!!

قلت: يا سبحان الله .. الشيخ يُغيظهم حياً وميتاً .. وأنت لا تعلم يا أبا بصير .. والله لأرثينّه ثانية .. وثالثة .. وعاشرة ..!

قد حُرمت من رؤية الشيخ ومجالسته .. وخدمته .. فلا أُحرمنّ من أجر إغاظة المجرمين برثاء الشيخ ثانية ..!

وإني لأرجو أن يكون الشيخ ممن يصدق فيهم قوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾.

ثم أنني لو رثيت إسحاق رابين .. أو طاغوتاً من طواغيت الأرض الهالكين .. هل كنت سأصنّف في عداد الإرهابيين ..؟!

أهكذا تُكافِئ الأمةُ علماءها .. أو يريدوننا أن نُكافئهم؟!

أي زمانٍ هذا الذي نحن فيه .. نُمنع فيه حتى من الترحم على علماء الأمة العاملين؟!

ولكن أنَّى .. لأفعلنها مرة ثانية .. وثالثة .. وعاشرة .. رحمك الله ـ يا شيخنا ـ رحمة لا تُبقي لك ذنباً ولا تذر .. وأسكنك الفردوس الأعلى مع الأنبياء، والصديقين، والشهداء .. كما صدعت بالحق .. وأنرت للشباب كثيراً من معالم الحق .. وأغظت المجرمين الكافرين ـ بقولك الحق ـ حيّاً وميتاً .. إنه تعالى سميع قريب مجيب .. وصلى الله على مُحَمَّد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم.

* * * * *

102- جيل الحضانات ..!

الغراس إن لم تتعهدها بالخدمة والرعاية .. منذ غرسها .. أفسدت ثمارها .. وأعطتك ثماراً متعفنة متآكلة .. مشوّهة الطعم والمنظر!

لكل نوع من أنواع الزرع والثمار .. له تربته وبيئته التي تناسبه .. فلو وُضع في غيرها لما أينع ولا أثمر .. ولو أثمر فإنه لا يثمر الثمر المرجو والمراد!

وهكذا الأبناء .. والأطفال .. لهم محاضنهم الخاصة بهم .. والمناسبة لهم .. فلو حُرموا منها .. ووضعوا في محاضن اصطناعية غريبة .. لا همّ لها سوى الكسب المادي .. أخرجنا جيلاً مشوهاً أخلاقياً .. فاقداً لأصوله وثقافته .. سيء المنبت والأعراق ..!

والمحضن الطبيعي لتنشئة الأبناء هو البيت الذي ترعاه أم مؤمنة صالحة .. لا أم مصطنعة تعمل في البيت كخادمة مقابل راتب شهري ..!

المحضن الطبيعي لتنشئة الأجيال على الاستقامة، والتقوى والصلاح .. وعلى مستوى تحمل المسؤوليات التي تنتظر أبناءنا .. هو البيت ـ بالدرجة الأولى ـ الذي يرعاه أبوان مؤمنان صالحان .. يسهران على رعاية وخدمة أبنائهما الرعاية المادية والمعنوية سواء ..!

أقول ذلك: لأنني ألحظ كثيراً من البيوت الإسلامية .. تتبع نمط حياة النصارى في بلاد الغرب شبراً بشبرٍ، وذراعاً بذراع .. حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لوجد من المسلمين والمسلمات ـ وللأسف ـ من يدخل ذلك الجحر .. ويفعل فعلهم!

كثير من النساء المسلمات .. لا يُبالين أن يضعن أطفالهن ـ وهم في سن الرضاعة ـ في محاضن غريبة .. ومشوهة .. سيئة المنبت والتوجه .. مقابل أن يذهبن إلى وظائفهن .. أو شؤونهن الخاصة .. وكأن هناك عمل أجل لهنّ من أطفالهن وأبنائهن ..؟!

يوضع الطفل في تلك المحاضن الآسنة الخبيثة .. منذ الصباح .. لتعود أمه فتأخذه في المساء .. فينبت الطفل ويشب .. وهو لا يعرف أي المربيتين أحق بالطاعة .. والمحبة .. وبوصية النبي ﷺ عندما قال:" أمك .. ثم أمك .. ثم أمك " .. المربية التي يوضع عندها في المحضن منذ الصباح حتى المساء .. أم تلك المربية التي يراها في البيت ساعة قبل النوم ..؟!

موقف شدّني وأحزنني في آنٍ معاً .. لما رأيت تلك المرأة وهي تضع وليدها الصغير ـ الذي لا يتعدى من عمره ثلاث سنوات ـ على باب محضن من تلك المحاضن الآسنة .. الحاضنة تشد الطفل إليها .. والطفل يبكي ويصرخ منادياً أمه .. وكأنه يقول لها: لمن تركتني .. في أي حضن غريب رميتني .. يا أماه! .. بينما الأم وهي غادية لاهية إلى متاعها وشؤونها .. تلوح لوليدها وتقول له: لا تخف يا ماما .. سأعود إليك في المساء ..!

أيتها الأم .. لا تلومي ولدك .. عندما يتنكر لك في الكِبَر .. ولا يعرف لك حقاً .. لأنك أنت التي تنكرت له في الصغر ولم تعرفي له حقاً .. والبادئ أظلم!

فهو من زرعك .. وإهمالك .. والمرء لا يحصد غير ما يزرع!

أيها الأب .. لا تلم ولدك .. لو عصاك في الكِبَر .. ولم يعرف لك حق الطاعة ولا التوقير .. فتذكر حينئذٍ أنك أنت البادئ يوم أهملته .. وأرسلته ـ بإرادتك ـ إلى تلك المحاضن الآسنة الخبيثة .. ليتربى على موائدهم وعاداتهم وثقافاتهم .. بعيداً عن دين وأخلاق من وصفه الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾القلم:4. ﴿إِنَّكَ لَعَلَى هُدىً مُسْتَقِيمٍ﴾الحج:67. والبادئ أظلم!

لا تلمه لو تطاول عليك .. بالشتم والصفع .. والعقوق كله .. فإنه من زرعك وإهمالك .. والمرء يحصد ما يزرع .. وكما تَدين تُدان!

* * * * *

103- خديعة الحفاظ على المكاسب والمصالح!

من عادة الطاغوت أن يسمح لبعض الحركات أو الجماعات أو الدعاة أن يحققوا بعض المكاسب والمصالح الزهيدة .. ويُشغلهم بها الزمن الطويل .. والتي لا تُشكل عليه ولا على نظامه الكافر أي حرج أو خطر!

حتى إذا ما جاء وقت الجد .. وطُرح موضوع مصلحة التوحيد والعقيدة .. أو حصل حديث عن ضرورة الخروج على الطاغوت ونظامه الكافر .. انبرت إليك تلك الحركات أو الجماعات أو أولئك الدعاة ليحدثونك عن ضرورة الحفاظ على المصالح والمكاسب التي حققوها خلال السنوات السالفة .. والتي لا ترقى أن تكون مدرسة أو جمعية خيرية أو مشروعاً اقتصادياً يدر على جيوب أصحابها بعض الأرباح .. منة يمن بها الطاغوت عليهم!

فيجعلون الحفاظ على هذه المصالح والمكاسب الزهيدة عقبة كأداء أمام مصلحة التوحيد بمعناه العام والشامل والتي لا تعلوه ولا توازيه مصلحة .. وأمام أي حركة جادة تريد التغيير وتسعى إليه .. وهذا الذي يريده الطاغوت ويسعى إليه!

* * * * *

104- خمسُ خصالٍ أدركناهنَّ ..!

قال رسول الله ﷺ:" يا معشر المهاجرين ! خمسُ خِصالٍ إذا ابتليتم بهنَّ، وأعوذُ بالله أن تدركوهنَّ: لم تظهر الفاحشةُ في قومٍ قط حتى يعلنوا بها؛ إلا فشا فيهمُ الطاعونُ والأوجاعُ التي لم تكن مضت في أسلافِهم الذين مضوا، ولم يَنقصُوا المكيالَ والميزان؛ إلا أُخذوا بالسِّنين وشِدَّة المؤنَةِ وجورِ السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم؛ إلا مُنعوا القطرَ من السماء، ولولا البهائم لم يُمطروا، ولم يَنقضوا عهد الله وعهد رسوله؛ إلا سلَّط اللهُ عليهم عدواً من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمَّتُهم بكتابِ الله، ويتخيروا فيما أنزل الله؛ إلا جعلَ الله بأسَهم بينَهُم ".

صدق رسول الله ﷺ: ظهرت الفاحشة .. واستعلنوا بها .. فظهرت معها الأوجاع والأمراض التي لم يكن يعرفها سلفنا وأجدادنا من قبل .. كان آخر هذه الأوجاع والأمراض .. مرض الإيدز القاتل الذي لم يجدوا له إلى الساعة دواءً ولا علاجاً!

وأنقص الناس المكيال والميزان ـ وهو كناية عن كل أنواع الغبن والغش والاختلاس ـ فظهر القحط والفقر .. وأمسكت الأرض عطاءها وخيرها .. وساد ظلم سلاطين الجور على العباد والبلاد ..!

وهاهم قد منعوا ـ إلا من رحم الله ـ زكاة مالهم .. فأمسكت السماء قطرها وماءها .. حتى ضج الناس في أكثر الأمصار يستسقون .. وقد فاتهم أن ما نزل بهم من سوء هو بسبب من عند أنفسهم .. وبسبب منعهم للزكاة!

وهاهم ـ على مستوى الحاكم والمحكوم ـ قد نقضوا عهد الله وعهد رسوله .. وغدروا .. ولم يراعوا لحدود وحرمات الله إلّاً ولا ذمة .. فسلط الله عليهم عدواً من غيرهم يغزو حماهم .. وينهب بالقوة بترولهم وأموالهم وثرواتهم!

وهاهو بأس طواغيت الحكم فيما بينهم شديد .. والتنازع والتفرق والتنابذ فيما بينهم وبين شعوبهم أشد .. بسبب أنهم لم يحكموا بكتاب الله .. ولم يلتمسوا الخير والسعادة فيما أنزل الله!

هذا هو الداء وهذه هي أسبابه .. فإن كنتم جادين في رفع البلاء عنكم .. فانتهوا عن أسبابه .. واصطلحوا مع الله .. يُصلح الله أحوالكم ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾الطلاق:4.

* * * * *

105- نسيتم الأندلس ..!

كلما غزا الكافرون داراً للمسلمين نسي المسلمون الدار التي قبلها وكأنها لم تكن من دورهم وبلادهم يوماً من الأيام .. واقتصر اهتمامهم على آخر دار يُغتصَب .. من تلك الديار المنسية والمغتصبة .. الأندلس!

هل نسيتم أن الإسلام بسط نفوذه وحكمه على ربوع الأندلس قرابة ثمانية قرون .. يحكمها بعدل الإسلام وقوة الحق!

هل نسيتم أن لكم في تلك الديار تاريخاً .. ومجداً .. ورحماً .. وأجدادا!

هل نسيتم أن كثيراً من العلماء الذين تعيش الأمة عالة على فقههم واجتهاداتهم وبحوثهم هم من تلك الديار .. أمثال ابن عبد البر القرطبي صاحب التمهيد والاستذكار .. وأبي عبد الله مُحَمَّد الأنصاري القرطبي صاحب التفسير الجامع .. وابن حزم الأندلسي صاحب المحلى .. والأصولي صاحب كتاب الموافقات أبي إسحاق الشاطبي الغرناطي .. وغيرهم الكثير من العلماء!

هل نسيتم الحق الذي لكم في تلك الديار .. وحق تلك الديار عليكم!

هل نسيتم أن تلك الديار الأندلسية أمانة في أعناقنا .. كلفت أجدادنا الدماء وآلافاً من الشهداء .. سنُسأل عنها يوم القيامة!

هل نسيتم أن الجهاد يتعين بلا خلاف إذا اعتدي على شبر واحدٍ من أرض الإسلام .. فكيف إذا كان هذا الشبر الضائع المعتدى عليه هو بلاد الأندلس كلها ..!!

كم يؤلمني عندما يقوم كثير من الباحثين والكتاب بإحصاء الديار والبلاد الإسلامية المغتصبة والمعتدى عليها ثم هم لا يذكرون الأندلس .. وكأنها لم تكن يوماً من الأيام داراً للإسلام وبلاداً للمسلمين .. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

* * * * *

106- لا تستحقون عمراً ولا علياً!

بين الفينة والأخرى أصدم بأخلاق الناس .. وبما هم عليه من سوء شديد في الخلق والطبائع والدين، فأقول: هؤلاء لا يستحقون حاكماً كعمر وعلي رضي الله تعالى عنهما ..!

كيف ينشدون حاكماً يحكمهم بالعدل كعمر أو علي وهم على هذا المستوى المخيف من الأخلاق المتردية في أوحال الفجور، والكذب، والفسوق ..!

ما هؤلاء الطواغيت الظالمين الذين يحكمونهم بالجور إلا سيئة من سيئاتهم .. وثمرة من ثمار أخلاقهم الساقطة!

من سنن الله تعالى في خَلقه أنه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾الرعد:11. فلا يغير حالهم من النعمة إلى النقمة حتى يغيروا ما بأنفسهم من الالتزام بالحق والخلق الحميد إلى السقوط في حمأة رذائل الأخلاق .. كما لا يغير حالهم من الشقاء والحياة الضنك إلى النعيم والهناء إلا إذا غيروا ما بأنفسهم من سوء الخلق إلى أحسن الأخلاق!

وفي الحديث الضعيف:" كما تكونوا يولى عليكم "؛ فالحديث وإن كان ضعيفاً إلا أنه ينطق بالحكمة .. وتصدِّقه كثير من النصوص الصحيحة!

* * * * *

107- ظلمهم بُشرى خير!

أسمع أحياناً عن ظلم أمريكا وغيرها من الدول الطاغية الظالمة .. وكيف أنها تتمادى في الظلم والقتل والطغيان .. فينتابني حزن من وجه .. واستبشر خيراً من وجه آخر!

أحزن لضحايا الظلم والطغيان الأبرياء .. وما أكثرهم!

وأستبشر خيراً لعلمي أن من سنن الله تعالى في هذا الكون أنه تعالى لا يهلك الأمم والدول إلا وهي متلبسة بالظلم، والتجبر، والطغيان؛ فإذا أراد الله تعالى أن يهلك دولة أو أمة من الأمم أتى بها إلى ساحة الظلم والطغيان والفسوق .. ثم يهلكها ويدمرها وهي ظالمة .. فيكون ظلمها من هذا الوجه بشرى خير على اقتراب أجلها، وأفولها!

اقرؤوا القرآن: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾ .. ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ .. ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ﴾ .. ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ .. ﴿وَكَأَيِّنْ مَنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ .. ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ .. ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ .. ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْراً﴾ وغيرها كثير من الآيات التي تدل على أن الدول والأمم لا تؤخذ وهي قائمة على العدل .. وإنما تؤخذ وهي قائمة على الظلم والفسوق والطغيان!

واقرؤوا التاريخ واسألوه ـ إن شئتم ـ عن طواغيت الأرض الذين عمروا الأرض بالظلم والطغيان كيف كانوا وإلى أي منتهى صاروا .. اسألوا عن قوم عادٍ، وثمود، وقوم لوط، وفرعون وجنده .. وغيرهم من أمم الظلم والطغيان .. كيف كانوا وكيف وأين صاروا!

لذا أقول: عندما يشتد ظلم وطغيان القرى الظالمة فهي بذلك تسير بخطى سريعة جداً نحو هلاكها ودمارها وزوالها .. وهذا لا شك أنه بشرى خيرٍ للمؤمنين الصابرين.

* * * * *

108- الإرهاب الفكري!

الإرهاب المذموم منه ما يكون مادياً، ومنه ما يكون فكرياً ومعنوياً، وهو أسوأ من الأول، وأوسع انتشاراً، وله صور شتى:

منها: إصدار القوانين الجائرة التي تُرهب ذوي الفكر والقلم وتجرمهم، وتمنعهم من الصدع بالحق والحقيقة، وبيان ما يجب عليهم أن يبينوه .. تحت زعم محاربة الإرهاب وتجفيف ينابيعه .. أو الحفاظ على الأمن الوطني أو المصلحة الوطنية .. وغير ذلك من الذرائع الكاذبة!

ومنها: رمي المخالف ـ بغير حق ـ بطائفة من الألقاب والأحكام الجائرة .. ترهبه وتمنعه عن الاجتهاد، والنصح، وبيان ما يراه حقاً وصواباً!

فكم من امرئٍ يواكب أهل الباطل على باطلهم وهو يعلم، حتى لا يُقال عنه: رجعي أو متخلف .. أو إرهابي .. أو غير متحضر .. أو جبان .. أو مخذل .. وغير ذلك من ألقاب الطعن والذم!

ومنها: إرهاب المجتمع وما قد ألفه الناس من عادات وتقاليد ومفاهيم خاطئة .. تصعب مقاومتها .. ترهب ذوي الفكر والإصلاح، وتمنعهم من البيان والتصحيح، والصدع بالحق!

كم من عالم ومصلح يكتم الحق رهبة من الناس والجماهير وما قد ألفوه من عادات وسلوكيات خاطئة حتى لا يُرمى بشين من القول، وفي الحديث:" لا يمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول بحقٍّ إذا علمه أو شهده أو سمعه ".

ومنها: الإرهاب الذي يأتي من جهة التعصب الشديد لمذاهب الرجال وأقوالهم وإضفاء القدسية والعصمة عليها ..!

فكم من حق يُكتم .. وكم من باطل يُنصر أو يُسكت عنه .. ضحية هذا النوع من الإرهاب الخفي .. وتحت عنوان أولئك علماء كبار فمن أنت .. لا أُمَّ لك!

ومنها: إرهاب الدعايات المكثفة التي تُظهر الحق باطلاً والباطل حقاً، والصعلوك رجلاً، والرجل صعلوكاً، والشريف وضيعاً، والوضيع شريفاً!

ومنها: إرهاب تصفيق الجماهير الغفيرة للباطل .. وإعجابهم به!

ومنها: إرهاب الشهرة والسمعة والصيت الذي يُستغل سلاحاً لكبح جماح المخالفين وإرهابهم..!

ومنها: إرهاب سحرة الطاغوت وأحباره ورهبانه .. فهم عصاه التي يتكئ عليها .. ويسوس بها الناس .. ويهشم رؤوسهم وعقولهم وتفكيرهم!

فهذه بعض صور الإرهاب الفكري .. وما أكثر العاملين بها .. ومع ذلك قلة هم الذين يتنبهون لها ويعدونها من الإرهاب .. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

* * * * *

109- صَدَقَةٌ مُتقبَّلة!

سُميت غزوة تبوك بغزوة العسرة للعسر الشديد الذي ألم بالمسلمين يومئذٍ: عسر في الزاد، وعسر في الظهر، وعسر في الماء؛ حيث القحط والقيظ الشديد!

وكم هو مؤلم للنفس المؤمنة الصادقة أن يهم النبي ﷺ بالمسير للغزو والجهاد ثم لا يجد المرء ما يتقوى به على الصُّحبة والغزو والجهاد مع النبي ﷺ ..؟!

قام عُلْبة بن زيد في جوف الليل فصلى من ليلته ما شاء الله، ثم بكى، وقال:"اللهم إنك قد أمرت بالجهاد، ورغَّبت فيه، ثم لم تجعل عندي ما أتقوى به مع رسول الله ﷺ، ولم تجعل في يد رسولك ما يحملني عليه، وإني أتصدّق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني فيها مال أو جسد أو عِرض .. اللهم إنه ليس عندي ما أتصدق به، اللهم إني أتصدق بعرضي على من ناله من خلقك"!

فلما أصبح مع الناس، فقال رسول الله ﷺ:" أين المتصدق هذه الليلة ؟!" فلم يقم أحد، ثم قال ﷺ:" أين المتصدق .. فليقم!" فعرف أنه هو المعني .. فقام إليه فأخبر النبي ﷺ .. فقال رسول الله ﷺ:"أبشر فوالذي نفسي بيده لقد قُبلت منك صدقتك، وكُتبت في الزكاة المتقبلة "!

أنعم بها من صدقة مباركة .. ما أحوجنا في هذا الزمان ـ الذي شُحنت فيه الأنفس بالحقد والضغائن، وحب الانتقام والانتصاف للنفس ـ إلى هذا النوع من الصدقات.

* * * * *

110- الرِّفقُ والشِّدَّةُ.

الرفق مطلوب لذاته ولغيره؛ مطلوب لذاته لأن الله تعالى رفيق يُحب الرفق، ومطلوب لغيره لأن الرفق تُحمد عواقبه ونتائجه، وهو لا يأتي إلا بخير.

قال ﷺ:" إن الله رفيق يُحب الرفق، ويُعطي عليه مالا يُعطي على العنف ". " إن الله رفيق يُحب الرفقَ في الأمر كُلِّه ". " من يُحرَم الرفق يُحرَم الخير ".

أما الشدة فهي مطلوبة لغيرها لا لذاتها؛ وذلك عندما تستحيل الدروب على الرفق وتُغلق أمامه النوافذ والطرق، وتُصبح الحقوق والحرمات مهددة بالضياع والاعتداء .. فحينئذٍ تُطلَب الشدة بالقدر الذي يوقف الخطر ويُزيل المكروه من غير إسراف ولا تجاوز.

قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾الفتح:29. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾التوبة:123. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾التوبة:73. فالشدة والغلظة في هذه المواضع محمودة ومطلوبة إذْ لا يندفع الشر والأذى إلا بها ..!

الرفق أصل ومنهج .. والشدة استثناء يُستدعَى عند الطوارئ وحصول المكروه!

الرفق له مواطنه، والشدة لها مواطنها .. والشر كل الشر عندما نُعمل الرفق في مواطن الشدة، أو الشدة في مواطن الرفق!

وهل هلك الخوارج الغلاة، والمرجئة الجُفاة إلا بسبب ذلك!

* * * * *

111- رَحِمَ اللهُ الوالد.

صبيحة يوم الخميس، في الأول من شهر صفر، لسنة 1424 من هجرة النبي المصطفى ﷺ، هاتفني مهاتف ليُخبرني: أن والدي قد توفاه الله ..!

فراح ذهني مباشرة إلى ما قبل أكثر من ثلاثةٍ وعشرين عاماً ليستحضر تلك الأيام الخالية التي كنت فيها بجوار الوالد أراه ويراني، أسمع منه ويسمع مني .. حيث من ذلك التاريخ وإلى ساعة وفاته ـ بسبب ظلم الطاغوت ـ لم يرني ولم أره، ولم يسمع مني شيئاً ولم أسمع منه!

توفي الوالد ـ رحمه الله ـ عن عمر يُقارب الثمانين عاماً .. وكان من مناه ـ طيلة هذه الفترة من الغياب القصري ـ أن يسمع صوتي عبر الهاتف ولو لمرة واحدة .. يطمئن فيها عن حال ولده .. وما حال بينه وبين رغبته هذه إلا الخوف من أشاوس الظلم والطغيان من أجهزة مخابرات النظام البعثي الطائفي الطاغي الحاكم في سورية أن يُسائلوه ويُعرضوه لصنوف من الشتم والإهانات .. وهو الشيخ الكبير الذي لا يتحمل شيئاً من ذلك!!

ربما لو هاتفني الوالد ـ ولو لمرة واحدة ـ قد تتهاوى عروش الطواغيت الظالمين .. وينهار النظام الحاكم .. لذا كان لا بد للأشاوس من رجال أمن الطاغوت أن يتجسسوا على عورات الناس ومكالماتهم، ويُحيلوا بين الآباء وبين الحديث ـ ولو لمجرد السلام ـ مع أبنائهم!

ليت هذا الظلم كان مقصوراً علي وعلى عائلتي لهان الخطب وخف المصاب .. فمثل والدي في المجتمع السوري آلاف الآباء ـ خوفاً ورعباً من جلادي النظام البعثي الطائفي ـ يُمسكون عن الاتصال بأبنائهم الذين هجَّرهم كفر وظلم وطغيان النظام وحزبه .. ومثلي في بلاد المهجر آلاف من الأبناء ـ الذين ربما أصبحوا آباءً وأجداداً ـ يمسكون عن الاتصال بآبائهم وعائلاتهم رحمة بهم، وخوفاً عليهم من انتقام الجلادين!

إنها مشكلة المجتمع السوري بكامله؛ فما يكاد بيت من بيوت سورية المبتلاة بطغمة البعث وحكمه إلا ومنه شهيد أو سجين أو طريد .. وهي مشكلة قائمة إلى الساعة .. ألا لعنة الله على الظالمين.

اللهم إن كنت تعلم أن والدي قد حُرم من رؤية ولده والسماع منه لأكثر من عقدين إيماناً بك، وابتغاء مرضاتك .. وكفراً بالطاغوت وحزبه .. فاغفر له، وارحمه، واعفُ عنه، وتجاوز عن سيئاته كلها، واجعل قبره روضة من رياض الجنة .. إنك أنت البرُّ الغفور الرحيم.

وصلى الله على مُحَمَّد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * * * *

112- متى يكونُ العالِمُ صغيراً ؟!

أتدرون متى يكون العالِمُ صغيراً .. مهما اتسع صيته، وكَبُر سِنُّه، وكَثُرَت شهادات تحصيله؟!

يكون العالِمُ صَغيراً في حُجته .. صغيراً في مكانته ودوره .. صغيراً في اهتماماته وتطلعاته .. صغيراً في نفوسِ وأعين الناس .. صغيراً عند ربه .. عندما يُجادل عن الباطل .. ويُسخِّر علمه في إحقاقِ باطلٍ وإبطالِ حقٍّ!

يكون العالِمُ صغيراً .. عندما يرضى أن يجندَ علمَه للذود عن الطواغيت الظالمين!

يكون العالِمُ صغيراً .. عندما يجعل الغاية من علمه أن يقتاتَ لقمة العيش، ولو كانت من تلك الفُتات الذي يُرمَى من على موائد الطواغيت الظالمين!

يكون العالِمُ صغيراً .. عندما يستشرف أبواب ومجالس سلاطين الكفر والجور .. يلتمس منهم المنَّ والعطاء!

يكون العالِمُ صغيراً .. عندما يرضى أن يكون تلك الأداة التي يتكئ عليها الطاغوتُ في الملَمَّات .. ويُعبِّد بها الناسَ لنفسِه، والدخولِ في طاعته .. وحزبِه!

يكون العالِمُ صغيراً .. عندما يهنؤ بطيب العيش .. بينما دينه .. وأمته .. وإخوانه .. تُنتَهك حرماتهم صباح مساء!

يكون العالِمُ صغيراً .. عندما يقوده الناسُ وفق أهوائهم .. بدلاً من أن يقودَهم وفق أوامر ربهم!

يكون العالِمُ صغيراً .. عندما يكون مَبْلَغ همِّه كيف يُرضي الناس .. ولو كان ذلك بسخط رب الناس!

يكون العالِمُ صغيراً .. عندما يكتم الحقَّ في مواطن الحاجة لمعرفة الحق!

هذا العالِمُ ـ بصفاته الآنفة الذكر ـ مهما اتسع صيتُه .. وانتشر اسمُه .. وكثُرَت ألقابُه ومناصبُه .. وتجمهر الغوغاءُ حولَه .. فهو صغيرٌ حقير .. وغُبار الذُّلِّ يعلو وجهه!

* * * * *

113- أحسَنُ الحَسَن.

حسَنٌ أن تنتصف لنفسك .. والأحسن منه أن تعفو وتصفح، وتدفع بالتي هي أحسَن.

حسَنٌ أن تعفو وأنت ضعيف لا تقدر على الانتصاف .. والأحسَنَ منه أن تعفو وأنت قوي قادر على الانتصاف.

حسَنٌ أن تكون عابداً لله .. والأحسَنُ منه أن تكون عابداً لله تعالى وداعياً إليه .. والأحسن من هذا وذاك أن تكون عابداً لله تعالى، داعياً إليه، ومجاهداً في سبيله، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾فصلت:33.

حسَنٌ أن تتصدق وأنت غني شاكر .. والأحسنُ منه أن تتصدق وأنت فقير صابر.

حسَنٌ أن تهزمَ مخالفك المبطل في النقاش .. والأحسَنُ منه أن يكون نقاشُك معه سبب هداية ورشادٍ له ولغيره.

حسَنٌ أن تتعلم العلمَ لتكون عالماً .. والأحسَنُ منه أن تتعلم العلم لتعمل به.

حسَنٌ أن تغزو العباد من الأعداء .. والأحسَنُ منه أن تغزوَ قلوبهم، وتستحوذ عليها بالحق عسى أن تكون سبب هداية لهم.

حسَنٌ أن تُقاتل بسيفك وقلمك .. والأحسنُ منه أن تُقاتل بحسن أخلاقك.

حسَنٌ أن تدعو إلى الله بلسانك .. والأحسنُ منه أن تدعو إلى الله بعملك وحسن أخلاقك.

حسَنٌ أن توقف زحف الداء وتمنع من انتشاره .. والأحسنُ منه أن تستأصلَه.

حسَنٌ أن تُحب لأخيك ما تُحبُّ لنفسك .. والأحسنُ منه أن تحب له من الخير أكثر مما تحبه لنفسك، كما قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾الحشر:9.

حسَنٌ أن تسمع لأقوال الآخرين، أو أن تقف عليها .. والأحسن منه أن تُوَفَّقَ لاتباع أحسنها.

حسَنٌ أن تعترفَ بخطئك إن أخطأت .. والأحسَنُ منه أن تُقلعَ عنه ولا تعود إليه ثانية.

حسَنٌ أن تُنصفَ الآخرين بعضهم من بعض .. والأحسَنُ منه أن تُنصفَهم من نفسك إن كنت خصمَهم يوماً من الأيام.

* * * * *

114- جهادٌ من المهدِ إلى اللحدِ!

لا نقول جهاداً حتى النصر .. أو التحرير .. بل هو جهاد متواصل من المهد إلى اللحد!

لا يُوجد في الإسلام سِنٌّ يتقاعد فيه المرء عن الجهاد .. بل هو جهادٌ متواصل من المهد إلى اللحد!

لا يوجد في الإسلام جهاد نزوة أو طفرة أو استجابة لحماسة عابرة ثم تنطفئ .. بل هو جهادٌ متواصل من المهد إلى اللحد!

لا يوجد في الإسلام جهادُ جولة أو جولتين مع الباطل وأهله .. ثم يعقب ذلك راحة ونوم، وركون للدنيا ومتاعها .. بل هو جهاد متواصل من المهد إلى اللحد!

الجهاد في الإسلام لا يقبل الوقوف في منتصف الطريق .. أو حتى قبل آخره بقليل .. تحت أي ذريعة كانت .. فطريق الجهاد طويل ومتماسك .. أوله مرتبط بآخره .. ووسائله مرتبطة بغاياته .. لا يقبل أنصاف الحلول ولا أرباعها .. وهو يمتد من المهد إلى اللحد!

الجهاد في الإسلام ليس مرحلة ينقضي بانقضائها .. ولا حلاً يلبي حاجة ظرف معين ينقضي بانقضائه .. بل هو منهج حياة .. مستمر ومتواصل تُربى عليه الأجيال من المهد إلى اللحد .. ومن غير كللٍ ولا ملَل!

ما دام في الأرض باطل يمكر ويخطط، ويحارب ويُقاتِل .. لا بد للحق وأهله ـ إن أرادوا الحياة .. وأن يعود لهذا الدين مجده وعزه ـ من يقظة متواصلة .. وعمل جاد دؤوب .. وجهاد متواصل من المهد إلى اللحد!

البيع قد تم .. والله تعالى قد اشترى .. والعقد هو الجهاد .. والثمن هو الجنة .. والجهاد الذي اشتراه الله جهاداً كاملاً لا نقصان فيه ولا انقطاع .. وهو جهاد متواصل من المهد إلى اللحد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾التوبة:111.

* * * * *

115- لا يجتمعُ في قلبِ امرئٍ ولاآن ..!

لا يجتمع في قلب امرئٍ ولاآن: ولاء لله .. وولاء للطاغوت وجنده .. فإن وجود أحدهما يلزم انتفاء الآخر ولا بد!

كلما مال القلب نحو موالاة الطاغوت وجنده كلما ابتعد عن موالاة الله وأوليائه .. وبقدر موالاته للطاغوت وحزبه والركون إليه تكون مجافاته وبعده عن موالاة الله تعالى وموالاة أوليائه.

وما ازداد عبدٌ من الطاغوت قرباً إلا ازداد من الله تعالى بعداً .. وما ازداد عبد من الطاغوت بعداً إلا ازداد من الله تعالى قرباً .. هذه قاعدة مطردة لا يُمكن أن تتخلف، دل عليها النقل والعقل، والحِسُّ المعايش.

ولقد تأملت حال الكذابين فما وجدت أكذب ممن يزعم حب الله وأوليائه، وحب الطاغوت وأوليائه في آنٍ معاً!!

من يزعم حب التوحيد .. ثم هو يُقاتل أهلَه وأولياءه!

من يزعم حب التوحيد .. ثم هو ينصر الطواغيت على جند التوحيد وأوليائه .. وهؤلاء يأتون بالشيء وضده في آنٍ معاً .. وهذا لا يستقيم نقلاً ولا عقلاً .. قال تعالى:[أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاء]؛ هذا غير ممكن الوقوع والحصول، ولو حصل يخرجون مباشرة من صفة ومسمى [عِبَادِي]، ويدخلون في زمرة [إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً]الكهف:102.

* * * * *

116- بمَ تُعرف الدولة بأنها إسلامية ..؟

يُحكم على الدولة بأنها إسلامية عندما تتصف بصفتين:

أولاً: عندما تخضع لسلطان الإسلام وأحكامه؛ فتُحْكَم بالإسلام وحدَه في جميع علاقاتها وشؤونها الداخلية والخارجية.

ثانياً: عندما تَعقد الولاء والبراء، والحقوق والواجبات على أساس الانتماء لعقيدة الإسلام، وليس لشيء آخر غير عقيدة الإسلام.

فأيما دولة تتصف بهاتين الصفتين فهي دولة إسلامية، وأيما دولة لا تتصف بهاتين الصفتين فهي دولة غير إسلامية ـ وإن كان أهلها مسلمين ـ مهما زعمت بأنها إسلامية، أو قامت ببعض الأعمال الإسلامية: كطباعة المصاحف، وبناء المساجد، وغيرها من الأعمال الخيرية ..!

* * * * *

117- دلالاتُ وفِقهُ حديثٍ.

قال رسول الله ﷺ:" مثَلُ ما بعثني اللهُ به من الهُدى والعِلم كمثَلِ الغيثِ الكثير أصابَ أرضاً، فكان منها نقيةٌ قبِلَت الماءَ فأنبتت الكلأَ والعُشبَ الكثيرَ، وكانت منها أجادِبُ أمسكتِ الماءَ فنفعَ اللهُ بها الناسَ فشرِبوا وسقَوا وزرعوا ورعَوا، وأصابت منها طائفةً أخرى إنما هي قِيعانٌ لا تُمسِكُ ماءً ولا تُنبتُ كلأً؛ فذلك مثل من فَقِه في دين الله ونفعهُ ما بعثني اللهُ به فعلِمَ وعلَّمَ، ومثلُ من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هُدى اللهِ الذي أرسِلتُ به " متفق عليه.

دل هذا الحديث العظيم على معانٍ وفوائد عدة:

منها: تشابه الهُدى الذي بُعث به النبي ﷺ والغيث الكثير من حيث أن كلاً منهما فيه حياة وروح للأرض وما يدب عليها؛ فكما أن الأرض لا حياة لها ولا روح إلا بالماء .. إلا بالغيث الكثير الذي ينهمر عليها ـ بإذن ربها ـ من السماء فيُحيي الأرض بعد موتها، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾. وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾. وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾. كذلك فهي لا حياة لها ولا روح إلا بالهُدى والعلم والغيث الذي أنزله اللهُ على نبيه مُحَمَّد ﷺ، وبتقبلها لهذا العلم والنور، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْأِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً﴾. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾. وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفَاءٌ﴾. فسمى القرآن المنزل روحاً ونوراً ورحمة وشفاءً للمؤمنين.

ومنها: تشابه انتفاع الأرض ومن عليها من الغيثين: غيث المطر، وغيث التنزيل؛ فكما أن الأرض ليس كلها ينتفع من الماء المنزل، حيث منها الأرض النقية الطيبة، ومنها الأجادب، ومنها القيعان .. وليست كل هذه البقع على حدٍّ سواء في الاستفادة والإفادة، وفي القبول والعطاء، وكذلك الحال مع غيث التنزيل فليس كل من على الأرض يستفيد منه ويفيد بقدر متساوٍ، حيث يوجد المؤمن الموحد الصالح، والعاصي الموحد، والمنافق، والكافر الجاحد .. وهؤلاء لا يستوون في درجة الانتفاع من التنزيل ولا في درجة العطاء ونفع الآخرين به.

فليس من سلمت حواس التلقي والفهم والفقه عنده كمن تتعطل عنده وظائف تلك الحواس، كما قال تعالى عن الكافرين المجرمين: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾.

ومنها: أن مثل الأرض النقية الطيبة التي قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير مثل العلماء العاملين الذين قبلوا الهدى والعلم النبوي فاستفادوا وأفادوا غيرهم.

هم ورثة الأنبياء في العلم والعمل، والجهاد، والصدع بالحق .. الذين وافق اعتقادُهم قولَهم، واعتقادُهم وقولُهم فعالَهم.

وهؤلاء هم المعنيين من قوله ﷺ:" فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، وإن الله وملائكته، وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جُحرها، وحتى الحوتَ، ليصلون على معلمي الناسِ الخير ".

ومنها: أن مثل الأرض الجدباء ـ وهي الأرض الصلبة التي لا ينضب منها الماء، ولا تنبت كلأً، ولكنها تحفظ الماء ـ مثل العلماء الحفاظ الذين نفعوا غيرهم بما أوتوا من العلم لكن هم لم ينتفعوا منه، فقالوا وما فعلوا، وأمروا ونهوا وما أتمروا وانتهوا عما أمروا به ونهوا ..!

فكما أن الأرض الجدباء لا تستفيد من الماء وبالتالي فلا تنبت كلأً ولا عشباً .. ولكنها تجمعه وتحفظه إلى أن يأتي من يأخذه فيستفيد منه فيشرب ويسقي ويزرع ويرعى .. كذلك الحافظ للعلم؛ فهو لم يستفد في نفسه مما تعلمه ولكنه أفاد غيره، وغيره استفاد مما حفظه وجمعه من العلم فأخذه منه.

وهؤلاء هم المعنيين من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾.

ومن قوله ﷺ:" يُجاء برجلٍ فيُطرحُ في النار، فيَطحن فيها كما يَطحن الحمارُ برحاه، فيطيفُ به أهل النار، فيقولون: أي فلان، ألستَ كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟! فيقول: إني كنتُ آمرُ بالمعروف ولا أفعلُه، وأنهى عن المنكر وأفعله ".

وقوله ﷺ:" مررتُ ليلةَ أسري بي بأقوامٍ تُقرض شفاههُم بمقاريض من نارٍ، قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: خطباءُ أمتك الذين يقولون مالا يفعلون ".

وقوله ﷺ:" مثل الذي يُعلم الناس الخيرَ وينسى نفسَهُ مثَلُ الفتيلة تُضيء على الناس وتحرقُ نفسها ".

ومنها: أن مثل القيعان من الأرض ـ وهي الأرض الملساء التي لا ينضب منها الماء، ولا تُمسكه، ولا تنبت كلأً ـ مثل المنافقين والكفرة المجرمين الذين أعرضوا عن الرسالة، وجحدوا ما أنزل الله تعالى على نبيه، فلم ينتفعوا في أنفسهم، ولم ينفعوا غيرهم، وهؤلاء هم المعنيين من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾.

ومنها: بيان علاقة الظاهر بالباطن، وأثر وتأثير كل منهما على الآخر؛ فكما أن الأرض النقية الطيبة التي تقبل الماء وتتشربه إلى باطنها فإنها تعطي وتُظهر على سطحها الكلأ والعشب، والثمار بأنواعها، وتكسي سطح الأرض خضاراً وجمالاً .. كذلك الإنسان الذي يقبل الهدى وما أنزل الله على نبيه، ويعتقده ويؤمن به فإنه لا محالة ستظهر آثار هذا الإيمان والاعتقاد خيراً على ظاهره وجوارحه .. فينتفع في نفسه وينفع غيره كما قال ﷺ: " فعَلِمَ وعلَّمَ ".

يظهر ذلك واضحاً كذلك في مثل الأرض الجدباء والقيعان من الأرض؛ فكما أن الأرض الجدباء لا ينضب منها الماء ولا تتشربه إلى باطنها وبالتالي فهي لا تنبت كلأ ولا عشباً .. ولا تُظهر على سطحها شيئاً من ذلك .. كذلك الحافظ للعلم الذي لم يرتوي قلبه وباطنه مما تعلمه من العلم فإنه ـ رغم انتفاع الآخرين منه ـ لا ينتفع من علمه في نفسه، كما لا تظهر آثار هذا العلم على جوارحه وأعماله الظاهرة .. وأخلاقه .. والأشد منه سوءاً من كان مثله مثل القيعان من الأرض كما تقدم.

فالعلاقة بين الظاهر والباطل وأثر وتأثير كل منهما على الآخر .. هي علاقة متلازمة ومتبادلة دلت عليها الأدلة النقلية والعقلية .. وليس كما يقول أهل التجهم والإرجاء حيث يفترضون إمكانية اجتماع باطنٍ مؤمن مع ظاهر كافر، من دون أن ينافي وجود أحدهما الآخر!!

* * * * *

118- التَّقوى.

التقوى أن تلوذ بالله من الله؛ تلوذ بطاعته من معصيته، وبرضاه من سخطه وغضبه، وبرحمته وعفوه من عذابه وانتقامه.

ولقد تأملت أنواع الأدواء كلها فوجدت دواءها وعلاجها في دواء جامعٍ لجميع الأدوية؛ ألا وهو التقوى، كما قال تعالى:[وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً]. وقال تعالى:[وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ

وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً]. وقال تعالى:[وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ]. وقال تعالى:[وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً].

فمن داهمه داء أو بلاء .. فليعالجه بالتقوى.

ومن داهمه كرب أو همٌّ .. فليدفعه بالتقوى.

ومن أراد شيئاً فاستعصى عليه .. فليقدم بين يديه بالتقوى .. ثم لينظر كيف يُصبح عليه سهلاً.

ومن أراد دوام العافية والخير عليه .. فعليه بالتقوى.

وإني لأعجب من أناس يشكون أنواعاً من الأدواء والمصائب .. ثم هم لا يُعالجونها بالتقوى .. يجربون كل دواء وكل علاج إلا دواء وعلاج التقوى!!

* * * * *

119- خُطباءُ الجُمَعَةِ!

المأمولُ في خطبة الجمعة أن ترقى بالحضور إلى مستوى الإسلام .. إلى مستوى غاياته ومقاصده .. إلى مستوى هموم الأمة وقضاياها الهامة والمصيرية .. إلى مستوى الأحداث والخطوب التي تتهدد الأمة .. ويشعر الخطيب بهذا الارتقاء!

خُطبة الجمعة أمانة عظيمة سيُسأل عنها صاحبها .. هل أعد لها عدتها .. هل هو كفء لها أم أنه بصعوده على المنبر يتشبع بما لم يُعط وما ليس فيه .. حمله عليه حب الظهور المبكر؟!

قد سمعت لكثير من الخطباء .. وكثير منهم .. تقول: لو سكت ونزل عن المنبر .. ليته يصمت .. فإن صمته خير للناس من كلامه ..!

بل في كثير من الأحيان ـ لشدة تخبط وانحراف الخطيب وجرأته على الباطل ـ أجدني أدعو الله عليه بأن يقطع لسانه .. وأقول: ليته سكت!!

في كل يوم جمعة يبكر الناس للصلاة .. بعد أن يكونوا قد اغتسلوا وتطيبوا .. ونظفوا آذانهم جيداً .. يقصدون الصفوف الأمامية استعداداً للاستماع إلى فارسهم .. ماذا سيقول .. وما الجديد الذي سيتحفهم به؟! وإذ يُفاجَؤون بخطيب يُثني على الطواغيت الظالمين وعلى قيادتهم الحكيمة للبلاد والعباد، ويتملق لهم .. أو خطيب يكرر أموراً لا تُناسب مقام شعيرة الجمعة .. ولا كثافة ونوعية الحضور .. أو خطيب يتكلم ساعة؛ كنشرة أخبار ـ يُمل مسامع العباد ـ لا تعرف عما يتكلم وماذا يريد .. أو خطيب يخوض في مسائل يُخطئ فيها أكثر مما يُصيب .. أو خطيب يصعد المنبر لا ليفيد، وإنما ليُسقط الواجب عن الحضور ..!

لا أزال أذكر مقولة أحد الملحدين الشيوعيين في بلاد الشام عندما قال: لو كنا نملك المنابر التي يملكها المسلمون .. والناس يأتوننا كما يأتون المساجد كل جمعة ليسمعوا من خطيبهم .. لجعلنا البلاد كلها شيوعية .. ولأصبح الناس كلهم شيوعيين!

نعم، نعترف بأن خطباء الجمعة في هذا الزمان ـ إلا من رحم الله ـ جزء من ظاهرة الفساد والتخلف والأمراض التي تعاني منها الأمة .. والتي تستدعي العلاج المبكر!

* * * * *

120- عندما يكونُ الحكمُ لغيرِ الله!

عندما يكونُ الحكمُ لغيرِ اللهِ .. تحكم شريعة الغاب .. شريعة الجاهلية .. شريعة الهوى .. شريعة الأقوياء التي لا تعرف للضعيف حقاً ولا وجوداً!

عندما يكون الحكم لغير الله .. يسود الظلم .. وتُنتهك الحرمات .. وتضيع الحقوق .. وتضطرب الموازين!

عندما يكون الحكم لغير الله .. تسود عبادة العبيد للعبيد .. ويدخل العبيد في دين وحكم العبيد .. ويتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله!

عندما يكون الحكم لغير الله .. يغيب ميزان العدل المطلق المتفق عليه بين العقلاء .. الذي به توزن الأشياء، وتُعرف حقيقتها .. وصالحها من طالحها!

عندما يكون الحكم لغير الله .. تكون الفتنة الكبرى .. ويكون الكفر والجحود .. ويكون الشرك .. ويكون الفساد والانحلال!

عندما يكون الحكم لغير الله .. تكون البشرية عرضة للهلاك والدمار والزوال!

لذا عندما يكون الحكم لغير الله .. يتعين الجهاد .. ويطيب الاستشهاد .. إلى أن يكون الحكم كله لله وحده، كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾الأنفال:39.

* * * * *

121- نعم أنا وهَّابيٌّ!

رغم نفوري من المسميات المحدثة التي تفرق المسلمين ولا توحدهم .. إلا أني أعلنها صريحة واضحة ـ من غير تعصب ولا تحزب ـ بأني وهابيّ .. وممن يشرفهم حُبُّ الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ وحُبُّ دعوته.

إذا كانت الوهابية تعني الدعوة إلى التوحيد .. والعقيدة الصحيحة .. ونبذ الشرك والبراءة منه ومن أهله .. كما كانت دعوة الشيخ .. نعم أنا وهَّابيّ!

إذا كانت الوهابية تعني الدعوة إلى الكتاب والسنة .. والتمسك بغرس وهدي وفهم السلف الصالح .. ونبذ التعصب المذهبي .. كما كانت دعوة الشيخ .. نعم أنا وهابيّ!

إذا كانت الوهابية تعني التمسك بالسنة الثابتة الصحيحة .. ونبذ البدع والخرافات .. كما كانت دعوة الشيخ .. نعم أنا وهابيّ!

إذا كانت الوهابية تعني جهاد الطواغيت الظالمين .. وجهاد الشرك والمشركين .. كما كانت دعوة الشيخ .. نعم أنا وهابيّ!

إذا كانت الوهابية تعني الوسطية .. من غير جنوحٍ إلى غلوٍّ ولا إرجاء .. كما كانت دعوة الشيخ .. نعم أنا وهابيّ!

لقد تأملت حال الناقمين الحاقدين على الشيخ ودعوته، فوجدتهم إما كافراً .. أو شيعياً رافضياً .. أو صوفياً مغالياً .. أو مبتدعاً ضالاً .. أو جاهلاً يكرر ما يسمع من دون أن يعلم شيئاً عن الشيخ وعن دعوته .. وهذا طابور خبيث .. خاب وخسر من رضي لنفسه أن يقف فيه .. أو أن يكون من عداد أهله .. أو أن يكثر سوادهم في شيء!

ماذا ينقمون من الشيخ .. وما أكثر الناقمين في هذا الزمان .. فنحن منذ زمن نسمع من الأصناف التي ذُكرت أعلاه .. الشتم والتشهير والطعن .. بالشيخ ودعوته ـ حتى مضت كلمة وهابي ووهابية مسبة وانتقاصاً في عرف كثير من الناس! ـ من دون أن يأتوا ببرهانٍ صغير ثابت يبرر لهم كل هذا الظلم والطعن والشتم .. والحقد؟!

هاهي آثار الشيخ ومؤلفاته بين أيدينا .. سهلة المنال لمن يريدها .. كلها تنطق بالحق .. وتدعو إلى الحق .. وتأمر بالحق .. آتونا بنقيصةٍ واحدة معتبرة ـ إن كنتم صادقين ـ أُخذت على الشيخ .. وعلى دعوته .. تبرر لكم هذا الحقد والطعن والتشهير؟!

فإن لم تجدوا .. ولن تجدوا .. علمنا أن الذي حملكم على النقمة من الشيخ ودعوته .. هو ما كان عليه من حق لا يرضيكم ولا يرضي طواغيتكم وشياطينكم!

فإن قيل: انظر إلى ظلم وأخطاء بعض من ينتسبون للشيخ ودعوته في هذا الزمان ..؟!

أقول: ما يُضير الشيخ ودعوته إذا وجد في زماننا ـ بزعم الانتساب إليه وإلى دعوته ـ من يسيء للشيخ ولدعوته .. فهم يُسيئون لأنفسهم لا لغيرهم .. فالمرء لا يجوز أن يُسأل أو يُحاسَب بجريرة غيره .. ولو جاز ذلك لما سلم رجل على وجه الأرض من المحاسبة والمؤاخذة؟!

* * * * *

122- أمثال شائعة تحكم الناس ..!

من الأمثال الشائعة الخاطئة التي شكلت ثقافة متخلفة وسلبية .. وأخلاقاً ردية .. تحكم كثيراً من الناس، قولهم:" امشي الحائط الحائط، وقل يا رب الستر "؛ يريدون به اعتزال واقع الأمة .. وترك الظالمين وظلمهم .. طلباً للسلامة!

وقولهم:"للحائط آذان"؛ يريدون به الإمساك عن الصدع بالحق لفشو الجواسيس والمخبرين الذين يتجسسون على الناس لصالح الطواغيت الظالمين ..!

وقولهم:"حط راسك بين الرؤوس وقل يا قطاع الرؤوس"؛ ويريدون به أن لا تعترض على ظلم الطواغيت .. وأن تتحمل الظلم مادام هذا الظلم يجري على الجميع .. وأن لا تتميز عنهم باعتراض أو بيان للحق .. فحكمك حكم الآخرين .. من عامة الناس .. وإن أدى ذلك إلى قطع عنقك!

وقولهم:"العين ما بتواجه مخرز"؛ ويريدون به الاستسلام والاستكانة لإرادة وقوة الطواغيت الظالمين، وأن مقاومتهم غير مجدية ولا ممكنة .. كما أن مواجهة العين للمخرز أو الإبرة غير ممكنة .. وبالتالي لا بد من الرضا بالأمر الواقع والاستسلام له!

وقولهم:"يلي ما بيجي معك تعال معو"؛ يريدون به متابعة المخالف على خطئه وظلمه لحسم الخلاف ..!

وقولهم:"كل مين على دينه الله يعينه"؛ يريدون به إبطال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. والتعايش مع الباطل وأهله .. والاعتراف بشرعية المذاهب والاتجاهات الباطلة الكافرة .. ومن دون أن يتعرض أحد لها بالإنكار أو التغيير!

إضافة إلى أن هذا المثل يتضمن الطلب والدعاء من الله تعالى بأن يعين الكافرين والظالمين على كفرهم وظلمهم .. وكأن الله تعالى يحب الكفر والظلم ويرضاهما .. ومثل ذلك مثل من يدعو الله بأن ينصر الشرك وأهله .. وهذا من الكفر بالله ﷻ!

وقولهم:"محل ما بترزق إلصَق"؛ يريدون به أن المرء يجب عليه أن يدور حيث يجد الرزق؛ فأينما يجد الرزق وُجد .. بغض النظر عن الطريقة التي يُطلب بها الرزق .. وما يترتب عليها من مزالق ومخالفات .. أو ولاء وبراء!

وقولهم:"بوس الكلب من تمو لتاخذ غرضك منو"؛ يريدون به التذلل والخضوع لمن تكون حاجتك عنده إلى أن تحصل عليها منه ..!

وقولهم:"الشعرة من (...) خنزير مكسب"؛ يريدون به أن لا تتردد في تحصيل المال مهما قل .. ومن أي جهة كانت .. ومهما كانت التبعات أو المذلة .. حتى لو كانت هذه الجهة " مؤخرة خنزير "!

وغيرها من الأمثال الرائجة على ألسنة كثير من الناس التي شكلت عندهم ثقافة متخلفة .. جعلت منهم أناساً متخلفين انتهازيين، أنانيين، جبناء، وسلبيين في كل شيء .. وهذا الذي يريده الطواغيت الظالمون!

والمشكلة أنك لو حاورت أو جادلت واحداً من هؤلاء الناس تراه يستدل في جداله بهذه الأمثال وكأنه يستدل بدليل شرعي يلزمك به الحجة .. فهو لو قال لك مثلاً:"الشعرة من (...) خنزير مكسب" أو "العين ما بتواجه مخرز" ، فهذا يكفي عنده كدليل لإقناعك وإسكاتك .. وإلزامك الحجة!!

* * * * *

123- منظمة المؤتمر الإسلامي!

إن سألتم عن منظمة المؤتمر الإسلامي فأقول: هي منظمة من حيث المنشأ والغاية أنشئت بموافقة ومباركة أمريكا ودول الغرب .. كمتنفس للشعوب المغلوبة والمقهورة، وكبديل عن المطالبة بإعادة الخلافة الإسلامية الجامعة الراشدة .. كما أنشأوا من قبل الجامعة العربية كبديل عن الوحدة العربية التي تنادى بها العرب يوماً من الأيام .. فهي على أمريكا ودول الغرب، ودولة بني يهود أقل ضرراً من أي مشروع وحدوي يقوم مهما كانت طبيعته ونظامه .. وهذا لا يمنع من سير بعض العناصر المخلصة المغفلة في سبيل قيام هذه المنظمة أو تلك!

ومن حيث التمثيل: فهي لا تمثل المسلمين ولا طموحاتهم ورغباتهم .. وإنما تمثل طواغيت ظالمين عُرفوا بتاريخهم القديم والمليء بمحاربة الإسلام والمسلمين ..!

ومن حيث أعضائها: فهم طواغيت الحكم والكفر والظلم والفجور .. تخللهم مؤخراً كما ظهر في مؤتمرهم الأخير في ماليزيا الشيوعي الصليبي " بوتين " رئيس جمهورية روسيا .. والصليبية رئيسة الفلبين .. اللذان يمارسان قمة الفتك والإجرام بحق الإسلام والمسلمين في بلديهما!

يُشارك بوتين الصليبي في المؤتمر بينما يُحرم المسلمون الشيشان من أدنى تمثيل .. وأدنى ذكر .. وهم الذين يُذبحون يومياً على أيدي الجيش الأحمر الصليبي الروسي ..!

في قبولهم لمشاركة بوتين الصليبي في المؤتمر .. من دون أن يُفاتحوه بشطر كلمة واحدة عما يفعله بمسلمي الشيشان .. أرادوا بذلك أن يقولوا له وللعالم: أن قضية المسلمين في الشيشان لا تعنينا في شيء .. وهي قضية روسية داخلية لا يحق لنا أن نتدخل فيها .. وبوتين الصليبي هو الممثل عنهم وعن غيرهم من مسلمي روسيا .. كما صرح بذلك ـ قبل أيام ـ النظام السعودي الذي يزعم زوراً أنه يحكم بالإسلام .. ويذود عن حرمات الإسلام والمسلمين!!

ومن حيث أعمالها وإنجازاتها: فهي لم تفعل شيئاً يُذكر للأمة رغم نكباتها ومآسيها المتتالية والمتعددة: ابتداءً من فلسطين ومآسي المسلمين فيها على مدار أكثر من خمسين عاماً .. مروراً بمآسي المسلمين في أفغانستان، والشيشان، والفلبين، وكشمير، والبوسنة والهرسك، وانتهاء بالعراق .. وغزو الأمريكان للعراق .. لم يقدموا شيئاً .. ولم يفعلوا شيئاً .. سوى اجتمعنا وتفرقنا .. وبعض عبارات الشجب والاستنكار ـ على استحياء ـ التي لا تقدم ولا تؤخر شيئاً .. ومن ثم بيان ختامي يعده لهم أعداء الأمة!

فهي ـ ولله الحمد ـ لا تملك بندقية واحدة تحمي بها مقرراتها فضلاً عن أن تفرضها على الآخرين .. لذا الكل يستهين بها، وبأعضائها .. ودولها!

يَا أسَفَى على هذه الأموال الطائلة التي يُنفقونها على أسفارهم، واجتماعاتهم وموائدهم وبطونهم .. التي تنعش شعوباً ودولاً فقيرة بكاملها لو أنفقت عليها!

فهي منظمة لم تنجز شيئاً لأنها مسلوبة الإرادة .. وإن وجدت فيها الإرادة فهي مرهونة بإرادة أعداء الأمة يتحكمون بها كيفما شاءوا، لا يمضون شيئاً منها إلا ما يصب في خدمتهم وصالحهم، ومخططاتهم!

لذا نقول: فإن عدم وجود هذه المنظمة ـ المسماة زوراً بالإسلامية ـ خير بكثير من وجودها .. على الأقل يكون زوالها حافزاً للمسلمين على البحث عن بديل أفضل منها، والله تعالى أعلم.

* * * * *

124- من كَلبِ الأزهر إلى كلبِ الروم شِيرَاك!

من كلب الأزهر ورئيسه إلى سيدي المعظم كلب الروم شيراك .. تحية تقدير، وتعظيم، وتبجيل، وبعد.

فقد بلغنا ما عزمتم على فعله من نزع الحجاب عن النساء المسلمات في فرنسا .. وحرمانهن من حقهن في أن يرتدين ما يشأن من الثياب ..فامض لما عزمت عليه .. فهذا حقك .. لا حق لأحد أن يثنيك عما عزمت عليه .. أو أن يتدخل فيما يعنيكم ولا يعنينا!

لا نهددك بجيش يؤدبك .. أوله عندك وآخره عندنا .. كما فعل ـ المتهور الإرهابي! ـ معتصم العرب والمسلمين مع جدكم؛ كلب الروم الأول .. لما تجرأت شلة من حاشيته على أن يعتدوا على امرأة واحدة من نساء المسلمين .. لا نفعل شيئاً من ذلك .. معاذ الله! .. فهذا ليس من أخلاقنا ولا أعرافنا الأصيلة .. وإنما نقول لكم صادقين مخلصين: امض لما عزمت عليه .. ولا تخش أمةً حكامها شِلة من الديوثين المخنثين .. خانوا أمتهم ودينهم وشعوبهم منذ زمن .. لا يهمهم من شؤون الحكم والملك إلا نزواتهم وسلامة عروشهم .. ومصالحهم الشخصية .. وربما سبقوك سبقاً بعيداً في التعدي على حرمات الله وحرمات عباده!

أما الشعوب لا تخشاها .. فهي ـ إلا من رحم الله ـ مهانة مقهورة بين البحث عن الحرية والكرامة ورفع الظلم .. وبين البحث عن لقمة العيش .. لا وقت لهم ولا هِمّة للشعور والتضامن مع أخواتهم وبناتهم المسلمات المعتدى عليهن في أي بلدٍ كنَّ .. فإن لم تصدقني يا سيدي .. يا كلب الروم .. فالق نظرة على الشعوب العربية والإسلامية في أمصارهم وبلدانهم .. هل تجد لهم تظاهراً أو اعتراضاً أو حراكاً على ما فعلت؟!

قننوا القوانين التي تشاءون .. وافعلوا ما بدا لكم .. فما دام الضحية من قوانينكم وأعمالكم هم المسلمين ونساء المسلمين .. فلا حرج عليكم ولا تثريب .. فنحن نعيش في زمان كل شيء له حق .. حتى الحيوانات والدواب .. إلا المسلمين فلا حق لهم .. ولا بواكي!

ليس من العدل ولا الحق أن نعترض عليكم أو أن نتدخل بشؤونكم الداخلية؛ ولو كانت هذه الأمور الداخلية تعني ذبح المسلمين .. والاعتداء على حرماتهم وحقوقهم وأعراضهم ودينهم .. أما أنتم ـ يا سيدي يا كلب الروم المعظم ـ فمن العدل وكامل الحق أن تتدخلوا بشؤوننا الداخلية .. وبالقوانين والأنظمة التي تحكمنا .. وبنمط حياتنا وتفكيرنا .. والمناهج التعليمية التي نربي عليها أبناءنا .. وبما يُسمح لنا أن نمارسه من ديننا وما لا يُسمح .. وأن تغزوا بلادنا .. وأن تنهبوا خيراتنا وثرواتنا بالطريقة التي تشاءون!

ما يحق لكم لا يحق لنا .. وما هو حلال لكم حرام علينا .. فحقنا باطل .. وباطلكم حق .. وعدلنا ظلم .. وظلمكم عدل .. وتحضر .. وحرية .. ورقي!

ودمتم لنا أسياداً ورعاة .. والسلام ..!

خادمكم المطيع .. وكلبكم الوفي .. خائنُ الأُمَّة والدين .. كلب الأزهر!

* * * * *

125- حِزبِيَّةُ المسَاجِد!

من مظاهر التخلف والظلم والتحزب الباطل التي تعيشها الأمة .. والتي نُعايشها في حياتنا اليومية .. وتُعين الناس على الجهل في شؤون دينهم ودنياهم .. حزبيّة المساجد وتصنيفها؛ حيث ما من مسجد ـ إلا ما رحم الله ـ إلا وتراه ينتمي إلى حزب معين أو اتجاه معين أو طائفة معينة، لا يمكن لأحدٍ مهما أُوتي من علم وكان على درجة من الحق والصلاح أن يُمارس أي نشاط نافع أو أن يُعطي المسلمين حتى مجرد موعظة أو نصيحة .. إلا إذا كان ينتمي لذاك الحزب أو الاتجاه أو تلك الطائفة المتسلطة على المسجد .. وكان مَرضياً عنه من أرباب وزعماء ومسؤولي تلك الأحزاب والطوائف والاتجاهات!!

كل حزب بمسجده فَرِحٌ .. يقتاتُ ويصطاد به!

ننكر على الطواغيت الحاكمين ظلمهم وتكميمهم لأفواه الدعاة إلى الله .. وإذ نفاجأ أنه يوجد في كثير من مساجد المسلمين .. طغاة صغار .. يُمارسون نفس الطغيان .. ويتحكمون بإدارة وسياسة المساجد .. فيسمحون لمن شاءوا بالكلام .. ممن يوافق أهواءهم .. وإن كان المتحدث جاهلاً مبطلاً .. ويمنعون من شاءوا من الكلام .. ممن يخالف أهواءهم .. وإن كان عالماً مُحقاً!

كم يحزنني عندما أمرُّ بمسجدٍ من مساجد المسلمين .. يُرى على كثير من رواده ـ بما في ذلك أئمته الذين يؤمُّون المسلمين وهم لهم كارهون ـ الجهل، والهوى، وممارسة البدع والمنكرات .. ثم بسبب حزبية المسجد ..

وحزبية القائمين عليه .. يُمنع أحدنا من النصح .. والتذكير .. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. والدين كله النصيحة، كما في الحديث " الدين النصيحة ".

وهؤلاء الحزبيون .. المتعصبون .. الذين حزَّبوا بيوت الله لأحزابهم وأهوائهم .. وطوائفهم .. لا شك أن لهم نصيباً كبيراً من الوعيد الوارد في قوله تعالى:﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ البقرة:114.

* * * * *

126- ليلةٌ أفضَلُ من ليلةِ القَدْرِ!

ليلةٌ أفضل من ليلة القدر؛ وهي ليلة ظلماء في أرض خوف ورعب يكون المجاهد فيها حارسُ الحرس!

كما في الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" ألا أنبئكم بليلةٍ أفضلَ من ليلة القدرِ؟! حارسُ الحرَسِ؛ في أرضِ خوفٍ لعله أن لا يرجعَ إلى أهلِهِ ".

قد عرفنا الحارس .. فمن هو حارسُ الحرس؟!

حارسُ الحرس: هو الذي يحرس في المواقع المتقدمة والمتاخمة لأرض العدو .. فيكون بهذا الاعتبار حارساً لإخوانه الذين يحرسون المواقع المتأخرة من موقع وأرض العدو .. فمظنة الخوف بالنسبة لهم بعيدة إذا لم تكن مستحيلة .. قياساً لحارس الحرس الذي يحرس " في أرضِ خوفٍ لعله أن لا يرجعَ إلى أهلِهِ " وهذا لا يكون إلا إذا كانت الحراسة في مواقع متقدمة جداً من العدو.

قلت: هذا فيمن يكون حارس الحرس لليلة واحدة .. فكيف بمن يمن الله عليه أن يكون حارسَ الحرس لليالٍ عديدة .. فهذا هنيئاً له ثم هنيئاً!

* * * * *

127- لا بد للأمَّةِ من طَهُور ..!

من سنن الله تعالى في خلقه أن يطهر العبد بنوع من البلاء والعقاب كفارة وطهوراً لما اقترفت يداه من ذنوب ومعاصي.

وهذا الطهور يشمل الجماعات والأمم والشعوب كما يشمل الأفراد .. كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾الأنفال:53. أي أن الله تعالى لا يغير نعمة أنعمها على قوم إلى ضدها من النقمة والسقم والخوف والبلاء حتى يغيروا ما بأنفسهم من خير وصلاح إلى طلاح وشر يستوجب هذا البلاء والانتقام.

وبنو إسرائيل لما عبدوا العجل .. كانت كفارتهم وطهورهم أن اقتلوا أنفسكم؛ فقتل الذين لم يعبدوا العجل الذين عبدوا العجل .. وكان عددهم بالآلاف، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾البقرة:54.

ولما عصى الرماة في موقعة أحد أمر النبي ﷺ .. وبرحوا عن أماكنهم في الجبل .. أصابهم ما أصابهم من القتل والجراح .. طهوراً وكفارة .. وضريبة لما اقترفوه بأيديهم ومن عند أنفسهم .. وأنزل الله تعالى فيهم: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾آل عمران:165. وقيل أن هذا البلاء نزل بهم يوم أحد بسبب قبولهم الفداء يوم بدر!

وقد تأملت واقع أمة الإسلام .. فوجدت كثيراً من الناس قد عبدوا عجولاً وليس عجلاً واحداً .. ووجدت شرائع الكفر والطغيان ـ منذ زمنٍ ـ تحكمهم بدلاً من شرائع الرحمن .. ووجدت شروداً عن الطاعة .. وإسرافاً وانغماساً في الحرام .. والفسوق والعصيان!

فقلت: لا بد للأمة من طهور .. يطهرها من ذنوبها وعصيانها .. وشرودها عن الطاعة لخالقها ﷻ .. وما تقترفه من آثام!

لا بد من ضريبة باهظة تدفعها الأمة من كرائم ما تملك من نفس وعِرضٍ ومال .. نتيجة لهذا الانحراف والعصيان .. والتخلف عن الطاعة، كما قال تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾.

هذا القتل والقتال .. وهذه الحرمات التي تُنتهك .. وهذه الدماء التي تسيل هنا وهناك .. وفي كثير من بقاع الأرض .. والتي بعضها تُسفك بحق .. وبعضها الآخر بغير وجه حق .. والتي تصيب وتشمل أحياناً المذنب والبريء سواء، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾الأنفال:25. أتوقع المزيد منها .. وعلى قدر حجم ونوعية الانحراف والعصيان .. والخروج عن التوحيد والطاعة .. إلى أن تتطهر الأمة من ذنوبها كل ذنوبها .. وتعود إلى رشدها .. وتسترد عافيتها الأولى!

* * * * *

128- دَعِي السِّيَاسَةَ لأربابها ..!

أتتني ابنتي واجمةً .. كئيبةً .. حزينةً .. مشوشة الذهن والأفكار .. تسرد كلامها سرداً، والدي: ليس من حقنا أن ننكر على طواغيت الكفر والظلم كفرهم وظلمهم وطغيانهم .. واستعبادهم للعباد .. هذه فتنة .. وتهور

.. ثم للسياسة أربابها .. هم فقط الذين يتدخلون بشؤون السياسة .. ويُنكرون على الحكام منكرهم .. فدعي السياسة لأربابها .. هذا ما قالته لي اليوم معلمتي!!

وأنا هنا أستأذن ابنتي التلميذة لأحاور على لسانها هذه المعلمة ومَن وراءها من المعلمات والمربيات ممن هن على شاكلتها .. وما أكثرهن في هذا الزمان .. عسى الله تعالى أن يأخذ بأيديهنّ إلى ما فيه الحق والصواب.

ـ قالت التلميذة لمعلمتها: قد عُبدت الطواغيت من دون الله .. وساد الكفر والشرك .. وعمَّ الظلم والفساد .. وشاعت الفواحش والرذائل .. والأمراض .. وخَرُبت الديار .. وانتهكت الحرمات .. والإسلام يُحارب في كثير من الأمصار .. هذا واقع نعايشه .. لا يمكن إنكاره .. ولا يخفى إلا على من أعمى الله بصره وبصيرته!

ـ المعلمة: أوضحي بُنيتي .. ماذا ترمين من وراء كلامك الخطير هذا؟!

ـ التلميذة: أعني ـ قبل أن تغرق السفينة ومَن عليها ـ لا بد من أن نقوم بدورنا وواجبنا الشرعي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. وفي محاسبة الظالمين على ظلمهم .. وأطرهم إلى الحق .. كما أمر الله ورسوله .. وكل منا بحسب طاقته، ومكانه، ومكانته!

ـ المعلمة: وما دخل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. بالطواغيت وعبادتهم .. وخراب الديار وضياعها .. وانتهاك الحرمات .. وأطر الظالمين .. وغير ذلك مما ذكرتِ؟!

ـ التلميذة: معذرة معلمتي .. كيف تفهمين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

ـ المعلمة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. هو أن نأمر بالصوم والصلاة، والحشمة والحجاب، وغير ذلك من فضائل الأعمال، ومحاسن الأخلاق .. وأن نهتم بتربية أنفسنا دينياً وثقافياً .. أما التدخل بشؤون الحكم والسياسة .. وواقع الأمة .. فهذا ليس من شأننا ولا اختصاصنا!

ـ التلميذة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ كما هو في الإسلام ـ أعم من ذلك وأشمل؛ الأمر بالمعروف: هو الأمر بجميع ما أمر به الله ورسوله من العبادات والطاعات الظاهرة والباطنة .. وأعظم ما يدخل في الأمر بالمعروف الأمر بالكفر بالطواغيت الظالمين والبراء منهم، والأمر بالتوحيد بكل أقسامه وتفريعاته، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾النحل:36. وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة:256.

أما النهي عن المنكر: فهو يمتد ليشمل جميع ما نهى الله ورسوله عنه من المنكر العقدي، والمنكر السياسي، والمنكر الاقتصادي، والمنكر الاجتماعي والأخلاقي .. وأوكد ما يدخل في المنكر المنهي عنه الشرك بكل ضروبه وأنواعه، وبخاصة منه عبادة الطواغيت .. واتخاذهم أرباباً ومشرعين من دون الله تعالى.

قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾آل عمران:110. فجاء اسما " المعروف والمنكر " معرفان " بأل " التي تفيد الاستغراق والعموم والشمول؛ أي كل معروف أمر الله به ورسوله، يجب أن تأمروا به، وكل منكر نهى الله ورسوله عنه، يجب أن تنهوا عنه.

ـ المعلمة: ولكن نحن معشر النساء لا نقوى على ذلك .. فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمفهوم الذي ذكرته من خصوصيات الرجال دوننا .. فدعي السياسة لأربابها .. والله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها!

ـ التلميذة: بل نقوى بإذن الله .. فالله تعالى لم يستثن النساء من واجب القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. وكأنك ـ يا معلمتي ـ لم تقرئي قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾التوبة:71. فدخول لام التعريف على المؤمنين والمؤمنات تفيد الاستغراق والعموم؛ أي كل المؤمنين وكل المؤمنات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.

نحن الأم والأخت والبنت .. ونحن من حيث الكم لسنا ـ كما يقولون ـ نصف المجتمع .. بل نحن ـ في كثير من الأمصار ـ ثلثي المجتمع .. والثلث الآخر نربيه بين أيدينا وعلى راحتينا كيفما نشاء .. إن فسدنا فسد المجتمع كله .. وإن صلحنا صلح المجتمع كله .. بإذن الله.

رحم الله النساء الأوائل .. أخرج الطبراني ـ بسند جيد ـ عن يحيى بن أبي سُليم قال:"رأيت سمراء بنت نَهيك ـ وكانت قد أدركت النبي ﷺ ـ عليها درعٌ غليظ، وخمارٌ غليظ، بيدها سوط؛ تؤدب الناس، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر". فأين نحن منهن ..؟!!

طواغيت الحكم والكفر .. يستخدموننا وأجسادنا .. لمآربهم وأهوائهم وسياساتهم الشيطانية الباطلة .. لتثبيت ملكهم وعروشهم، وأنظمتهم الفاسدة الكافرة .. ولتدمير أخلاق شباب الأمة وإلهائهم عن واجباتهم نحو دينهم وأمتهم .. وعن واقعهم وواقع تلك الأنظمة وخيانتها وفسادها .. وقد صدق من قال: ما من طاغوت .. ولا فساد وطغيان إلا ومعه امرأة .. وأيما فساد لا يمكن أن يُسوَّق ويروج إلا إذا كان معه امرأة .. أو قطيع من النساء الكاسدات الفاسدات!

ثم إحدانا ما إن ترتدي الحجاب فقط .. ومن دون أن تفعل شيئاً آخر .. إلا وتقوم لهؤلاء الطواغيت وكلابهم المسعورة قيامتهم ولا تقعد .. ويتصايحون بكل صراحة ووضوح: بحجابك هذا قد أفسدت علينا مخططاتنا الهدامة .. كيف لنا أن نفتن الناس بك .. ونشغلهم عنا وعن مؤامراتنا وخيانتنا .. وأن نصدهم عن دينهم وعن واجباتهم نحو أمتهم وواقعهم .. وأنت ترتدين هذا الحجاب .. لذا لا بد أن تخلعيه!

هكذا ـ يا معلمتي ـ يتعامل هؤلاء الطواغيت معنا نحن معشر النساء .. إماء وسلع رخيصة بين أيديهم .. يتصرفون بنا وفق أهوائهم وشرائعهم كيفما شاءوا .. فكيف بعد كل ذلك تلزميني وغيري من الفتيات والنساء ـ

بزعم أن السياسة ليس من اختصاصنا .. وللسياسة أربابها ـ بأن لا نقول لهؤلاء الطواغيت بكل قوتنا وملء أصواتنا: لا .. وألف لا .. أُفٍّ لكم .. وتُفٍّ عليكم .. نحن أكبر وأعز من أن نكون تلك السلعة الرخيصة أو المطية التي تحققون من خلالها مآربكم وأغراضكم الساقطة التافهة!

كيف تطالبيني وغيري من النساء أن لا نقول لهؤلاء الطواغيت ولعساكرهم وجندهم .. كما أمر الله: ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾الممتحنة:4. أم أن هذا البراء من الطواغيت الظالمين .. والكفر بهم .. يُدرج في خانة العمل السياسي .. وبالتالي فهو مقصور ومحصور على الرجال من دون النساء ..؟!!

إني لأخشى أن يأتي الزمان الذي يقول فيه المرء: أن الرسول ﷺ قد بعث للرجال من دون النساء .. وأن الجنة والنار للرجال من دون النساء .. وأن التكاليف الشرعية مقصورة على الرجال من دون النساء ..!!

مقولة "دعي السياسة لأربابها" إضافة إلى أنها تخالف النقل والعقل .. فهي تعني الحكم على الأمة بالجهل والقصور .. والإعدام والشلل .. وتعني كذلك عزل الأمة عن واقعها .. وما يُحاك ضدها من تآمر وكيد .. وأن تُحرم من أن تقول كلمتها فيما يجري عليها وعلى ترابها من أحداث جسام .. لينوب عنها أفراد قلة لا يتجاوزون أصابع اليد .. في العمل السياسي .. وفي مراقبة ومساءلة ومحاسبة الحكام على أعمالهم ومخالفاتهم .. وجرائمهم .. هذا إذا تجرءوا على الرقابة والمساءلة والمحاسبة ..!

الذي يقول:"دع السياسة لأربابها" كمن يقول: دع الصلاة والصوم والحج لأربابها وأهلها .. لأن السياسة الشرعية عبادة .. والصوم والصلاة عبادة.

النبي ﷺ يقول:" المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، يألمُ المؤمن لما يصيبُ أهل الإيمان، كما يألم الرأسُ لما يصيبُ الجسدَ ".

وقال ﷺ:" ترى المؤمنين في تراحُمهم وتوادِّهم، وتعاطُفِهم، كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً تداعى له سائرُ الجسد بالسهر والحُمَّى ".

وقال ﷺ:" المؤمنون كرجل واحد، إذا اشتكى رأسَهُ اشتكى كلُّه، وإن اشتكى عينَّه اشتكى كلُّه ".

هذه المعاني النبيلة التكافلية العظيمة كيف أحييها في نفسي من دون أن أتدخل في السياسة .. وكيف لي أن أعرف وأهتم بما يحصل لإخواننا المسلمين من ظلم وضيم واضطهاد على أيدي طواغيت الحكم الظالمين وأنظمتهم وعسكرهم .. وفي أمصارهم المختلفة والمتعددة .. ومن دون أن أتدخل في السياسة؟!

منا ـ نحن معشر النساء المسلمات ـ اللاتي يُعتدى على عفتهن وشرفهن .. ومنا اللاتي يُستشهدن تحت الركام والحطام .. ومنا الأرامل .. والأيتام .. ومنا المهجَّرة والمتسولة .. ومنا المحرومة من أن تلقي ولو نظرة واحدة على ولدها أو زوجها أو أخيها المغيب في سجون الطواغيت الظالمين لأكثر من عشرة سنين .. وكل ذلك بفعل

ظلم الطواغيت المجرمين وخذلانهم .. وبعد كل ذلك ـ يا معلمتي ـ تحرّمين علي وعلى غيري من النساء المسلمات ـ بحجة أن السياسة ليست من اختصاصنا .. وللسياسة أربابها ـ بأن لا نقول لهؤلاء الطواغيت الظالمين ولأنظمتهم الفاسدة المجرمة: لا ..؟!!

ـ المعلمة: هوني عليك بُنيتي .. لا داعي لهذا الانفعال .. والتشدد .. هؤلاء الحكام الذين تسمينهم بالطواغيت والظالمين .. هم ولاة أمورنا .. تجب طاعتهم .. وكلامك بنيتي لا يخلو من التهور .. وإثارة الفتن وتأليب الناس ضد ولاة الأمور .. وهذا ليس من ديننا!

ـ التلميذة: أخالفك الرأي والاعتقاد .. فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" ما لم تروا منهم كفراً بواحاً "، وطواغيت الحكم هؤلاء قد رأينا منهم الكفر البواح .. وبصورة جلية واضحة لا ينبغي أن يختلف عليها اثنان من ذوي الفهم والرشد.

رأينا منهم كيف لا يحكمون بما أنزل الله .. وكيف يُحاربون من يُطالبهم بالحكم بما أنزل الله!

ورأينا منهم كيف يبدلون شرع الله تعالى بشرائع الكفر والطغيان ..!

ورأينا منهم كيف يجعلون من أنفسهم أرباباً على شعوبهم فيشرعون، ويحللون ويحرمون ويقننون القوانين والدساتير .. بغير سلطان من الله!

رأينا منهم صنوف الكفر والطغيان كلها .. وما من ناقضة من نواقض الإسلام التي تكلم عنها العلماء وأجمعوا عليها .. إلا وقد أشربوها وتلبسون بها تلبساً بواحاً!

رأينا منهم كيف يُسارعون في موالاة ونصرة أعداء الأمة من الكفرة والمجرمين على الأمة ودينها وأبنائها ..!

رأينا منهم الخذلان .. والهوان .. وصنوف الخيانة والتآمر .. والأقصى الأسير في قبضة الصهاينة اليهود .. منذ عقود عدة .. لهو أكبر شاهد ودليل على ذلك!

رأينا منهم .. صنوف الظلم والاضطهاد والإذلال .. والإرهاب .. الذي يمارسونه بحق الشعوب والمستضعفين ..!

رأينا منهم قمة الاستهانة بمقدرات الأمة وأموالها وخيراتها .. وكيف أنهم ينفقونها على بطونهم وشهواتهم المنهومة والتي لا تشبع ..!

الأمة على رحابة صدرها وصبرها .. فإنها تستغيث منهم ولا مغيث ..!

الأمة تُذبح من الوريد إلى الوريد .. بخذلان وكفر وظلم هؤلاء الطواغيت!

أبعد كل ذلك .. يا معلمتي .. تقولين عنهم بأنهم ولاة أمورنا وتجب طاعتهم .. والله تعالى يقول: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾النساء:141.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" اسمعوا هل سمعتم أنه سيكون بعدي أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولستُ منه، وليس بواردٍ عليَّ الحوض ".

وقال تعالى: ﴿وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً﴾النساء:107. وهذه آية نزلت فيمن يجادل عن الذين يختانون أنفسهم بالسرقة .. فكيف بمن يجادل عن هؤلاء الطواغيت المجرمين .. والخونة المفسدين .. لا شك أنه أولى بالنهي والإمساك عن الجدال.

إنها كلمة .. ستُكتب لكِ يا معلمتي .. فأعدي لها جواباً يوم أن تقفي بين يدي العزيز الجبار ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾الشعراء:88-89.

ـ المعلمة: رغم وجاهة كلامك .. إلا أنه يؤدي إلى الفتنة .. وحصول النزاعات .. ونحن هنا لا نحب أن نتدخل في شؤون الأنظمة والحكام .. وغرضنا وهدفنا أن نثير المواضيع الإيمانية التي من خلالها ندخل ونلتقي في جنة عرضها كعرض السماوات والأرض ..!

ـ التلميذة: بل الفتنة في أن نسكت عن هؤلاء الطواغيت الظالمين .. وعن إجرامهم وظلمهم وفسادهم .. ونعترف بشرعيتهم وشرعية أنظمتهم الكافرة .. واجتناب الفتنة بحق يكون بتعريتهم واعتزالهم، وقتالهم والخروج عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾الأنفال:39. فلا فتنة تعلو فتنة الشرك والاعتراف بأحقية وشرعية الشرك والكفر، والظلم، كما قال تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ أي فتنة الشرك واستعلائه وإقراره أشد من فتنة القتل والقتال.

انظري الضريبة التي تدفعها الأمة ـ وفي كل يوم ـ من دينها، وعِرضها، وكرامتها، وعزتها، وأرضها، وخيراتها .. كم هي باهظة ومكلفة بسبب سكوتها عن طواغيت الحكم هؤلاء وعن أنظمتهم الفاسدة العميلة الخائنة .. فأي فتنة تبكينها وتحذرينها تعلو هذه الفتنة التي نعيشها ونكابدها .. وفي جميع جوانب حياتنا؟!

أما عن اللقاء في جنة عرضها كعرض السماوات والأرض .. الذي تتحدثين عنه .. فإنه لا يتم إلا بعد الكفر بالطواغيت والأنداد .. والبراء منهم، ومن طغيانهم وكفرهم وعبيدهم، وهذا من لوازم وشروط التوحيد، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾البقرة:256. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾النحل:36. أي منهم من هداه الله تعالى إلى عبادته واجتناب الطاغوت والكفر به .. ومنهم من حقت عليه الضلالة باتباع الطاغوت وعدم اجتنابه .. وإني لأعيذك يا معلمتي أن تكوني من الفريق الثاني؛ ممن حقت عليهم الضلالة وأنت لا تدرين!

ـ المعلمة: لا تحملي الأمور مالا تحتمل فأنا ـ يا عزيزتي ـ لست من أتباع الطواغيت .. ولكنني أختلف معكِ .. فمنهجي يبدو غير منهجك ..!

ـ التلميذة: ولكن كم جنى هذا المنهج ـ الذي تتكلمين عنه وتعنينه ـ على الأمة وبخاصة نسائها .. فأورثهن الجهل، والتخلف، والخوف، والسلبية، والذل، والرضا بالدون .. فأنشأن جيلاً مشوه العقيدة، والثقافة، والأخلاق .. جباناً لا يعرف طعم المبادرة والإقدام .. فكان ذلك أثمن هدية تُقدم لطواغيت الحكم الظالمين!

ـ المعلمة: لا تحاولي معي يا عزيزتي .. أرى أن يُغلق هذا النقاش .. فلا جدوى من الحوار معك!

ـ التلميذة: أعترف أنني قد تجرأت عليك كمعلمة لي .. وما حملني على هذه الجرأة سوى الرغبة في النصح وبيان الحق فيما اختلفنا فيه .. ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾يونس:108. ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾هود:88. والحمد لله رب العالمين.

* * * * *

129- الكلمة للقوي ..!

عندما تُغيَّب شريعة السماء؛ شريعة الحق والعدل .. تُصبح الكلمة في الأرض للقوي .. والحكم فيها للقوي .. ولمن يملك أسباب القوة .. بغض النظر عن مدى موافقة حكمه للحق أو الباطل أو موافقته للعدل أو الظلم والطغيان .. كشريعة الغاب تماماً التي يفترس فيها القويُّ الضعيفَ ويحكم فيها القويُّ الضعيفَ .. وفق ما يريد ويهوى .. فيصبح الإنسان كما قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾الفرقان:44.

هذه حقيقة ينطق بها التاريخ القديم منه والمعاصر .. ومن الشواهد المعاصرة الكثيرة على هذه الحقيقة: الدولة الأمريكية التي غرتها قوتها .. وما تملك من أسباب القوة المتطورة .. فكان مثلها في الطغيان مثل قوم عاد من قبل، الذين قال تعالى فيهم: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾فصلت:15.

فحملها ذلك على الظلم والطغيان والعدوان والاستكبار في الأرض بغير حق؛ فالحق ما تراه حقاً وإن كان باطلاً، والباطل ما تراه باطلاً وإن كان حقاً .. وهي تملك الفيتو الذي تجعل من خلاله المُعتدي الغازي الظالم .. الضحية الذي يستحق الدعم والعون والتأييد .. والضحية المُعتدى عليها .. هي الظالمة البادئة التي ينبغي أن تُحارَب وتُحاصر .. وتُمنع عنها أسباب الحياة .. كما هو موقفها من القضية الفلسطينية .. والغزاة الصهاينة اليهود

المحتلين للبلاد .. وغيرها من قضايا ومواطن الصراع في العالم .. والعالَم الضعيف ـ رهبة أو رغبة ـ ليس له إلا أن يسير وفق سياساتها ورغباتها .. ومخططاتها .. ويلتمس رضاها في كل شيء!

لأجل ذلك أمر الإسلام أتباعه بالإعداد والأخذ بجميع أسباب القوة .. ليضع لقوى الباطل والشر حداً لعدوانها وطغيانها .. واستكبارها، كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾الأنفال:60.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الحديد:25. فالله تعالى أنزل الكتاب الذي يقرر الحق المطلق في الأرض، فهو الميزان والعدل، وما سواه فهو الباطل والظلم .. وأنزل معه الحديد فيه بأس شديد ليُحمى الحق الذي في الكتاب من طغيان وعدوان قوى الباطل والشر في الأرض .. فالحق لا تقوم له قائمة ولا دولة بالكتاب من دون الحديد .. ولا بالحديد من دون الكتاب .. وإنما بالكتاب والحديد معاً .. ومهما غفل المسلمون عن هذه الحقيقة .. وعن هذا الترابط والتلازم بين الكتاب والحديد .. فلن تقوم لهم قائمة .. ولن يكتب لهم وجود عزٍ بين الأمم والشعوب!

* * * * *

130- الغايةُ لا تُبرِّرُ الوسيلَةَ ..!

مما هو معلوم من الدين بالضرورة أن الغاية لا تُبرر الوسيلة .. فالوسائل لها حكم المقاصد والغايات من حيث لزوم مشروعيتها وحِلها.

ومما يُشين المرء في دينه وأخلاقه أن يُعرف عنه أنه ممن ينتهج نهج من تكون الغايات عنده تبرر الوسائل!

وأسوأ ما في هذا الأمر أن تُعرف بعض الحركات أو الشخصيات الإسلامية المحسوبة على التيار الإسلامي العام .. أنها تنتهج في سياستها وعلاقتها مع الآخرين مبدأ ونهج الغاية تبرر الوسيلة!

حيث بتنا ـ منذ زمن ـ نرى بعض العاملين في الحقل الدعوي والإسلامي والمحسوبين على بعض الجماعات الإسلامية المعاصرة .. يبررون انحرافاتهم .. وتنازلاتهم عن كثير من ثوابت ومبادئ هذا الدين .. وركونهم إلى الطواغيت الظالمين .. من أجل هدف أو غاية يسعون إليها .. قد تكون أقل شأناً وقيمة مما قد تنازلوا وتخلوا عنه!

فمنهم من يُبتلى بعدوٍ يرى مواجهته .. فهو من أجل ذلك تراه يوالي ويُحالف شياطين الأرض كلهم ـ ربما يكونون أشد كفراً وطغياناً ممن يواجههم من الأعداء ـ ويسكت على كفرهم وباطلهم .. بل ويتمادى في الثناء

عليهم .. ولو سُئل عن ذلك: لأجاب من فوره أن له عدواً ينبغي مواجهته .. ولا بد له من هذه السياسة وهذا النهج!

ومنهم من أجل منصبٍ أو كرسي أعرج الساق .. يمنّ الطاغوت به عليهم .. تراهم يضحون بالثوابت والمبادئ .. والتوحيد .. ويزحفون على العتبات!!

تراهم يقدمون تنازلات لها مساس بالثوابت والعقيدة والتوحيد .. مؤداها إلى تضليل الناس وتشويش عقائدهم .. مقابل مقصد أو هدف .. لا يرقى من حيث الأهمية إلى درجة ما فرطوا به من تلك الثوابت والمبادئ!

الحركة الإسلامية في مرحلة من مراحل وجودها وحركتها نحو أهدافها .. وفي مرحلة من مراحل الضيق والشدة والحاجة .. قد تُخيَّر بين الثبات على المبدأ والعقيدة والتوحيد .. وبين بعض المصالح والمكاسب الدنيوية التي قد تخفف عنها شيئاً من تلك الضائقة والشدة .. ولا بد لها من أن تختار .. والصواب في حين حصول مثل هذه الخيرة .. والذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة .. وسيَر الأنبياء والمرسلين .. أن تختار الحركة أو الجماعة خيار الثبات على المبدأ والعقيدة والتوحيد .. وليس لها سوى ذلك .. وأيما جماعة إسلامية تختار العكس؛ فتقدم المصالح والمكاسب الدنيوية على المبادئ والعقيدة والتوحيد .. فإنها بذلك تخرج مباشرة عن كونها جماعة تعمل من أجل الإسلام وعقيدة الإسلام .. ولتبحث لنفسها عن نسبة أخرى تنتسب إليها غير نسبة الإسلام، والعمل الإسلامي.

كثيرة هي الحركات والجماعات التي تبرر باطلها وتقصيرها باتكائها على ذريعة قديمة حديثة .. لو لم نفعل كذا .. من الوسائل الباطلة .. لما تمكنا من فعل كذا .. من المقاصد والغايات .. كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾المائدة:52. أي يُسارعون في موالاة الكافرين والدخول في حلفهم .. تحت ذريعة الحاجة .. وحتى لا تصيبهم دائرة الاستئصال من قبل أعداء لهم آخرين .. فهم يقولون: لولا دخولنا في موالاتهم وحلفهم .. لما قدرنا على البقاء .. وعلى الاستمرار في الوجود! وهؤلاء ليس لهم ـ في نهجهم هذا ـ سلف معتبر .. ولا دليل من نقل صحيح .. بل هم يستعجلون النصر والعزة .. بالحرام .. وبالركون إلى الظالمين المجرمين .. وبسخط وغضب رب العالمين .. مثلهم مثل من يحمله استبطاء الرزق على أن يطلبه بالحرام والمعصية .. أو يطلب التحصن بالفجور والزنى!

وفات هؤلاء أن النصر من عند الله .. وأن ما عند الله لا يُطلب بمعصيته .. وأن الله تعالى لا ينصر إلا من نصره ووالاه، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾محمد:7.

* * * * *

131- قالوا: لقد أكثرتَ النَّقدَ ..!

قالوا: لقد أكثرت النقدَ .. فهلاّ تركتَ الناسَ وشأنهم؟!

ولهؤلاء أقول: هذا الذي تسمونه نقداً .. قد سماه الشارع نُصحاً .. وديناً .. وديننا كله قائم على النصيحة والتناصح، والتواصي بالحق والصبر، كما في الحديث:" الدين النصيحة ".

هذا الذي تسمونه نقداً .. وقد ضقتم به ذرعاً .. قد سماه الشارع أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر .. الذي به جُعلت أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس .. فخيريتها ومكانتها مرهونة بمدى التزامها بعقيدة ومبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾آل عمران:110.

وما أصاب الأمة مما أصيبت به في هذا الزمان إلا بسبب تقصير بعض أبنائها بما يجب عليهم من النصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر!

هذا الذي سميتموه نقداً .. هو من خصال الغرباء المرضيين .. الذين يصلحون إذا فسد الناس .. ويقفون في وجه التيار الجارف نحو الدمار والهلَكة!

هو من خصال المؤمنين والمؤمنات الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، كما قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾التوبة:71.

ترك النقد .. هو ترك لكل هذه المعاني؛ هو ترك للنصيحة .. وترك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا من أظهر خصال المنافقين والمنافقات، كما قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾التوبة:67.

ترك النقد .. يعني الغش والكذب .. والمسلم أخو المسلم: لا يظلمُه، ولا يخذُله، ولا يكْذِبُه .. ومِن غشه وأكذب الكذب عليه، أن تراه قد ضلَّ سواء السبيل ثم لا تنصحه ولا تُنكر عليه!

ترك النقد .. يعني السكوت على الباطل وعن بيان الحق .. وكاتم الحق ملعون .. وهو شيطان أخرس، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾البقرة:159.

ترك النقد .. يعني السماح لأصحاب النفوس المريضة المنحرفة بأن يُغرقوا السفينة ومن عليها .. فيَهلكوا ونهلك معهم!

ترك النقد .. والنصح والتناصح .. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. يعني التخلق بأخلاق الذين كفروا من بني إسرائيل الذين كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه .. فاستحقوا بذلك اللعنة والطرد من رحمة الله، كما قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾المائدة:78-79.

أبعدَ كل ذلك تنهونني عن النقد .. وتقولون لي: قد أكثرت النقد .. فهلا تركتَ الناسَ وشأنهم؟!

لا .. لن ندع السفينة تغرق بنا وبهم .. بإذن الله.

* * * * *

132- قد ترجَّل المجاهدُ البطل.

مساء يوم السبت في السابع والعشرين من شهر صفر، لسنة ألفٍ وأربعمائة وخمسٍ وعشرين من هجرة النبي المصطفى ﷺ يترجل الفارس البطل الوثَّاب شهيداً ـ بإذن الله ـ بعد مسيرة طويلة عامرة بالجهاد والبذل والعطاء .. ليروي شجرة الجهاد الذبول .. وثرَى فلسطين الجريحة .. بدمه الزكي الطاهر .. وليكون وقوداً جديداً يُلهب الأنفسَ النائمة لهذا الجيل .. والأجيال التي تليه.

نعم؛ إنه الأخ المجاهد، الشيخ عبد العزيز الرنتيسي .. رحمه الله تعالى .. وأسكنه فسيح جناته في العليين مع الأنبياء، والصديقين والشهداء!

هذا الرجل .. أحببناه .. لجهاده وشجاعته، وصلابته في الحق .. وجرأته الظاهرة على أعداء الله!

هذا الرجل .. أحببناه .. لأننا رأينا فيه رجولة المسلم .. في زمنٍ قلَّ فيه الرجال!

هذا الرجل .. أحببناه .. لأننا كنا نرى في عينيه الوثَّابتين .. غيرة على حرمات الله .. وأمَّة الإسلام .. في زمن ماتت فيه الغيرة عند كثير من الرجال!

هذا الرجل .. أحببناه .. لأنه كان على ثغرة عظيمة من ثغور الإسلام .. قلَّ من يكون كفأً لها.

هذا الرجل .. أحببناه .. لأنه صدق في طلب الشهادة .. وسعى لها سعيَها .. فأعطاه الله تعالى ـ إن شاء الله ـ ما أراد وما تمنى .. فهنيئاً له مسعاه وما تمنى.

دمك أبا مُحَمَّد .. لن يضيعَ هدراً .. فهو أمانة ودَين في عنق كل مسلم حرٍّ .. لا بد من القود والقصاص من قاتليك وشانئيك، ولو بعد حين.

دمك أبا مُحَمَّد .. شاهد على خيانة وعمالة وخِسة حكام العرب .. كلاب الحراسة الأوفياء لبني صهيون .. أراح الله أمة الإسلام منهم، ومن شرورهم، وأنظمتهم.

بل لا يُستبعَد أن يكون لطواغيت العرب ـ وبخاصة منهم طاغوت مصر ـ رأي مباشر في مقتل الشهيد ـ بإذن الله ـ لتخلو قيادة غزَّة وإدارتها لمخابراته وعملائه ..!

وإلى آل الشيخ المجاهد وأهله، وأحبابه وإخوانه، وتلامذته من مجاهدي فلسطين: أحسن الله عزاءكم .. وآجركم خيراً على مصابكم .. وأخلفكم خيراً منها .. فلله ما وهب وما أخذ، وإن من شيء عنده إلا بأجل .. ولا نقول إلا ما يُرضي الرب ﷻ .. إن القلب ليحزن، وإن العين لتدمع .. وإنَّا على فراقك يا أبا مُحَمَّد لمحزونون .. أنتم السابقون، ونحن اللاحقون .. غفر الله لنا ولكم .. وإنا لله وإنا إليه راجعون .. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

* * * * *

133- هذا ما أوصاني به شيخنا حمود بن عقلاء الشعيبي.

رسالة بين الأوراق المبعثرة .. عزيزة علي .. يعز عليَّ ضياعها .. كلما وقع طرف عيني عليها ذكرتني بشيخ جليل ـ صدّاع بالحق ـ أحببناه في الله .. وهو شيخنا الحبيب حمود بن عقلاء الشعيبي رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته مع الأنبياء والصديقين والشهداء .. لذا وجدت نفسي مشدوداً لتثبيتها ونشرها .. فهي رسالة على قلة كلماتها إلا أن نفعها لعظيم وكبير لي ولخاصة وعامة المسلمين.

نص الرسالة:"فضيلة الشيخ عبد المنعم مصطفى حليمة .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وصلتنا رسالتكم وصلكم الله بحفظه وطاعته .. ونسأل الله بمنه وكرمه أن يجمع بيننا وبينكم في دار كرامته، وأن يتوفانا على الإسلام .. وقد عرفناكم من خلال بعض كتاباتكم ضد الفكر الإرجائي .. نسأل الله لكم التوفيق والإعانة .. فما زال هذا الفكر ينتشر .. ولا زالت بعض الفئات تدعو له .. وما زال كثير من طلبة العلم لا يعي المراد من دفع هذا الفكر الجديد .. ندعو لكم ونحضكم أن تسيروا في هذا الطريق؛ في صد هذا الفكر المنحرف .. وفقكم الله، وأعانكم، وجعل ما تقومون به في ميزان أعمالكم .. أخوكم حمود بن عقلاء الشعيبي " ا– هـ.

بتاريخ 1422/5/19هـ.

قلت: صدق الشيخ العالم البصير رحمه الله .. فإن الفكر الإرجائي يسير في الأمة مسرى السرطان في الجسد .. لا بد من استئصاله .. وما تلقاه الأمة من مكر وكيد أهل التجهّم والإرجاء لعظيم ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾، وتهدّها هدًّا .. فهم أثبتوا ـ في كل معركة تدور بين الحق والباطل ـ أنهم مع طواغيت الحكم الظالمين على الأمة وأبنائها .. يجادلون عنهم في الباطل والزور .. وكثير منهم ـ استرضاء لطواغيت الحكم في بلادهم وطمعاً بما عندهم من فُتات ـ يقفون مع الغزاة المحتلين لبلاد المسلمين من أعداء الأمة .. ضد المجاهدين .. صفوة الأمة وخِيرتها!

إذا ذُكر جهاد المجاهدين .. طعنوا .. وغمزوا .. واستخفوا وسخروا .. واستنكروا .. وقللوا من شأنه .. وشككوا في شرعيته .. وثبَّطوا .. وبأعلا أصواتهم .. بينما إذا ذُكر ظلم وكفر الطواغيت الظالمين .. وما يمارسونه

بحق الأمة من ظلم وكفر وعدوان .. تأوَّلوا .. وخنسوا .. لا تسمع لهم همساً ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾المنافقون:4.

* * * * *

134- رحم اللهُ أبا الوليد الغامدي.

قالوا لي: قد رثيت فلاناً وفلانا .. فهلاَّ رثيت أبا الوليد الغامدي؟!

قلت: يا سبحان الله .. أومثلي يرثي مثلَه .. فما يُضيره لو لم أرثه .. وما ينفعه لو رثيته .. وهو الذي فارق الديار والأهل والأحبة ـ منذ نعومة أظافره ـ ليلبي نداء الجهاد في سبيل الله حيثما يصدع ويُرفع .. وليترجم بجهاده ودمه عالمية الجهاد .. وعالمية الإسلام .. وأن المسلمين ـ على اختلاف مواقعهم وألوانهم وأجناسهم ولغاتهم ـ لا يمكن إلا أن يكونوا جسداً واحداً إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر، والقلق والحمى!

آلمنا فراقه .. كما آلمنا من قبل فراق أخيه البطل خطَّاب .. رحمهما الله تعالى .. وغفر لهما .. وأسكنهما فسيح جناته مع الأنبياء والصديقين والشهداء ..!

آلمنا فراق الأبطال .. وفراق جهادهم لأعداء الله .. لكنه الطريق .. طريق العزة والمجد .. طريق الظفر بإحدى الحسنيين .. طريق الإسلام .. لا بد له من غِراس .. ولا بد لتلك الغراس من دماء ترويها وتمدها بالحياة .. وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" لا يزال الله يغرسُ في هذا الدين غرساً يستعملهم في طاعته ".

هنيئاً لك أبا عمر جهادك .. وهنيئاً لك هجرتك .. وهنيئاً لك غربتك في الله .. عشت غريباً مطارداً .. ومتَّ ودفنت غريباً .. قال رسول الله ﷺ:" إن الرجل إذا مات بغير مولده، قِيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة ".

وإلى أم الشهيد إن شاء الله .. وأهله وذويه .. لا نعزيكم .. ولكن نهنيكم ونبشركم .. فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته ".

نسأل الله تعالى أن يقبل شهادته .. وأن يقبل شفاعته في أهله وذويه .. وأن يغفر لنا ويرحمنا، وجميع المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات .. وصلى الله على محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم.

* * * * *

135- سجن " أبو غريب " في العراق ..!

بشرتنا خيراً أيها السجن .. فمن قبل أملأك الطاغوت الهالك ظلماً وإجراماً .. فكان ذلك سبباً في زواله وزوال دولته وملكه .. وهاهي اليوم أمريكا راعية الديمقراطية في العالم .. تُملئك ظلماً وعذاباً، وإجراماً، وانتهاكاً

للأعراض والحرمات .. وبصورة لا يمكن أن يتخيلها إنسان سوي .. وإنا لنرجو أن يكون ذلك سبباً في زوالها وزوال طغيانها وملكها .. وما ذلك ببعيد إن شاء الله!

سنَّةُ الله في الظالمين المجرمين الدمار والهلاك .. ولو بعد حين .. فالله تعالى لا يُزيل ولا يدمر دولة ولا أمة وهي قائمة على العدل .. وإنما إذا أراد ﷻ أن يهلك دولة من الدول أخذها ودمرها وهي ظالمة، كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً﴾الكهف:59. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾الإسراء:16. وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾هود:102. وقال تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ﴾الأنبياء:11. وقال تعالى: ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾الحج:45. وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مَنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾الحج:48. هذه سنة لا تتخلف ولا تتبدل!

بشرتنا خيراً أيها السجن .. لما فضحت مآرب الغزاة الأمريكان ومن دخل في حلفهم .. وأنهم ما غزو العراق إلا من أجل إذلال الإنسان المسلم .. والاعتداء عليه وعلى دينه وعِرضه، وماله، وأرضه .. وحرماته كلها .. وأن وعودهم المعسولة .. وديمقراطيتهم الموعودة .. هي كذب في كذب .. وسراب في سراب!

كل هذا الذي مارسوه وفعلوه ولا يزالون يُمارسونه فيك أيها السجن .. ومع ذلك لا يزال من بني قومي من يصدق أمريكا .. ويصدق بديمقراطيتها .. ونزاهتها .. ويجعل منها قبلته الأولى!!

بشرتنا خيراً أيها السجن .. لمَّا فضحت طواغيت الحكم الخونة في بلادنا .. بسكوتهم المريب عما جرى ولا يزال يجري فيك من ظلم وإجرام وانتهاكات للأعراض، والحرمات .. على أيدي أسيادهم الأمريكان!

كيف لهم أن لا يخنسوا .. وكلٌّ من هؤلاء الطواغيت الظالمين عندهم مثلك يا " أبو غريب "، ويفعلون بحق شعوبهم المقهورة والمهانة مثل وأشد مما فُعل فيك ..؟!

" أبو غريب " لك عهد منا أن لا ننساك .. فأنت دخلت في حافرة ذاكرتنا .. وذاكرة أجيالنا القادمة كشاهدٍ عدل ثَبْتٍ على ظلم وطغيان وإجرام الغزاة المعتدين .. ومن دخل في حلفهم ونصرتهم من الطواغيت الظالمين؛ ممن هم من أبناء جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا .. الثأر لك قادم ولو بعد حينٍ بإذن الله.

* * * * *

136- من المدح والترحيب ما يكون شَتماً ..!

وذلك عندما ترى الرجلَ يمدحك ويثني عليك بألقاب الخير .. ويحترمك .. ويتودد لك ويرحب بك .. ثم هو يفعل ذات الشيء وأكثر مع السوقة، والفسقة، وأهل الأهواء، ومن لا زبر له يزبره عما يُشين .. وما أكثر شبه هذا الرجل من المدَّاحين في هذا الزمان!

ليس من الأدب والاحترام .. ولا المروءة والخلق .. أن تسوي بين الشريف والوضيع .. وبين الصالح والطالح .. وبين العالم والجاهل .. وبين التقي والفاسق الفاجر .. وبين السني والبدعي .. وبين المسلم والكافر .. في المدح، والترحيب، والاحترام، والتوقير!

أذكر من ذلك رجلاً دعا الإخوان لزيارته .. فكان كلما دخل أخ .. وقرع بابه قارع .. استقبله بعبارة .. مرحباً بالشيخ الحبيب .. حتى أنه لم يدع "للشيخ الحبيب" معناً ولا طعماً ولا رائحة!!

* * * * *

137- بعد أن شوَّهوا مُصطلَح السَّلفيةَ يُشوِّهون مُصطلَحَ أهلِ السُّنَّة والجماعة!

مرت فترة من الزمن كان لمصطلح ومفهوم " السَّلفية " وهجه وبريقه وجاذبيته، حيث كان يعني عند كثير من الناس ضرورة الرجوع إلى ما كان عليه الرعيل الأول من السلف الصالح من فهم والتزام، ومنهج .. فوضع له بذلك القبول الحسن في الأرض.

فأدرك ذلك دعاة التجهم والإرجاء .. وغيرهم من أهل الأهواء والبدع وذوي النفوس المريضة .. ممن يتصيدون في الماء العكر .. فوجدوا أنفسهم مضطرين ـ لأن يركبوا الموجة .. وحتى يجدوا لبضاعتهم الضالة والمتعفنة الكاسدة رواجاً بين الناس ـ أن ينسبوا أفهامهم، ومناهجهم، وانحرافاتهم وشذوذاتهم .. وأقوالهم .. وكل ما يقومون به من عمل .. إلى السلف .. والسلفية .. والسلفية منهم براء!

فتراهم يؤصلون لبدعهم وضلالاتهم وانحرافاتهم .. وأهوائهم .. ولكن على طريقة السلف .. والمنهج السلفي .. كما يزعمون!

يُجادلون عن الطواغيت الظالمين .. ويدخلون في موالاتهم .. ولكن على طريقة السلف .. والمنهج السلفي .. كما يزعمون!

يثبطون الأمة عن الجهاد .. ويحملونها على خذلان المجاهدين .. ولكن على طريقة السلف .. والمنهج السلفي .. كما يزعمون!

يتعصبون ويتحزبون لبعض الأسماء من الشيوخ المعاصرين .. فيوالون ويُعادون فيهم .. ولكن على طريقة السلف .. والمنهج السلفي .. كما يزعمون!

يكذبون .. ويغشون .. ويداهنون .. ويكتمون الحق .. ولكن على طريقة السلف .. والمنهج السلفي .. كما يزعمون!

إلى أن فقد مصطلح ومفهوم "السلفية" بريقه وجاذبيته .. ودلالته الآنفة الذكر التي بها وضع له القبول الحسن بين الناس .. وأصبح يعني عند كثير من الناس أخطاء القوم الآنفة الذكر!

فأدرك هؤلاء الضالون المنحرفون .. هذا الواقع وهذه النتيجة .. التي كانت بسبب من عند أنفسهم المريضة .. وأخذوا يبحثون عن مصطلح ومفهوم آخر كبديل عن مصطلح السلفية يلقى القبول عند الناس .. لكي يقتاتوا به لأنفسهم وأهوائهم .. وتجمعاتهم .. ولترويج أفكارهم ومناهجهم المنحرفة الضالة الكاسدة بين الناس .. فلم يجدوا لهدفهم الخبيث هذا أفضل من مصطلح ومفهوم " أهل السنة والجماعة " لما يعلمون لهذا المصطلح من قبول حسن عند الناس!

وهاهم اليوم يعيدون الكرَّة ويفعلون ذات الشيء الذي كانوا يفعلونه باسم السلف والسلفية .. كذباً وزوراً .. ولكن هذه المرة باسم آخر .. باسم "أهل السنة والجماعة"!

فما من باطل يؤصلون له .. إلا وتراهم يقولون في نهاية قولهم وزورهم .. وهذا الذي عليه أهل السنة والجماعة .. وأهل السنة والجماعة منهم ومن كذبهم، وزورهم، وضلالاتهم براء كبراءة الذئب من دم يوسف عليه السلام ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً﴾الكهف:5.

لذا تعين تنبيه القراء وتحذيرهم .. وإعلامهم أن عقيدة أهل السنة والجماعة .. وما كانوا عليه من منهج .. وفهم .. واستقامة .. لا يؤخذ من هؤلاء اللصوص الكَذَبة .. المتملقين والمداهنين للطواغيت الظالمين .. وإنما يؤخذ من العلماء الربانيين الذين يلتزمون غرز الرعيل الأول من السلف الصالح .. فهماً ومنهجاً والتزاماً وخُلقاً.

* * * * *

138- قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً.

يتآمرون على الإسلام والمسلمين ... قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً!

يَهزؤون .. ويَسخرون .. من الإسلام والمسلمين ... قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً!

يمكرون مكرَ الليل والنهار .. ويخططون .. ويجتمعون سراً وعلانية .. ويدبرون ... قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً!

يُحاربون ـ عبثاً ـ من غير كَلَلٍ ولا مَلَلٍ .. اللهَ ورسولَه ... قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً!

يُنفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله .. وليطفئوا نورَ الله في الأرض .. وأنَّى ... قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً!

يَقتلون .. ويَسجنون .. ويُطاردون .. أحرارَ الأمة من شباب التوحيد ... قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً!

يَكذبون على الشعوب .. ويُخادعون .. ويَغدرون .. ويُماطلون ... قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً!

يتجسسون على عورات .. وحركات .. وكلمات .. وهمسَات المسلمين ... قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً!

يتمادون في الكفر .. والظلم والطغيان .. والاستعلاء بغير حق ... قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً!

يُسارعون إلى الفسوق والعصيان .. والفساد والفجور .. ومُقارعة المنكرات بكل أصنافها ... قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً!

قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً .. وما أخبار زلزال وطوفان " تسونامي " عن مسامعكم وأبصاركم ببعيد .. لو كنتم تعتبرون!

* * * * *

139- البيئة الفاسدة.

فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قد نهى عن أكل لحم الجَلَّالَةِ وشرب ألبانها، وعن ركوبها إن كانت تُركب كالإبل .. والجلَّالة؛ هي الدابة التي تأكل العذَرَة، وتربو وتنمو على الأوساخ والقاذورات!

وكان إذا أراد أكل الجلاَّلة حبسها ثلاثاً عن القاذورات .. وأطعمها الغذاء النقي الذي يُلائمها .. ليطهر لحمها ويتخلص مما قد نبت عليه من الأوساخ والقاذورات!

قلت: وكذلك الإنسان الذي يعيش في بيئة فاسدة، ويربو على موائد الكفر، والفسوق والعصيان .. فإن قلبه .. وطبائعه .. وأفكاره .. وتصوراته عن الأشياء والأمور .. تفسد وتضطرب .. وتُصاب بالعطب والشلل؛ بحيث تراه يرى الحقَّ باطلاً، والباطلَ حقاً .. والجميلَ قبيحاً، والقبيحَ جميلاً!

وعلاجه .. الهجرة .. وأن يعتزل مواطن وموارد الفساد .. وأن يُمنَع عن قاذورات الأفكار والمفاهيم والتصورات الباطلة .. وأن يعتكف من جديد على موائد القرآن الكريم، وسنة النبي المصطفى ﷺ .. ليتضلع منها الغذاء النقي الطاهر النافع .. عسى أن يتطهر مما قد علق به من درن المعاني والمفاهيم الباطلة .. ويعود إليه عقله، ورشده، ودينه.

* * * * *

140- اثنان لا تستشرهما!

اثنان لا تستشرهما: جبانٌ خوَّار، ومقدام متهور!

فالأول: يجعلك متردداً محتاراً ما حييت أبداً .. فيمنعك من أن تفعل شيئاً نافعاً لدينك، أو لنفسك، أو لأمتك!

والثاني: يوردك موارد الهلكة .. ومن دون أن تكون قد فعلت شيئاً ذا بالٍ لدينك، أو لنفسك، أو لأمتك!

* * * * *

141- استفادوا منَّا ولم نستفِدْ منهم!

ساد المسلمون بالإسلام لما حكموا بالعدل، وأنصفوا الضعيف من القوي، والمحكوم من الحاكم .. فعلم الغرب النصراني سِرَّ قوة المسلمين .. وسر ضعفهم وتخلفهم .. فالتزموا بما التزم به المسلمون من قبل وتخلوا عنه اليوم .. فسادوا وتخلفنا .. فصرنا مكانهم قبل أن يستفيدوا منا، وصاروا بمكاننا بعد أن استفادوا منا .. وقبل أن نغير ما بأنفسنا من العدل والرحمة!

فهل نستفيد منهم .. كما استفادوا منا .. أم أننا سنظل نحكم بالظلم .. والكبر .. ثم نحسب أننا ممن يُحسنون صنعاً؟!

مرة ثانية .. وعاشرة .. نقول: لا نستحق الاستخلاف .. والتمكين .. ولن نسود .. حتى نكون أكثر منهم عدلاً .. ورحمة .. ورعاية للحقوق والحرمات .. هذه سنة الله تعالى في خلقه لا تُحابي أحداً .. فهل أنتم موقنون؟!

* * * * *

142- هذا في زمانهم فكيف في زماننا ..؟!

عن أنس بن مالك ﷺ، قال: ما أعرفُ منكم شيئاً كنت أعهدهُ على عهدِ رسولِ الله ﷺ ليس قولكم لا إله إلا الله! قلنا: بلى يا أبا حمزة؛ الصلاة؟ فقال: قد صليتم حين تغرب الشمس، أفكانت تلك صلاةُ رسول الله ﷺ؟!

قلت: كيف في زماننا .. لو اطلع الصحابي على زماننا ماذا تراه كان يقول؟!

وعن الحسن البصري، قال: لو أنَّ رجلاً أدرك السلف الأول، ثم بُعث اليوم ما عرف من الإسلام شيئاً إلا هذه الصلاة!

قلت: هذا في زمان الحسن البصري .. فكيف لو بُعث في زماننا؟!

وعن ميمون بن مهران، قال: لو أنَّ رجلاً أُنشر فيكم من السلف، ما عرف فيكم غير هذه القبلة؟!

قلت: كيف لو أنشِر في زماننا .. ماذا عساه سيعرف؟!

وعن أم الدرداء قالت: دخل عليَّ أبو الدرداء ﷺ وهو غضبان، فقلت له: ما أغضبك؟ فقال: والله ما أعرف فيهم من أمرِ محمدٍ شيئاً إلا أنهم يُصلون جميعاً!

قلت: هذا في زمن الصحابي أبي الدرداء .. فكيف في زماننا؟!

وعن عيسى بن يونس، عن الأوزاعي، عن حبان بن أبي جبلة، عن أبي الدرداء قال: لو خرج رسول الله ﷺ إليكم اليوم، ما عرف شيئاً مما كان عليه هو وأصحابُه إلا الصلاة!

قال الأوزاعي: فكيف لو كان اليوم؟!

قال عيسى: فكيف لو أدرك الأوزاعي هذا الزمان؟!

قلت: فكيف لو أدرك سلفنا الصالح زماننا هذا ..؟!

صدق ابن المبارك عندما قال: أعلم أن الموتَ اليومَ كرامةٌ لكلِّ مسلمٍ لقي اللهَ على السُّنَّةِ، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فإلى الله نشكو وحشتنا وذهابَ الإخوانِ، وقِلَّةَ الأعوانِ، وظهورَ البدع، وإلى الله نشكو عظيم ما حلَّ بهذه الأمة من ذهابِ العلماء، وأهل السنة، وظهور البدع!

قلت: هذا في زمان ابن المبارَك .. فكيف في زماننا .. الذي يمشي المؤمن السني فيه بين قومه وفي بلده ومسقط رأسه .. بالتقية خشية على نفسه ودينه .. ولا حول ولا قوة إلا بالله؟!

فإلى الله تعالى نشكو وحشتنا وغربتنا .. وضَعفنا .. ونسأله تعالى الثبات على السُّنَّة .. وأن يختم لنا ونحن على السُّنَّة .. إنه تعالى سميع قريب مجيب.

* * * * *

143- لا يغلِبنَّكُم الكفارُ على اسمِ دينكم!

دينكم ـ كما سماه الله ـ اسمه الإسلام .. ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ﴾ .. ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ... فلا يغلبنكم الكفار على تسمية دينكم فيسمونه لكم بالديمقراطية!

الإسلام يعني الاستسلام لخالق الأكوان .. ولحكمه وشرعه .. والدخول في عبادته، وطاعته، وتوحيده .. ظاهراً وباطناً .. بينما الديمقراطية تعني تمرد المخلوق على الخالق .. وعلو أمره وشرعه على أمر وشرع الخالق .. وتعبيد العبيد للعبيد .. ولأهواء العبيد .. فالفرق شاسع بين الإسلام والديمقراطية .. لا وجه تطابق ولا شبه بينهما .. فلا يغلبنكم الكفار على اسم دينكم فيسمونه لكم بغير اسمه؛ فيسمونه لكم بالديمقراطية!

والذي حملنا على هذا القول والتنبيه: هذا الضغط الكبير .. وهذا الإلحاح المستمر الذي لا يعرف الكلل ولا الملَل .. ولا التوقف .. الذي نشهده ونعايشه .. والذي يمارسه دعاة ورعاة الديمقراطية العالمية على الشعوب والأمم وبخاصة منها أمة الإسلام .. ليقبلوا بالديمقراطية كدين ومنهج حياة .. ويتخذوها لأنفسهم وبلدانهم ديناً ومنهجاً .. يتدينون به .. من دون دين الله .. وإلا واجهتهم جميع مفردات المقاطعة والحرب والعداء .. والتهديد، والوعيد!

صدق الله العظيم: ﴿وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾البقرة:217.

ثانياً: لوجود نفر من المنهزمين من بني جلدتنا .. وديننا .. ممن يتكلمون بألسنتنا .. الذين لا يتورعون أن يُلبسوا الديمقراطية ثوب الإسلام .. ويظهروها أنها من الإسلام .. وأن الإسلام منها .. لا تعارض بينهما في شيء .. وبالتالي لا حرج من التعامل مع الديمقراطية كمنهج ودين ونظام .. ومن تبنيها .. واعتقادها .. والدخول فيها .. والدعوة، والتحاكم إليها!

وهؤلاء أشد خطراً من الفريق الأول؛ لأن ضلالهم وترويجهم للباطل يأتي باسم الدين، وباسم الدفاع عن الدين .. والعمل من أجل مصلحة الدين وأهله .. زعموا!

وهؤلاء يجب الحذر والتحذير منهم .. كما يجب التحرر من ضغط وإرهاب وهيمنة الفريق الأول .. فلا نهابه ولا نخشاه ... ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ ﴾.

* * * * *

144- وَقْفَةٌ معَ آيةٍ.

قال تعالى:﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾يونس:59.

من الأصول المتفق عليها بين جميع أهل العلم والعقلاء، والتي دلت عليها نصوص الكتاب والسنة أن جميع ما في هذا الكون من مخلوقات، ورزق ومال فهو ملك لله تعالى وحده .. فهو الخالق لهذا الرزق .. وهو المالك الحقيقي له .. والمتصرف به وفق مشيئته وفضله وعدله ورحمته كيفما يشاء .. يرزق من يشاء، ويُمسك الرزق عمن يشاء .. يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء .. لا يُسأل عما يفعل؛ لأن المال ماله، والرزق رزقه، والملك ملكه .. لا يخرج شيء عن ملكه وسلطانه، كما قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾آل عمران:26. وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً﴾الإسراء:30. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾الزمر:52. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾الذريات:58. وقال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾سبأ:36. وقال تعالى:﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾الشورى:12. وقال تعالى:﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾الأنبياء:23.

ومن تمام ملكه وتصرفه فيما يملك أن يُحل منه ما يشاء لعباده، ويُحرم منه ما يشاء على عباده .. فيقول ﷻ هذا حلال فاتخذوه حلالاً .. وهذا حرام فاجتنبوه .. وهذا حق خالص لله تعالى؛ لأن المال ماله، والملك ملكه، والرزق رزقه .. والعباد عباده .. لا يُشركه أحد في شيء من ذلك.

قال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾الأنعام:57. وقال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾يوسف:40. وقال تعالى: ﴿وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً﴾الكهف:26.

أما الإنسان العبد .. فهو لا يملك شيئاً .. ولا يقدر على أن يخلق شيئاً .. ولا أن يرزق شيئاً .. وهو يعيش على مائدة ورزق الله .. لا غنى له لحظة مهما قل زمنها عن رزق الله .. وبالتالي لا بد له من أن يستأذن الخالق المالك ﷻ فيما يتناول من الرزق وفيما يجتنب .. ولو تعدى فتناول مالا يحق له، أو تصرف فيما يجوز له من الرزق بطريقة لا يؤذن له فيها .. تعرَّض للمساءلة والمحاسبة .. فيما اكتسب ماله وفيما أنفقه؟!

وكذلك لا يحق له أن يحلل أو يحرم شيئاً مما لا يملكه .. ولا سلطان له عليه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ العنكبوت:17.

ولما تجرأ بعض العبيد ـ ممن نفخ الشيطان في أنوفهم ـ على أن يتمردوا على العبودية لله .. ويتشبعوا بما ليس فيهم ولا عندهم .. ويتصرفوا كأنداد وآلهة وطواغيت تُعبد من دون الله .. فقالوا ـ بكل وقاحة ـ للناس: نحن الآلهة .. ما علمنا لكم من آلهة غيرنا .. نحن المشرعون .. نحن الذين نحسِّنُ ونقبح .. نحن الذين نحلل ونحرم، فنقول هذا حلال وهذا حرام .. هذا جائز وهذا ممنوع .. وما على الشعوب إلا طاعتنا واتباعنا والدخول في عبادتنا وديننا .. عندما تجرأ نفرٌ من العبيد على أن يفعلوا ذلك .. نزل قوله تعالى مستنكراً عليهم سوء صنيعهم .. وشدة جرأتهم على التدخل فيما لا يملكون .. ولا يخلقون .. ولا يرزقون، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ يونس:59.

﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ .. فالذي أنزل الرزق ومنَّ به على العباد هو الله تعالى وحده .. فكيف تجعلون ـ من تلقاء أنفسكم وبغير سلطان من الله ـ منه حراماً وحلالاً .. ﴿آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ .. هل استأذنتم الله الرازق الخالق المالك فيما تحللون وتحرمون .. فأذن لكم؟!

فإن لم يحصل هذا ولا ذاك .. فأنتم على الله تفترون وتكذبون!!

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ الأعراف:32. فالذي خلق .. وأخرج .. ورزَق .. هو الله تعالى وحده .. فكيف تحرمون مالا تخلقون ولا تملكون .. ومن دون سلطان وإذن من الله؟!

فهذا مرفوض: نقلاً وعقلاً، وأدباً .. وما أكثر قليلي الأدب .. وأقل الأدب عند كثير من الناس!

* * * * *

145- بيتٌ لا مكتبةَ فيه!

الكتابُ النَّافِعُ أنيسٌ .. وثقافة .. ومتعة .. وتربية .. وتذكير .. وسِعَةُ اطلاع ومعرفة .. وأُفق .. ودليلٌ على دروب الخير لتؤتى .. ودروب الشر لتُفادى وتُجتنَب!

الكتاب النافع يُشغِل صاحبه عن القالِ والقيل .. والغيبة والنميمة .. وسقَطِ القول وسفاسِف الأمور .. وعن كثير من العادات السيئة!

الكتاب النافع خلاصة جهد وفقه العلماء .. وفكر الأصفياء .. وسيرة النبلاء العظماء!

الكتاب النافع يعني كل هذه المعاني .. فعجب لبيت لا مكتبة فيه تحتوي على أمهات الكتب والمراجع في فروع الفقه والعلم والحكمة .. كم أهله محرومون .. وكم هم خاسرون .. ولا أدري كيف يعيشون .. وكيف يقضون أوقاتهم في بيوتهم؟!

رغم سهولة اقتناء الكتاب النافع .. ورغم بساطة ثمنه .. إلا أن كثيراً من المسلمين ـ في هذا الزمن ـ يعزفون عن اقتنائه .. زهداً بقيمته .. وجهلاً بفائدته .. وعطائه ومردوده!

إن دخلتَ بيوتهم تجد كل ما يدل على البذخ والترف والإسراف مما يدخل في عالم الكماليات .. بل ومما لا حاجة له أصلاً .. وقد يكون كلفهم عشرات الآلاف من الدنانير والدراهم .. بينما لا تجد ـ في زوايا البيت ولا في ساحته وداره ـ أثراً لمكتبة صغيرة .. بل ولا كتاب!

وهذا ـ وللأسف ـ من مظاهر الضعف والتخلف والجهل التي تعاني منها الأمة .. فأمة لا تقرأ .. ولا تحب أن تقرأ .. ولا تعرف قيمة للكتاب والقراءة .. لا تلومنَّ إلا نفسها .. لو وجدت نفسها في أواخر الأمم، وفي مقام التبَّع المنقاد المقلِّد ـ لا المتَّبَع ـ للأمم الأخرى!

فإن قيل: ما هو المخرج .. وكيف الحل؟

أقول: أن نربي أبناءنا منذ طفولتهم ونعومة أظافرهم على حب الكتاب، وحب القراءة .. وعلى قيمة الحرص على اقتناء الكتاب .. ويكون الآباء قدوة لأبنائهم في ذلك ما استطاعوا!

* * * * *

146- نحبُّ الوطَنَ .. لكن لا يمكن أن نتخذه إلهاً!

نُحبُّ الوطنَ .. ونحنُّ إليه .. ونذود عنه في سبيل الله؛ لأنه مأوى الحرمات وسياجها .. فالدفاع عنه دين .. وهو من أوكد فروض الأعيان والطاعات التي يُتقرب بها إلى الله .. لكن لا يمكن أن نتخذه إلهاً ومعبوداً من دون ـ أو مع ـ الله!

عندما يكون الوطن غاية الغايات؛ نوالي ونعادي فيه .. ونحب ونبغض فيه .. ونعقد الولاء والبراء .. والحقوق والواجبات فيه .. وعلى أساس الانتماء إليه .. فمن كان من أبناء الوطن، وينتمي لحدوده الجغرافية ـ وإن كان من أطغى وأكفر وأفسد أهل الأرض ـ نواليه .. وله كامل الحقوق والواجبات .. لكونه ينتمي إلى الوطن وحدوده .. وينتسب إلى جنسيته .. بينما من لم يكن من أبناء الوطن .. ولا ينتمي إلى حدوده الجغرافية ـ وإن كان من أتقى وأصلح أهل الأرض ـ نجافيه ونعاديه .. وليس له من الموالاة .. والحقوق ما للأول .. لا لشيء سوى أنه لا ينتمي إلى حدود الوطن، ولا ينتسب إلى جنسيته وجنسية أهله .. فالوطن عندما يكون بهذا المعنى الآنف الذكر كما هو سائد ومعمول به في كثير من الأمصار إن لم يكن جلها .. وكما تنص على ذلك قوانينها ودساتيرها .. فالوطن حينئذٍ ـ بهذا المفهوم ـ يكون وثناً وإلهاً وصنماً كبيراً يُعبد من دون الله ﷻ .. والواقع في عبادته ـ بهذا المفهوم المتقدم الآنف الذكر ـ واقع في الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله .. لأن المحبوب لذاته؛ الذي يُعقد فيه الولاء والبراء .. والحب والبغض .. هو الله تعالى وحده لا شريك له، وهذا من تمام وكمال معاني ألوهيته وربوبيته ﷻ.

فإن عُلم هذا الذي تقدم، أقول: قد تأملت الآلهة والأوثان والأصنام والأنداد التي تُعبد في هذا الزمان من دون الله .. وتُتخَذ نداً مع الله .. فلم أجد وثناً من تلك الأوثان والأصنام يُعبد من دون الله أكثر من عبادة الناس للوطن والوطنية بالمفهوم الوثني المتقدم الآنف الذكر .. فوثن الوطن والوطن الوثن؛ أكثر الأوثان انتشاراً وشيوعة في الأرض .. فالحذر الحذر يا عباد الله .. والصبر الصبر على التوحيد .. عضوا عليه بالنواجذ .. إلى أن تلقوا الله .. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

* * * * *

147- سنَّةُ الله في الظالمين، والطغاة الآثمين.

من سُنن الله تعالى في خلقه أن يأخذ القرى والدول بالهلاك والدمار والزوال وهي قائمة على الظلم والبغي والطغيان .. فالدول والممالك تقوم وتدوم بالعدل، ومع العدل، وتزول بالظلم والطغيان، والبغي .. وهذه سنة ثابتة لا تتبدل ولا تتحول, ولا تُحابي أحداً .. دل عليها منطوق النصوص، وواقع الأمم والدول الغابرة عبر التاريخ كله!

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾يونس:13. أي حينما ظلموا وطغوا وتواطؤا فيما بينهم على الظلم والعدوان نزل بهم أمر الله بالهلاك والدمار والزوال.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً﴾الكهف:59. أي موعداً لمهلكم لا يتخلف ولا يتقدم ولا يتأخر.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾القصص:59. أي إلا وأهلها ظالمون متواطئون فيما بينهم على الظلم وإقرار الظلم ونصرة الظلم؛ فإذا تحقق ذلك فيهم نزل فيهم أمر الله بالهلاك والدمار والزوال!

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾الإسراء:16. ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾؛ أي أمرناهم بالطاعة والاستقامة على العدل والتوحيد .. فأبوا إلا الفسوق والعصيان والظلم والطغيان ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾. وفي قراءة ﴿فأمَّرنا مُتْرَفِيهَا﴾بتشديد الميم المفتوحة؛ أي فجعلنا أمراءها شرار أهلها وظلاّمها وطغاتها .. فحكموا بالفسوق والعصيان والظلم والطغيان، فتابعهم الناس على ذلك وطاوعوهم ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾.

وتاريخ الأمم الطاغية الغابرة كلها تحكي هذه الحقيقة، وهذه السنة من سنن الله تعالى في خلقه، كما قال تعالى عن عاد، وثمود، وفرعون ذي الأوتاد الذي كان يصلب العباد ممن لم يدخلوا في طاعته وعبادته من دون الله على الأوتاد ويشدهم بها شداً يمزق بها أجسادهم، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ . الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ . وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾لفجر:6-14. ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ لما ﴿طَغَوْا فِي الْبِلادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾فصلت:15.

وهاهي أمريكا اليوم .. تقول بكل صراحة ووقاحة واستكبار وعلو في الأرض بغير حق ما قالته عاد من قبل ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾، وجوابنا لهم ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾؟!

* * * * *

148- آيةٌ من آياتِ الله!

تناقلت وسائل الإعلام نبأً مفاده أن بحيرة روسية ضخمة يصطاد فيها الصيادون، وينتفع بها الناس ـ الله أعلم بعمرها ـ قد ابتلعتها الأرض وما حولها من الأشجار فجأة في سويعات الليل، والناس من حولها نيام .. فاستيقظوا فلم يجدوا البحيرة .. وإنما وجدوا قيعان وحفرة ضخمة موحلة يلمع وحلها تحت ضوء أشعة الشمس .. وكان ذلك يوم الخميس 2005/5/19م!

هذه الآية الباهرة رغم وضوحها وظهورها .. إلا أن الناس ـ كعادتهم ـ مروا عليها مر الكرام من غير تأمل ولا تدبر ولا اعتبار .. والأدهى من ذلك أن خبراء القوم ـ الذين لا يؤمنون بالله العظيم ـ عللوا السبب بقولهم: "من المحتمل أن تكون شبكة من التجاويف والكهوف تحت الأرض قد ابتلعتها"!

وسؤالنا لهؤلاء الخبراء: من الذي خلق هذه التجاويف وهذه الكهوف .. ومن الذي أمرها بأن تبتلع مياه البحيرة وما عليها اليوم وليس الأمس ولا غداً؟!

لماذا لم توجد هذه التجاويف والكهوف قبل عشرين عام أو مائة عام .. وإنما وجدت اليوم؟!

إنها مشيئة الخالق ﷻ وإرادته .. لو كنتم تعلمون!

إنها آية من آيات الله تعالى لتذكر الساهين الغافلين .. والطغاة الظالمين .. بأن القادر على أن يخسف بهذه البحيرة لتبتلع الأرض مياهها وما عليها لتكون أثراً بعد عين .. قادر على أن يخسف باليابسة وما عليها من القرى الظالمة الطاغية الفاسقة .. ليجعلها أثراً بعد عين!

صدق الله العظيم: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾الأنعام:4.

وقال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾الأعراف:146.

وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ يوسف:105. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾الصافات:14.

* * * * *

149- أسوأ المـنِّ!

أن يمنَّ المرءُ إحسانَه على الآخرين .. فهذا أمرٌ معلوم .. ومألوف عندما يأتي الإحسانُ من صِغار المروءة والأخلاق .. وهو خلُقٌ سيء يُبطل إحسانَ المُحسِن .. والشريعة قد نهت عنه.

لكن الأسوأ منه .. والأكثر غرابة .. أن يُسيء المرء للآخرين .. ثم هو مع إساءته لهم يمنُّ عليهم بما أساء لهم .. كأن يُسيئ إليهم بخلف الميعاد .. فيأتيهم متأخراً عن الوقت المتفق عليه .. وعندما لم يجد من تواعد معهم .. يمنُّ عليهم بأن وقته من ذهب .. ومع ذلك قد ضحى به .. وأن مصالحه قد تعطلت .. وقد عانى العنَتَ من مسافة الطريق وتكاليفه .. ثم بعد ذلك كله لم يجد من تواعد معهم .. حقاً إنهم لم يقدروا له قدْرَه .. وفاته أن الذنب ذنبه لا ذنب غيره.

ونحوه من يغش صاحبه في بيعٍ أو شراء .. أو معاملة .. ثم يُتبع غشَّه هذا بالمنِّ والأذى .. وأنه قد اختار لصاحبه الأفضل والأحسن .. ولولاه لكانت خسارته مضاعفة .. ولحصل له كذا وكذا .. فيمنُّ عليه بما أساء إليه!

ونحوه الظلم الذي يُنزله الطاغوت بشعبه .. ثم يمنُّ عليهم أن عبَّدهم لنفسه .. لا لغيره .. وجعل من نفسه حاكما .. وربّاً .. وإلهاً عليهم!

الأمثلة على هذا النوع من المنِّ كثيرة ـ وهو أثمه أغلظ ـ يكفي منها ما تقدم .. ليُعرف المراد .. والله المستعان.

* * * * *

150- شُركاءُ المجرِم.

في العادة عندما يرتكبُ شخص ما جريمةً من الجرائم .. مباشرة نجد المجتمع يُجرّم هذا المجرم ويُؤثمه .. والقضاء يتوجه إليه بالمساءلة والمحاسبة على ما اقترفه من جرم .. وبشيء من التأمل والبحث نجد أن لهذا المجرم شركاء .. لا يقلون عنه جرماً وإثماً .. ولو سُمح للعدالة أن تأخذ مجراها وطريقها إلى جميع المجرمين .. لعاقبت هؤلاء الشركاء بما عاقبت به المجرم وأشد.

من هؤلاء الشركاء: الحاكم .. الذي عطَّل الحكم بما أنزل الله .. واستبدله بأحكام وشرائع البشر .. شرائع الجاهلية .. والتي من مقتضى العمل بها؛ ازدياد نسبة الجريمة والمجرمين .. وتجريء ذوي النفوس الضعيفة على فعل الجريمة، والإفساد في الأرض!

ومنهم: العناصر المتنفذة في الحكم .. التي تشيع الفساد والظلم .. والتي تحتكر ثروات البلاد والعباد لذواتها .. وعوائلها .. ولمن يطوف حولهم من المقربين .. من دون بقية الناس!

ومنهم: القائمون على وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة .. التي تروج للفساد والرذيلة والجريمة .. وتستعدي الفضيلة .. والإيمان!

ومنهم: علماء السوء والبلاط الملكي .. الذين يكتمون الحق .. ويسكتون على ظلم وطغيان وفجور وفساد طواغيت الحكم .. ويدورون ـ على حساب الحق ـ معهم حيثما داروا!

ومنهم: الأغنياء الذين يمنعون زكاة أموالهم عن الفقراء ..!

ومنهم: المدرسون الذين لا يتقون الله في الأجيال .. الذين يزينون للتلاميذ ثقافة الفسوق .. والمجون .. والإباحية والإلحاد .. والتفلت من قيم الأخلاق والفضيلة!

ومنهم: الآباء .. الذين فرطوا بحقوق الأبناء عليهم؛ فلم يُحسنوا تربيتهم ولا رعايتهم، ولا توجيههم التوجيه السليم.

فهؤلاء كلهم مسؤولون .. وكلهم شركاء للمجرم فيما اقترفه من إجرام .. ولو أخذَت العدالة طريقها إلى جميع المجرمين .. لحُوسِبوا على تقصيرهم وتفريطهم وإجرامهم قبل أن يُحاسَب المجرم الذي باشر بنفسه فعل الإجرم!

وفي الحديث:" كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته ..".

وعن عبادة بن شرحبيل قال أصابتني سَنةٌ فدخلتُ حائِطاً من حيطان المدينة، ففَركتُ سُنبلاً فأكلتُ وحملتُ في ثوبي، فجاء صاحبه فضربني وأخذ ثوبي! فأتيتُ رسول الله ﷺ فقال له:" ما علَّمتَه إذْ كان جاهِلاً، ولا أطعمتَه إذْ كان جائعاً، وأمره فردَّ علي ثوبي وأعطاني وِسقاً أو نصفَ وسقٍ من طعام ". فتأمل العدالة عندما تبلغ ذروتها على يد سيد الخلق .. صلوات ربي وسلامه عليه!

* * * * *

151- لِذَّةُ الإحسان.

تأملتُ كلَّ ما تلتذُّ به النفسُ من ملذات الدنيا .. فلم أجد ألذَّ على النفس من الإحسان على الآخرين؛ من ذوي الحاجة، والفاقة، والكروب، والهموم .. فتمشي في حاجتهم إلى أن تُقضى لهم .. لا تبتغي من فعلك هذا غير مرضاة الخالق ﷻ.

قال رسولُ الله ﷺ:" أحبُّ الناس إلى اللهِ أنفَعُهم، وأحبَّ الأعمال إلى الله ﷻ سرورٌ تُدخِلُه على مسلمٍ، أو تَكشُفَ عنه كربةً، أو تقضي عنه دَيناً، أو تَطرُدَ عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجةٍ أحبَّ إلي من أن أعتكِفَ في المسجد شَهراً .. ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجةٍ حتى يُثبِتَها له، أثبتَ اللهُ تعالى قدَمَه يومَ تزِلُّ الأقدامُ ".

وقال ﷺ:" من أفضلِ الأعمالِ إدخالُ السرورِ على المؤمنِ؛ تقضي عنه دَيناً، تقضي له حاجةً، تنفِّسَ له كُربةً ".

قال سفيان بن عُيينة: قيل لابن المنكَدِرِ فما بقي مما يُستَلَذُّ؟ قال: الإفضالُ على الإخوان.

فيا من تنشد اللذَّةَ .. وتسعى لها سعيها .. وتطلبها في غير مظانها .. جرِّب لذَّةَ الإحسان على الآخرين من ذوي الضعف، والفقر، والحاجة ـ بشرط الإخلاص ـ ثم انظر كيف ستُغمَر بلذَّةٍ لم تَعرف طعمها ولا حلاوتها من قبل .. ولا في غيرها من الأعمال!

* * * * *

152- عندما يُقتَاتُ بالعِلمُ!

عندما يُقتاتُ بالعلم .. ويكون العِلمُ مجرد وسيلة من وسائل التكسُّبِ والعيش .. لا همَّ لصاحبه إلا كيف يعتاش ويقتات منه ـ وما أكثر من يفعل ذلك في زماننا ـ: حينئذٍ يُكتمُ العلمُ .. ويُسكتُ عن الحقِّ .. وتَغيبُ الحقيقةُ .. وتضيعُ الحقوقُ .. ويسودُ الجهلُ والظلم والفساد .. ويعلو الباطلُ وأهلُه .. ويَضعفُ الحقُّ وأهلُه .. وتُفقَدُ القدوةُ .. ويَضلُّ الناس .. ويذلُّ العالِم لمن يقتات منه بعلمه .. ويُصبح له عبداً مأموراً بعد أن كان له سيداً آمراً .. ويُهانُ العلمُ ويُزهدُ به وبأهلِه .. ويتحوَّلُ العالِمُ ـ الذي يَقتات بعلمه ـ في أعين الناس .. إلى مجرد لصٍّ لا يُؤتمنُ على دِينٍ ولا دُنيا .. لا يستحق التوقير ولا الاحترام .. ولو حصل شيء من ذلك فلا يلومنَّ حينئذٍ إلا نفسه!

لأجلِ ذلك كله قال المعلمُ الأكبر، والمثلُ الأعلى للبشرية كلها ـ صلوت ربي وسلامه عليه ـ:" من تعلَّمَ عِلماً مما يُبتغى به وجهُ اللهِ، لا يتعلمهُ إلا ليُصيبَ به عَرَضَاً من الدنيا، لم يجد عَرْفَ الجنَّةِ يومَ القيامةِ " يعني ريحها!

* * * * *

153- وطَنُ الإنسان.

الأرض من خَلقِ الله تعالى .. وهي لا تعلو مقدار ذَرَّة من مُلكِه الواسع ﷻ .. يُورثها الله من يشاء من عباده .. والإنسان في هذه الأرض من طبعه أن يأنس ويألف ويحب العيشَ والاستيطان في البقعة من الأرض التي يجد فيها نفسه .. وعِزَّته وكرامته .. وحريَّته .. وأمنه وأمانه .. وسلامةَ دينه وعبادته .. ولو كانت هذه البقعة من

الأرض بعيدة عن مسقط رأسه بعد المشرق عن المغرب .. وكان أهلها من غير قومه وعشيرته .. فهذه البقعة من الأرض حينئذٍ تكون هي وطنه!

وأيما بقعة من بقاع الأرض .. يفقد الإنسان فيها نفسه .. وعزته وكرامته .. ويعيش فيها معاني القهر، والذل، والخوف، والقمع، والاستعباد .. لا يعرف فيها أمناً ولا أماناً على نفسٍ ولا مالٍ .. ولا يجد فيها المتَّسع ليمارس عبادته لخالقه ﷻ كما يحب الله تعالى ويرضى .. فحينئذٍ يضعف عند هذا الإنسان شعور الانتماء لهذه البقعة من الأرض الظالم أهلها .. وإلى درجة التلاشي والذوبان ـ ولو كانت هذه البقعة من الأرض هي مسقط رأسه، يسكنها قومه وعشيرته ـ ويجد نفسه نافرة كارهة للعيش فيها .. مشدودة للخروج والهجرة منها .. إلى حيث يجد سلامة العبادة والدين .. ويجد عزته وكرامته .. والأمن والأمان على نفسه وأهله وماله.

هذا أمر تقرره نصوص الشريعة أولاً .. وندركه ثانياً في واقعنا وحياتنا .. ومن خلال مراقبتنا لحركة وهجرة الشعوب من أرض إلى أرض .. ومن بلدٍ إلى آخر .. لا يمكن إنكاره.

وفي ذلك عِظة للوطنيين ـ إن كانوا يتعظون! ـ الذين يسومون شعوبهم صنوف الذل، والظلم، والقهر، والبطش، والاستعباد، والفقر .. فحولوا الوطن إلى سجنٍ كبير للمواطنين .. ثم هم مع ذلك يُراهنون على ولاء وانتماء شعوبهم لأوطانهم .. ولمن يحكم أوطانهم .. عند تعرض الأوطان وحكامها لأي عدوان أو خطرٍ خارجي!

ولهؤلاء نقول: رهانكم وهمٌ .. وخاطئ .. وخاسر .. فحبُّ الأوطان له حدود .. لا يُمكن أن يعلو على حب الدين والنفس .. كما أن الشعوب ـ في الغالب ـ لا تجد في نفسها حركة للدفاع عن مصالح وعروش الطواغيت الظالمين المجرمين؛ الذين يسومون شعوبهم صنوف القهر والظلم والتعذيب .. كم هي الوقائع التي حدثنا عنها التاريخ القديم منه والمعاصر .. التي يستنجد فيها أهل الأوطان المحليين بالقوى الخارجية .. ليغزو بلادهم .. فيريحوهم من طغيان وظلم وشر وإجرام طواغيت الحكم الوطنيين!

فيا أيها الوطنييون: لا تفتنوا شعوبكم ـ بظلمكم وطغيانكم وكفركم ـ عن دينهم، وعن حبهم لأوطانهم .. واعلموا أن من لوازم الحفاظ على الأوطان .. وإعمار الأوطان .. وحب الأوطان .. أن تصطلحوا مع شعوبكم .. ومع ربكم بالتوبة والإنابة إليه .. فإن لم تفعلوا فما أنتم بوطنيين صادقين .. مها تغنيتم وتشدقتم بحب الأوطان وزعم الحفاظ عليها!

* * * * *

154- الطَّعام.

تأملت الأدواء .. فوجدت جلها سببها المعدة، وما يُقذف فيها من أنواع وألوان الطعام .. وضِعف الإرادة أمام شهوة البطن .. فكم من امرئٍ حملته شهوة ساعة على أن يتألم ويشكو الأوجاع سنة .. وربما أن يفقد عمره!

لذا فأقول: حتى يكون الطعام نافعاً لا ضرر فيه .. وحتى يكون دواءً لا داء فيه بإذن الله .. لا بد من أن ينضبط بثلاثة قوانين ومكابح:

أولاً: التمييز بين الضار والنافع من الطعام: وهذا يستلزم من المرء أن يتعرف على حاجيات جسده من الطعام والغذاء .. وأن يعرف نوعية الطعام الذي يحتاجه .. والقدْر الذي يحتاجه .. إذ لكل إنسان حاجياته الخاصّة والمختلفة عن الآخر .. كما يستلزم منه أن يعرف مكونات الطعام الذي يريد تناوله .. والعناصر التي تدخل فيه ويتكون منها؛ هل تتخلل تركيبته مواد ضارة .. لا تناسب صحته، وحالته، أم لا .. وبخاصة بعد أن تدخَّل الإنسانُ في كل شيء .. فأفسده .. بُغْيَة الربح السريع!

ثانياً: الموازنة بين ما يدخل من الطعام وبين ما يخرج: إذ لا بد لكمية الطعام التي تدخل جسم الإنسان .. من أن توازيها حركة تناسبها؛ تستهلك وتصرف ما أنتجه الطعام من سعيرات حرارية .. فإن حصل التقصير والتفاوت بين الداخل والخارج؛ فكان الداخل أكثر من الخارج أو كان الخارج أكثر من الداخل .. حصل الخلل في بنية الجسم زيادة أو نقصاناً .. ولا بد.

ثالثاً: لا تأكل حتى تجوع، وإذا أكلت لا تشبع: فقسِّم معدتك ثلاثة أثلاث: ثلث للطعام .. وثلث للماء .. وثلث للهواء والنَّفَس .. فإن لم تفعل؛ وأملأت معدتك بالطعام .. توسَّعَت عليك .. وطلبت منك في اليوم الثاني المزيد من الطعام .. فإن أطعتها .. توسعت وطلبَت منك المزيد .. وهكذا تستمر المعدة في التوسع والطلب .. إلى أن تصبح ـ يا عبد الله ـ من ذوي التخمة والبطون المنفوخة المتدلّية .. فيستعصي حينئذٍ عليك العلاج، والرجوع إلى الوراء .. فيقع الندم، ولاتَ حِين مَنْدَم!

فإن التزمت بهذه القوانين الثلاثة الآنفة الذكر أعلاه .. نجوتَ .. وتمتعت بصحتك ما قدَّر الله لك أن تعيش .. فإن لم تفعل .. وغلبتك شهوة البطن على ما تكره .. داهمتك العِلل .. والأمراض .. وحُرِمْتَ التنعم بصحتك مُبكراً .. وقضيت حياتك متنقلاً بين منزلك والمستشفى .. وتكون كمن استعجل لنفسه الهلاك وهو لا يدري!

صدق رسول الله ﷺ إذ يقول:" ما ملأ آدميٌّ وعاءً شراً من بطنه، بحسب ابنِ آدم أكَلات يُقِمْن صلبَه، فإن كان لا محالة؛ فثلثٌ لطعامِه، و ثلث لشرابِه، و ثلث لنفَسِه ".

* * * * *

155- الغَدْرُ غدران.

الغدر غدران: غدرٌ مجرَّد، وغدرٌ مغلَّظ، وزره أعظم وأغلظ.

أمَّا الغدر المجرَّد: هو الغدر الذي تنعكس آثاره السيئة على شخص الغادر لا تتعداه إلى ما سواه.

وأما الغدر المُغلَّظ: هو الغدر الذي تتعدى آثاره السيئة شخصَ الغادر .. فيكون سبباً في صدِّ الناس عن فعل الخير .. وحملهم على سوء الظن بكل من حولهم .. فتُغلَق بسببه أبواب الخير والكرم والجود، والحب، والإحسان، والوفاء، والثقة .. بعد أن كانت مُشْرَعةً للجميع .. الكل يتفيأ ظلالها .. ويتقلب في خيراتها وحسناتها!

هذا النوع من الغدر .. غدر مُغَلَّظ .. لا تسأل عن هلَكة صاحبه!

* * * * *

156- الأدَبُ أدبان.

الأدبُ أدبان: أدَبٌ مذموم، وأدَبٌ ممدوح.

أما الأدَبُ المذموم: هو أدب المنافقين، المتزلِّفين، المتكلِّفين .. الذين يُراؤون الناس ليقعوا في شباكهم ومكرهم .. ويسطون على ما في أيديهم .. حيث ترى أحدَهم في ظاهره يتكلف العبارات المنمَّقة الخاضعة المتكسِّرة .. والبسمات الكاذبة الصفراء .. والهندام المرتَّب النظيف .. والحياء الكاذب الذي يعلوه التكلف .. والتواضع الخادع .. كتواضع الثعلب عندما يُلصق بطنه في الأرض ويريد الدنو من فريسته .. وهو لا يتردد بأن يتشبَّع بما لم يُعطَ، وليس فيه .. بينما باطنه يكون عبارة عن كتلة مظلمة من الحقد والكراهية .. والكذب .. والغش .. والحسد .. والغدر .. والخيانة .. والدناءة .. والكبر .. والأنانية .. والحرص .. والطمع .. والشُّح على فعل الخير .. وما أكثر الذين يتأدبون بهذا الأدب في زماننا .. وما أكثر هؤلاء الذين يقعون في شباكهم ويكتوون بنارهم!

وأما الأدب الممدوح: فهو أدب الصادقين المخلصين الأوفياء .. الأتقياء الأنقياء .. الذين يصدق ظاهرهم باطنهم، وباطنهم ظاهرهم .. فأدبهم الظاهر مرآة لأدبهم الباطن وثمرة من ثماره .. فهم في الباطن والظاهر سواء: وجه واحد .. وخُلُقٌ رفيع واحد .. وأدبٌ جمٌّ واحد .. لا يعرفون التلون والتذبذب، ولا التكلَّف ولا الغدر، ولا الرياء ولا الكذب ولا الغش .. وما أقل الذين يتأدبون بهذا الأدب في زماننا!

* * * * *

157- الصّحفِيون.

لم أرَ مثالاً للقمَّاش .. الذي لا يوفر شيئاً يمر به إلا ويلتقطه؛ فيلتقط البعرَ والحجرَ والشوكَ ..وما هو مُشين ومُعيب .. وما قلَّ نفعه أو كثر .. مثل الصحفيين .. وما أقلَّ الذي يخرج منهم عن هذه القاعدة، وهذا الوصف!

لم أرَ مثالاً للشيء الذي لا يمكن أن تحدد له طعماً ولا لوناً ولا رائحة .. ولا اتجاهاً .. مثل الصحفيين الذين تذوب شخصيتهم وأفكارهم ومبادئهم في شخصية وأفكار ومبادئ الآخرين، أرباب الصحف، والقنوات .. وكأنهم بلا شخصية ولا رأي ولا مبادئ ولا ولاء إلا الولاء للمهنة وللجهة أو الشركة التي يعملون لحسابها .. ويقتاتون منها .. وما أقل الذين يخرجون منهم عن هذه القاعدة، وهذا الوصف!

لم أرَ مثالاً لمن يأكل ويقتات بقلمه ولسانه .. ولو انعكس ذلك سلباً ودماراً وخراباً على الأمة وأبنائها .. وكان ذلك على حساب الحق والحقيقة .. مثل الصحفيين .. وما أقل الذي يخرج منهم عن هذه القاعدة، وهذا الوصف!

أسوأهم .. الذي يتتبَّع قيءَ طواغيت الحكم والظلم والفجور .. فكلما قاء طاغوت قيئاً أو تقيَّح منه قيحٌ .. أو بصَقَ بصقةً .. أو تحرك حركة أو مال بخصره ميلة .. قام بجمعه والتقاطه ووضعه في جعبته .. لينثره في صباح اليوم التالي .. على مسامع ومرأى الناس .. فيؤذي الناس بما جمعَ وبما نَثَر .. ويا ليته ما جمعَ ولا نثَر!

والأسوأ من هذا الأسوأ .. الذي يَكذِبُ .. ويُشوِّهُ الحقائقَ .. ويُظهرها على غير صورتها الصحيحة .. ويَكفُرُ الحقَّ والحقيقةَ .. عن سابق عِلمٍ وإصرار .. مرضاةً للطواغيت الظالمين المجرمين .. وسيراً في ركاب مخططاتهم وسياساتهم الهدَّامة والباطلة .. مُقابل ما يُرمَى إليه قليلٌ من الفُتَات!

* * * * *

158- مَن الشَّهيد.

من المفاهيم التي تناولها التشويه والتحريف مفهوم "الشَّهيد والشَّهادة"؛ إذ ما أكثر الذين يُقاتِلون ويُقتَلُون في سبيل الطاغوت .. وتحت راياتٍ عميَّة جاهلية .. ولأغراض باطلة شيطانية .. ومع ذلك نسمع من يُطلق عليهم ـ زوراً وكذباً، وتطيباً واسترضاء للأنفس المكلومة ـ وصف وحكم الشهيد .. وهذا باطل يترتب عليه مزالق عدة:

منها: تسمية الأشياء بغير اسمها .. والحكم عليها بخلاف حكم الله ﷻ .. إذ الشهيد عند الله: هو الذي يُقتَل في سبيل الله تعالى وحده .. ولكي تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى .. والله تعالى أعلم بمن يُكلَم ويُقتَل في سبيله.

ومنها: تزكية هذا المقتول على الله .. والله تعالى يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾النجم:32.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾النساء:49.

ومنها: فيه تألٍّ على الله تعالى؛ وكأنهم اطلعوا على الغيب فعلموا ما في نفسِ الخالق ﷻ عن هذا المقتول من العفو .. فحملهم ذلك على أن يحكموا على صاحبهم بأنه شهيد .. وأنه من أهل الجنة والنعيم!

ومنها: فيه تضليل لعامة الناس؛ إذ كثير من الناس ـ بفعل هذا التضليل والتشويه لمفهوم الشهيد والشهادة ـ من يظن أن كلَّ من يُقتل في ساحات القتال ـ أياً كانت الراية التي يُقاتل في ظلها، والغاية التي يُقاتل من أجلها ـ فهو شهيد!

وفي الختام أقول: اعلم يا عبد الله أن روحك تفارق جسدك مرة واحدة .. لا عدة مرات .. فاحرص ـ أشد الحرص، وقبل أن يقع الندم ولات حين مندم ـ أن لا تخرج إلا في سبيل خالقها ومالكها .. واحذر أن تكون ممن يُقاتلون ويُقتلون في سبيل الطاغوت .. وتحت راية الطاغوت .. ولكي يكون قانون الطاغوت هو الأعلى .. وأنت تحسب وتظن أنك ممن يُقاتلون في سبيل الله .. كما يُزيَّن ويُخيَّل إليك!

* * * * *

159- لا وَصيَّةَ لِوَارِث.

الوارثُ حقه مضمون ومحفوظ، ومعلوم بنص الكتاب والسُّنة .. ومع ذلك كثير من الآباء يخافون أن يحيفَ اللهُ عليهم .. فيوصون لورثتهم: بأن لفلان له كذا .. ولفلان الآخر له كذا .. فيستعجلون تقسيم الإرث قبل موتهم .. وبخلاف تقسيم الشرع .. وربما بعد التقسيم يموت من يرث قبل موت المورِّث .. فينقطع حقه من الإرث بالموت .. ويولد أناس جدد يدخلون في دائرة الورثة لكن من غير تَرِكَةٍ تُقسَّم عليهم .. فيقعُ حينئذٍ الظلم والتعدي .. ويسود البغضاء .. ويُفرَّقُ بين الأبناء والإخوان .. بعد أن كانوا متحابين متآلفين متراحمين!

وللآباء هؤلاء نقول: اتقوا الله في أبنائكم .. وارحموا أبناءكم وورثتكم من بعدكم .. ولا تُعينوا الشيطان عليهم .. واعلموا أن النبي ﷺ قد نهى عن الوصية للوارث، فقال ﷺ:" إن الله قد أعطى كلَّ ذي حقٍّ حقَّه؛ فلا وصيَّة لوارث ". وقال ﷺ:" لا تجوزُ وصيةٌ لوارث ".

وإن كنت مُوصٍ ولا بد فالوصية تكون للأقارب والرحم .. والجيران .. والفقراء والمساكين .. وغيرهم ممن لا يدخلون في جملة الورثة.

* * * * *

160- رسائلٌ بين يَدَي الموت.

كثير من الناس تُرسَل إليهم ـ بين يدي موتهم ـ رسائل عدة .. تنذرهم بدنو الأجل .. واقتراب مفارقة الأهل والأحبة .. وما قد جمعهوه من زينة الدنيا وزُخرفها وحطامها .. ومع ذلك تراهم ـ قد غرهم طول الأمل ـ غافلين ساهين لاهين عن هذه الرسائل .. وما تحمله لهم من دلائل ونذُر وأخبار ومفاجآت!

البلاء له غايات ومقاصد عدة منها: تذكير الساهي واللاهي والمقصر باقتراب الأجل .. عساه أن يستدرك ما قد فاته؛ فيبادر إلى التوبة النصوح، والإكثار من العمل الصالح .. وما أقل هؤلاء الذين يتنبهون إلى ذلك!

كم هم هؤلاء الذين تنزل بساحتهم أمراض معضلة قاتلة .. لا فكاك منها إلا بالموت .. ثم هم مع ذلك تراهم يخططون لمشاريع مستقبلية قد تستغرق من صاحبها قرناً كاملاً .. ساهياً أن بينه وبين الموت أشهراً وربما أياماً أو ساعات!

كم هؤلاء الذين يعلوهم الشيب .. وتُقارب أعمارهم الستين أو السبعين .. ثم ترى أحدهم لاهياً ساهياً .. يخطط لدنياه .. ساهياً عن آخرته .. وكأنه لم يتجاوز العشرين من عمره .. وفي الحديث:" أعمار أمتي بين الستين والسبعين "!

في كل يوم نودع قريباً أو حبيباً .. فنقول عنه: قد كان بيننا .. وقد كان كذا وكذا .. رحمه الله .. وأحدنا يلهو ويلعب .. ناسياً أنه يوماً من الأيام ـ قد يكون قريباً ـ سيكون من المودَّعين .. ويُقال عنه قد كان بيننا .. وقد كان كذا وكذا .. رحمه الله!

مثلنا والموت .. مثل طابور من الناس الكل ينتظر دوره الذي لا مردَّ له .. في كل يوم يزور الموت هذا الطابور فيقتات منه ما شاء الله له أن يقتات ويأخذ .. وفي كل يوم يمضي من أعمارنا يقربنا مسافة ـ الله أعلم بقدْرها ـ من هذا الزائر المخيف الذي لا يُمكن رده ولا تأجيله .. إلى أن يأتنا الدور .. ويقع المقدور .. وتتوقف الآمال والمشاريع .. ويحصل الفراق .. وتلتف الساق بالساق .. ويكون يومئذٍ المساق إلى الله .. فهلاَّ أعددنا لهذا اليوم عدته؟!

عندما اقترب أجل النبي المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه .. أنزل الله عليه سورة النصر، وأمره فيها بالإكثار من التسبيح والاستغفار استعداداً للرحيل والقدوم على الله ﷻ، فقال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾النصر:3. والنبي ﷺ قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .. فكيف يكون الحال مع المقصرين من أمثالنا .. إنا لله وإنَّا إليه راجعون .. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

* * * * *

161- نَعم أنا أحبُّ جهنَّم.

نعم أنا أحبُّ جهنَّم .. وأنا راضٍ عنها كلَّ الرضا .. لا لأني أحب الاقتراب منها .. لا .. وألف لا .. أعاذني الله وإياكم منها .. وأبعدني وإياكم عنها بعد السماء السابعة عن الأرض وأكثر .. اللهم آمين .. آمين.

إنما أحبُّ جهنَّم .. لأنها تمثل أحد شقَّي العدل، والشق الآخر من العدل هو الجنة ونعيمها.

أحبُّ جهنَّم .. لأن وجودها من مقتضى عدل الخالق ﷻ، ومقتضى أسمائه الحسنى وصفاته العليا؛ بها ينصف المظلوم من الظالم .. وبها يُؤدب ويجازي جبابرة وفراعنة الأرض، وطواغيتها الظالمين المستكبرين المعتدين.

أحبُّ جهنَّم .. لأن بها يُعرَف قدْر وعظمة وفضل العفو الذي يمن الله به على عباده يوم القيامة؛ إذ لولاه لكانوا من رواد جهنم وحطبها.

أحبُّ جهنَّم .. لأن الشيء يُعرف بضده .. فنعمة الغنى تُعرف إذا عُرف الفقر .. ونعمة الصحة تُعرف إذا عرف الإنسان السقم والمرض .. ونعمة الإيمان تُعرف إذا عُرف الكفر والشرك .. فيحمد الإنسانُ اللهَ تعالى أن هداه إلى نعمة الإيمان ونجاه من الكفر والشرك .. ونعمة الأمان تُعرف إذا عُرِف الخوف .. وكذلك الجنة؛ فنعيمها وفضلها يُعرف على الوجه الأكمل عندما تُعرف جهنم وعذابها .. لذا نجد القرآن الكريم في كثير من الآيات يصف الجنة ونعيمها وما لأهلها من خيرات ومسرَّات بعد أن يصف مباشرة جهنم وعذابها وما لأهلها من عذاب ونكد وشقاء .. وكذلك العكس؛ أحياناً يأتي وصف جهنم وعذابها بعد وصف الجنة ونعيمها مباشرة .. لأن الشيء يُعرف بضده.

أحبُّ جهنَّم .. لأن ذكرها يردع الظالمين والعاصين عن الاسترسال بظلمهم وعصيانهم وغيِّهم .. ويزيد العابدين الصالحين المتقين .. عبادة، وصلاحاً، وتُقاً، وإيماناً.

أحبُّ جهنَّم .. لأنها تحمل العباد على الدعاء والتوبة والاستغفار وطلب الرحمة من الخالق ﷻ فيما قد حصل فيه التقصير والتفريط.

أحبُّ جهنَّم .. لأنها تُضفي راحة وطمأنينة ورضى في نفوس الفقراء والمساكين والمستضعفين المعتدى على حقوقهم وحرماتهم .. الذين لا يستطيعون الانتصار لمظالمهم ولا يجدون من الخلق من ينتصر لمظالمهم .. وكأنها تقول لهم: ألا ترضون أن يكون قعري مقراً .. وبطني مسكناً .. لهؤلاء الظالمين الذين اعتدوا عليكم وعلى حرماتكم وظلموكم حقوقكم .. وما ذلك ببعيد .. فيهدأ حينئذٍ البال .. وتسكن النفس وترضى .. ويعلم المظلوم أن حقه إن ضاع في الدنيا فإنه لا ولن يضيع في الآخرة.

أحبُّ جهنَّم .. لأن الله بها يُذهب غيظ قلوب عباده المؤمنين؛ إذ كم من طاغية متسلِّط يحمله طغيانه على الظلم، والبطش، والعدوان .. من دون أن يجد من العباد من يردعه أو يوقفه عند حده .. فتغتاظ منه قلوب المؤمنين الموحدين .. وعندما يعلمون ويؤمنون بأن جهنم ميعاده وهي له بالمرصاد .. تهدأ نفوسهم وترضى .. ويُذهِبُ اللهُ غيظَ قلوبهم.

لا يمكن أن نتصور الحياة أو نعيش في الحياة الدنيا من دون الإيمان بجهنم .. فضلاً عن أن نتصور الحياة الآخرة من دون جهنَّم .. فسبحان الذي خلق جهنم وعذابها، فله الحمد أن خلق جهنَّم، كما له الحمد أن خلق الجنَّة.

لأجل ذلك كله، قلت وأقول لكم: أنني أحب جهنَّم .. لا يجوز بغضها ولا شتمها كما هو دارج على ألسنة كثير من الناس .. وما يحملهم على فعل ذلك إلا جهلُهم بقدر وفضل ونعمة جهنم .. أسأل الله تعالى أن يُجيرني وإياكم من جهنم وعذابها.

* * * * *

162- القُرآنُ الكريم.

شكا لي صاحبي كيدَ ومكر الأعداء .. وأنَّهم يمكرون مكراً كُبَّاراً .. مكر الليلِ والنهار .. من غير كللٍ ولا ملل ولا انقطاع .. وأن مكرَهم لتزول منه الجبال!

فقلت له: لا تحزن .. ولا تكن من القانطين .. ما دام القرآن الكريم محفوظاً بحفظ الله تعالى .. وهو موجود بين أيدينا .. سهل طلبه والحصول عليه لمن أراده .. فلا خوف علينا ولا على الأجيال التالية .. ولا على أمة الإسلام .. فالأمة التي يكون كتابها هو القرآن الكريم أمة محفوظة بحفظه .. لا ضَيْعَة عليها ولا خوف .. مهما اشتد مكر وكيد أعدائها!

من عظمة القرآن الكريم وعلامات إعجازه وقوته .. أنه قوة لا تُقاوَم .. ولا تُقهر .. ولا توازيها قوة .. لأن قوته مستمدة من الله .. فهو كلامه وصفته ﷻ .. بينما القوى الأخرى ـ أيَّاً كان نوع وحجم هذه القوى ـ فهي مستمدة من المخلوق الضعيف العاجز الفقير .. وهي تمثل ضعفه وجهله وعجزه .. وأنَّى لقوى المخلوق مجتمعة أن تقوى على مواجهة قوة وقدرة القوي القدير العزيز الكبير الجبار القهَّار المتكبر الذي يعلو ولا يُعلى عليه سبحانه وتعالى!

هذا المكر الذي ذكرته .. لو سُلِّط بعضه على غير كتاب الله .. وعلى غير دين الله تعالى .. لاندرست معالمه وآثاره ومنذ زمن بعيد .. أما وأنه لم يحصل شيء من ذلك لكتاب الله تعالى رغم شدة المكر الذي ذكرت .. بل في كل يوم يزداد إقبال الناس عليه؛ تلاوة ودراسة وحفظاً .. والناس في طلبه باستمرار وازدياد .. ألا يُعد ذلك من جملة الأدلة الدالة على أن هذا القرآن هو كتاب الله .. وأنه كتاب محفوظ يعلو ولا يُعلى عليه .. لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. إلى أن يرث اللهُ الأرض ومن عليها!

القرآن الكريم .. داعية إلى الله بمفرده .. يتحرك في الأرض .. يغزو البلاد وقلوب العباد بمفرده .. لا ينفعه من نصَره .. ولا يضره من خذَله .. غني كغنى الله عن الخلق .. تخضع له العقول والرقاب سواء!

وإلا فقل لي يا صاحبي .. كيف تفسر هذه الآلاف المؤلَّفة في مشارق الأرض ومغاربها التي تدخل الإسلام لمجرد سماعهم آية أو شطر آية من هذا القرآن العظيم .. بينما أحدنا يُحاول دهراً مع أحدهم فلا يُفلح إلا ما شاء الله!

كيف تفسر لي هذا الإقبال الشديد على اقتناء القرآن الكريم .. من قِبل المسلمين وغيرهم .. مترجمة معانيه إلى لغات عدة .. وفي بلاد ودول تُصنَّف على أنها راعية الحرب الصليبية والعالمية على الإسلام والمسلمين؟!

كل هذا المكر الذي ذكرت ـ يا صاحبي! ـ بعضه فوق بعض .. وما يرافقه من صخَبٍ وضجيجٍ وقرقعة وصياح .. الغرض منه أن يصدوا الناس عن القرآن الكريم، وعن السماع لهذا القرآن الكريم .. ولو استمعوا له؛ فالمكر والصخب والضجيج .. كفيل بأن يمنعهم ـ على الأقل ـ من حسن الاستماع .. أو أن يفقهوا ما يسمعون .. وهذه نتيجة ـ وإن كانت مؤقّتة ـ تُعتبر كافية ومُرضِية بالنسبة للكافرين؛ لأنهم مفلسون حضارياً وفكرياً .. لا يقدرون ولا يملكون أن يفعلوا مع كتاب الله تعالى أكثر من ذلك!

هذا المعنى كله لخصه القرآن الكريم في آية واحدة من آياته، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾فصلت:26. فمعنى ﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾؛ هو هذا المكر الذي ذكرت .. وما يرافقه من صخب وضجيج وقرقعة وصياح!!

صدق الله العظيم: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾الأنفال:30.

* * * * *

163- الدُّنيا بلا مُحَمَّدٍ ﷺ.

لا أكادُ أتصور الدنيا بلا محمدٍ ﷺ .. كيف كانت ستكون .. وكيف يكونُ الناسُ، وتكون أخلاقُهم؟!

ربما كانت البنات لا يزلن يُوأدن من قبل آبائهن .. والنساء تُورَث كأي متاع من قبل أبنائهنّ!

ربما كان أمَام كل بيت من بيوتنا صنمٌ أو هُبلٌ يُعبد من دون الله ..!

لا يعرف جارٌ لجاره حرمة ولا ذمة ولا عهداً ..!

تسود الحياةَ قيمُ الظلم والاستعباد .. والفساد .. والفجور .. والمجون .. والجهل .. والسطو والنهب!

القوي هو القانون الذي لا يُسأل عما يفعل .. والضعيف هو المتهم الذي لا حق له في الحياة أو الوجود!

حياة تندرس فيها قيم الأخلاق والخير .. ومعاني الحب والرحمة .. فالأنانية والشهوات تحكم الجميع .. وتوجه الجميع .. إن هم كالأنعام بل هم أضل!

كثير مما ذكرنا نشاهده في واقعنا المعايش .. وذلك عندما غفل كثير من الناس عن تعاليم وهدي المصطفى ﷺ .. وضلوا عنه إلى ما سواه .. فكيف يكون الحال لو لم يبعث اللهُ مُحَمَّداً .. ولم يكن في الوجود مُحَمَّد ﷺ .. كيف كنا سنكون .. وكيف كانت الحيات ستكون؟!

لا أقدر أن تصور حجم الظلم والظلام والعذاب الذي كان سيسود ويعم هذه الحياة الدنيا وساكنيها .. وحجم الضياع الذي كنا سنعيشه .. من دون مُحَمَّد ﷺ .. لذا كان وجوده ومبعثه ﷺ رحمة وخيراً للأرض والبشرية كلها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾الأنبياء:107.

هذا النبي العظيم صلوات ربي وسلامه عليه .. لو ظللنا الدهر كله عاكفين نصلي عليه .. لما كافأناه جزءاً يسيراً من حقه علينا .. جزاه الله عنا وعن الإسلام والمسلمين، والبشرية جمعاء خير الجزاء .. وصلى الله عليه صلاةً طيبةً مباركة عددَ خلقه، ورضا نفسه، وزِنَة عرشِه، ومِدادَ كلماته.

ثم الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه عدد خلقه، ورضا نفسه، وزِنَة عرشِه، ومدادَ كلماته، أن بعث فينا مُحَمَّداً ﷺ .. ومَنَّ علينا بمحمدٍ ﷺ .. وجعلنا من أتباعِ مُحَمَّد ﷺ.

* * * * *

164- النَّاسُ وطَلَبُ العِلم.

تأملتُ حالَ الناس مع طلبِ العلم .. فوجدت عجَباً!

وجدت تحزباً في الطلب .. فالطالب لا يطلب العلم إلا من شيوخ حزبه .. ولا يقبل الحق إلا إذا جاءه من شيوخ حزبه .. ولا يرد الباطل إلا إذا جاءه الرد من قِبل شيوخ حزبه .. وكل ما يخالف أراء وأقوال شيوخ حزبه ـ وإن كان حقاً ـ فهو رد .. وعرضة للاستهجان والاستخفاف!

وجدت تعصباً وتحزباً للمسائل وفي المسائل ـ التي يُستساغ فيها الخلاف ـ يُوالى ويُعادى فيها .. فرتبوا عليها ولاءً وبراء .. وحبَّاً وجفاءً .. فمن قال في المسألة على النحو الذي يوافق فيه أهواءهم .. أقبلوا عليه .. وأثنوا عليه خيراً .. ومن قال في المسألة على النحو الذي يُخالف فيه أهواءهم .. أدبروا عنه .. وأثنوا عليه شرَّاً!

وجدت نفوراً عن الجِدّ والعلم النافع .. والإقبال على الهزل واللعب .. ومجالس الطعن والغيبة .. والخوض في الأعراض .. تحت مسمى وذريعة الجرح والتعديل زعموا .. وهذا من تلبيس إبليس على القوم!

وجدت نفوراً عن تعلم التوحيد وفروض الأعيان .. والإنشغال بالنوافل والمباحات .. وبما قلَّ نفعه!

وجدت نفوراً عن تعلم العلم الذي يترتب عليه حركة وعمل وتبعات ومواقف وعطاء؛ كالجهاد في سبيل الله، والولاء والبراء .. وإقبالاً على كل ما هو سهل .. ولا يتجاوز حدود الاعتقاد القلبي أو ممارسة العبادات الفردية المعروفة .. فيتركون من الدين كل ما هو صعب على نفوسهم .. ويأخذون منه كل ما هو سهل .. كمن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض!

وجدت نفوراً عن طلب العلم لله .. وإقبالاً على طلبه من أجل الدنيا .. ومتاعٍ ساقط .. وطلب الرياسة والزعامة .. واستشراف المجالس .. وصرف وجوه الناس .. وحب الظهور .. وليقال فلان دكتور أو عالِم!

وجدت نفوراً عن الكتاب والسنة الصحيحة .. وإقبالاً على الغريب والضعيف .. والموضوع .. والبِدَع .. وما يستحسنه أو يطلبه الجمهور!

وجدت نفوراً عن مجالسة العلماء العاملين .. والاستماع إليهم .. وإقبالاً على مجالسة أهل الأهواء والبدع .. والضلال!

وفي الأثر عن معاذ بن جبل ﷺ قال: إن من ورائكم فتناً يكثرُ فيها المالُ، ويُفتح فيها القرآنُ حتى يأخذَهُ المؤمنُ والمنافق، والرجل والمرأة، والصغير والكبير، والعبد والحر، فيوشك أن يقولَ قائلٌ: ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن، ما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره، فإياكم وما ابتدَع؛ فإن ما ابتدَع ضلالة!

وفي رواية عنه:" فإياكم وإياه فإنها بدعة ضلالة " يكررها ثلاثاً!

وقد سألني سائل: كيف نفسر إقبال الناس الشديد على مجالس أهل البدع والأهواء .. وعلى مجالس اللهو واللعب .. بل على راقصة مغنية تعلو المسرح للغناء .. يجتمع حولها الآلاف من الناس؛ ذكوراً وإناثاً يتمايلون بعضهم على بعض انسجاماً مع غناء المغنية .. بينما مجالس العلماء العاملين .. الدعاة إلى الله؛ الذين يدعون عبادَ الله إلى عبادة الله تعالى وتوحيده .. لا ينالون مثل هذا الإقبال أو القبول .. وربما لا يتعدى عدد جلسائهم ممن يستمعون إلى دروسهم بضعة عشرات .. وربما بضعة أفراد .. فهل هذا علامة على أن الأوائل قد نالوا القبول في السماء وفي الأرض .. بينما الآخرون ـ الدعاة إلى الله ـ لم ينالوا هذا القبول؟!

قلت وأقول: الخلل في الناس وما يعتريهم من أمراض وأهواء .. وحبٍّ للشهوات .. وليس في الدعوة أو الدعاة إلى الله!

ثم أن القبول أو عدمه له قرائن وعلامات عدة يُعرف بها ليس منها ما ذُكر في السؤال، من هذه القرائن والعلامات: أن القبول يُنظر إليه من جهة الخير لا الشر؛ لأن القبول تعبير عن رضا الخالق ﷻ ومحبته، والله تعالى لا يرضى ولا يُحب إلا الخير؛ وبالتالي لو أقبل الناس على الشر ـ مهما كثر عددهم ـ لا يجوز أن يُعتبر إقبالهم هذا نوع قبولٍ لهذا الشر أو لصاحبه.

ومنها: سعة تعميم وانتشار الخير؛ فكلما انتشر الخير واتسعت دائرة المستفيدين منه .. كلما كان ذلك علامة دالة على قبول هذا الخير وقبول صاحبه عند الله تعالى.

على سبيل المثال: عالم يقول كلاماً نافعاً أمام خمسة أشخاص فقط .. فيبارك الله بكلامه .. ويسخر له الأسباب ليُعمَّم فيما بعد على ملايين الناس .. وفي أمصارٍ عدة .. وعالم أو إنسان آخر يقول كلاماً نافعاً آخر أمام ألف شخصٍ .. ثم يُقدر الله لكلامه أن لا يتعدى مجلسه أو العدد المذكور .. وعليه يكون الأول قد نال القبول عند الله وفي الأرض أكثر من الآخر علماً أن الأول استمع لكلامه خمسة أنفار فقط بينما الآخر استمع لحديثه ألف إنسان!

ومنها: اعتبار الزمن؛ إذ كلما طال زمن الاستفادة من خيرٍ ما كلما كان ذلك دالاً على قبول هذا الخير عند الله تعالى وقبول صاحبه؛ فهناك خير يُعمّر شهراً أو سنةً أو بضع سنين .. وهناك خير يُعمَّر مئات السنين والناس يتداولونه ويتناقلونه وينتفعون منه .. فيكون هذا الخير وصاحبه أكثر قبولاً عند الله من غيره ممن لم يُعمر خيرهم إلا لأشهرٍ أو سنوات.

كم من كتاب اندثرت معالمه وآثاره بعد سنة أو سنوات وربما أشهر من تأليفه .. بينما كتب أخرى يُوضع لها القبول لمئات السنين .. تتناقلها الأجيال جيل بعد جيل؟!

ومنها: ثناء المؤمنين الموحدين ـ على الخير وفاعله ـ بالخير؛ فثناء الموحدين ـ وليس غيرهم ـ معتبر عند الله، وهو بشرى خير للمرء .. ومن يُحبه الله تعالى يضع له الثناء الحسن على ألسنة عباده المؤمنين الموحدين، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة من أهل أبيات جيرانه الأدنيين أنهم لا يعلمون منه إلا خيراً، إلا قال الله تعالى وتبارك: قد قبلت قولكم، أو قال: بشهادتكم، وغفرت له ما لا تعلمون ".

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال النبي ﷺ:" أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة، قلنا: وثلاثة؟ قال: وثلاثة، قلنا: واثنان؟ قال: واثنان، ثم لم نسأله في الواحد ".

وقال ﷺ:" إذا أثنى عليك جيرانك أنك محسن، فأنت محسن، وإذا أثنى عليك جيرانك أنك مسيء، فأنت مسيء ".

وقال ﷺ:" إذا أتى الرجل القومَ فقالوا له مرحباً، فمرحباً به يوم يلقى ربه، وإذا أتى الرجلُ القومَ فقالوا له: قحطاً، فقحطاً له يوم القيامة ".

وقال ﷺ:" أهل الجنة من ملأ الله أذنيه من ثناء الناس خيراً، وهو يسمع، وأهل النار من ملأ أذنيه من ثناء الناس شراً وهو يسمع ".

وقال ﷺ:" إذا صلوا على جنازة فأثنوا خيراً، يقول الرب: أجزت شهادتهم فيما يعلمون، وأغفر له ما لا يعلمون ".

ومنها: اعتبار الخاتمة؛ فالمرء الذي يُختم له بالخير يُبارك الله بعمله وحسناته أكثر ممن يُختَم لهم بسوء أو شر؛ فمن يُختم له بالشهادة ليس كمن يُختم له بغير ذلك .. ومن يُختم له بالكفر والشرك يُحبط الله عمله كلياً ويجعله هباءً منثوراً، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾الأنعام:88. وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾الفرقان:23.

بهذه العلامات والقرائن يُعرف القبول من عدمه .. وليس بمجرد كثرة المجتمعين في مجلس من المجالس على شخصٍ من الأشخاص .. وفي ساعة من الساعات .. كما يظن البعض .. فإن من الأنبياء من لم يؤمن به إلا الرجل الواحد .. ونوح عليه السلام ظلّ يدعو قومه إلى الإسلام والتوحيد قرابة ألف عام فما آمن معه إلا قليل من

المستضعفين لم يتجاوزوا العشرات، كما قال تعالى: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾هود:40. بينما الملأ والسواد الأعظم من الناس قد آثروا الكفر والعصيان.

ونقول كذلك: أن الدين بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، ونحن نعيش ـ في زماننا ـ كثيراً من معالم هذه الغربة .. فطوبى للغرباء الذين يتمسكون بما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ﷺ أجمعين!

قال رسول الله ﷺ:" طوبى للغرباء ثلاثاً، قالوا: يا رسولَ الله ومن الغرباء؟ قال: ناس صالحون قليل في ناسٍ سوء كثير، من يبغضهم أكثر ممن يطيعهم " وفي رواية:" ومن يعصيهم أكثر ممن يُطيعهم ".

وقال ﷺ:" طوبى للغرباء الذين يمسَّكون بكتاب الله حين يُترك، ويعملون بالسنة حين تُطفأ ". وقال ﷺ: " سيُنقَض الإسلام؛ المتمسك يومئذٍ بدينه كالقابض على الجمر أو خبط الشوك ".

عن أم الدرداء قالت: دخلَ عليَّ أبو الدرداء وهو غضبان، فقلت له ما أغضبك؟ فقال: والله ما أعرف فيهم من أمر محمدٍ شيئاً إلا أنهم يصلون جميعاً!

قلت: كيف لو أدرك أبو الدرداء زماننا ماذا تراه سيقول ..؟!

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: لو أنَّ رجلين من أوائل هذه الأمة خليا بمصحفهما في بعض هذه الأودية لأبيا الناسَ اليومَ، ولا يعرفان شيئاً مما كانا عليه!

قلت: كيف لو أدرك سلفنا الصالح زماننا ماذا تراهم سيقولون أو يعرفون ..؟!

وعن ميمون بن مهران قال: لو أنَّ رجلاً أُنشرَ فيكم من السلف، ما عرَفَ فيكم غير هذه القبلة!

قلت: كيف لو أنشر في زماننا ماذا عساه أن يعرف مما كان عليه السلف الأول ..؟!

وعن عيسى بن يونس، عن الأوزاعي، عن حبان بن أبي جبلة، عن أبي الدرداء، قال: لو خرج رسولُ الله ﷺ إليكم اليومَ ما عرَفَ شيئاً مما كان عليه هو وأصحابه إلا الصلاة!

قال الأوزاعي: فكيف لو كان اليوم؟!

قال عيسى: فكيف لو أدرك الأوزاعي هذا الزمان؟!

قلت: كيف لو أدرك سلفنا الصالح هذا الزمان الذي نحن فيه ..؟!

قال ابن المبارَك: أعلم أن الموت اليومَ كرامةٌ لكل مسلم لقي اللهَ على السنَّة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فإلى الله نشكو وحشتنا وذهاب الإخوان، وقلَّة الأعوان، وظهور البدع، وإلى الله نشكو عظيم ما حلَّ بهذه الأمة من ذهاب العلماء، وأهل السنة، وظهور البدع!

قلت: كيف لو أدرك ابن المبارك زماننا ماذا تراه سيقول ..؟!

قال فُضيل: في آخر الزمان يمشي المؤمن بالتقيَّة، وبئس القوم قومٌ يُمشى فيهم بالتقيّة!

قلت: نحن ـ والله! ـ في هذا الزمان .. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

* * * * *

165- دَورُ الشُّعوب في نصرةِ الحق.

قال لي قائل: نريد علماء يصدعون بالحق أمثال سلطان العلماء العز بن عبد السلام .. فهذا العالم ما لُقِّب بسلطان العلماء إلا لصدعه بالحق في وجوه السلاطين الحاكمين في زمانه!

قلت: كذلك نريد شعوباً وأناساً كالذين كانوا مع العز بن عبد السلام في زمانه .. فالحق لا ينتصر بالعلماء وحدهم .. ولا بالشعوب وحدهم .. بل بالعلماء والشعوب معاً .. فالعز بن عبد السلام لما أبى حكام المماليك أن ينزلوا على حكمه وقوله .. الذي هو حكمُ الشرع .. وذلك عندما ألزمهم بالتحرر من العبودية قبل أن يحكموا البلاد والعباد .. خرج على حماره مغاضباً حكام وسلاطين مصر .. فما أن علم الناس بخروجه من مصر .. إلا وخرجوا معه .. حتى كادت البلاد تخلو من الناس!

فقيل للمماليك: أرضوا الرجل وانزلوا على حكمه .. وأعيدوه إلى بيته .. وإلا حكمتم ديارا خالية من الناس!

فهل الناس مع علمائهم ـ في زماننا ـ هكذا..؟!

كم من عالم غيبته سجون القهر والظلم والكفر .. والناس عنه لاهون ساهون غافلون .. وكأنه لا يعنيهم في شيء؟!

* * * * *

166- لا تنقلوا شَتْمَ كُلَّ من شَتَمَ.

راسلني أحدُ الإخوان يخبرني عن امرأةٍ مغمورةٍ مطمورةٍ ملعونةٍ .. لا تُساوي الحبر الذي يُكتب فيه اسمها .. تشتمُ الإسلامَ ونبيَّ الإسلامِ صلوات ربي وسلامه عليه .. يُطالبني بالرد عليها .. وأن أخصها بمقالٍ أرد فيه على باطلها وكفرها .. وكان مقصدُه حسناً من وراء طلبه هذا!

فقلت له: أنتَ بطلبك هذا تُطالبني بأن أشتمَ الإسلامَ ونبيَّ الإسلام ﷺ .. من دون أن تدري .. وهذه الملعونة لا تُريد منَّا سوى أن يقع أمثالنا في مثل هذا الخطأ الشنيع!

عندما نخصها وباطلها بالرد .. نكون بذلك: نشرنا شتمها .. ونشرنا اسمها .. وعرَّفنا الناسَ عليها وعلى كفرها .. وآذينا قلوبَ المؤمنين وأسماعهم وأبصارهم بذكرها وذكر كفرها .. وهم بغنى عن هذا .. وهذا مطلب من مطالبها!

ظاهرةُ شتم الإسلام .. ونبيّ الإسلام ـ صلوات ربي وسلامه عليه ـ أصبحت موضة رائجة عند المغمورين المطمورين المجهولين الملعونين .. فإذا أرادَ أحدُهم أن ينتقلَ من عالَمِ المجهولين المنبوذين .. إلى عالم المشهورين .. الذين يُشارُ إليهم بالبنان .. تراهُ ـ لعجزه ـ يلتجئ إلى أقصر طريقٍ يؤدي به إلى عالم الشهرة والعالمية .. ألا وهو طريق الطعن والشتم!

لذا رجائي من المسلمين والمسلمات .. أن لا ينقلوا شتمَ كلَّ مَن شتَمَ .. وأن لا يُعينوا هذه الشِّرذمة المريضة على مرادهم الخبيث!

* * * * *

167- للرجلِ فقط!

شكا لي أحد الإخوان تفشي ظاهرة الطلاق .. ونشوز النساء عن الرجال .. وتفسخ العلاقات الزوجية في كثير من أمصار المسلمين؟!

فقلت له: من أهم ما يربط المرأة بزوجها، أمران: حاجتها المادية إليه .. وحاجتها الجنسية العاطفية .. فإذا انتفت حاجتها المادية إليه .. وأصبحت هي التي تنفق عليه بدلاً من أن يكون هو الذي ينفق عليها .. ثم إذا أضيف إلى هذا الحال المعكوس الفتور في العلاقة الجنسية العاطفية ـ وهذا لا بد أنه سيقع يوماً ما سواء كان سببه هي أم هو أم كلاهما ـ حصل هذا الذي أشرت إليه من تفشي ظاهرة الطلاق والنشوز!

أعجب لرجلٍ: يُطالب بحقه في القوامة على زوجته .. ثم هو في المقابل يُطالبها بأن تعمل .. وأن تلتمس الوظيفة عند الناس .. لتنفق عليه وعلى أسرته .. كما يفعل ذلك كثير من رجالات هذا العصر .. بل إن منهم من يشترط مسبقاً للاقتران بفتاة ما .. أن تكون موظفة .. وعاملة .. ولها راتب تتقاضاه .. لتنفق عليه وعلى أسرته!

قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾النساء:34. فالقوامَةُ مشروطةٌ بما أنفقوا .. وليس بما أنفقْنَ!

فيا أيها الرجل: لا تشكو من ظاهرةٍ .. تكون أنت وطمعُكَ وكسلُكَ .. سبَبها!

* * * * *

168- إذا رأيتَ أموراً.

إذا رأيتَ أموراً .. تذكَّر أموراً!

إذا رأيت في نفسك إيماناً .. وتذوقت لذة الإيمان .. تذكَّر الكفرَ والشركَ .. وما لأهله من وعيد وشقاء .. تعرف عِظَمَ فضلِ الله عليك أن هداك للإيمان .. وأنك لم تكن من الكافرين المشركين .. فالشيء يُعرَفُ قَدْره بضده.

إذا رأيت صحةً في بدنك .. تذكَّر حال المرضى ومعاناتهم .. وآلامهم .. يحملك ذلك على الرضا والتواضع والشكر.

إن أدركت غِناً .. تذكر الفقرَ وأهلَه .. وحياتهم .. ومعاناتهم .. وأنه يمكن أن يدور عليك القدر دورته .. فيُصيبك ما أصابهم .. عسى أن يحملك ذلك على التصدّقِ والإنفاق .. والشكر .. ومعرفة حقوق الآخرين في مالك!

إذا رأيت في نفسك قدرةً على الظلم والتعدي والطغيان .. تذكر أن هناك من هو أقدر منك على الانتصاف للمظلوم منك .. عسى أن يردعك ذلك عن غيك وظلمك وطغيانك!

إذا رأيت أمناً وأماناً في حياتك .. تذكر حال ومعاناة من فقدوا الأمن والأمان .. فتحمد الله على ما أسبغ عليك من النعم.

إذا رأيت في نفسك علماً .. تذكر يوم أن كنت جاهلاً .. وتذكر غيرك ممن يُعاني من الجهل .. عسى أن يحملك ذلك على بذل علمك، ودفع أسباب الجهل عنهم ما استطعت!

إذا رأيت في نفسك نقصاً .. أو نزل بساحتك بلاء .. فانظر إلى من هم دونك .. وأكثر منك بلاءً .. يهون عليك بلاؤك ومصابك .. ويذهب سخطك على نفسك!

إذا غرَّك الأمل .. وكثرت عليك مخططاتك ومشاريعك المستقبلية .. فتذكر هازم اللذات ومدمر الآمال .. تذكر الموت .. وأنه سيقرع بابك يوماً ما من دون استئذانك .. ويقطع عليك فجأة تلك الآمال والمخططات .. عسى أن يحملك ذلك على إنصاف آخرتك من نفسك ودنياك .. فتخطط وتعمل لآخرتك كما تخطط وتعمل لدنياك!

أعجب لرجل بلغ الستين من عمره .. سن الإعذار .. سن الاقتراب من حافة القبر .. ثم هو مع ذلك تراه يخطط لمشاريع .. وشركات .. وعمارات .. تحتاج إلى مائة عام أو أكثر .. ناسياً أو متناسياً أن بينه وبين الموت ـ إن مُد في أجله ـ سنوات معدودات قد لا تتعدَّى أصابع الكف الواحد .. كما في الحديث:" أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلَّهم مَن يجوز ذلك ".

* * * * *

169- إذا أردتَ أنْ تَدومَ نعمةٌ عليك.

إذا أردتَ أن تدومَ نعمةٌ عليك اشكرها، وليكن شكرك لها من جنسها!

فشكر نعمة الإيمان .. بتوحيد الله وإخلاص العبادة له ﷻ.

وشكر نعمة الغنى والمال .. بالتصدّق والإنفاق في أوجه الخير .. ومن نفس جنس ونوع المال الذي منَّ الله به عليك.

وشكر نعمة العلم .. ببذل العلم للناس وتعليمهم .. وعدم كتمانهم شيء منه.

وشكر نعمة الصحة .. القيام بالطاعات الجسدية من جهاد، وحج، وصيام، وخدمة للآخرين .. والإمساك عن المعاصي التي تؤدي إلى تلف الجسد وضَعفه.

وشكر نعمة الأمن والأمان .. أن تعرف لمن فقدوا هذه النعمة حقهم عليك.

وشكر نعمة الصديق الصالح .. بالوفاء له، وعدم الغدر به أو غشه .. والذود عن عِرضه وحقوقه في غيبته كما في حضرته.

وشكر كل عضوٍ من أعضاء الجسد يكون من نوع وظيفته وعمله؛ فنعمة البصر، تُشكر بغض البصر عن الحرام .. وبحراسة الثغور .. والحرمات .. وقراءة القرآن، والنافع من العلم.

ونعمة السمع .. تُشكر .. بالسماع للنافع من القول .. والإمساك عن سماع المحرمات!

ونعمة النطق واللسان .. تُشكر بذكر الله ﷻ .. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. واجتناب الغيبة والنميمة .. والفحش من القول.

وهكذا كل نعمة تُشكَر من جنسها .. فيديمها الله عليك، ويزيدك من فضله، كما قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾إبراهيم:7.

* * * * *

170- المرأةُ والطاغوتُ.

فقد تأملتُ أسلحة الطاغوت ـ بكل أنواعها النووية والكيماوية والذكية والتقليدية ـ التي بها يُحارب الإسلام وشباب الإسلام .. فوجدت أشدها وأشرسها فتكاً وضراوة على المسلمين .. سلاح المرأة؛ المرأة التي ترتضي لنفسها ما يرضاه لها الطاغوت .. وتسير في حياتها متبرجة فاسقة مائلة .. خاضعة بالقول .. كما يريد لها الطاغوت .. فيجندها الطاغوت ـ بذلك ـ لصالحه، وصالح حزبه، وطريقته .. وقانونه .. وملكه .. وهي تدري أو لا تدري .. فينطبق عليها الشطر الثاني من الآية الكريمة:﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾النساء:76.

لقد نازل الطغاة المجرمون الإسلامَ والمسلمين في كل الميادين الترغيبية منها والترهيبية .. والفكرية المعنوية منها والمادية .. واستخدموا فيها كل ما يملكونه من سلاح .. فهُزِمُوا .. وانقلبوا صاغرين .. وبقيت معركتهم الأخيرة التي يستخدمون فيها سلاح المرأة .. بصورة فاضحة مُشينة لم يُسبق لها مثيل .. وفي كل الميادين .. بل

وفي كل زِقٍّ وشارع .. ودائرة .. وعبر جميع وسائل الإعلام .. فأتى سلاحهم الفتاك هذا ببعض الثمار التي يرجونها .. ويخططون لها!

صدق رسول الله ﷺ إذ قال:" ما تركتُ بعدي في الناسِ فتنةً أضر على الرجالِ من النساء "مسلم.

لذلك تراهم يكثرون من الجدال والحديث عن المرأة .. وعن حقوقها .. وعملها .. وحريتها .. وجسمها .. وفتنتها .. وثيابها .. وجمالها .. وزينتها .. وحجابها كعورة .. وخروجها ودخولها .. وضرورة مساواتها ـ في كل شيء ـ مع الرجال .. وهم على استعداد أن يُقاتلوا لأجلها .. ليس حباً لها .. أو غيرة عليها وعلى حقوقها الشرعية وعلى حرماتها .. وشرفها .. لا؛ ليس لشيء من ذلك .. وإنما لكي يتمكنوا من استغلالها .. وأطرها إلى صفهم .. ومخططاتهم .. ومكائدهم الشيطانية .. فيقاتلون بها عدوهم القديم والحاضر .. والمستقبلي .. المتمثل بالإسلام، وأهل الإسلام!

فهل تعي المرأة المسلمة ذلك ...؟!

* * * * *

171- لماذا الدَّنْدَنَةُ حولَ التوحيد؟

قيل لي: تُكثِر في كتاباتك وأحاديثك من الدندنَةِ حولَ التوحيدِ .. وشروطه .. ومتطلباته .. ولوازمه .. وجزائه .. وكأنه لا همَّ لك ولا قضية .. سوى التوحيد؟!

أقول: لأن الله تعالى يُحبُّ التوحيدَ .. وأنا أحبُّ التوحيد .. وأدعو الله تعالى أن يُميتني على التوحيد .. ويحشرني يوم القيامة مع الموحدين المخلصين، وفي زمرتهم.

وأقول ثانياً: لأن الله تعالى خلق الخلق .. وأنزل الكتب .. وأرسل الرسل .. من أجل التوحيد .. فالتوحيد غاية الغايات .. التي ترخص في سبيلها جميع المقاصد والغايات.

وأقول ثالثاً: لأن التوحيد أصل الأصول، وأعلاها وأجلها .. لا يصح بناء، ولا يُقبل عمل من دونه .. فمن شَرَع في البناء والعمل من دون أن يحقق التوحيد .. وعلى غير أساس التوحيد .. انهار بنيانه .. وحبط عمله .. وجعله الله هباءً منثوراً، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾الأنعام:88. وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً﴾الفرقان:23.

وأقول رابعاً: لأن الجنَّةَ لا يدخلها إلا مؤمن موحِّد ...

فكيف بعد كل ذلك لا تريدون مني أن أكثر من الدندنة حول التوحيد؟!

* * * * *

172- انتفاءُ اجتماعِ الشِّركِ والتوحيدِ في الظَّاهرِ والباطنِ سواء.

تأملتُ نصوصَ الشريعة فوجدتها تدلُّ على استحالة اجتماع الشرك والتوحيد، أو الكفر والإيمان في قلبِ امرئٍ واحد .. كما تدل على استحالة اجتماعهما في الظاهر، وعلى الجوارح .. فإذا حلَّ أحدهما خرج الآخر ولا بد .. أما أن يتربعا مسالمين متعايشين متآلفين في مكانٍ واحدٍ .. في الباطن أو الظاهر .. فهذا غير ممكن .. ولا يجوز افتراضه عقلاً ولا نقلاً؛ لأنه من قبيل افتراض الشيء وضده في آنٍ معاً!

فإن قيل: عرفنا استحالة اجتماع الشرك والتوحيد أو الكفر والإيمان في قلب امرئٍ واحد .. لكن لم نفهم كيف يستحيل اجتماعهما في الظاهر؟!

أقول: ما يستحيل تحقيقه في القلب يستحيل تحقيقه في الظاهر .. وعلى جوارح الجسد .. فالعلاقة بين الباطن والظاهر متبادلة، ومتلازمة .. فكل منهما بريد للآخر ودليل عليه .. ومرآة له .. يؤثِّر ويتأثر بالآخر سلباً وإيجاباً .. فما ينتفي في الباطن ينتفي في الظاهر ولا بد، وما يوجد في الباطن يوجد في الظاهر .. ويسري إلى الجوارح الظاهرة ولا بد .. وكذلك العكس فما انتفى في الظاهر انتفى في الباطن، وما وجد في الظاهر وجد في الباطن .. وبالتالي فمن يُشرك في الظاهر .. وعلى الجوارح الظاهرة .. يُشرك في الباطن ويسري شركه إلى الباطن ولا بد .. ومن وحَّد في الظاهر والجوارح الظاهرة .. وحدَّ في الباطن وسرى توحيده إلى الباطن ولا بد .. أما أن يوحد ويُشرك في الظاهر وفي آنٍ واحد .. فهو كمن يُشرك ويوحد في الباطن معاً وفي آنٍ واحد .. وهذا يستحيل تحقيقه لدلالة النقل والعقل على انتفائه واستحالته.

فإن قيل: اضرب مثالاً لما ذكرت يتضح به المراد أكثر ..؟

أقول: مثال استحالة اجتماع الكفر والإيمان في الظاهر .. كمن يعبد الله ويعبد الطاغوت في آنٍ معاً .. أو كمن يوالي الله والمؤمنين ويوالي الطاغوت والمشركين في آنٍ معاً .. فيقاتل في سبيل الله وفي سبيل الطاغوت في آنٍ معاً .. أو كمن يحتكم إلى شرع الله تعالى وشرع الطاغوت في آنٍ معاً .. فهذا لا يمكن تحققه .. ولا اجتماعه في آنٍ معاً؛ لأنه من قبيل اجتماع الشيء وضده في وقت واحد .. والقول بالشيء وعدمه .. ولدلالة النص على استحالة اجتماعهما معاً، فمن عبد الله والطاغوت معاً .. فعبادته كلها للطاغوت .. لا تنفعه عبادته لله .. ومن والى الله والطاغوت معاً .. فموالاته كلها للطاغوت .. ومن تحاكم إلى الله والطاغوت معاً .. فتحاكمه كله للطاغوت .. ليس لله من ذلك شيء؛ فالله تعالى أغنى الأغنياء عن الشرك .. لا يقبل طاعة من عبد مع شرك؛ فهو وما أشرك لمن أشرك به .. سواء كانت هذه الطاعة من الأعمال القلبية أم الأعمال الظاهرة على الجوارح.

* * * * *

173- الإسلامُ دِينُ حَربٍ وسَلام.

ذبحوا المسلمين من الوريد إلى الوريد .. يُقاتلون المسلمين في كل مكان لدينهم .. غزوا بلادهم وأوطانهم .. خربوا ديارهم بعد أن كانت عامرة .. وانتهكوا حرماتهم .. وداسوها بالأقدام .. لا يعرفون حرمة لشيخ ولا لطفل ولا لامرأة .. ولا لمقدسات .. ومع ذلك لا يزال من مرجفي هذه الأمة ـ ممن يُحسَبون على طبقة المثقفين المشبوهين ـ من يرفع عقيرته .. ويُنادي من غير حياء: الإسلام دين سلام .. دين سلام .. كلمة حقٍّ يُريدون بها باطلاً!

نقول لهؤلاء ولمن وراءهم .. ولمن يسمعهم .. هوّنوا عليكم: الإسلام دين سلام .. لمن سالمَه .. ودخل في سِلْمِه وأمانِه .. أمَّا لمن يأبى إلا أن يُحاربَه ويُقاتله .. ويُعاديه .. فهو حينئذٍ دين حرب .. وقتال .. وتضحية .. وجهاد .. واستبسال .. يأبى لأهله الضيم والذل .. لا يشك في ذلك مسلم يعرف ربه .. ويشهد شهادة التوحيد .. ولا حتى من يقرأ صفحة واحدةً عن الإسلام من غير المسلمين!

* * * * *

174- أمرٌ يُعينُكَ على الإخلاصِ.

استوقفني خبر كُتب في زاوية صغيرة من زوايا جريدة من الجرائد .. لا يتعدى بضعة أسطر، يتكلم عن وفاة شيخ ناهز السبعين من العمر .. قضى حياته بين العلم والتعليم .. والنصح للمسلمين .. كما يقول الخبر!

قلت: يا سبحان الله .. هذا حظه من الناس والحياة .. أن يُذكَر خبر وفاته في قصاصة ورق لا يتعدى حجمها حجم كف اليد .. وهو الذي قد ناهز السبعين من العمر .. صرف جلَّ حياته في العطاء .. والتعلم والتعليم .. وخدمة الآخرين .. وهو لا شك أنه محظوظ لكونه قد ذُكر اسمه في هذه القصاصة الصغيرة من الورق .. فغيره .. يموت .. ويُدفن .. ولا أحد يسمع به .. أو يترحم عليه!

وأنت يا أخي: اعلم أن السماء لن تبكي لوفاتك وكذلك الأرض .. ومن يبكيك من الأقارب المقربين .. سرعان ما ينساك .. وما هي إلا أيام قلائل تمضي على وفاتك .. إلا واسمك وذكرك يُنسى ويُمحى من على الأرض .. لا أحد يذكر اسمك .. ولا يقول عنك: رحمه الله .. لتواجه مصيرك في عالم البرزخ ـ وما يتبعه من عوالم ـ بمفردك!

وهذا حري بك، وبكل عاقل: أن لا يصرف شيئاً من أعماله لوجوه الناس .. أو ليصرف إليه وجوه الناس .. مرائياً لهم .. وحتى يُقال عنه كذا وكذا .. فأنت بالنسبة لهم لا تُساوي أكثر من قصاصة ورق صغيرة .. يكتبون عليها خبر وفاتك .. لينشر في زاوية صغيرة من زوايا الصفحة المخصصة للأموات .. هذا إذا كنت من ذوي الشأن والشرف .. فهذه قيمتك .. وهذا هو قَدْرك عندهم .. ومن كانوا كذلك، وكنت بالنسبة لهم كذلك .. لا يستحقون منك أن تُرائي لهم في شيء .. أو أن تهتم بصرف وجوههم إليك .. أو بإطرائهم لك في شيء ..

وهو مدعاة لك ولنا ولكل عاقل أن يصطلح مع الله .. وأن يجعل أعمالَه كلها خالصة لله ﷻ .. وأن يكون همه الأكبر مرضاة الله .. ولو سخط عليه الساخطون .. وكانوا أهل الأرض جميعاً!

* * * * *

175- طالِبُ عِلمٍ شيخُهُ التقوى.

كثيراً ما أسمع تلك المقولة: مَن لا شيخَ له فشيخُهُ الشيطان!

وأنا أقول: من لم يكن شيخُهُ التقوى .. فشيخه الشيطان .. ولو كان له ألف شيخٍ ومُعلِّم .. برهان ذلك قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ﴾البقرة:282. مفهوم المخالفة من لا يتقي الله لا يُعلِّمه الله .. ولو كان له ألف شيخٍ ومُعلم.

فيا طالب العلم .. جميل أن يكون لك شيخ يُعلمك وتتلقى منه العلم والفقه .. والأجمل من ذلك أن تتحلى وتتزين بالتقوى .. فالتقوى دواء ومخرج من كل كرب وداء .. لا يستعصي عليه داء .. بما في ذلك داء الجهل .. ما خاب ولا خسر من جرَّبه، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً﴾الطلاق:2. أي مخرجاً من الظلمات إلى النور .. ومن الجهل إلى العلم .. ومن كل كرب وهم!

وقال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً﴾الأنفال:29. أي فصلاً بين الحق والباطل .. فتهتدون لمعرفة الحق من الباطل .. فتلتزمون الحق وتتركون الباطل .. وهذا كله بفضل التقوى .. وثمرة من ثمار التقوى .. وماذا يريد طالب العلم من طلبه للعلم فوق ذلك؟!

* * * * *

176- دفتري القديم.

بجواري دفتري القديم .. يرتحل معي متى أرحل .. ويحطُّ معي حيثما أحط .. عزيز علي فراقه .. غيره يُشحن في صناديق الشحن .. وهو يُحمل في حقيبتي اليدوية .. تربطني به ذكريات جميلة .. كل فقرة فيه لها قصة .. وسهرة .. ومحطة .. ومناسبة .. تعيدني إلى الأيام الأولى من الطلب .. وهو أقرب كتب مكتبتي إليَّ مجلساً .. أرجع إليه بين الفينة والأخرى في كثير من أبحاثي ومقالاتي .. مرصَّعٌ بالفوائد العلمية .. كنت قد اقتبستها من بطون كتب العلم النافعة .. منذ أكثر من عشرين سنة .. ومع ذلك فخيره لم ينضب .. وفوائده لم تنته .. وإلى الساعة لا أزال أرجع إليه وأستفيد منه .. وأجد فيه بغيتي وبعض حاجتي!

وهذا الذي أنصح به طالب العلم .. أن يقتني لنفسه دفتراً خاصاً يدوِّن فيه ما يهمه من فوائد ومسائل علمية ـ يعتقد أنه سيحتاجها لنفسه ولأبحاثه المستقبلية ـ وهو يُطالع ويقرأ في كتب أهل العلم .. مع تسجيل اسم المرجع ورقم الصفحة التي يقتبس منها الفائدة .. وأن يجعل لكل فائدة عنواناً يُعرِّفه على موضوع الفائدة .. فإن

كثرت الفوائد .. يجعل لها فهرساً في نهاية دفتره .. ليسهل عليه استخراج ما يريد استخراجه من الفوائد لأبحاثه ومقالاته المستقبلية .. في مراحله المتقدمة من الطلب.

واعلم أنه ما حملني على الحديث عن دفتري .. سوى رغبتي في تشجيعك على أن يكون لك دفتر كدفتري!

* * * * *

177- البلاءُ بلاءان!

البلاءُ بلاءان: بلاءُ الشِّدَّة والشَّرِّ .. وبلاء الخير والعافية والسّعة .. كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾الأنبياء:35. وأشدهما على الإنسان الثاني؛ لأن الأول يحمل صاحبه على الانكسار .. والدعاء .. والرجوع إلى الله .. والتواضع .. والقرب من الرَّحم .. والأصدقاء .. والثاني يحمل صاحبه ـ إلا من رحم الله ـ على الطغيان .. والكِبر .. والنسيان .. والظلم .. وقسوة القلب والجفاء .. ومقاومة هذا النوع من البلاء ومعالجته أشد على صاحبه من مقاومة ومعالجة بلاء الشِّدة والشر .. لذا فإن كثيراً من الناس إذ تراهم ينجحون في التعامل مع بلاء الشدّة والشر .. فإنهم يفشلون في التعامل مع بلاء الخير والعافية .. وينسون الحال الذي كانوا فيه زمن بلاء الشدة والشر .. كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَاداً لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾الزمر:8.

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ الأنعام :63-64.

وفي الحديث، فقد صحَّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال:" تَعَرَّف إلى اللهِ في الرَّخاءِ يَعْرِفْك في الشِّدَّة ". ولم يقل ﷺ تعرف إلى الله في الشدة يعرفك في الرخاء؛ لأن الشِّدةَ ليست موطنَ غفلة ونسيان .. وإنما الغفلة .. تكون غالباً مع فتنة الرخاء!

قال بعض السلف: ابتُلِينا بالضَّراءِ فصبرنا، وابتُلينا بالسَّراء فلم نصبر!

وقال بعضهم: المؤمنُ يَصبرُ على البلاء، ولا يصبرُ على العافيةِ إلا صِدِّيقٌ!

ويُقال كذلك: الصبر على فتنة المحجوب الممنوع الذي لا يُقدَر عليه أهون من الصبر على فتنة المبذول المقدور عليه .. والذي هو في متناول اليد!

* * * * *

178- بلاءٌ واحدٌ يُعنَى منه أكثر من طَرَفٍ.

تأملت أنواعَ البلاء، وأغراضه، ومقاصده، والحكمة منه فوجدتُ من البلاء بلاءً واحداً يُعنى به أكثر من طرفٍ وإنسانٍ، وفي وقت واحد؛ فيكون لفريق من الناس عقوبة وتأديباً، ولفريق آخرَ طهوراً يُطهِّر ويُكفِّرُ من ذنوبهم وخطاياهم، ولفريق آخر اختباراً وتمحيصاً لهم؛ هل يصبرون ويحتسبون أم أنهم يتسَخَّطون ويعترضون، ولفريق آخر يُعلي من مقاماتهم ودرجاتهم في الجنان يوم القيامة، ولفريقٍ آخر يكون انتصافاً لبعضِ حقوقهم ومظالمهم في الدنيا قبل الآخرة، ولفريقٍ آخر يكون عِبرة وعِظةً لهم عساه يعود بهم إلى جادة الحق والرشاد، ولفريق آخر يحملهم على شكر الله على ما بأيديهم من خيرٍ ونِعَم قد افتقدها غيرهم!

مثالُه: فقد محبوب؛ فيكون البلاءُ بالنسبة للمحبوب انتقاماً وعقوبة منه، لذنوبٍ ومعاصٍ كان قد ارتكبها، ولفريق من محبيه ـ قد خلطوا عملاً صالحاً بعمل طالح ـ كفارة وطهوراً لبعض خطاياهم وذنوبهم، ولفريق آخر من محبيه يكون تمحيصاً واختباراً لإيمانهم وصبرهم، ودرجة احتسابهم وتسليمهم، ولفريق آخر من محبيه وذويه صالحين أتقياء رفع منزلة ودرجات لهم يوم القيامة، ولفريق آخر يكون انتصافاً لحقوقهم ومظالمهم لما نالهم من ظلم وعدوان هذا المحبوب المفقود، ولفريق آخر يكون سبباً في هدايتهم وأوبتهم إلى الحق والرشد، ولفريق آخر يحملهم على شكر الله تعالى على دوام النعمة عليهم، وأن الله تعالى سلَّمهم مما نزل بغيرهم من بلاء!

هذا مثال، والأمثلة الدالة على هذا المعنى أكثر من أن تُحصَى .. فمن تنبَّه له أدرك الحكمة من كثيرٍ مما ينزل بأهل الأرض من بلاء .. نسأل الله تعالى العفو والعافية .. والسلامة في الدنيا والآخرة.

* * * * *

179- ما بَعدَ رمضان.

ذهبَ رمضانُ .. والناسُ بعده فريقان: فريقٌ يعبدُ ربَّ رمضان فقط .. ويتعرّفون إلى الله في رمضان فقط .. فإذا ولَّى رمضان .. تركوا العبادة .. وتركوا الصلاة .. وهجروا المصاحف والمساجد .. والجمعة والجماعات .. وركنوا إلى دنياهم .. وعادوا إلى عاداتهم القديمة المشينة .. وكأنّ رمضان كان عليهم حملاً ثقيلاً .. ينتظرون التحرر منه ومن تبعاته وتكاليفه بفارغ الصبر .. وفريق آخر وهم الأقل وللأسف .. الذين يعبدون الله تعالى في غير رمضان؛ في أشهر السنة كلها .. كما يعبدون الله تعالى في رمضان .. وهؤلاء هم الفائزون حقّاً!

فالله تعالى كما هو ربُّ رمضان .. ويُعبَد في رمضان .. فهو ﷻ .. رب أشهر .. وأيام .. وساعات .. ودقائق .. وثواني السَّنَةِ كلها .. يجب أن يُعبَد فيها وحده كلها كما يُعبد في رمضان .. كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ﴾الأنعام:162. فحياتك كلها .. بجميع سنواتها .. وأشهُرِها .. وساعاتها .. ودقائقها .. يجب أن تكونَ ﴿لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ﴾.

فيا من كان يعبد رمضان .. فإن رمضان قد ولَّى وأفَل .. ومن كان يعبد رب رمضان .. فإنَّ اللهَ حيٌّ باقٍ لا يموت.

واعلم يا عبد الله .. لكي تُقبَل عبادتُك في رمضان .. لا بد من أن تَعبدَ اللهَ في غير رمضان .. ومن يقول لك غير ذلك فهو يَكْذِبُكَ ويَغشُّك .. ولا يَصْدُقُك!

* * * * *

180- لِذَّةُ السَّيِّئةِ، ولِذَّةُ الحَسَنَةِ.

قد تكون للسيئة لذة مؤقتة مدتها قدر مدة فعل السيئة .. لا تتعدَّاها .. لكن قد يتبعها عواقب وخيمة على صاحبها تمتد لعشرات السنين .. وربما إلى ما بعد موته .. ويجد المرء آثارها السلبية في إيمانه .. وصفاء نفسه وذهنه .. وفي جسده .. وماله .. وأهله .. ومعارفه وأصدقائه .. وعلاقته بهم .. هذا غير الوعيد الذي ينتظره يوم القيامة .. جزاء على ما اقترفت يداه .. ولا يلومَنَّ حينئذٍ إلا نفسه!

بينما لِذة الحسنة؛ فهي لذة دائمة في وقت فعلها وما بعد فعلها .. تورث صاحبها الراحة والاطمئنان والرضا .. وقوةً في الإيمان والقلب .. والنفس .. والجسد .. وخيراً كثيراً ينعكس على نفسه وأهله، وماله، ومعارفه .. هذا غير الوعد الذي ينتظره يوم القيامة جزاء على حسنته .. فيفرح يومئذٍ بما أنجز الله له من وعد ونعيم.

فعلى المرء أن يختار .. والعاقل من يُحسِن الاختيار ويتعظ بغيره .. فيختار اللذة الدائمة .. على اللذة المؤقتة القصيرة الزمن، التي يتبعها حسرة وندامة .. وشقاء طويل .. وربما دائم بحسب نوع السيئة، وكَمِّهَا .. وقد صدق ابن الجوزي رحمه الله:" لا خيرَ في لَذّةٍ مِن بَعْدِها النارُ ".

* * * * *

181- الكلُّ يستفيدُ من الحقِّ، وقليلٌ مُنصِفُوه!

قيل لي: ما بالُ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الكل يستفيد منه، ويُقاتل بعصاه، وفي نفس الوقت الكل ـ ممن في قلوبهم مرض ـ يُجافونه ويُعادونه ..؟!

قلت: هكذا شأن الحق؛ فالحقَّ يُنصف الحقَّ عند الآخرين؛ أيًّا كانوا هؤلاء الآخرين .. فيستفيدون منه، ويَستقوَونَ به ـ على مخالفيهم ـ فرحين فيما أنصفهم به!

وهو كذلك يُجافي الباطلَ عند الآخرين؛ كل الآخرين .. ويعريه .. ويُحذِّر منه .. ويُنصف الحقَّ منه .. لذا فهم من هذا الوجه لا يرضون عنه؛ بل يكرهونه، ويُعادونه .. ويُجافونه .. وينبزوه بسوء الألقاب!

لذا إن رأيت ـ يا أخا الإسلام ـ عالماً هذا وصفه وحاله .. وهكذا موقف الناس منه .. فالزم غرزه، واعلم أنه على الحق المبين!

* * * * *

182- العَدْلُ.

العدلُ صفة يُحبها الله تعالى ويرضاها .. فالله تعالى لا يأمر إلا بالعدل، فحكمه كله؛ الشرعي منه، والكوني، قائم على العدل المُطلَق.

بالعدل قامت السماوات والأرض .. وبالعدل تعمر السماوات والأرض بالخير .. وبالعدل أرسلَ اللهُ الرسلَ .. وأنزل الكتُبَ .. ومن أجل العدل وحماية العدل .. شُرِعَ الجهاد والقتالُ في سبيلِ الله.

العدْلُ خيره عامٌّ وشامل لجميع الأرض، ومَن فيها، وما فيها .. ينتفع منه الإنسان، والحيوان، والنبات، والجماد.

وبالتالي لا يُمكن أن نعطل حركة العدل .. أو الحكم بالعدل .. أو أن لا نشهد بالعدل .. ولو على أنفسنا .. وذوي القربى من آبائنا وأبنائنا وإخواننا .. بذريعة أن طرفاً لا نحبه ولا نرتضيه قد يستفيد من العدل .. ومن الحكم بالعدل!

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾النساء:58.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾النحل:90.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾المائدة:8.

* * * * *

183- ظاهِرَةٌ حَضَارِيَّة!

حب الاطلاع يشدني بين الفينة والأخرى أن أزور بعض المكتبات العربية والأجنبية علَّني أجد فيها ما أبحث عنه ويروي ظمئي .. إلا أنني لاحظت العجب العجاب .. فإذا دخلتُ مكتبةً عربية .. فكأنما داخل إلى كهف مُظلم مهجور .. الكتب مبعثرة على الأرض وبطريقة لا تخلو من امتهان واستهانة .. يعلوها الغبار .. لا يُمكن أن تصل بسهولة إلى العنوان الذي تبحث عنه؛ لأن المكتبة تفتقد إلى الترتيب والتنظيم والنظافة والفهرسة .. وإن وجدتَ ـ بعد عناءٍ ـ العنوان الذي تبحث عنه وكان في الرفوف العلوية للمكتبة .. لا يتورع البائع أن يدوس بحذائه النجس على الكتب في الرفوف السُّفلى أو الموضوعة على الأرض .. من أجل أن يأتيك بنسخة من

العنوان الذي تسأل عنه .. علماً أن هذه الكتب ـ التي يُداس عليها ـ لا تخلو من ذكر لبعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ...!

ولو نطقَ الكتاب لكانت أول كلمة يقولها لزائره أخرجني من هذه المكتبة المُظلمة الظالم صاحبها .. الذي لا يعرف لي ولا لكاتبي حرمة ولا قَدْراً .. كمثل عبدٍ مملوك يستجدي كريماً مرَّ به أن يحرره من سيده الظالم!

بينما إذا دخلت إلى المكتبة الأجنبية .. تجد الجودة العالية في النظافة والتنظيم، والترتيب، والإضاءة، وطريقة عرض الكتاب، وفهرسته .. لا يُمكن أن ترى كتاباً ـ مهما كان محتواه ساقطاً ـ مُهاناً أو في موضع غير لائق به!

المكتبة مهما كانت ضخمة أو كبيرة إلا أنك بثوانٍ معدودات تصل إلى العنوان الذي تبحث عنه وتريده .. مما يجعلك مشدوداً لشراء ما تبحث عنه من الكتب والعناوين، وما لم تبحث عنه!

ولو جاز للكتاب في تلك المكتبات الأجنبية أن ينطق؛ لكان أول ما يقوله لزائره، إما أن تأخذني إلى مكانٍ ألقى فيه مزيداً من الاحترام والرعاية عما أجده في موضعي هذا .. أو تدعني .. فأنا لم ألقَ من صاحبي إلا خيراً!

قلت هذه الفوارق بين بني قومي وبين الأجانب الأوربيين في التعامل مع الكتاب .. هي من جملة الفوارق الحضارية التي امتازوا بها عنا .. وسادوا بسببها .. فالأمة التي لا تحترم الكِتاب .. ولا العلماء أو الكتَّاب والمؤلفين .. تفقد ظاهرة حضارية راقية .. ومعلَماً عظيماً من معالم الحضارة والتحضر والتقدم!

* * * * *

184- مِن الكَذِب على النبيّ ﷺ.

للكذب على النبيّ ﷺ صورتان: صورة أن يقول الكاذب فيها: حدثنا فلانٌ، عن فلانٍ، عن فلان .. عن النبي ﷺ .. والنبي ﷺ لم يُحدث بهذا الحديث .. أو يقول: قال رسولُ الله ﷺ .. فعَلَ رسولُ الله ﷺ .. والرسولُ ﷺ لم يقل ولم يفعل شيئاً من ذلك .. هذه صورة من صور الكذب الصراح!

وصورة أخرى من الكذب؛ هيئتها أن يُفتي المفتي .. ويقول كاذباً ـ من أجل أن يفرض رأيه على الآخرين أو أن يجد لفتواه أو قوله رواجاً بين الناس ـ بهذا أفتى النبيُّ ﷺ .. أو هذا الذي كان عليه النبي ﷺ .. أو هذا الذي دلَّت عليه السنة .. والسُّنة من فتواه وقوله براء .. فهذا أيضاً من الكذب على النبي ﷺ .. وما أكثر الذين يقعون في هذا النوع من الكذب على النبي ﷺ ثم يحسبون أنفسهم أنهم ممن يُحسنون صنعاً، وأنهم ليسوا من الكاذبين، وأن قوله ﷺ:" مَن كذَبَ عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعدَهُ من النار "البخاري. لا يُحمل عليهم، وهم وما يكذبونه غير معنيين منه .. والحق أن هذه الصورة من الكذب، والتي قبلها سواء في السوء، والحكم!

* * * * *

185- المسألَةُ فيها قولان!

دخلتُ بقَّالةً كبيرة قد خصص أصحابها للزبائن أكياساً قد كُتب عليها بعض الكلمات بالعربية، ومن تلك الكلمات كلمة قد ورد ذكرها في القرآن الكريم .. فقلت لأنصَحَنَّ أصحاب تلك البقالة بأن يستبدلوا تلك الأكياس بأكياسٍ تخلو من تلك الكلمات .. وبخاصة أن هذه الأكياس تكون نهايتها إلى سلَّة القُمامة .. وهذا لا يجوز لما فيه من امتهان للأحرف العربية .. التي بها نزل القرآن الكريم .. فنصحتهم .. ولمست من أصحاب البقالة والعاملين فيها تفهماً وتجاوباً .. إلا واحداً منهم .. شذَّ عنهم .. فانبرى وقال مُغضَباً: المسألة فيها قولان ...!

فقلت: مَن يكون هذا ...؟!

قالوا: هذا قد درس الشريعة .. وهو يحمل شهادة الليسانس في الشريعة .. وقد ذكروا لي الجامعة، والدولة العربية التي توجد فيها تلك الجامعة!

فقلت: يا سبحان الله .. العمَّال الذين لم يدرسوا الشريعة .. ولم يعرفوا كثيراً عن أحكام الشريعة .. قد اعترفوا بتقصيرهم .. وقد ظهرت عليهم ملامح الخوف والخشية من الله .. ووعدوا خيراً .. إلا هذا الذي درس الشريعة .. في جامعة من تلك الجامعات المنتشرة في البلاد العربية!

فأي شريعة هذه التي درَسها وتعلَّمها .. من تلك الجامعة .. وما هي الشريعة التي تُدرِّسها تلك الجامعة .. والجاهل الذي لم يدرس الشريعة .. وجد في نفسه من الخوف والخشية من الله تعالى ما لم يجده هذا الذي درس الشريعة!

صدِّقوني أن العِلمَ .. إن لم يُطلَب على طريقة السلف .. ويكون طلبه خالصاً لوجه الله تعالى .. تكون عواقِبُه على صاحبه أكثر من عواقب الجهل .. وصاحب فتوى " في المسألة قولان "، دليل على صحة ما ذكرناه!

* * * * *

186- ليعلَمَ الجميع!

ليعلم الجميع، وبخاصة هؤلاء الذين ارتضوا أن يكون الإسلامُ طرفاً أو شريكاً مع الأحزاب الوضعية العلمانية الأرضية في أي عملية سياسية تشهدها بلاد المسلمين: كما أن الله تعالى لا يقبل لنفسه شريكاً في الخَلْقِ والمُلك، كذلك لا يقبل لنفسه شريكاً في الحكم والتشريع .. والتحليل والتحريم، والتحسين والتقبيح .. وكما أن الله تعالى لا يقبل لنفسه شريكاً في حكمه الكوني، كذلك لا يقبل لنفسه شريكاً في حكمه الشرعي .. والمرء ـ في دين الله ـ لا يكون موحداً حتى يوحِّد الله تعالى في حكمه الكوني والشرعي سواء.

عندما نجعل كلام الله تعالى .. وحكمه وشرعه وقانونه .. مصدراً من مصادر التشريع تُشاركه مصادر تشريعية أخرى وضعية من صنع البشر .. نكون بذلك قد ساوينا بين الخالق والمخلوق .. وساوينا بين كلمة الخالق وكلمة المخلوق .. وأشركنا المخلوق الضعيف العاجز الجاهل المملوك مع الخالق المالِك القوي الذي له الكمال المطلق في أسمائه الحسنى، وصفاته العليا .. وهذا عين الظلم، والشرك، والكفر البواح!

من هنا فإنَّ المسألة ـ بالنسبة للمسلم ـ غير قابلة للتفاوض أو التنازل والنقاش .. فهي بالنسبة له كفر أو إيمان .. شرك أو توحيد .. إسلام أو لا إسلام .. ولا يجوز أن تكون بالنسبة له إلا كذلك.

* * * * *

187- دُعاةٌ يُسِيئون للنبيِّ ﷺ!

مِن الدُّعاة مَن تراهم ـ تحت ضغط الدعاية المكثفة التي ترعاها قوى الكفر والظلم والطغيان، ومنهم من يفعل ذلك عن حسن نية، وبدافع الدفاع عن النبي ﷺ زعموا ـ يُسيئون للنبي ﷺ وهم يدرون أو لا يدرون ..!

فهم حتى يدفعوا عن النبيِّ ﷺ تهمة العدو المتكررة .. بأنه النبيّ الذي بُعث بالسيف .. والعنف .. والقتال .. تراهم يُشوهون صورة النبيِّ ﷺ .. ويُسلطون الضوء على بعض صفاته ﷺ دون الأخرى .. وعلى بعض جوانب حياته دون الأخرى، وإلى درجة إنكارها .. وأحياناً يبالغون في تسليط الضوء على جانب من جوانب حياته وصفاته؛ فيصفونه بما ليس فيه .. ولا يجوز أن يوصف به .. فيُظهرونه للناس على غير حقيقته .. وغير صفاته الكاملة العظيمة التي فطره الله تعالى عليها .. وكأنهم يستحون من صفاته العظيمة النبيلة .. فداه نفسي!

فهم لكي يدفعوا عن النبي ﷺ تلك الشبهة .. تراهم يُسلطون الضوء والحديث على جانب الرحمة، والرفق، والرقة، والزهد، والمسكنة فقط من شخصية وحياة النبي ﷺ .. دون النظر إلى بقية الصفات والخصال والجوانب العظيمة الأخرى من شخصية النبي المصطفى ﷺ .. فتظهر للناس نصف الحقيقة .. أو نصف الصورة .. دون النصف الآخر .. التي لا تكتمل الصورة إلا به .. وهذا لا شك أنه يُسيء للنبي ﷺ أيما إساءة .. لو كانوا يعلمون!

وعليه، فإننا نقول للجميع؛ للصديق والعدو سواء: مُحَمَّد رسولُ الله ﷺ هو رسولُ الله للعالَمين، خاتم الأنبياء والرسل لا نبي بعده، وإلى يوم القيامة .. ودينه الإسلام .. دين الله للعالَمين .. خاتم الأديان لا دين بعده، وإلى يوم القيامة .. والكتاب الذي أُنزل عليه، خاتم الكتب السماوية، لا كتاب بعده، وإلى يوم القيامة .. وفي المقابل فإن الحياة الدنيا قدَّرها الله تعالى أن تكون دار عملٍ، وتمحيص، وبلاء، وأن تكون مقراً للخير والشر سواء .. فللخير أعوانه، وأتباعه وأنصاره .. وللشر كذلك أعوانه، وأتباعه، وأنصاره .. وهما في صراع وتدافع من يوم أن خلق الله تعالى أدم عليه السلام، والشيطان الرجيم .. وإلى يومِ القيامة .. هذا واقع مُشاهَد .. قد دل عليه النقل والعقل، لا يُماري فيه إلا جاهل جَهله من ذوي الجهل المركب المُغلَّظ، قد أعمى الله بصره وبصيرته.

ومن كمال الشريعة التي بُعث بها مُحَمَّد ﷺ .. أنها شريعة شاملة لجميع جوانب الحياة .. شريعة تتعامل مع جانب الشر، فتُقدم له ما يلزمه من علاج ودواء .. حتى لا تتسع ساحة ضرره وشرِّه وأذاه .. كما أنها تتعامل مع جانب الخير .. فتنميه .. وتباركه، وترعاه .. لِتَعْمُرَ به الأرضُ وتزدهر.

ومن لوازم هذا الكمال والشمول في التعامل مع مقتضيات الحياة .. وما فيها من خير وشر .. أن شرَع الله تعالى القَصَاص .. والقتال .. والجهاد .. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. وجعل الجهاد في سبيل الله في مرتبة ذروة سنام الدين الخاتم .. وبعثَ نبياً خاتماً فيه الصفات النبيلة الكاملة التي تُمكنه من التعامل بأعلى الحكمة والمسؤولية مع جانبي الخير والشر سواء، وأن يُعامل كلَّ جانبٍ منهما بما يستحق من معاملة.

فإن علمتَ ذلك أيها القارئ ـ أيَّاً كان دينك ـ سهل عليك أن تفهم كلماتنا التالية:

فإذا ما انتهكت حرمات الله .. وحرمات عباد الله .. وهَجمَ الشرُّ .. وانتفش .. وتطاول بعنقه .. يتطلع العدوان والفساد والخراب في الأرض .. تجد النبيَّ مُحَمَّداً ﷺ .. قد تجلت فيه أسمى وأرفع معاني وصفات العزَّة والبطولة .. والرجولة .. والشجاعة .. والقوة .. والعزيمة .. التي تأبى الدنيَّة أو السكون لباطلٍ أو ظالم .. فهو حينئذٍ شديدٌ حديد .. مُقاتل محترف مِقدام .. لا تأخذه في الله لومة لائم .. تجده المجاهد الأول الذي لا يُحاذيه ولا يوازيه مجاهد .. الذي يحتمي به الشجعان من الأبطال إذا ما حمي وطيس المعركة.

وفي الجانب المقابل .. إذا ما أقبل الخير .. وأطل السَّلام .. والأمان .. وجنَحَ الناس بما فيهم المخالفون للسِّلم .. تجد النبيَّ قد تجلت فيه أسمى وأرفع معاني وصفات الرحمة، والرفق، والشفقة، والتواضع .. تجد الجود، والخير كله مبذولاً بين يديه.

كثير من عظماء التاريخ ترى فيهم الصفات التي تمكنهم من حسن التعامل والتعايش في ميادين دون ميادين .. فالذي منهم يحسن التعامل والتعايش في السلم وأجوائه ومتطلباته .. قد لا يُحسن التعامل ولا التعايش في الحرب وأجوائه ومتطلباته .. والذي يُحسن منهم التعامل والتعايش مع أجواء الحرب ومتطلباتها .. قد تجده لا يُحسن التعامل ولا التعايش مع أجواء السلم والسلام ومتطلباتها .. بينما النبي الخاتم ﷺ قد مَنَّ الله تعالى عليه بكمال الصفات والأخلاق التي تمكنه من التعامل والتعايش ـ على أكمل وجه ـ مع السلام وأجوائه ومتطلباته، ومع الحرب وأجوائه، ومتطلباته سواء .. وبأعلى درجة من الرقي، والأخلاق، والمسؤولية.

النبيُّ ﷺ هو الإمام في المسجد .. وهو الإمام في البيت .. وهو الإمام في ساحات وميادين الحكم والقضاء .. وهو الإمام في ساحات وميادين العِلم والتَّعليم .. وهو الإمام في ساحات وميادين الحرب والقتال .. وهو الإمام في ساحات وميادين السلم والعهد والأمان .. وهو الإمام في كل ميدانٍ من ميادين الخير والعطاء .. وهذا من لوازمه أن تتحقق في النبيِّ ﷺ الصفات العليا التي تجعل منه إماماً للناس جميعاً في مجموع الميادين الآنفة الذكر .. وهو كذلك ولله الحمد.

النبي مُحَمَّد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين .. وهو رسولُ الله إلى العالَمين .. قد أمرَ اللهُ تعالى الناسَ جميعاً باتباعه .. والاقتداء به .. وأن يجعلوا منه لأنفسهم أسوة حسنة .. في جميع شؤون حياتهم ومعاملاتهم الخاصة والعامة .. وهذا من لوازمه أن تكون في النبي ﷺ الصفات العليا التي تجعل منه مثلاً أعلى لجميع الناس .. على اختلاف مستوياتهم وتخصصاتهم ومواقعهم؛ فالمجاهد المقاتل يجد في النبي ﷺ الصفات العليا التي يقتدي ويتأسى بها في جهاده وقتاله .. وكذلك الحاكم القاضي .. والعالِم المُرَبّي .. والزاهِد العابد .. والعامل في إتقانه لعمله .. والزوج في بيته، وكيفية تعامله مع أهله .. والوالد وكيفية تعامله مع أبنائه .. والغني وما عليه من واجب .. والفقير وما عليه من واجب .. وهكذا ما من شريحة من شرائح المجتمع إلا وتجد في النبي ﷺ المثل الأعلى، والصفات العليا التي تحتاجها في حياتها لتقتدي وتتأسى بها .. فكما أن الله تعالى لم يخلق الناس ـ كل الناس ـ سُدَاً وعبثاً من غير شريعة توجههم وتهديهم .. وتبين لهم سبُلَ الخير من الشر .. كذلك ﷻ لم يخلقهم سُداً وعبَثاً من غير أسوة حسنةٍ يقتدون بها في جميع حاجياتهم وشؤون حياتهم .. وهذا من لوازمه ـ كما ذكرنا ـ أن تتوفر في هذه الأسوة الحسنة جميع الصفات العُليا .. التي تلبي حاجيات ومتطلبات جميع شرائح الناس على اختلاف مواقعهم، وتخصصاتهم.

إن فهمت هذا المعنى أيها القارئ، سهل عليك أن تفهم معنى قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾الفتح:29. وأن تفهم قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾المائدة:54. ونحوها من الآيات والنصوص .. واستطعت أن توفق بين صفات العزة، والقوة، والشجاعة، والإقدام، وحُب الجهاد والاستشهاد عند النبي ﷺ، وبين صفاته الأخرى الدالة على سعة رحمته، ورفقه، وزهده، وتواضعه .. وترغيبه لأمته بالعمل والإنتاج .. وإعمار الأرض بالخير وبما ينفع الناس.

* * * * *

188- الأرضُ.

تأمَّلْتُ الكواكب والنجومَ .. وما قِيلَ عنها .. فوجدتها قاحلةً جرداء .. بعضها شديدة الحرارة .. وبعضها الآخر شديدة البرودة .. بحيث يستحيل معها الحياة لحيوان أو إنسانٍ أو نبات .. إلا الأرض فهي عامرة بالعطاء .. والجمال .. والحياة .. وأسباب ومقومات الحياة .. عامرة بالتنوع من حيث فصولها .. وأيامها .. وساعاتها .. ومن حيث تضاريسها وبنياتها؛ ففيها الجبال .. والسهول .. والبحار .. والصحراء .. والأنهار .. ومن حيث نباتها وثمارها .. وحيواناتها .. ودوابها .. وعطائها .. وهذا كله مسخَّر للإنسان .. ومن أجل الإنسان الذي يعيش على هذه الأرض.

لماذا لا يوجد كوكب أو نجم ـ على كثرة النجوم والكواكب ـ يُشارك الأرض مثل هذا الجمال .. والتنوع .. والعطاء .. أيُعقل أن ذلك جاء صدفة أو عبثاً .. من غير غاية .. ولا رسالة يعيشها الإنسان في هذه الأرض؟!

الجواب لمن لا يزال متردداً .. شاكاً .. لاهياً .. مسطور في هذه الآيات الكريمات:

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾البقرة:164.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾النحل:14.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾لقمان:20.

وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ . فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾المؤمنون:115-116.

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾الذاريات:56.

فهل عقلت ـ يا ابن آدم ـ الجواب .. وأدركت الحكمة من وجودك في هذه الحياة .. وعلى هذه الأرض الجميلة .. فهلاَّ شكرتَ النِّعَم .. ومن ثم ثمَّرت عن ساعد الجد والسَّيْرِ والعمل .. أم أنك لا تزال تعيش ظُلمة الشك والتردد .. حتى يأتيك اليقين .. فتندم .. ولات حين مندم؟!

* * * * *

189- يَومَ يَنكَشِفُ الغِطاء!

ذلك عند الموت .. والانتقال من عالم الأحياء .. إلى عالم البرزَخ .. الانتقال من عالم الغفلة واللهو والمتاع الزائف .. إلى عالم الوحدة والخلوة .. وظلمة القبر .. حيث تنكشف بعض عوالم الغيب ـ من الوعد والوعيد ـ عن الميت؛ فما كان يراه بعين الشك أو الظن .. يراه بعين اليقين .. يومئذٍ يتذكر الإنسان ما سعى، فيقول: يا ليتني لم أفرِّط بحقّ الله شيئاً .. يا ليتني جاهدت واجتهدت أكثر في عبادة الله تعالى وطاعته .. يا ليتني لم أظلم أحداً .. يا ليتني لم أنصر ظالماً أو طاغوتاً .. يا ليتني لم أخذل الإسلام والمسلمين في موقف استطعت فيه نصرتهم .. يا ليتني صدعت بالحق كاملاً؛ فلم أخش في الله مخلوقاً .. يا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً .. ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى . يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ الفجر:23-24. ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً﴾ الكهف:42. ﴿يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ الفرقان:27-29. فيقع الندم، ولات حين مندم!

وحتى لا يقع شيء من ذلك .. وقبل أن يقع .. راجع نفسك يا عبد الله .. وحاسبها قبل أن تُحاسَب .. واغتنم فرصة حياتك قبل أن يُهاجمك الموت بغتة .. فبادر إلى التوبة والاستغفار والاستدراك .. وانظر ماذا قدَّمت لغدٍ مِن زادٍ وعمل، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ الحشر:18. ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾الشعراء:88-89.

* * * * *

190- الإنسانُ وفصُولُ السَّنَةِ.

كثير من الأشياء التي هي حول الإنسان .. فيها موعظة له وتذكير بأصله وحاله ومآله .. وضُرِبَت كمَثَلٍ له .. مثالُ ذلك فصولُ السنة: الشتاء، والربيع، والصيف، والخريف.

فمثل الشتاء المنهمر؛ الذي به ـ بإذن الله ـ تحيا الأرضُ، وينبت الزَّرع .. مثل الماء الذي يُقذَف في الرَّحِم .. والذي يكون سبباً لولادة الإنسان .. وتشكيله في رحم أمه .. ثم ولادته.

ومثلُ الربيع وخضرته وأزهاره .. مثل الإنسان وهو يشب وينمو .. ويزدهر .. فيمر في مراحل وأطوار الطفولة كلها .. إلى أن يُصبح في عمر الربيع من الشباب.

ومثَلُ الصيف ويبوسته وجفافه .. مثل الإنسان عندما يشتد عوده وعزمه .. وتكتمل رجولته .. وهي فترة ما بين الثلاثين إلى الأربعين من عمره.

ومثَلُ الخريف واصفرار أوراقه وتساقطها، وتكسر أغصانه وضعفها .. مثل الإنسان عندما يدخل مرحلة الشيخوخة .. فيتساقط شعره .. وينحني ظهره .. ويذهب بريقه ..ويضعف عوده .. إلى أن يوافيه الموت.

وهكذا لو نظرنا كذلك إلى حركة الليل والنهار .. وحركة القمر والشمس وظهورهما وأفولهما .. لوجدنا فيها مثلاً لحياة الإنسان وتقلباته .. ومراحل أطواره ونشأته .. وهذا مدعاة للإنسان أن يتفكّر في كل ما يجري حوله من عوالم وآيات .. وأن يرجو لله الوقار والإجلال، كما قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً . وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾نوح:13-14.

* * * * *

191- سمَكُ السَّردين!

فقد تأملت التكتلات الضخمة لسمك السردين في البحار .. وكيف أن الحيتان والدلافين .. وسمك القرش .. وغيرها .. تنقض عليها وتلتهمها .. حتى أن الطيور التي في السماء لا تنسى حظها من تلك التكتلات الضخمة .. لتصبح أثراً بعد عين!

قلت: هكذا هي أمتي الآن ـ لما تخلت عن الجهاد في سبيلِ الله، وعن الأخذ بأسباب القوة والمنعة والتمكين ـ كل أمم الكفر والإلحاد تنقضّ عليها .. وتلتهم منها لهمة .. وتقتطع منها قطعة .. ومن دون أن تبالي لها بالة .. كالقصعة التي يجتمع عليها الأكلة ليلتهموا ما فيها، غير آبهين ولا مبالين لما يكون بعد ذلك .. كما ورد في الحديث:" يوشكُ الأمم أن تَدَاعى عليكم ـ أي تجتمع وتتكالب ـ كما تَدَاعى الأكلةُ إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذٍ؟ قال: بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفنَّ في قلوبكم الوهن، فقال: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حُبُّ الدنيا، وكراهيةُ الموت "؛ في سبيل الله.

* * * * *

192- الغزوات الدعوية!

نسمعُ كثيراً عن الغزوات العسكرية هنا وهناك .. ونرى التصفيق لما يجوز أن يُسمى غزوة وما لا يجوز .. بينما لا نسمع شيئاً عن الغزوات الدعوية التثقيفية .. التي تستهدف تعليم الناس .. وإخراجهم من أوحال وظلمة الجهل والشرك إلى نور العلم والتوحيد .. رغم وجود آلاف القبائل والطوائف المنتشرة في أطراف الأرض التي لم تسمع عن الإسلام شيئاً .. وتُراها تُمارس طقوساً دينية شركية تحط من قدر الإنسان كإنسان قد كرمه الله تعالى بكثير من الخصائص الفريدة التي خصَّه بها دون سائر الخلق .. حيث أن منهم من يعبد الأصنام والحجارة .. ومنهم من يعبد الأرواح والشياطين .. ومنهم من يعبد الدواب والحيوانات والحشرات .. ومنهم من يعبد الكواكب والنجوم .. وغير ذلك من الآلهة الوضيعة الباطلة المزيفة .. وهؤلاء تعدادهم بمئات الملايين .. ومع ذلك لا نسمع عمن يقصدهم ويغزوهم .. لا لكي يقتلهم ويعتدي عليهم وعلى حرماتهم .. وإنما لكي يعلمهم .. ويهديهم إلى الصراط المستقيم .. ويخرجهم من عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق سبحانه وتعالى وحده.

أعجب لأمة تتنكب عن هذه المَهمَّة العظيمة .. وكتابها يقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾فصلت:33.

أعجب لأمة تتنكب عن هذه المهمة العظيمة .. ونبيها ﷺ يقول:" لأن يهديَ اللهُ بك رجلاً خيرٌ لكَ من أن يكون لك حُمْرُ النَّعَم ".

وقال ﷺ:" مُعَلِّمُ الخيرِ يَسْتَغْفِرُ له كُلُّ شيءٍ حتى الحيتانُ في البحارِ ".

وقال ﷺ:" إنَّ اللهَ وملائكتَهُ وأهلَ السماوات والأرض حتى النَّملَة في جُحرها، وحتى الحوتَ، ليصلون على معلِّمي الناسِ الخيرَ ".

وقال ﷺ:" أيُّما داعٍ دعا إلى الهُدى فاتُّبِعَ فإنَّ له مثلَ أجورِ مَن اتَّبعَه ولا ينقصُ من أجورِهم شيئاً ".

فيا باغي الخير أقبل واغترف .. فها هو باب عظيم من أبواب الخير قد فُتح لك .. اغتنمه قبل أن يُغلق دونك فتُحرَمه.

* * * * *

193- لا تخافوا فدِينُ اللهِ محفوظ.

بين الفينة والأخرى يُراسلني الأخوان ـ بشيء من الخوف والقلق على دين الله وإسلام المسلمين ـ ليخبروني عن بعض رؤوس ودعاة الفتنة والضلالة التي تظهر هنا أو هناك .. والذي منهم من يجنح إلى التشيع والرفض .. أو إلى التجهم والإرجاء .. أو إلى الغلو والتخلق بأخلاق الخوارج .. أو إلى العلمانية والديمقراطية .. والليبرالية، والإباحية .. وتقديم الهوى والرأي ـ الذي يسمونه زوراً بالعقل ـ على النقل .. وأن لدعاة الفتنة هؤلاء شراً مستطيراً .. قد آذوا به البلاد والعباد!

ولهؤلاء الإخوان ـ وغيرهم ـ أقول: لا تخافوا .. فدين الله تعالى محفوظ .. كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾الحجر:9. ومن تكفل الله بحفظه فلا ضَيْعَةَ عليه.

كم من داعية فتنة وضلالة .. وكم من طاغية مستكبر .. مرَّ على هذه الأمة .. وقد مكروا مكراً كُبَّاراً .. فأين هم ومكرهم الآن .. وأين الإسلام .. هم حطب للنار .. وفي الزاوية الملعونة المنبوذة من التاريخ .. بينما الإسلام لا يزال ثابتاً بأصوله وفروعه .. وهو في امتداد وتوسع .. والناس يدخلون فيه أفواجاً .. عطاؤه متجدد لا ينضب على مدار الأوقات والأزمان .. كشجرة طيبة مباركة أصلها ثابت في الأرض وفرعها في السماء .. لا يتوقف عطاؤها لطارئ أو عارِض .. تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

والمعاصرون من الطواغيت ودعاة الفتنة هؤلاء .. ليسوا بأشد على الإسلام من أسلافهم الذين مضوا ليحملوا أوزارهم وأوزار من اتبعهم .. ولسوف يمضون بأوزارهم وأوزار أتباعهم كما مضى مَن قبلهم من دعاة الفتنة والطواغيت الظالمين .. ويبقى الإسلام ـ دين الله ـ عالياً .. قوياً .. شامخاً .. ظاهراً .. ماضياً عبر الأزمان وإلى أن تقوم الساعة .. والسِّرُّ في ذلك كله أنه دين الله الخاتم .. ودين الله محفوظ لا يُحارَب!

تصوروا كم هي الأموال الطائلة .. والطاقات الهائلة .. التي صُرِفت ولا تزال تُصرَف في سبيلِ محاربة الإسلام .. وإطفاء نور الله في الأرض .. ليصدوا الناس عن دين الله .. والتي لو سُلِّطت على دين أو مذهب أرضي لقضت عليه منذ زمنٍ طويل .. ولأصبح أثراً بعد عين .. لكن الإسلام بأصوله وفروعه .. وروعته وعظمته .. هو .. هو .. لم يتغير منه شيء ولم يتبدَّل .. بينما أموالهم الطائلة ذهبت هباءً منثوراً لتكونوا عليهم حسرة في الدنيا ويوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾لأنفال:36.

لا تخافوا يا أخوتي .. فدين الله تعالى محفوظ .. قد تكفَّل العلي القدير بحفظه .. ومن تكفل الله بحفظه فلا ضيعة ولا خوف عليه.

* * * * *

194- خوارج لكن نواعم!

من أبرز صفات الخوارج الغلاة الشدة والغلظة على المؤمنين، والرحمة على عبدة الأوثان من الكافرين والمشركين، كما في الحديث:" يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان "متفق عليه.

وفي زماننا أناس محسوبون على التيار الإسلامي .. الديمقراطي الليبرالي، الحدَاثي! .. إذا وجهتهم باتجاه الكافرين المحاربين لله ولرسوله ﷺ .. أقبلوا عليهم بصدر مفتوح .. وذهن متحرر متفهم متفتح .. وبتواضع جم .. وذلة وانكسار .. تعلو سيماهم ووجوههم البسمات والضحكات .. وكأحسن ما يلتقي خليل مع خليله .. ليلتقوا معهم في منتصف الطريق، لا إلى الحق قولاً واحداً، ولا إلى الباطل قولاً واحداً .. وإنما مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، كما قال تعالى: ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾النساء:143.

بينما إذا وجهتهم باتجاه المسلمين .. وبخاصة من كان يختلف معهم في بعض التوجهات والمسائل .. أعرضوا ونأوا عنه .. وصَغَّروه وحَقَّروه .. وحاربوه وقاطعوه .. وأغلظوا عليه في القول والمعاملة .. وصَعَّبوا ـ إلى درجة الاستحالة ـ اللقاء أو الجلوس معه .. أو الاستماع إليه فيما يُخالفهم فيه .. وأوحوا إلى مريديهم أن اهجروه وابتعدوا عنه!

مع الكافرين المشركين .. والزنادقة الملحدين .. تراهم ديمقراطيين .. وتحرريين .. وانفتاحيين .. يتشدقون عن التعايش .. وضرورة الاعتراف المتبادل .. وأن لكل طرف الحق في أن ينشر أدرانه وفتنته على الناس .. بينما مع إخوانهم من المسلمين .. جفاة غِلاظ .. ديكتاتوريين .. يأنفون عن الاعتراف بهم فضلاً عن الجلوس معهم .. والاستماع إليهم .. أو السماح لهم بأن يقولوا أو يتكلموا!

يتفهمون جيداً إجرام الطواغيت الظالمين بحق الصفوة من المجاهدين وذويهم وأهاليهم .. ومعارفهم .. ويجادلون عنهم .. ويبررون لهم إجرامهم وظلمهم .. بينما لو قام المجاهدون بما يجب عليهم نحو هؤلاء الطواغيت الظالمين وبطانتهم المقربين .. أنكروا عليهم .. وجرَّموهم .. ونزَّهوا أنفسهم عن العنف ومشتقاته .. إلى درجة التقزز منه .. فالعنف إن جاء من طرف طواغيت الحكم والظلم .. حلال زلال .. لا جدال فيه .. ولا اعتراض .. بينما لو جاء شيء منه من قِبل المجاهدين الذين يُدافعون عن الأمة ودينها وحرماتها .. فهو حرام .. وفيه نظَر!

يألمون ويحزنون لقتلى الكافرين .. مالا يألمونه لقتلَى المؤمنين!

الله تعالى يقول:﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾الفتح:29. وهؤلاء عكسوا الآية فتراهم أشداء على المؤمنين، رحماء على الكافرين!

وهؤلاء فيهم من أبرز ما يُسيء الخوارج الأوائل من صفات وخصال .. علموا بذلك أم لم يعلموا .. ومهما تظاهروا بأنهم نواعم لا يجنحون إلى العنف!

* * * * *

195- عندما انتهى من وعظِه بكيت ..!

في قناة إقرأ .. وتحت عنوان وفقرة كرسي العلماء! .. واعظ مشهور .. شدني حديثه وطريقة حديثه عن الإسلام .. كان جل وعظه عبارة عن نُكتٍ يتندّر بها لجمهوره من الرجال والنساء .. ليضحكهم .. وكان كلما خبا ضحكهم .. زادهم من النوادر والنكت المضحكات المخجلات .. إلى حدِّ التكلف .. ليضمن إقبالهم عليه .. وكان من النوادر والقصص التي يذكرها ما يخدش الحياء .. ومنها ما يتضمن التهكم بالدين، وبمن علا جباههم أثر السجود ..!

وما إن انتهى من وعظه وتهريجه .. إلا وقد وجدت نفسي باكياً على الإسلام .. كيف يُعرَض على الناس .. وكيف يُدرّس للناس .. في هذا الزمان!

بكيتُ على العلم والعلماء عندما أجلسوا على كرسيهم مهرّجاً .. مكانه المناسب ساحات ومسارح التهريج والضحك ..!

هذا الواعظ وأمثاله ـ وما أكثرهم في هذا الزمان ـ لم يجدوا في كتاب الله تعالى ولا في سنة نبيه ﷺ ما يعظون به الناس .. فالتجأوا إلى القصص والنوادر والتهريج .. ليضحكوا الناس .. ويصرفوا بذلك وجوههم إليهم!

كما في الأثر عن معاذ بن جبل ﷺ قال:" إن من ورائكم فِتَناً يكثر فيها المالُ، ويُفتَحُ فيها القرآنُ حتى يأخذه المؤمن والمنافق، والرجل والمرأة، والصغير والكبير، والعبد والحر، فيوشكُ قائلٌ أن يقول: ما للناس لا يتبعوني وقد قرأتُ القرآن؟ وما هم بمتبعيَّ حتى أبتدِعَ لهم غيرَه، فإياكم وما ابْتدع، فإن ما ابتدع ضلالة ".

* * * * *

196- العالِمُ الجاهِل ..!

لا عتب على الجاهل إذ يجهل، وبخاصة إن كان جهله عن عجز لا يُمكن له دفعه .. وإنما العتب كل العتب على العالم .. الذي يعلَم .. ويكتشف .. وتظهر له الآيات الباهرات .. ويطلع على دقائق وخبايا الأمور .. ثم بعد ذلك يجيب عن المسائل بخلاف ما يعلَم .. وبخلاف ما قد رأى أو سمع .. فهذا عالم لكنه جاهل ـ من ذوي الجهل المركب ـ إذ لم يُحسن الاستفادة من علمه!

مثاله علماء الطبيعة والجيولوجيا والفضاء من الكافرين .. الذين يجوبون الأرض والسماء .. فتراهم يطلعون على خفايا وأسرار هذا الكون العظيم .. وتتكشف لهم الحقائق والآيات الباهرات .. كل آية تدل دلالة قطعية على أن لهذا الكون رباً واحداً يُعبد .. لا شريك له .. كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾فصلت:53. وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾البقرة:164 . لكنهم وبعد كل اكتشاف .. أو اطلاع على آية من آيات الله في خَلقِه .. تراهم يقولون ـ وقد علاهم الشك والريب والجحود، والكِبر ـ: يبقى سؤال كبير .. إلى الساعة لم يجد علماؤهم له جواباً؛ وهو من أوجد هذا الخلق .. ومن أوجد هذه الآيات الباهرات بهذه الدقة والتنظيم .. ومن أوجدنا وخلقنا .. ولماذا نحن على هذه الأرض .. وما الغاية من وجودنا .. ثم ماذا يكون لنا بعد الممات .. وهل نستوي مع الحشرات والدواب في الحياة والممات .. فهذا مما لا نُحسن الإجابة عنه .. ولم يتوصل العلم بعد لاكتشافه أو معرفة الجواب عنه!!

وهؤلاء يصدق فيهم قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾البقرة:171. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾الأنعام:39. وقال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾الأعراف:179.

* * * * *

197- ذِكرُ جهنَّم يُؤنسني ..!

أحياناً ذكر جهنم يؤنسني ويُسليني .. وذلك عندما أرى طاغوتاً يُعبّد العبيد لذاته .. قد تمثل الطغيان كله فيه .. ثم يد العدالة تضعف عن الوصول إليه .. فأتذكر جهنم وما أعد الله فيها من عذاب للطواغيت المجرمين .. وهو آتٍ ولا بد .. فأرضى وتهدأ نفسي!

عندما أرى ظالماً يظلم الآخرين .. ويعتدي على حرماتهم وحقوقهم .. ثم يد المخلوق تضعف عن الانتصاف منه لمظلوميه .. أتذكر جهنم وما أعد الله فيها من عذاب للظالمين هو آتٍ ولا بد .. فتهدأ نفسي وترضى!

عندما أرى الفجور والفسوق كله متمثلاً في امرأة كاسية عارية .. فاجرة .. مترجلة .. قد كشفت بفجور عن سوآتها للناس وهم في أسواقهم .. لا تستحي من الخالق ولا من مخلوق .. تمشي في الأرض مرحاً وبطراً

وخيلاء بجسدها العاري .. تعين الشيطان على عباد الله .. أتذكر جهنم وما أعد الله فيها من عذاب للفاجرات الفاسقات .. هو آتٍ ولا بد .. فتهدأ نفسي وترضى!

فسبحان الذي خلق جهنَّم وخلق لها أهلاً .. كما خلق الجنة وخلق لها أهلاً .. وله الحمد ربي على خلقه لجهنم .. كما له الحمد ﷻ على خلقه للجنة.

* * * * *

198- شَعبٌ يُقتَل من جهة بطنِهِ ..!

تناولت بعض وسائل الإعلام تقريراً صحياً صادراً عن مصادر أردنية مطلعة ومسؤولة .. ورد في التقرير الأرقام التالية: 62% من الأردنيين يعانون من مشاكل العجز الجنسي .. 60% من الرجال في البلاد فوق سن 40 عاماً مصابون بأمراض مزمنة، وهي: السكري، والتوتر الشرياني، والدهنيات .. ونصف الأردنيات فوق عمر 25 عاماً مصابات بأمراض مزمنة قاتلة، بالإضافة إلى السمنة المفرطة .. نسبة السمنة وزيادة الوزن بلغت 82% من الشعب الأردني .. 75% من مرضى السكري يموتون جراء الجلطات القلبية .. علماً أن 30,5% من الشعب الأردني مصاب بالسكري .. و600 ألف شخص لديهم زيادة توتر شرياني .. و 750 ألف لديهم دهنيات .. و1,6 مليون لديهم سمنة وزيادة وزن .. و50% لديهم كولسترول .. مع التنبيه أن عدد سكان الأردن لا يزيد عن ستة ملايين نسمة .. كما أفادت بذلك إحصائيات سنة 2005م!

ولو ألقينا نظرة على بقية المجتمعات العربية الأخرى .. فهي قد لا تختلف كثيراً عما تضمنه التقرير أعلاه من نتائج وأرقام!

لكن ماذا تعني هذه الأرقام الواردة أعلاه ..؟

تعني أن غالب الشعب الأردني مُعطّل عن العطاء والبناء .. إذ كيف يجد القدرة على العطاء والإبداع والبناء والإعداد .. وهو مصاب بهذا الكم من الأمراض المزمنة القاتلة .. وقد صدق من قال: أن العقل السليم في الجسد السليم!

في البلاد المتقدمة .. إذا تعرض قطيع من الدواب والحيوانات إلى نوع من الأمراض المزمنة .. استنفر المجتمع كله .. ومعه جميع مؤسسات الدولة .. فلا يهدأ لهم بال حتى يعالجوا الداء .. ويقلصوا من حجمه .. ويمنعوه من التمدد والانتشار .. بينما في بلادنا الإنسان ذاته ـ مالك الثروات الأخرى ـ مُعرض للهلاك والفناء بكم من الأمراض القاتلة .. ومع ذلك لا يتحرك له أحد .. ولا يقلق لأجله أحد .. وكأن شيئاً لم يكن!

يتكلمون عن الإصلاحات .. والاستثمارات .. بينما الإنسان ذاته ـ الذي به تتحقق الإصلاحات وتتم الاستثمارات ـ يحتاج إلى إصلاح وعلاج .. وتثقيف بخطورة العادات الغذائية السيئة التي يمارسها!

تعني هذه الأرقام .. أن مليارات من الدولارات تُنفق على الأدوية والعلاج .. كان يُمكن أن تُصرف في سبل البناء والتقدم والقوة والإزدهار .. لو خلا المجتمع من تلك الأمراض المزمنة!

تعني قتل شعبٍ بكامله .. وما أسعد الصهاينة اليهود بمثل هذه الأخبار والنتائج .. إذ كيف يقوى شعب من شعوب بلاد الطوق والمواجهة لدولة الصهاينة على المواجهة والتصدي .. والتحرير .. وهو يُعاني من هذا الكم الهائل من الأمراض المزمنة والقاتلة؟!

صدق رسولُ الله ﷺ:" ما ملأ ابنُ آدم وعاءً شراً من بطنه "!

ولو اتبع بنو قومي وصايا النبي ﷺ لما أصابهم ما أصابهم ولا يزالا يُصيبهم من أدواء .. والتي منها قوله ﷺ:" بحسب ابن آدم أكلاتٍ ـ أي لُقيمات ـ يُقمن صُلبه، فإن كان لا محالة ـ أي إن أراد أن يزيد ولا بد ـ: فثلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلثٌ لنَفَسِه ".

فإن أتبع ذلك صيام ثلاثة أيام من كل شهر .. وأقلع عن التدخين عملاً بقوله ﷺ:" لا ضرر ولا ضرار ". ثم مارس بعض الرياضات السهلة والممكنة .. عملاً بقوله ﷺ:" المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ". لذهبت هذه الأمراض والأسقام كلها .. وتحول الحال إلى أحسن وخير حال!

اعلم يا عبد الله أن جسدك أمانة استودعك الله إياه .. وإنه تعالى لسائلك عنها، كما في الحديث:" لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة، حتى يُسأل عن أربعٍ" منها:"وعن جسده فيما أبلاه "؟ هل أبلاه في المعاصي والعادات السيئة أم أبلاه في الطاعة والعادات الحسنة والسليمة .. وبالتالي فأنت لست حراً في أن تؤذي جسدك بما تشاء من العادات الخاطئة .. بما في ذلك العادات الغذائية السيئة الخاطئة .. التي تؤدي بك إلى الأمراض والهلكة والموت المبكر .. فتكون كمن قتل نفسه بنفسه .. وطاله وزر الانتحار .. الانتحار البطيء .. وأنت لا تدري .. فالحذر الحذر!!

* * * * *

199- شهر الصيامِ أم شهر الطعامِ والتُّخمَة!

ما إن يدخل رمضان إلا ويندفع الناس ـ بشيء من الخوف والفزع ـ إلى المحلات التجارية من أجل تخزين الأطعمة .. وشراء أضعاف حاجياتهم من الطعام!

قريب من منزلي بقالة عربية .. زبائنها قبل رمضان يُعدون على أصابع اليد .. فما إن دخل رمضان .. إلا وتزاحم عليها الناس ـ تعلو وجوههم علامات الخوف والفزَع ـ حتى اغتصت بهم .. حتى أن المرء لم يعد يجد لنفسه موقفاً فيها .. وكأن عدواً قد غزاهم يستهدف حصارهم .. وما في أيديهم من طعام .. وليس القادم هو شهر الصوم والرحمة!

فقلت: يا سبحان الله .. قد غابت الحكمة الظاهرة من صيام هذا الشهر العظيم .. فلم يعد ـ عند كثير من الناس ـ شهر رمضان هو شهر الصيام .. والإمساك عن الطعام .. وإنما هو شهر الطعام .. والأكل .. والتُّخمة .. والإسراف!

شهر تتعدد فيه على الموائد ألوان الطعام .. وألوان الشراب .. وإلى درجة الإسراف .. صدق رسولُ الله ﷺ إذ قال:" خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم يتسَمَّنون؛ يُحبون السِّمَن، يُعطون الشهادة قبل أن يُسألوها ".

وقال ﷺ:" سيكون رجالٌ من أمتي يأكلون ألوان الطعامِ، ويشربون ألوان الشراب، ويلبسون ألوان الثياب، ويتشَدَّقون في الكلام، فأولئك شرارُ أمتي ".

* * * * *

200- متى نرتقي إلى عِزّةِ الكِتاب؟!

من ميزات وخصائص وصفات كتاب الله تعالى .. أنه كتاب عزيز .. من ربٍّ عزيز .. له سبحانه العِزةُ جميعاً .. يدعو أتباعه إلى العزة والرفعة .. والتمايز والمفاصلة والاستعلاء بالإيمان .. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾المنافقون:8. وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾فاطر:10. وقال تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾آل عمران:126.

ومع ذلك فريق من بني قومي وأمتي ـ ليسوا بقليل، هم أقرب للنفاق منهم للإيمان ـ يزعمون الانتماء لهذا الكتاب العزيز .. ويقرأون آياته .. ثم هم في المقابل تراهم يستجدون العزة من العدو الكافر الذليل .. ويركنون إلى الطواغيت الظالمين .. ويُمالئونهم .. ويُداهنونهم .. ويتوددون إليهم .. ملتمسين عندهم العِزة .. وهؤلاء مثلهم في ذلك مثل من يلتجئ إلى بيت العنكبوت .. ثم يُخيّل إليه أنه لجأ إلى حصن حصين .. وركن عظيم متين .. بينما هو ليس شيئاً من ذلك .. وهؤلاء مثلهم في كتاب الله، قوله تعالى:﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾العنكبوت:41.

فمتى سنرتقي إلى مستوى عِزة الكتاب وتعاليمه .. متى سنرقى إلى مستوى تمثيل عِزة الكتاب .. كما يريدُ منا رب العزة .. ومنزل العِزّة والكتاب ..؟!

* * * * *

201- قبل أن تقترض تفقَّد رصيدَك!

مثل الذي يلتمس مَن يُقرِضه دراهم معدودات من هنا وهناك .. ويتحمل ذِلة ومشقة السؤال .. وهو في حقيقته يملك الملايين من الدنانير .. والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة .. لكنه عنها من الغافلين .. مثل المرضَى والمغفّلين .. والمنافقين .. من بني قومي وأمتي الذين يستجدون المبادئ والقيم والمفاهيم .. من الشرق أو الغرب .. بينما عندهم الإسلام .. الذي فيه المثل الأعلى .. في كل شيء .. والحل الأمثل والأعدل لكل شيء .. وكل طارئ أو مشكل .. لكنهم عنه غافلون معرضون .. وبه زاهدون!

وهؤلاء لو تفقدوا ما يملكون من رصيد ضخم، لكانوا في غنى عن الاقتراض، وذل السؤال ...!

* * * * *

202- لا نصرَ لنا إنْ لم ننصر الله.

نسأل الله تعالى أن ينصرنا على من عادانا من أعداء الدين .. ومنا من يستبطئ النصر فيسيء الظن بالله تعالى .. بينما نحن لم ننصر الله تعالى .. نشح على الله تعالى بقليل مما وهبنا إياه .. بل منا المدبِر .. والمعرِض .. والمجاهِر .. والمتخاذل .. والمحارب لدين الله .. فانَّى يتنزَّل علينا النصر .. وهذا هو حال الكثير منا .. والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾محمد:7. فقبل أن نسأل جواب الشّرط، فهل حققنا الشَّرط ...؟!

* * * * *

203- حربٌ على الإسلامِ والمسلمين وليس على القاعِدة!

في كل سنة ما إن يأتي اليوم الحادي عشر من سبتمبر .. إلا ويكثر الحديث ـ وبخاصة من قبل وسائل الإعلام الأمريكية .. ومعها وسائل الإعلام المنافقة المحليّة ـ عن المعركة الدائرة على الإرهاب ـ كما يزعمون ـ وعمّن المنتصر فيها .. هل هي أمريكا ومعها دول الغرب .. أم القاعدة؟!

يقزّمون كبيراً .. ويضخمون صغيراً .. ليضحكوا على الشعوب .. ويستخفوا بعقولهم .. ويمرروا مخططاتهم الإجرامية .. ويصرفوهم عن حقيقة المعركة .. بأن حربهم الكونية العالمية ضد الإسلام والمسلمين .. في فلسطين .. وأفغانستان .. والصومال .. والعراق .. والشيشان .. وغيرها من البلدان والأمصار .. ما هي إلا حرب على مجموعة أفراد إرهابيين اسمهم القاعدة!

يدمرون بلداً بكاملها .. ويقتلون شعباً بكامله .. ويهدمون البيوت على ساكنيها من الآمنين من الأطفال والنساء والشيوخ .. والمساجد على من فيها من الرّكّع السجود .. ثم بعد كل ذلك يأتي الزعم الكاذب الكبير ـ

الذي وزره لا يقل عن وزر القتل ذاته ـ أنهم إنما أرادوا من وراء كل ذلك أن يستهدفوا فرداً أو مجموعة أفراد من القاعدة!

وأنا متيقن .. إن لم يوجد فرد من القاعدة في البلد التي يستهدفون حصارها .. وحربها .. وتدميرها .. لأوجدوا هذا الفرد .. ليجدوا لفعلهم المبررات والمسوغات .. لدى شعوبهم .. والشعوب المغفَّلة الأخرى!

فمتى سندرك، أن هذه الحرب المعلنة على ما يُسمى الإرهاب أو القاعدة ـ كما يزعمون! ـ ما هي في حقيقتها إلا حرب على الإسلام والمسلمين، في أي مكان ينشد فيه المسلمون أن تكون لهم فيه شوكة أو دولة أو كلمة!

* * * * *

204- يقتلون أبناءَهم بأيديهم!

كثير من القائمين على الدول التي تَنسب نفسها إلى العروبة والإسلام .. تراهم يتسابقون فيما بينهم في مطاردة وملاحقة أبنائهم من شباب الإسلام .. بل الصفوة من شباب الإسلام .. ويسجنونهم .. ويقتلونهم .. ويفتنونهم عن دينهم .. بزعم محاربة الإرهاب .. واسترضاءً لراعية الإرهاب الأكبر أمريكا!

تراهم لا يستحون عندما يُعلنون ـ بكل وقاحة ومُباهاة ـ أنهم قتلوا أو اعتقلوا العشرات .. أو المئات من هؤلاء الصفوة من الشباب .. يفعلون ذلك .. مع علمهم أن هؤلاء الشباب هم السد المنيع الحصين أمام كل غاز معتدٍ أثيم .. وأن الأوطان لو تعرضت للاعتداء من قبل أعداء الأمة .. لكان أول من يهبّ للدفاع عنها، وعن ساكنيها من الآمنين .. هم هؤلاء الشباب!

أهكذا يُقابل المعروف .. ويُكافأ عطاء هؤلاء الصفوة من شباب الأمة؟!

* * * * *

205- أعجبُ لعربي لا يؤمِن بالله العظيم!

فاجأني صديقي الأعجمي بقوله: أعجب لعربي يفهم العربية .. ثم هو لا يؤمن بالله العظيم، ولا يُتابع خاتم وسيد المرسلين ﷺ!

قلت: كيف، ولماذا ...؟!

قال: كيف لعربي يفهم العربية .. يقرأ آيات القرآن الكريم .. ويفهم ما يسمعه من آيات بينات تُتلى عليه .. ثم هو يُعانِد ويُكابر .. ويكذّب بالآيات .. ويكفر بالله العظيم!!

كيف لهذا العربي .. أن يُقاوم جمال وعظمة وبلاغة وإعجاز القرآن الكريم .. رغم أنه قادر على أن يتذوق جماله وإعجازه .. ويتدبر معانيه؟!

نحن بني العجم .. لم نفهم القرآن، ولم نتذوق بلاغة وعظمة القرآن مباشرة .. وإنما وصلتنا ترجمة لمعانيه .. لم تُحط بجزء يسير من عظمة وقوة وعزة هذا الكتاب .. ومع ذلك لم نقدر على المقاومة والتردد .. فوجدنا أنفسنا مرغمين مقتنعين .. غير شاكين ولا مترددين على أن نقول: آمنا وصدقنا واتبعنا الرسول ﷺ ..!

حقاً إن من العرب والأعراب من هم أشد كفراً ونفاقاً وعناداً ...!

* * * * *

206- سيد قطب وبعض الكُتَّاب!

يشتد العجب من كُتَّاب مرموقين ومشهورين .. في كتاب واحد ترى أحدَهم يطعن بسيد قطب، ويغمز به .. وبمنهجه .. ثم هو في نفس الكِتَاب يقتبس من كلام سيد قطب رحمه الله على وجه الاستحسان والاستدلال صفحات عدة .. من دون أن يعزو إلى سيد وكتبه ..!

قلت: ربما ضرورة تسويق كتب هؤلاء المشهورين المرموقين في بعض الدول العربية ... تقتضي منهم مثل هذا التلون، والاختلاس، والكذب ... والظلم!

رحم الله سيّداً .. يأكلون به، ثم يكفرون فضله ...؟!

* * * * *

207- نصف مجنون!

العاقل تُعامله وفق قوانين العقل .. لا ضرر ولا ضرار .. والمجنون .. رُفِع عنه الحرج والعتب .. من السهولة تفسير تصرفاته المعيبة المؤذية .. بعبارة مجنون .. لا تؤاخذوه!

بينما نصف المجنون؛ لا هو إلى أهل العقل يُنسب قولاً واحداً، ولا هو إلى أهل الجنون يُنسب قولاً واحداً .. وإنما هو بين بين .. فهذا معاملته تحتاج إلى حكيم حادق؛ يُحسن التمييز والتفريق بين حالة ووقت الجنون عنده .. وبين حالة ووقت التعقل عنده .. وأن يُوزع أعماله بالعدل .. مَن منها ألصق وألحق بخانة الجنون .. ومن منها ألصق وألحق بخانة التعقّل!

لكن المشكلة أن الناس ليسوا كلهم ـ ولا أكثرهم ـ حكماء .....!

* * * * *

208- دُعاءٌ جامعٌ مانعٌ ماتعٌ فاحفَظوه.

من الأدعية الجامعة الشاملة لكلِّ خير، المانعة من كلِّ شرٍّ، التي علَّمنا إيَّاها النبيُّ ﷺ وأوصى بها أمَّتَه، أن نقول:

" اللهُمَّ إني أسألُكَ مِن الخيرِ كُلِّه عاجِلِه وآجِلِه، ما عَلِمْتُ مِنهُ وما لم أَعلَم، وأَعُوذُ بِكَ مِن الشَّرِّ كُلِّهِ عاجِلِه وآجِلِه ما عَلِمتُ منه وما لم أعلَم.

اللهُمَّ إني أسألُكَ مِن خَيرِ ما سأَلَك بهِ عَبدُكَ ونَبيُّكَ محمدٌ ﷺ، وأَعوذُ بِكَ مِن شرِّ ما تَعَوَّذَ مِنهُ عَبدُكَ ونَبيُّكَ محمدٌ ﷺ.

اللهمَّ إنِّي أسألُكَ الجَنَّةَ وما قَرَّبَ إليها من قَولٍ أو عَمَلٍ، وَأعوذُ بِكَ من النَّارِ وما قَرَّبَ إليها مِن قَولٍ أو عَمَلٍ، وأَسألُكَ أن تَجعَلَ كُلَّ قضاءٍ قَضيتَهُ لي خَيراً، وعاقِبَتَهُ رُشداً "، وصلِّ اللهمَّ على عبدِك ونبيِّك مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليماً كثيراً.

احفظه، وحَفِّظه زوجتَك، وأبناءَك، ومَن تُحِب ...

* * * * *

209- الزَّوج الفاشِل.

الزوج الفاشل الضعيف .. هو الزوج الذي يلجأ إلى السُّبابِ، واللعنِ، والفُحش في القولِ .. عند أدنى خلاف مع زوجته!

الزوج الفاشِل الضعيف .. هو الزوج الذي يلجأ إلى خيارات العنف والشِّدّة .. قبل أن يستخدم .. أو يستنفد خيارات الرفق والحكمة .. وما أكثرها لو كان يعلَم!

الزوج الفاشل الضعيف .. هو الزوج الذي ينتصف ممن آذاه من الناس ممن يتعامل معهم خارج البيت .. بتسليط جام غضبه وسخطه على زوجته الضعيفة .. التي تنتظره في البيت .. وكأنها هي التي آذته .. وليس من يتعامل معهم من الناس!

فيُحدِث ـ في نفسِ زوجِه ـ جرحاً عميقاً يَصعب التئامُه .. ولربما ـ بذلك ـ يحرق بيته بيدِه .. وهو لا يدري!

* * * * *

210- الحُبُّ السَّهلُ، والحُبُّ الصَّعبُ!

الحُبُّ وعباراته ورومنسياته في فترة الخطوبة .. وما قبل الخطوبة .. الكل يُتقِنه .. ذكوراً وإناثاً .. وبامتياز .. فهو لا يحتاج من أحدٍ إلى مهارات .. ولا إلى علم .. ولا إلى ثقافة .. لأن الكل يتكلَّف ويتصنَّع إلى الكل .. فلا يُعرَف منهم الماهر في الحب من الفاشِل الكاذب .. وهذا هو الحب السّهل!

أما الحبُّ الصَّعب الذي لا يُتقنه .. ولا يَقدرُ عليه .. ولا يُمارسه إلا الحكماء والأدباء والعقلاء من الرجال والنساء سواء .. هو الحب الذي يأتي ما بعد مرحلة الزواج .. ودخول الزوجين قفص وعش الزوجية .. عندما تتكشّف العورات .. ويظهر المخبوء من الأخلاقيات .. ويملّ كل طرف النظر والحديث إلى الطرف الآخر .. ويشح كل طرف على الطرف الآخر بعبارات الحب والعطف والرفق .. في هذه المرحلة .. وهذا الميدان .. يثبت فقط الحبيب الماهر الفنَّان .. والحبيبة الماهرة الفنّانة .. أما فناني العصر ـ فناني الطرب والغناء والتمثيل والمجون ـ سرعان ما يرسبون ويفشلون في هذا الميدان .. لأنهم لم يتدربوا إلا على الحب السَّهل .. وفي الميادين التي يشوبها الرياء والحرام!

* * * * *

211- رجالٌ يشكون زوجاتهم.

شكا لي زوجٌ زوجَتَه .. أنها دونه التزاماً .. وثقافةً .. واهتماماً بقضايا الإسلام والمسلمين .. وأن اهتماماتها وضيعة تجاه اهتماماته .. وهذا مما يؤثر على علاقته بها!

فقلت له: متى آخر مرة قرأت معها القرآن .. متى آخر مرة تدارست معها معناً من معاني الإيمان .. متى آخر مرة قمت بنصحها ووعظها وتذكيرها .. متى آخر مرة قمتما تصليان معاً وجماعة في الليل .. متى آخر مرة اصطحبتها معك إلى المسجد .. لتشهد الجماعة .. أو تسمع درساً أو موعظة أو محاضرة .. متى آخر مرة خصَصتها بالدعاء بأن يهديها الله ويُصلح حالها إلى أحسن حال .. ما هي الوسائل التعليمية النافعة ـ من كتاب أو شريط وغير ذلك ـ التي وضعتها بين يديها .. وتقوم بتشجيعها على الاستفادة منها .. والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾التحريم:6. أي علموا أهليكم الخير. وقال ﷺ:" من كتمَ عِلماً عن أهلِه أُلجِمَ يومَ القيامة لجاماً من نارٍ ".

فجاءت الإجابات سلبية ومتواضعة جداً .. فقلت له: هذا هو السبب .. فأنت جزء من المشكلة وسبب فيها .. تتحمل الجزء الأكبر من تبعاتها .. وهذا الذي تشكو منه يشكو منه غيرك كثير من الأزواج .. متناسين

أنهم السبب الأكبر في هذه الظاهرة .. وأن حلها بأيديهم .. لا بأيدي غيرهم .. لو كانوا يعلمون .. ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾آل عمران:165.

* * * * *

212- من البُخل والنِّفاق.

من الرجال من تراه خارج البيت يتأنق في لباسه وكلماته، وحركاته .. ويُقبل على هموم الناس ومشاكلهم .. بالحديث .. والمشاركة .. والتفاعل .. ويُحسن مخالطتهم أيما إحسان!

فإذا دخل بيته .. صمٌّ بكم .. لا سلام .. ولا كلام .. ولا اهتمام .. ولا إقبال على من تنتظره طيلة نهارها بشغف وصبر .. وهذا فيه شعبة من شعب البخل والنفاق .. إذ لو كان فيه خير للناس حقاً .. لظهر خيره أولاً على أهله .. كما في الحديث:" خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي ". وقال ﷺ:" خياركم خياركم لنسائهم " .. أي إن كان فيك خير حقاً للآخرين فأظهره أولاً على أهلك .. ثم الأقرب فالأقرب .. فالأقربون أولى بالمعروف.

ونحو ذلك المرأة التي تتزيَّن للقاءاتها، ومجالسها مع النساء، دون زوجها ...!

* * * * *

213- لكي تحترِمُك زوجتك.

لكي تحترمك زوجتك .. وتكون كبيراً في عينها .. احرص على أن تكون قدوة حسنة لها؛ فلا ترى منك ما يُعيبك ويُشِينك .. فإن ابتليت بعيب من العيوب .. فاستتر وليكن أول من تستتر عنه زوجتك .. لأن المرأة عادة ـ وفي الغالب ـ تُحاكي أخلاق زوجها .. وسلوكه .. فتفعل ما يفعل!

لا يُمكن أن تُطالبها بعدم التدخين .. وأنت تُدخن أمامها .. أو بعدم الاختلاط مع الرجال .. وأنت تُخالط النساء أمامها وتُصافحهن .. أو بعدم حضور المسلسلات الساقطة الهابطة .. وأنت تُشاهدها أمامها!

أو تُطالبها بالصدق والأمانة وحسن الخلق .. وأنت تدمن الكذب والغش، والخيانة .. أمامها!

لا يُمكن أن تُطالبها بأن تتقي الله .. وهي ترى منك الإدمان على المعاصي .. والتفريط بحقوق الله عليك .. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾الصف: 3. وقال ﷺ:" كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته .. والرجل راعٍ على أهل بيته" متفق عليه. وقال ﷺ:" كفى بالمرء إثماً أن يُضيّع من يَقُوت ". فاتق الله يا عبد الله فيما استرعاك الله إياه .. واحذَر أن تُضيِّعَه .. فتندم، ولات حين مندم!

* * * * *

214- المرأةُ الجاهِلَة الخاسرة!

مِنَ النساء مَن تتكلّف في زينتها .. ولباسها .. وكلماتها .. وحركاتها .. وبسماتها وضحكاتها .. إذا ما خالطت أقرانها من النساء .. فإذا اختلَت بزوجها أهملت نفسها، وكانت عبوساً قمطريراً .. ناثرة الشعر .. رثة الثياب .. طويلة اللسان .. لا تفوّت كلمةً من زوجها إلا وترد عليها عشراً .. تظل آثار " عماش " النوم على عينيها إلى ما بعد الظهيرة .. لا تُقبِل على زوجها بالكلمات الرقيقة واللطيفة .. ولا بالبسمات الجميلة .. كما تفعل عندما تجتمع بأقرانها من النساء .. فهذه المرأة جاهلة خاسرة، في الدنيا والآخرة .. ومثلها مثل من يضع الشيءَ في غير موضعه .. ثم يحسب أنه يحسن صنعاً!

* * * * *

215- لا يجتمعُ غَضَبَان!

إذا غضبَ الزوجُ فعلى الزوجة أن تهدأ .. وتمسك نفسها عن الغضب .. وإذا غضبت الزوجة فعلى الزوج أن يهدَأ .. ويُمسِك نفسه عن الغضب .. أما إن غضبا معاً .. وقابل كل منهما غضب الآخر بغضب مماثل .. فحينئذٍ لو احترق بيتهما .. فلا يلومان إلا نفسيهما!

* * * * *

216- خيرُ النِّساء.

خيرُ النساءِ: المرأة التي تُسِرُّ زوجَها إذا نظرَ إليها .. وتُطيعه في المعروف إذا أمرها .. وبما ليس فيه معصية لله؛ إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الله.

الودُود؛ التي تتودّد لزوجها بما يحب من القول الحسن .. والمنظر الحسن .. والفعل الحسَن.

العؤود؛ التي سرعان ما تعود فترضَى وتُرضِي زوجها عنها .. وتستسمحه .. إذا ما دخل الشيطان بينهما فأفسد بعض ما بينهما من الود والرحمة .. وتقول له: هذه يدي بيدك، لا أذوقُ غمضاً حتى ترضى.

المواتِية؛ الموافقة لزوجها في المعروف .. فلا تُكثِر من مجادلته ومراجعته .. ولا تُطيل من لسانها عليه بما يكره من القول.

المواسِية؛ التي تواسيه إذا ما نزل به مصاب أو بلاء أو ضيق .. وتشاركه الآلام .. كما تُشاركه الأفراح والمسرّات .. وتصبر عليه في الضراء .. فهذه ـ بشهادة سيد الأنام ﷺ ـ خير نساء الأرض .. وأسعدهن بالجنة .. إذا ما اتّقت الله.

* * * * *

217- الصهرُ الذي يجني على مَن بَعدَه!

كثير من الآباء يرغب في أن يُحاكي طريقة السلف الصالح في تزويج البنات .. فيعرض ابنته على الرجل الصالح .. ويجتهد ما استطاع في التيسير على الزوج .. والتقليل من المهر .. وتكاليف الزواج .. فإن صادف هذا المعروف والخلق النبيل رجلاً جحوداً للمعروف .. فلم يُحسن قراءة المعروف قراءة صحيحة .. ولا أن يُفسره التفسير الصحيح .. وقابل الحسنة بالسيئة .. والتواضع بالكبر والاستعلاء .. والاحتقار .. فهذا قد ظلم نفسه .. ومن بعدَه من الرجال .. ومنع الأب من أن يُعامل غيره من الرجال بما عامله .. فيكون كمن أغلق باب خير، وفتح باب شرّ!

وأما من يشكر المعروف .. ويُحسن تفسير الحدَث وقراءته جيداً .. ويُقابل الحسنة بالحسنة .. والشكر بالشكر .. فهذا يكون رحمة على من بعده من الرجال .. ويحمل الأب على أن يستمر في طريقة محاكاته للسلف الصالح في طريقة تزويج بناته .. وهو بذلك يكون مغلاقَ شرٍّ، مفتاحَ خير .. له أجره وأجر من بعده .. والله تعالى يجزي المحسنين.

* * * * *

218- الفرق بين المتحَضِّر والمُثَقَّف!

المتحضّر هو الذي تتوفر فيه مجموعة من المفاهيم والقيم الحضارية الإيجابية التي تُفرز عنده سلوكاً إيجابياً راقياً متحضراً؛ كمفهوم وقيمة الصدق، والأمانة، والوفاء بالعهد، والإيمان، والعدل، والاتقان، والشجاعة، والكرم، والنظام والتنظيم، والنظافة، والحرص على الوقت فيما ينفع .. والتوكل .. وغيرها من المفاهيم والقيم الإيجابية المتحضرة .. فصاحبها .. هو الإنسان المتحضر .. الذي ينبغي أن يُشار إليه بالتحضّر.

بينما المثقّف .. هو الذي يكون واسع الاطلاع لواقعه .. ولما حوله من الثقافات والتجارب .. ولا يلزم منه أن يكون إنساناً متحضّراً .. إذ قد يكون مثقفاً مطلعاً .. لكنه يتصف بكثير من المفاهيم والقيم الحضارية السلبية المتخلّفة؛ كالكذب، والغش، والسرقة، والغدر، والخيانة، والبخل، والجبن، والإلحاد، والظلم .. والأنانية .. والإهمال، والتواكل .. وغيرها من المفاهيم والقيم السلبية المشينة المتخلفة .. فمثل هذا يُقال عنه مثقَّف .. لكنه غير متحضِّر .. وسلوكه ـ مهما اتسعت ثقافته أو كثرت شهاداته العلمية ـ غير حضاري!

وما أكثر الذين يُخطئون فيخلطون بين المثقف والمتحضر .. ويجعلونهما سواء .. وأن أحدهما لازم للآخر ولا بد .. وهذا عين الظلم، والخطأ!

* * * * *

219- قَوَامَةٌ ناقِصةٌ.

من الرجال من يُطالب بالقوامة الكاملة على زوجِه .. قوامة غير منقوصة .. لا يقبل بأقل من ذلك .. وفي نفس الوقت تراه يُطالبها بأن تخرج للعمل .. لكي تُنفق عليه .. وعلى بيته .. وأبنائه .. وهذه ـ لعمر الحق ـ قسمة ضِيزا .. لا تستقيم في ميزان الحق والعدل، قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ النساء:34.

* * * * *

220- الاتفاق على تربية الأبناء.

من أهم عوامل نجاح الحياة الزوجية .. ونجاح تربية الأبناء تربية صالحة صحيحة بعيداً عن النكد والخصومات .. والعقد النفسية ومشاكلها .. اتفاق الأبوين على الطريقة في التعامل مع الأبناء .. والمنهج التربوي الذي يعتمدانه في تربية أبنائهما عليه .. بحيث لا يتلقى الطفل ـ على شيء واحد ـ أمرين أو نهيين متغايرين ومختلفين .. أمر ونهي من الأب يختلف عن أمر ونهي الأم .. أو مدح وذم على فعل واحد .. الأب يمدح والأم تذم أو العكس .. فإن لم يتنبه الأبوان لهذا المعنى منذ الأيام الأولى من زواجهما .. وكان لكل منهما طريقته وأسلوبه المختلف في التعامل مع الأبناء .. فحينئذٍ ـ في الغالب ـ ينشأ الطفل متمرداً عاصياً .. انتهازياً .. ضعيف الشعور بالمسؤولية .. غير جاد في سلوكياته .. منفصم الشخصية .. متذبذب التفكير والولاء .. شق منه يميل لأمه وآرائها .. وشقه الآخر يميل لأبيه وآرائه .. ثم هو لا يتردد ـ بحسب ما تُملي عليه أهواؤه ورغباته ـ في أن يستقوي بأمه على أبيه تارة .. وتارة أخرى يستقوي بأبيه على أمه .. هذا غير النكد والخصومات التي تسيء للحياة والعلاقة الزوجية بين الزوجين .. ولربما حرقت عليهما المنزل ودمرته تدميراً .. إذ كم من بيت احترق ودُمِّر .. وتشرد أطفاله .. لغياب مثل هذا الاتفاق والتوافق بين الأبوين!

* * * * *

221- الحُبُّ الدائم.

الحبُّ الدائم المبارك الذي لا تنقطع حبالُه، ولا أواصره، ولا تنفصم عقده في الشدّة والرخاء سواء .. ولا يتوقف عطاؤه وخيره في الدنيا والآخرة .. هو الحب الذي ينعقد في الله ولله .. الذي لا يُراد منه مغنماً ولا عرَضاً من أعراض الدنيا .. وإنما فقط القُربى من الله تعالى .. فهذا النوع من الحب ما أَمْتَنَهُ .. وما أحسنَه وأجملَه .. وما أكثر بركته وخيره .. وما أقلَّه بين الناس؟!

وما سواه من الحب .. فهو منقطع .. شره أكبر من نفعه .. وهو سرعان ما ينقلب على أصحابه .. بالنكد .. والحزن .. والخصومات .. والمدابرة .. وما أكثره بين الناس!

* * * * *

222- السُّحور عبادة، وتربية.

السُّحور مدرسةٌ تربوية كما هو عبادة شرعية .. أما أنه عبادة شرعية فهو معلوم للجميع .. وأما أنه مدرسة تربوية .. فهو ما لا يعلمه إلا القليل .. لذا لزم التنبيه، فأقول: هذا الطفل الذي يعيش مع أبويه وأسرته أجواء السحور، وما يتخللها من إعداد للطعام في وقت محددٍ لم يكن مألوفاً لدى الطفل على مدار أشهر السنة الأخرى غير رمضان .. ويشهد الذِّكر والتذكير .. والصلاة في أوقات لم يكن يألفها من قبل .. ويرتقب مع أبويه وقت دخول الفجر الذي يُلزم بالإمساك عن الطعام والماء .. يُضاف إلى ذلك كله ذاك الجو من المرح .. والمزاح .. والمداعبة .. التي تتعلق بطريقة استيقاظ الأبناء .. وأشكالهم .. وأشكال شعورهم وعيونهم .. وهم يُغالِبهم النعاس .. والتي تُدخل المسرة على القلوب .. وتُضفي على جو السّحور سحراً وبهجة وجمالاً .. وإن من الإخوان من أخبرني أنه يُمارس في بيته دور "المسحراتي" مستخدماً بعض عباراته وحركاته .. وهو يوقظ أبناءه للسحور .. فهذه الأمور كلها بعضها مع بعض .. لا تدري ـ يا أخي ـ كم تُحدث من أثرٍ تربوي وثقافي وإيماني كبير في نفوس الأبناء .. أبلغ بكثير من المواعظ النظرية .. يصحبهم حتى الكِبَر .. يستعصي على النسيان .. ويكون لهم خير زاد وعون في الكبر على مواجهة الحياة وتحدياتها .. ومشاكلها .. وفتنتها.

هذه الأمور نعرفها من أنفسنا نحن الكبار .. إذ لا نزال نذكر كثيراً من تلك الأجواء المشار إليها أعلاه .. ونشعر بلذتها .. وأثرها الطيب في أنفسنا إلى اللحظة هذه .. بل إنني مما أذكره أن السحور كان بالنسبة لي ولإخواني وأخواتي كعيد نفرح فيه كما كنا نفرح بيوم العيد .. وكانت الوالدة الحبيبة ـ حفظها الله تعالى، وأحسن ختامها ـ لعلمها ذلك منا .. إذا أرادت أن تُعاقب أحدَنا على مُشاغبة قد فعلها .. تمنعه من السحور .. أو تهدده بعدم السماح له بالقيام إلى السحور .. وما أشدها من عقوبة كانت على نفوسنا!

فيا أخا الإسلام .. يا من ينام .. وتنام معه عائلته .. وأبناؤه من غير سحور .. إن كنت تزهد بالعبادة وأجرها العظيم .. فلا تزهد بتربية أبنائك وعائلتك على معاني الإيمان والفضيلة.

* * * * *

223- الزُّهْدُ.

الزهدُ أن تجعل الدنيا في يدِك، لا في قلبِك .. وأن تتصرَّف بها من دون أن تتصرَّفَ هي بك!

الزهد أن تعلِّقَ قلبكَ بخالقِ الأسباب، لا بالأسباب ..

الزهد أن تجعل الدنيا وسيلة للآخرة .. وسُلَّماً لها .. فلا تجعل شيئاً منها غاية لذاته.

الزهد أن تجعل هواك تَبَعَاً للشَّرعِ، فتدور معه حيثما دار .. لا الشرع تَبَعاً لهواك ..!

الزهد أن تجعل لنفسِك في دنياكَ هَمَّاً واحداً لا شريك له .. ألا وهو مرضاة الله تعالى؛ كيف تكسب حُبَّه ورِضاه، وكيف تجتنب غضَبَه وسخَطَه.

الزهد أن يكون مَا لَكَ عند الله .. أحبَّ إليك مما لَكَ في دنياك .. وما في يدك.

الزُّهد أن لا تُرِي الناسَ منكَ مَسْكَنةً .. فتكون كمن شَكَا الخالِقَ لِعبدِه .. وهو لا يدري!

الزهد أن لا تستشرفَ ما في أيدي الناس .. ولا ما في جيوبهم ..!

الزهد أن تيأس مما في أيدي الناس .. فيُحبك الناس ...!

الزهد أن تُنفِقَ فضل زادك على من لا زادَ له ..

الزهد أن يكون الإنفاقُ في سبيل الله أحبَّ إليك .. مما تدخره في جيبك .. أو خزانتك!

الزهد أن تحضَر عندما يتعين البذلُ والعطاء .. وتغيب عندما توزَّع العطايا والهبات ..!

الزهد أن تجتنب موارد ومظاهر الإسراف والتبذير ..!

هذا هو الزهد الذي يُحبه الله تعالى .. ويجعل صاحبه في عليين مع الأنبياء والصّديقين والشهداء .. وما سوى ذلك ليس من الزهد في شيء .. أن تلبس جديداً وجميلاً .. وأن تأكل طيباً .. وأن تُرَى عليك أثر النِّعمةِ ـ من غير إسراف ولا تبذير ـ ثم تحمد الله على ما أسبغ عليك من الفضل والنِّعَم .. فهذا لا يتعارض .. ولا يتنافى مع الزهد الشرعي المحمود في شيء.

* * * * *

224- ثلاثة إذا اجتمعن.

ثلاثةٌ إذا اجتمعن في مجتمع من المجتمعات .. فلا تُحدِّث عن درجة هلكة ومعاناة الناس فيه: جَورُ الحاكم أو السلطان .. والفَقرُ .. وغياب الإيمان من نفوس الناس أو ضَعفه ضعفاً شديداً .. فهذه الأمور الثلاثة إن اجتمعت في مجتمع من المجتمعات .. فحينئذٍ حَدِّث عن شيوع الجريمة في هذا المجتمع .. بكل أبعادها ومعانيها ومستوياتها ولا حرج .. وحينئذٍ تكون السُّكْنَةُ في غابة مَليئةٍ بالوحوش الضَّارية .. أسلم للمرء من السُّكْنَةِ في ذلك المجتمع المخيف!

* * * * *

225- أجمل ما في الحياة الدنيا.

أجمَل ما في الحياة الدنيا: عِبادةٌ يتوجه بها العبد إلى خالِقه ﷻ .. والإحسانُ على الإخوان، وذوي الفقر والحاجة من الناس .. وزوجةٌ صالحة، تُسِرُّ النَّظرَ .. وقَطرةُ دمٍ تُهرَاقُ في سبيلِ الله .. ومِن دونها؛ تكون دنيا الوحوش والدواب خيراً وأهدى من دنيانا .. وحياتهم خيراً من حياتنا .. ﴿أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾الأعراف:179.

* * * * *

226- في العِيد.

في العيد ينتابني همٌّ .. وشعورٌ بالحرج الشديد .. إذ يكثر في هذا اليوم المبارك سؤال الأبناء عن الأقارب والرحم: عن أجدادهم .. وعن أعمامهم وعماتهم .. وغيرهم من الأقارب والأحبة .. الذين لا يعرفون عنهم شيئاً .. ولا يستطيعون أن يتصلوا هاتفياً بأحدٍ منهم .. ليطمئنوا عليهم أو ليسمعوا منهم الكلمات التي تُقال عادة في العيد ـ حيث قد حال الطاغوت الظالم بينهم وبين ذلك ـ فأجتهد ـ لكي أعوضهم هذا النقص ـ أن أُمارس لهم ـ في ذلك اليوم بخاصة ـ دور الجد .. والعم .. والعمّة .. وكل من يفقدونه من الأقارب والرَّحم .. إضافة إلى كوني أباً .. لكن في كثير من الأحيان لا أستطيع .. وأشعر بالفشل .. فينتابني ذلك الشعور .. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* * * * *

227- الحياةُ الزوجيَّة.

ليست الحياةُ الزوجية ـ كما يتصورها البعض ـ مجرَّدَ نكاحٍ وليكن بعدها ما يكون .. فإذا انطفأت جذوة الشهوة .. تنَكَّبَ الزوجُ أو الزوجان معاً عن مسؤولياتهما الأخرى تجاه بعضهما البعض .. أو تجاه أسرتهما .. وأبنائهما .. لا؛ الحياة الزوجية ليست شيئاً من ذلك .. وإنما هي مسؤولية .. وأمانة .. وحقوق .. يجب أن تؤدَّى على مدار الحياة الزوجية الأسرية .. وسيُسأل عنها كلٌّ من الزوجين بحسب مسؤولياته وما يجب عليه .. لذا أنصح كل من يقدم على الزواج ـ كان رجلاً أم امرأة، وقبل أن يقتحم باب الزواج ـ: أن يتفقه بحقوق الحياة الزوجية .. ويتعرَّف على مسؤولياتها .. وتكاليفها .. ومدى طاقته على تحمل تلك التكاليف .. فالمرأة تتفقه وتتعرف على حق زوجها .. وما يجب عليها نحو زوجها وبيتها وأبنائها .. والرجل كذلك يتفقه ويتعرف على حق زوجته عليه .. وما يجب عليه نحو زوجته .. وبيته .. وأبنائه .. ثم ينظر كل منهما هل هو أهل لهذه الخطوة أم لا .. فإن لم يحصل ذلك .. حصل الخطأ .. ووقع الظلم .. والتفريط بالحقوق ولا بد .. ومن ثم تحصل الخصومات التي لا تُحمَد عواقبها!

* * * * *

228- ينْكَح ثم يَسأل عن صِحَّة نكاحِه!

كثير من الناس .. ترى أحدَهم ينكَح .. همُّه أن يَنكحَ وحسب .. ثم بعد أن ينكح .. وتنطفئ جذوة شهوته .. ويفيق من السَّكْرَة .. وتعود إليه الفكرة .. يبادر فيسأل الشيوخ: هل نكاحه صحيح أم باطل .. هل

استوفى في نكاحه شروط صحة النكاح .. هل المرأة التي تحته تُعتبر زوجة شرعية له .. أم أنها غير ذلك .. ومنهم من يتأخر في السؤال إلى أن يأتيه الأبناء .. فيُضيف إلى أسئلته عن شرعية زواجه وزوجته .. أسئلة عن شرعية نِسبة الأبناء إليه .. فتتفاقم المشكلة .. ويصعب على الشيخ الراقِع الترقيع؟!

ولهؤلاء ـ وغيرهم ـ أقول: العلم قبل العمل .. وقبل النهوض إلى العمل .. وهو شرط لصحة العمل .. فجاهلُ الشيء كفاقدِه، وفاقدُه لا يُمكن أن يُعطيَه لنفسه أو للآخرين .. أترون يصح للمرء أن ينهضَ للصلاة وهو لا يعرف الصلاة .. وكيف يُصلي؟! كذلك الزواج .. وما يتعلق به من أحكام وشروط وحقوق .. لا يصح للمرء أن يقتحم أبوابه قبل أن يتفقه به ويُلِمَّ به وبأحكامه وشروطه إلماماً حسَناً .. ثم يقتحم الأبواب .. على بركة الله .. تنبَّهوا لهذا المعنى حتى لا تضيع الأنسابُ ويختلط الحلالُ بالحرام .. يرحمكم الله.

* * * * *

229- قَرْضٌ رابحٌ لا خَسَارة فيه.

الله تعالى هو مالك الملك .. يُؤتي الملك من يشاء .. ويَنزعه ممن يشاء .. وهو الخالق .. وهو الرازق .. وهو الغني .. والخير كله منه وإليه .. ومع ذلك يقول لعبده: أقرضني .. أقرضني قليلاً مما أعطيتك .. لا أريد منك شيئاً مما تفضلت به عليك من دون مقابل .. وعلى غير وجه القرض .. ومن دون أن أرده لك أضعافاً مُضاعفة كثيرة .. ولك يوم القيامة أجر كريم .. ﴿مَّن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّه قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾البقرة:245. ﴿مَن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾الحديد:11.

ما أجبنك أيها الإنسان .. وما أبخلك .. وما أقل وفاءك وشكرك .. وما أقل وأضعف يقينك بالله .. وأنت تتردد في إخراج الصدقة من يدك لمستحقيها من ذوي الحاجة والفقر .. أتشك بوعد الله .. أتشك بقول الله .. أتشك بذمة الله .. أتشك بأن الله لن يردَّ لك الدَّين .. ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثاً﴾النساء:87. ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً﴾النساء:122.

أقسم بالله العظيم الذي لا إله إلا هو .. غير حانِثٍ .. أنني لا أرى سبيلاً لنمو الأموال ووفرتها كالصدقة .. ولا أرى علاجاً لفقر الفقير .. كالصّدقة .. وأن يُخرج من القليل الذي في يديه .. في سبيل الله .. جَرِّب إن كنت في شَكٍّ من ذلك .. إن كنت في شكٍّ من قوله تعالى:﴿ وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾البقرة: 276. وفي الحديث القدسي:" أَنفِق أُنفِق عليك ".

* * * * *

230- العلاقة بين الرئيس والمرؤوس في مجتمعاتنا!

العلاقة بين الرئيس والمرؤوس في بلادنا ومجتمعاتنا .. تتسم باستعلاء، واستعباد، واستخفاف، وازدراء الرئيس للمرؤوس .. كما تتسم بخوف، وذِلّة، ونفاق المرؤوس نحو رئيسه .. فكل طبقة تنظر للطبقة التي دونها وتتعامل معها بتسلط واستعلاء واستعباد، وازدراء .. كذلك كل طبقة تنظر لمن فوقها من الطبقات نظرة خوف وذلة ونفاق .. هذه العلاقة العكسية المتدرجة تمارس على جميع المستويات، ومن أعلى طبقة في المجتمع ـ والمتمثلة في الملوك والحكام والرؤساء ـ إلى أدنى طبقة في المجتمع .. حتى مدير الفراشين والزبَّالين تراه يتعامل بهذه الطريقة مع من هم دونه من العمال والزبّالين المسؤول عنهم .. بينما هو يتعامل مع من هو أعلى منه وظيفة بخوف، وذلة، ونفاق .. فالكل يذل الكل، والكل يخاف من الكل وينافق له .. والكل ينتقم من استعلاء واستعباد وإذلال من فوقَه له .. بالاستعلاء والاستعباد والإذلال لمن هو تحته .. وهذه من جملة الأمراض الاجتماعية المستعصية التي تؤدي إلى تخلف البلاد والعباد .. وإلى ظاهرة النفاق والاستعباد .. والتي تستدعي الإصلاح والعلاج على وجه السرعة!

* * * * *

231- ما أجملها من لحظات ..!

ما أجملها وأسعدها وأطيبها من لحظات عندما يحتسب المرء .. ويَسترجِع .. ويصبر لحظة نزول البلاء .. وعند الصدمة الأولى .. وليس بعدها بدقائق أو ساعات أو أيام .. أو بعد أن يكون قد شق الجيوب .. وشدّ الشعور .. واعترضَ وتَسخَّط .. وبكى وأبكى .. ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾فصلت:35.

مرّ النبيُّ ﷺ بامرأة تبكي عند قبرٍ، فقال:" اتقي الله واصبري ". قالت: إليكَ عني، فإنَّك لم تُصَب بمصيبتي، ولم تعرفه! فقيل لها: إنه النبيُّ ﷺ .. ذاك رسولُ الله ﷺ ..!! فوثبت مسرعةً وهي تقول: لم أعرفك .. أنا أصبرُ، أنا أصبرُ يا رسولَ الله .. فقال ﷺ:" إنما الصبر عند الصّدمة الأولى .. الصبرُ عند الصدمة الأولى ". أي ليس بعد أن عرفتِ أني رسول الله ...!

* * * * *

232- العقوبةُ من جِنس العمل.

أصبحنا نادراً ما نسمع عن رجل عنده زوجتين .. فظاهرة التعدد تكاد تنقرض من مجتمعاتنا .. وللأسف .. ومع ذلك تتكاثر الصيحات وتتعالى .. وبخاصة من قبل النساء .. والجمعيات النسوية المشبوهة والمنتشرة في بلادنا .. ضد فكرة تعدد الزوجات .. واستهجان فكرة التعدد إلى درجة البغض والتهكم والسخرية من الفكرة ذاتها .. وعدّ ذلك من الظلم والغُبن للمرأة .. وكأنهم أعلم من الله تعالى بما خَلَق!!

شاعت ظاهرة العوانس في بلادنا .. وتفاقمت مشاكلها وتبعاتها .. وشاعت معها الفاحشة .. وانتهكت حرمات المرأة .. فأصبحت سلعة تباع في الخانات ودور الدعارة .. وبثمن بخس .. ومع ذلك همهم الأكبر كيف يُحاربون التعدد .. وكيف يلغون مبدأ تعدد الزوجات كمبدأ وتشريعٍ يمكن العمل به .. أو اللجوء إليه عند الحاجة .. وكأن المرأة لم تعد عندها مشكلة سوى التعدد!!

فأدركت الحكمة من قول النبي ﷺ:" ليأتين على الناس زمان يُرى الرجلُ الواحدُ يتبعه أربعون امرأة يلِذْنَ به من قِلةِ الرجال وكثرة النساء "البخاري. فيُعاقبهم الله تعالى من جنس عملهم وذنبهم .. وجحودهم .. وكفرهم للنعمة .. حتى يكون مقابل الرجل الواحد أربعون امرأة يلذن به من قلة الرجال .. وقد بدت مقدمات وعلامات هذه الظاهرة بالظهور .. فليهنأ أعداء التعدد بهذه النتيجة!

* * * * *

233- لماذا يُحاربون فكرة تعدد الزوجات ..؟!

تجار الجنس .. ودعاة تحرير وتفسيق المرأة .. وطواغيت الحكم والظلم .. يريدون أن تبقى المرأة بلا زوج .. ولا زواج .. أو أن يؤخِّروا زواجها ما أمكن .. حتى يتسنى لهم استغلالها .. واستغلال جسدها .. لمآربهم وأهدافهم المتباينة الخبيثة أكبر قدر وزمن ممكنين .. وهذا لا يتأتَّى لهم إلا إذا كانت المرأة وحيدة بلا زوج .. ومتحررة من قيود وتكاليف الحياة الزوجية " فإنما يأكلُ الذئبُ من الغنَم القاصية "، لذا فهم يُحاربون فكرة التعدد؛ لأنها الحل الأمثل لظاهرة كثرة النساء قياساً لعدد الرجال، أو أن تبقى المرأة بلا زوج ولا زواج .. وهذا الذي لا يريدونه .. ومن ظن أنهم يُحاربون التعدد حباً بالمرأة، وإنصافاً لها .. فهو واهم .. وخاطئ .. وعليه أن يُعيد قراءة واقع المسألة من جديد!

* * * * *

234- من علامات صدق الأخوة.

لصدق الأخوة علامات، منها: إقبال الأخ على أخيه في الشدة والضيق، كما يُقبِل عليه في السعة والرخاء.

ومنها: أن يكتم سِرَّه في السخط والرضا .. فلا يُشِيعه إلى أحد.

ومنها: أن لا يكتمه نصيحة، أو مشورة يرى فيها نفعاً لأخيه.

ومنها: أن يحب له الخير كما يحبه لنفسه.

ومنها: أن يكون لأخيه كالمرآة .. يرى فيها نفسه .. يرى فيها عيوبَه .. يرى حسناته وسيئاته .. ليستمر في الحسنات، ويُقلع عن السيئات!

ومنها: أن يُقيل عثرة أخيه عند الهفوات والكبوات .. التي لا بد منها .. فلا يكثر من مراجعته .. ومعاتبته .. لأدنى هفوة أو زلة!

فهذا إن وجدته، حافظ عليه .. ولا تفرط به ...!

* * * * *

235- لا تتسَرّع ..!

لا يحملنك قلة الأصحاب .. ومعاناة الغربة والوحدة .. على التسرع في اتخاذ الأصحاب .. واصطفائهم لصحبتك ونفسك .. فتدخلهم بيتك .. وتُطلعهم على أسرارك .. قبل أن تختبرهم .. وقبل أن تطمئن لصحبتهم وأمانتهم، وأنهم كفء لك .. حتى لا تُصدَم .. فتندَم .. ولاتَ حين مَندَم!

ومما يُعينك على انتقاء الأصحاب .. ومعرفة الصالح منهم: أن تجربهم وتعاملهم بالدرهم والدينار .. وترى أخلاقهم في السفر والترحال .. وهل يحفظون للمجالس أماناتها .. أم أنهم ممن يشيعون كل ما يسمعون ويرون .. ثم تنظر أين هم منك في الشدة .. وهل يستوي إقبالهم عليك في الشدة كما في السعة والرخاء .. وهل يستوي إقبالهم عليك وأنت تحتاجهم كما وهم يحتاجونك .. وهل أحدهم سريع التغير والانقلاب لأدنى هفوة أو زلة يراها أم أنه ممن يُقيلون العثرات والزلات .. ويعرفون للصحبة والأخوة حقوقها .. هذه جملة من المقاييس والمعايير تعينك على انتقاء الأصحاب .. ومعرفة من من الناس يكون كفأ لصحبتك ممن لا يكون .. ولا أظنك ـ إن التزمت بما أوصيناك به ـ ستجد الكثيرين منهم!

* * * * *

236- البخل!

أشد وأخطر ما قيل في البخل، قوله ﷺ:" لا يجتمعُ الشحُّ والإيمانُ في قلبِ عبدٍ أبداً "[صحيح الأدب المفرد:215]. وذلك لأن الشحَّ يحمل صاحبه على سوء الظن بخالقه ورازقه، وعلى قدر درجة تمكن الشُّحِّ من قلبه.

والبخل لتمكنه من قلب صاحبه .. لا يُعالَج بالوعظ والتذكير .. كما يُعالَج بحمل النفس على الإنفاق .. وإطعام الطعام .. وإكرام الضيف .. والصبر عليه .. ثم أنه مع الزمن، والاستمرار على هذه التمارين في الإنفاق وإطعام الطعام .. عسى أن يذهب البخل عن قلب صاحبه!

* * * * *

237- الإعلام العربي والانتخابات الأمريكية.

لو تأملت المواد الإعلامية العربية المنافقة ـ المرئية منها والمسموعة والمقروءة ـ التي صُرِفت على انتخابات الرئاسة الأمريكية .. لوجدتها عشرات الآلاف من الملفات .. والتي كلفت مئات الملايين من الدولارات .. لو أُنفِقت على فقراء الأرض لكفتهم .. خلاصتها من سيفوز .. مرشح الحزب الجمهوري ماكين أم مرشح الحزب الديمقراطي أوباما .. وأنت مع أيّن منهما؟؟

ولهؤلاء أقول: أنا كمسلم .. ماذا يعنيني أو يهمني مَن سيفوز منهما .. إذا كانا كلاهما يتسابقان ويتنافسان .. على قتلي كمسلم .. وتحت مزاعم شتى .. لم تعد تخفى على المراقب العادي؟!

ماذا يعنيني أو يهمني مَن سيفوز منهما .. إذا كانا كلاهما يتسابقان ويتنافسان .. على خدمة الصهاينة اليهود في فلسطين .. على حساب حقوق أهلنا في فلسطين .. وكل منهما يُحاول جاهداً أن يُقنع شعبه أنه الأكثر خدمة ونصرة للصهاينة اليهود في فلسطين؟!

ماذا أبقوا لي كمسلم .. حتى أكترث أو أهتم بهذا المرشح أو ذاك .. وكلاهما ليس لي عندهما سوى القتل، والموت، والحصار، والسجن، والتهجير .. والتجويع .. نلمس ذلك من برنامج الحزبين والمرشَّحَين .. ومن خطاباتهما .. ومن سيرتهما على أرض الواقع المشاهد والملموس .. وما أكثر الشواهد الدالة على ما ذكرناه لو أردنا الاستدلال أو الاستقصاء!

* * * * *

238- المسؤولية عن النتائج!

يبررون فشلهم .. وتقصيرهم .. وهزائمهم .. ويتهربون من تبعات المساءلة والمحاسبة .. بقولهم الشائع على ألسنة كثير من الناس: النتائج على الله .. وهي بيد الله لا بيد عبد الله .. نحن لسنا مسؤولين عن النتائج .. فالنتائج كيفما جاءت .. وكيفما كانت .. فنحن لا نُسأل ولا نُحاسب عليها .. لأنها بيد الله لا بأيدينا .. فهي كلمة حق يريدون بها باطلاً .. يريدون بها الهروب من تحمل مسؤولياتهم تجاه ما قدموا وفرّطوا .. يريدون بها عدم الاعتراف بجوانب الفشل والتقصير والمرض التي يُعانون منها .. وهؤلاء أنَّى لهم أن يستفيدوا من ماضيهم وتجاربهم، لحاضرهم ومستقبلهم!

نعم؛ الخير والشر .. وكل ما يصيبنا .. وكل حركاتنا وأقوالنا وأفعالنا .. ما يحبه الله تعالى منا ومالا يحبه ولا يرضاه .. هو بقدَر .. وتمَّ ويتم بمشيئة الله تعالى .. لكن القدَر نوعان: نوع لا دخل فيه للإنسان .. ولا شأن .. فهذا لا يُسأل عنه الإنسان .. ولا يُحاسَب؛ لأنه لا إرادة له فيه .. ونوع يكون الإنسان سبباً في حصوله ووقوعه .. فإن كان خيراً أجر خيراً، وإن كان شراً حُوسب على تفريطه وتقصيره، وأُخذ بذنبه، في الدنيا والآخرة، كما قال

تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾آل عمران:165. لا تتعجلوا فترموا بتبعات ما نزل بكم من بلاء على القدَر .. وإنما ﴿هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾، راجعوا أنفسكم .. اتهموا أنفسكم .. انظروا مواطن الخلل والتقصير التي بسببها نزل بكم ما نزل من بلاء ومصاب .. ستجدون أنها ﴿مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾!

ليس من التقوى .. ولا العلم .. ولا العدل .. ولا الظن الحسن بالخالق ﷻ .. أن نرد فشلنا وتقصيرنا وتفريطنا ـ على مدار عشرات السنين ـ وما ينزل بنا بسبب فشلنا وتقصيرنا، وتفريطنا من بلاء ومصاب .. إلى الله تعالى .. وإلى القدَر .. ثم نغفل ـ أو نتغافل ـ عن الأسباب التي ارتكبناها بأيدينا .. والتي هي من عند أنفسنا .. التي أدت لنزول هذا البلاء والمصاب، أو حصول هذه النتائج التي لا نرضاها!

حاشا لله أن تأخذ بجميع أسباب الظفر والنصر والتمكين المادية منها والمعنوية التي أمرك الله ورسوله ﷺ بها .. ثم تفشل .. أو تأتي النتائج سلبية بخلاف ما تريد وما تحب .. لا أقول: هذا نادر الحصول، بل أقول: لم يحصل .. ولن يحصل .. إلا في ذهن المرضى الفاشلين المهزومين الذين استمرؤوا الهزائم وهانت عليهم .. الذين يُحسنون الهروب والاختباءوراء القدر عند ظهور النتائج!

فإن جاءت النتائج بخلاف المتوقع فبادر ـ يا عبد الله ـ مباشرة إلى اتهام نفسك والبحث ـ بتقوى وتجرد ـ عن مواطن الخلل والتقصير والتفريط .. لتستدرك ما قد فاتك من أسباب الظفر والنصر، والنجاح .. ثم حذار أن تُسيء الظن بالله وبوعده، فترمي بفشلك على القضاء والقدر .. فتكون من الظالمين، قال تعالى: ﴿ما يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللّهُ شَاكِراً عَلِيماً﴾النساء: 147. ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾محمد:7. ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثاً﴾النساء:87.

* * * * *

239- موقف الاشتراكية، والرأسمالية، والإسلام من الإنسان الفرد.

الاشتراكية: تسلب الفرد حريته وحقه في التملك .. والتصرف بما يملك .. وتجعله أسيراً للدولة أو الحاكم وقانونه .. في لقمة عيشه .. وفيما يكتسب .. وفيما ينفق .. فالمال مالُ الدولة .. وهو أجير عندها .. وعبد لها .. لا فكاك له من ذلك!

أما الرأسمالية: فهي على النقيض من الاشتراكية؛ فقالت للفرد: أنت المالك الحقيقي لنفسك ولمالك .. لك كامل الحق والحرية في أن تكسب المال كيفما تشاء .. وبالطريقة التي تشاء .. وتنفقه كيفما تشاء .. وبالطريقة التي تشاء .. لا تُسأَل عن مالك فيما اكتسبته .. ولا فيما أنفقته!

أما الإسلام: فهو وسط بينهما؛ فقال للفرد: أنت وما تملك لله تعالى وحده .. فالمالك الحقيقي للمال هو الله تعالى وحده .. والإنسان مستخلف على هذا المال .. ومُستأمَن عليه وأجير .. سيفارقه لمن بعده شاء أم أبى .. إلى أن يرث اللهُ الأرض ومن عليها.

وبالتالي فهو حر التصرف بالمال كسباً وإنفاقاً .. وفق مشيئة وحكم الله تعالى .. لا يجوز له أن يخرج ـ في الكسب والإنفاق ـ عن قانون مالكه الحقيقي .. عن قانون واهبه والمتفضل به على عباده .. لذا فهو محاسَب ومسؤول أمام الله تعالى عن ماله فيما اكتسبه وفيما أنفقه .. وما يمنحه الله تعالى للفرد من حق في التصرف في المال كسباً وإنفاقاً ـ وهو الجانب الأوسع والأرحب أكثر بكثير من الجانب المحظور ـ لا يحق لمخلوق ـ أيَّاً كان ـ أن يسلبه إياه أو يمنعه عنه .. وما منعه الله تعالى عنه، وحرّمه عليه .. لا يحق لأحدٍ ـ أياً كان ـ أن يمنحه إياه .. أو أن يحله له .. لأن المال ليس ماله، ولا مال أحدٍ من الخلق .. وإنما هو مال الله تعالى وحده!

يجرّمون الإنسانَ الذي يتصرف بمال إنسان آخر من دون إذنه .. بينما في المقابل يستسيغون ويحسِّنون أن يتصرف الإنسان بمال الله تعالى ـ كسباً وإنفاقاً ـ من دون إذنٍ ولا سلطانٍ من الله؛ المالك الحقيقي للمال؟!

* * * * *

240- هَيبَةُ الطاغوت!

شكا لي صاحبي قائلاً: ما بالُ أحدنا إذا دخل على طاغوت من طواغيت الحكم والظلم .. يجد له هيبةً ورهبة في النفس؟!

قلت: ذلك لسببين:

أولهما: لضعف الإيمان عند من يجد للطاغوت هيبة أو رهبة في نفسه؛ إذ لو صح إيمانه لما وجد للطاغوت تلك الهيبة والرهبة في نفسه .. وقد قال من قبل الإمام أحمد:" لو صحَحْتَ لما خُفْتَ ".

ثانياً: أن هذه الهيبة التي تعلو الطاغوت .. موهومة .. مكتسبة غير ذاتية .. وهي لما يُحيط به من الجندِ .. والحرس .. والجلادين .. والنياشين .. والألقاب .. والقصور .. فإن جُرِّد من هذا كله .. ظهرت عليه الذلّةُ والمسكنة .. وذهبت هيبته .. وذهبت الرهبة منه في نفوس الناس!

بينما المؤمن الموحِّد .. قد كساه الله هيبةً .. حتى لو كان مقيداً بالسَّلاسل في سجون الطغاة .. أو كان يعيش في كوخٍ من قِشٍّ وطين!

* * * * *

241- شخصٌ لا ينفع معه الحوار!

هو الحقود الكذوب .. اللدود في الخصومة .. فهذا لا ينفع معه الحوار؛ فحقده يُعمي بصره عن الحق والحقيقة .. ويصده عن متابعة الحق أو إنصافه .. وكذبه يحمله على الكَذِب .. وتلفيق الكذب .. وتكذيب الحق، وتصديق الباطل .. وأنَّى لمثل هذا أن يُلاحَق أو أن ينتفع من الحوار الراشد البنّاء .. فإن وجدتموه فاهجروه .. فأوقاتكم أغلى منه!

* * * * *

242- مَثَلُ الذَّاهبِ والباقي.

كل مالٍ تهدره على نفسك .. ومتاعك .. وشهواتك .. فهو ذاهب .. ومآله حفرة المرحاض .. وسَلَّات القُمَامة .. بينما المال الذي يُنفَق في سبيل الله .. فهو المال الباقي .. الذي يُرْبِيه اللهُ تعالى .. ويدَّخره لعبده .. ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾الشعراء:88-89. فهنيئاً لمن آثر الباقي على الفاني .. وخاب وخسر من قدَّم الفاني على الباقي!

أمرَ النبيُّ ﷺ بأن تُذبَح شاةٌ وتُقسَّم على الجيران، فذُبحَت وقُسّمت على الجيران، فقال النبيُّ ﷺ: ما بقي منها؟ قالت عائشة ﷺ: ما بقي منها إلا كتفها. قال ﷺ:" بقي كلها غير كتفها " وفي رواية:" كلها بقي إلا الذراع !"

* * * * *

243- هيبةٌ مزيّفَة!

هو من تقترن هيبته .. ويقترن وقاره بثيابه ومظهره الخارجي .. فإذا خلعَ ثيابه ذهبت معها هيبته .. وذهب وقاره .. وانكشفت للناس سوءاته وحقيقته .. لذا تراه يُبالغ الاهتمام بهندامه .. وثيابه .. ومظهره الخارجي .. فيكمل نقصه بثيابه .. وهندامه .. بينما الشخص القوي الواثق من نفسه وعطائه .. ذو القلب العامر بالإيمان .. فهو مُهاب الجانب .. سواء كان فقيراً أم غنياً .. وسواء كان حسن الثياب أم رثَّ الثياب .. لا يحتاج إلى عامل خارجي يُكسيه الوقار والهيبة .. فهيبته ذاتية ومن داخله.

فالهيبة التي مبعثها المظهر الخارجي والثياب هيبة مزيفة سرعان ما تزول بخلع الثياب وزوالها .. بينما هيبة الإيمان التي مبعثها القلب .. فهي هيبة ثابتة ثبات الإيمان في القلب .. لا تغيرها التقلبات ولا الأحوال .. ولا الثياب سواء كانت رثَّة تعلوها الرقَع .. أم كانت حسنةً جديدة!

كان عمر ﷺ يعلو إزاره اثنتا عشرة رقعة .. وكان ذات يوم يمشي وخلفه عِدة من أصحابِ رسولِ الله ﷺ إذ بدا له، فالتفت، فلم يبقَ منهم أحدٌ إلا وحبل ركبتيه ساقط، قال: فأرسلَ عينيه فبكى، ثم قال: اللهمَّ إنك تعلم أنِّي منكَ أشدُّ فَرَقاً منهم مني!

وما سلكَ عمرٌ فجَّاً إلا وسلكَ الشيطانُ فجَّاً غيره .. فرَقاً من عمر!

* * * * *

244- جمالٌ مُزيَّف!

هو القُبحُ عندما يسعى ليرقى إلى درجة الجمال .. عن طريق عمليات التجميل .. وإضافة المساحيق .. والوصلات .. والألوان .. والمزينات .. فإذا زالت .. زال بزوالها الجمال .. وظهر القبح على حقيقته وصورته المنفّرة .. مثاله المرأة القبيحة التي تغطي قبحها بالمساحيق .. والوصلات .. والزور .. وعمليات التجميل .. فتتشبّع بما لم تُعطَ، وبما ليس فيها .. عسى أن يقع في شباكها رجل مُغفّل .. وهذا من أعظم أنواع الغش الذي حرمه الإسلام!

* * * * *

245- العلمانيون العرب في بريطانيا!

العلمانيون العرب في بريطانيا .. لم يستفيدوا من إقامتهم في بريطانيا في شيء .. فهم لا يزالون على تخلفهم وحقدهم الدفين القديم على الإسلام والمسلمين .. وبخاصة الإسلاميين منهم المقيمين في بريطانيا، من ذوي الأصول العربية!

من يتأمل كتابات كثيرين منهم في صحفهم المنشورة والمدعومة من الطغاة الآثمين .. يشعر أن للقوم همّاً واحداً .. وغرَضاً واحداً تهون أمامه الهموم والأغراض .. وهو كيف يغرون الحكومة البريطانية فيمن تبقى من الإسلاميين المقيمين في بريطانيا من غير سجن ولا تسفير .. وأن هؤلاء البقية المتبقية من الإسلاميين ـ على قلتهم ـ لا يستحقون الحياة .. ولا حتى استنشاق الهواء .. مكانهم الطبيعي السجون .. أو القتل والموت!

لم تعد عندهم قضية تشغلهم .. وتقلق بالهم .. ويكتبون فيها .. غير هذه القضية .. كيف يتم إلجام وقتل وسجن من تبقى من الإسلاميين المقيمين في بريطانيا، وبخاصة العرب منهم ..؟!

انتهت مشاكل العرب والعروبة .. ومشاكل دولهم وحكوماتهم وأنظمتهم الفاسدة العميلة .. ومشاكل الشرق الأوسط .. ولم يتبق عندهم مشكلة سوى هؤلاء القلة القليلة من الإسلاميين العرب؛ كيف ولماذا يتمتعون بنسبة محدودة من الحرية ـ هي في تضييق مستمر ـ فغاظهم ذلك .. وأعمى قلوبهم وأبصارهم!

لا برامج لديهم .. ولا حلول .. ولا دراسات .. يستفيد الناس منها شيئاً .. سوى التوصيات إثر التوصيات: كيف يجب أن يُشَدَّد الخناق على هؤلاء البقية المتبقية من الإسلاميين العرب المقيمين في بريطانيا .. أو غيرها من الدول الأوربية!

ولهؤلاء ولمن وراءهم نقول لهم: موتوا بغيظكم .. وحقدكم .. كيدونا ما استطعتم .. وامكروا مكراً كبَّاراً .. فلن يصيبنا من أذاكم شيئاً إلا ما كتب الله لنا .. وهو أرحم الراحمين.

الحمد لله أنكم لا تملكون شيئاً من خزائن رحمة الله .. وإلا لأمسكتم عنا الماء والهواء .. وقتلتم الأطفالَ الرضّع منا .. صدق الله العظيم: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُوراً﴾الإسراء:100.

* * * * *

246- ما يأكله الوحوش والدواب، والحيتان، وما يأكله الإنسان!

تأملت كل ما يأكله الوحوش، والأنعام، والدواب، والطيور، والحيتان .. فوجدت منها من يعيش ويقتات على اللحوم .. ومنها من يعيش ويقتات على النباتات والخضروات .. ومنها من يعيش ويقتات على الفواكه .. ومنها من يعيش ويقتات على الأسماك .. ومنها من يعيش ويقتات على الحبوب .. وكلها فيما بينها مشتركة في الحاجة إلى الماء وإلى شرب الماء ... بينما الإنسان يأكل اللحوم، والنباتات، والخضروات، والفواكه، والأسماك، والطيور، والحبوب .. ويشرب الماء .. ويزيد عليه مئات الأصناف من الشرابات والعصائر مما لذ طعمه وشرابه ... فيأكل أحسن ما يأكله الوحوش، والأنعام، والحيتان، والطيور، وغيرها من الدواب .. لكن الفرق بين تلك الوحوش والحيوانات والدواب .. وبين الإنسان .. أن الوحوش، والحيوانات، والدواب ... تشكر الله تعالى على ما تأكله وتشربه مما منَّ الله به عليها من النعَم .. كما قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾الإسراء:44. بينما الناس ـ على ما أنعم الله به عليهم، وعلى سعة ما يأكلون ويشربون ويتمتعون ـ قليل منهم الشكور .. كما قال تعالى:﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾سبأ:13.

أترضى يا عبد الله أن تكون الحيوانات والوحوش، والدواب أكثر منك عرفاناً وشكراً لله تعالى .. وأنت أكثر منها مجتمعةً .. تنوعاً في الأطعمة والأشربة .. وأكثر منها مجتمعةً تلذذاً .. وتنعماً بما تفضَّل الله به عليك من النعم والخيرات التي لا تُحصَى؟!

* * * * *

247- الشّجَرةُ والإنسانُ!

استوقفني منظر قد آذاني جداً؛ شجرة ضاربة الجذور في الأرض .. وفرعها في السماء عشرات الأمتار .. تسبّح بحمد ربها .. وتسجد له .. ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾الرحمن:6. تقول لناظرها: عمرها أكثر من ألف سنة .. ولو نطقت .. وفهمنا لغتها لحدثتنا عمَّا شاهدته من تاريخ الإنسان .. ممن استظل في ظلها .. ومرّ من جوارها ومن تحت أغصانها من الجيوش والعظماء .. لأكثر من ألف سنة .. هذه الشجرة بعظمتها .. وسجودها وتسبيحها لخالقها .. وتاريخها المديد الذي يحكي لناظرها ألف قصة وقصة .. يقف بجوارها مراهق عابث .. جاهل .. يحمل منشاراً أطول منه .. قد كَفَرَ في الشجرة معروفها وعطاءها .. وجميع المعاني الآنفة الذكر .. ليضع لتاريخها وسجودها وتسبيحها حداً بمنشاره اللعين .. وما هي إلا دقائق .. وبعد أن عمل منشاره عمله .. إلا والشجرة تنهار وتسقط على الأرض .. كأنها جبل ضخم يسقط من السماء .. بعد أن ظلت قائمةً منتصبة تُعطي الإنسان ـ بإذن ربها ـ من خيرها لأكثر من ألف سنة .. فأدركتُ حينها مغزى ومعنى توجيه النبي المصطفى ﷺ لأمراء الجند والجيوش:" ولا تعقِرَنَّ شَجرَةً "! وأدركت أكثر معنى قوله تعالى:﴿ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾عبس:17.

* * * * *

248- رحَلَ الطّاغية وبقي الإسلام.

لم يألُ طاغية البيت الأبيض جورج بوش جهداً إلا وبذله .. ولا حيلة إلا وسلكها .. في محاربته للإسلام والمسلمين .. فسلك دروب الإجرام والإرهاب كلها .. فسفك الدم الحرام .. وأنتهك حرمات الأوطان وساكنيها من الآمنين الأبرياء .. وحاصر شعوباً بكاملها؛ فمنع عنها الدواء والغذاء .. وقتّل أمماً من الشيوخ والنساء، والأطفال الرضّع .. وأنفق على جرائمه هذه مئات المليارات من الدولارات .. إلى أن أوقع دولته وشعبه في عجز وضعف اقتصاديين .. تناولتهما وسائل الإعلام بكثير من التعليق .. فارتد إنفاقه وإسرافه على نداءات أحقاده بالسوء والحسرة والندامة على بلده وشعبه .. فكان كمن قال تعالى فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾الأنفال:36.

وها هو الآن .. وبعد أن فعل كل ما يُشين ويُخجِل المرء السوي .. يرحل .. ويغيب نجمه ـ غير مأسوف عليه ـ كما غاب نجم من قبله من الطغاة المجرمين .. ليتقاعد ويخلد إلى ذكرياته ومذكراته المشينة الأليمة .. وليستقبل لعنات التاريخ والمظلومين عليه وعلى فترة حكمه .. كلما ذُكِر أو مرَّ على ذكره القرّاء .. غير الذي ينتظره يوم الحساب .. من حساب عسير أليم .. فليستعد له!

هذا هو مآله .. وهذه هي نهايته .. وهذه هي مكانته الوضيعة .. فانتهى إلى حيث انتهى إليه مَن قَبله من الطغاة المجرمين .. ملعونين أينما ومتى ذُكِروا .. ولكن أين الإسلام الذي ظل يُحاربه طيلة فترة حكمه .. وأين مكانته بين الناس والشعوب؟!

بقي الإسلامُ شامخاً عزيزاً .. صامداً عالياً .. محافظاً على قوته وبريقه وجاذبيته .. وطهارته .. يدخل الناس فيه ـ مقتنعين راغبين غير مكرهين ـ أفواجاً إثر أفواج .. ويزداد إقبال الناس عليه دراسة وتدبراً واعتناقاً .. لا يأبه لمكر وكيد الطغاة الآثمين .. ولم يتأثر بمكرهم وكيدهم في شيء .. والسر في ذلك كله أنه دين الله .. ودين الله لا يُحارَب .. وأن الله تعالى قد تكفَّل بحفظه .. ومن تكفَّل الله بحفظه فلا ضَيعة عليه .. ولو تآمر وتكالب عليه أهل الأرض أجمعين!

مثل الطغاة المجرمين مع الإسلام، قول الشاعر:

كناطحٍ صخرةً يوماً ليوهنها ... فما أوهاها ولكن أوهى قرنَهُ الوَعِل

وفي ذلك عِظة لمن يأتي بعده من الطغاة .. لو كانوا يتعظون .. ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾الحج:46.

* * * * *

249- الغرَض من حوار الأديان؟

ليس الغرض من حوار الأديان المثار في هذه الأيام .. إنصاف الحق من المتحاورين .. ومما ينتمي إليه المتحاورون .. أو أن يُقال لأهل الكتاب:﴿تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾آل عمران:64. فهذا لم يحصل .. وليس هو داخل في أجندة وتفكير المتحاورين .. وإنما الغرض من تلك الحوارات شيء واحد؛ هو أن يُغيّبوا ويُجَرّموا عند المسلمين عقيدة الجهاد في سبيل الله، وعقيدة الموالاة والمعاداة في الله .. لتخلو لهم الساحة من غير حراسة .. ولا مقاومة .. وليعيثوا فيها فساداً ونهباً وخراباً!

أمة بلا جهاد في سبيل الله .. ولا ولاء ولا براء في الله .. كالبيت المفتحة أبوابه من غير أقفال للصوص وقطاع الطرق .. ولمن يريد أن يقضي فيه حاجته .. من دون أن يُبالي لمن حولَه؛ لأن من حَوله قد فقدوا المناعة، والشعور بالإحساس!

أمة بلا جهاد في سبيل الله .. ولا ولاء ولا براء في الله .. كالقصعة التي تتكالب عليها الأكلة من كل حدب وصوب!

لا جهاد في سبيل الله .. ولا ولاء ولا براء في الله .. فما هو البرهان .. وبمَ يدخل المرء الجنة؟!

فحوار الأديان .. المثار في هذه الأيام .. ما هو إلا حوار البراء من الأديان .. فتنبّهوا!

* * * * *

250- من أخلاق وطبائع الوحوش والحيوانات!

من أخلاق وطبائع الوحوش والحيوانات .. أنها تتحرى من الفرائس الفريسة الضعيفة السهلة لتنقض عليها .. وأنها لا ترحم الفريسة الضعيفة لو وقفت أمامها أو وقعت بين أنيابها ومخالبها .. والإنسان الذي يتحرّى مخاصمة الإنسان الضعيف .. ويستقوي على الأضعف منه .. ولا يرحم الضعيف إذا ما وقع بين يديه .. وكان له سلطان عليه .. هو إنسان وحشي .. فيه خصلة بارزة من خصال وطبائع الوحوش والحيوانات .. سُكناه في الغابات المليئة بالوحوش والحيوانات أولى به من سكناه في المدن التي يسكنها ويعمرها الإنسان!

* * * * *

251- أنا وقطرَةُ الماء!

بعد أن أويت إلى فراشي .. وأخذ النعاس مأخذه مني .. وهدأت الأصوات .. وطاب النوم .. سمعت صوت قطرة ماءٍ تسقط من فوهة " حنفية " المياه التي في الحمام المجاور لغرفتي .. تتلوها قطرة بعد قطرة .. فأخذ حديث النفس مأخذه مني .. فبعض نفسي تقول: نم .. ما هي إلا قطرة ماء .. لا تستحق منك النهوض لإيقافها، بعد أن دفئ الفراش .. وأخذ النعاس مأخذه منك .. لا تُفسِد عليك نومك!

وبعض نفسي الآخر يقول: هذه القطرة التي تتلوها قطرات .. إن تركتها إلى الصباح تُصبح كمًّاً كبيراً .. ثم هي من نعم الله تعالى التي ينبغي أن تُشكَر وتوضَع في موضعها الصحيح .. وتُصرَف لمستحقيها .. لا يجوز أن تنتهي إلى مجاري المياه من دون أن يستفيد منها أحد .. كم من إنسان في فلاة أو صحراء يبحث عن هذه القطرات فلا يجدها .. فيكون عطشه سبباً في هلاكه وموته .. وكم من دابة وبهيمة .. تهلك دون هذه القطرات ولا تجدها .. وكم من طائر .. يحوم في السماء عشرات الأميال بحثاً عن هذه القطرات ثم لا يجدها .. وكم من شجرة أو نبتة تموت عطشاً .. قبل أن تصلها تلك القطرات .. قم يا رجل ـ فأغلق حنفية المياه جيداً ـ لا تتعاجز ولا تتكاسل .. ولا تزهدنّ بقيمة هذه القطرات .. وأجرك على الله!

فغلب نصفي المتعاطف مع قطرة الماء .. على نصفي الآخر المتعاطف مع الفراش الدافئ والنوم .. وغَلَبَةُ تعاطفي مع قطرة الماء كان سبباً في كتابة هذه الكلمات .. والحمد لله الذي تتم بفضله الطيبات الصالحات.

* * * * *

252- إنصافُ الظالِم!

من الظالمين لو أنصفتهم .. وأنصفت ما لهم من حق .. فيما لهم من حق من غير جهة ظلمهم .. لتمادوا في ظلمهم وطغيانهم .. واستغلوا هذا الإنصاف أسوأ استغلال .. واتخذوه ذريعة لظلم الآخرين، والتمادي في

الظلم .. وتحسين صورة ما هم عليه من ظلم .. وهذا يُلزِمك الحذر والانتباه .. عند إنصاف هذه الشريحة من الظالمين .. حتى لا تُعينهم على ظلم الآخرين .. وعلى التمادي في الظلم وأنت لا تدري .. فتكون حينئذٍ كمن أنصف حقاً بباطل راجح وأكبر!

أعترف أن إنصاف هذه الشريحة من الظالمين أمرٌ صعب .. يحتاج إلى فقه .. وبصيرة .. وتريُث .. ونظرٍ ثاقب في مآلات الأمور!

* * * * *

253- إطراءُ أهلِ البدع والأهواء!

من أهل البدع والأهواء .. من تراه يحرص على إطراء ومدح أهل الحق .. وأحياناً إلى درجة المبالغة .. عساه أن يحظى منهم ـ في المقابل ـ على كلمة إطراء ومدح .. على مبدأ ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾القلم:9. ليطير بها في الأمصار .. وليقول للناس، اشهدوا وانظروا: كيف أن أهل الحق أثنوا عليَّ خيراً .. ولو لم أكن ما أنا عليه من الحق لما أثنوا علي خيراً .. رغبة منه في تمرير باطله وبدَعه على الناس!

فإن علمت ذلك علمت معنى الأثر:" من وقَّر صاحبَ بدعةٍ فقد أعان على هدم الإسلام "؛ فهو ـ بتوقيره لصاحب البدعة ـ يهدم الإسلام من حيث لا يدري؛ لأن توقيره للمبتدع .. سيتخذ ذريعة إلى توقير البدعة ذاتها .. وما عليه المبتدع من بدع وأهواء .. ومذاهب .. وهدم ما يُقابلها ويُضادها من السُّنن .. فيهلك الناس ويضلّوا .. فالحذر، الحذر!

* * * * *

254- خطأ إملائي شائع!

كثير من الكتّاب يكتب عبارة " إن شاءَ اللهُ " كالتالي:" إنشاءَ الله "!

والفرق بين " إن شاءَ اللهُ "، و" إنشاءَ اللهِ " واسع جداً، فإن شاء الله؛ تعني تعليق الشيء أو الفعل بمشيئة الله تعالى؛ أي إن شاء الله يتمّ الفعل ويمضي، وإن لم يشأ لا يتم، ولا يمضي .. كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً * إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾الكهف:23-24. بينما كلمة " إنشاء "؛ تأتي بمعنى الإعمار والإيجاد، أنشأ الشيء؛ أي أوجده، وأقامه، وبناه .. كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء﴾الواقعة:35. وهذه المعاني ـ إضافة إلى كونها تختلف اختلافاً كبيراً عن معنى عبارة إن شاء الله ـ لا تجوز إضافتها إلى الله تعالى كأن تقول: إنشاءَ اللهِ أو إيجادَ الله .. وكأن هناك من أوجده وأنشأه .. والعياذ بالله .. فتنبه!

* * * * *

255- الظلمُ والعدلُ.

الظلمُ به تزول الأمم، وتنهار الدول .. وعواقبه وخيمة على أهله ولو بعد حين .. يجعل الديار بلاقع .. وهو ممقوت أيَّاً كانت جنسيته .. أو كان انتماؤه .. وكانت لغة أهله!

بينما العدل به تقوم الأمم، وتنهض الدول .. وتقتات .. وتعمر الديار .. وعواقبه حميدة على أهله وإن طال الزمن .. وهو محمود مشكور أيَّاً كانت جنسيته .. أو كان انتماؤه .. أو كانت لغة أهله!

* * * * *

256- لا تُبطِل معروفَك بالمنِّ والأذَى!

من الخاسرين من لا تُطاوعه نفسه على فعل المعروف والإحسان إلا بعد أن يَسبقَ معروفه وإحسانه بسلسلة من المنِّ، والنَّكَد، والأذى على من يريد الإحسان عليه .. أو يُتْبِعَهُ ـ ولو بعد حين ـ بالمنِّ والأذى .. وهذا إضافة إلى أنه قد أحبط أجره يوم القيامة .. فهو قد أبطل بهجة وأثر معروفه الطيب في نفس من أحسن إليه .. فيخسر الدنيا والآخرة معاً، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾ البقرة:264. وقال تعالى:﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾البقرة:263.

* * * * *

257- أنانيَّةٌ مُغلَّظة!

أن يحب المرء الخير لنفسه .. ويحرص عليه .. فهذا أمرٌ نتفهَّمه .. لا حرج فيه إن طُلِب باعتدال .. أما أن يصل به حبُّ النفس حداً ومبلَغاً .. لا يحب معه أحداً إلا نفسه .. ولا يُحب الخير إلا لنفسه .. ولا يرى حقاً إلا حقَّهُ .. ولا مصلحةً إلا مصلحتَه .. فيضحي بحقوق ومصالح الآخرين، وأقرب المقربين إليه .. على أن لا تُمس حقوقه ومصالحه في شيء .. إن مُسَّ حقه في شيء قليل أرعَد وأزبَد .. وفجر في الخصام .. وإن انتهكت حقوق الآخرين .. بل وحقوق الأمة كلها .. لا يتمعر وجهه غضباً ولا يحرك ساكناً .. فعينه لا ترى في الوجود شيئاً إلا نفسه .. وحقوقه .. وشهوته .. وراحتَه .. وبطنه .. ودرهمه .. ومتاعه .. وليكن بعدها ما يكون .. مات الآخرون، أم عاشوا .. جاعوا أم شبعوا .. ضاعت البلاد أم عادت .. فالأمر عنده سواء .. لا يُقلِق له بالاً .. ولا يُحرِّك له جَفناً .. فهذا أناني تافه .. وأنانيته مغلَّظة ومركَّبة .. بعضها يعلو بعض .. وهو ممن يعبدون أهواءهم من دون الله .. كان الله في عون من تحته من الناس!

* * * * *

258- المكتسبات الماديّة لسُوءِ الخُلُق!

يُخيّل لذوي الأخلاق الرديّة أنهم بسوء الأخلاق يحوزون على الدنيا ومتاعها .. ويدركون الغنى بأقصر الطرق وأيسرها .. وهؤلاء واهمون .. قد ضحك عليهم الشيطان حتى القهقهة!

إنّ ما يحصل عليه المرء من الكسب والربح والغِنى بحسن أخلاقه .. لهو أضعاف أضعاف ما يحصل عليه بسبب سوء أخلاقه!

إن ما يحصل عليه المرء من الكسب والمال بسبب خُلُق الكرم والجود والإنفاق في سبيل الله .. لهو أضعاف أضعاف ما يحصل عليه بسبب خُلُق الشُّح والحرص .. وكم من رزق يُمنَع عن صاحبه بسبب البخل، وسوء الخُلُق ـ كان سيدركه لو كان كريماً جواداً ـ وهو لا يدري ..؟!

إن ما يحصل عليه المرء من الكسْبِ والمال بسبب خُلُق شكر المعروفِ والحسنةِ .. ومقابلة المعروف بمعروف .. لهو أضعاف أضعاف ما يحصل عليه بسبب خُلُق الجحود، ونكران المعروف .. وعدم مقابلته بالشكر والعرفان .. وكم من رزقٍ يُمنَع عن صاحبه بسبب نكرانه للمعروف ـ كان سيُدركه لو كان شكوراً وممن يشكرون المعروف ـ وهو لا يدري .. ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾إبراهيم:7.

إن ما يحصل عليه المرء من الكسْبِ والمال بسبب خُلُق الصدقِ، والأمانة، والوفاء بالوعدِ .. لهو أضعاف أضعاف ما يحصل عليه بسبب خُلُق الكذب، والغشّ، والخيانة، والغدر، وخلفِ الميعاد .. وكم من رزقٍ يُمنَع عن صاحبه بسبب تخلّقه بخلق الكذب وخلف الميعاد ـ كان سيُدركه لو كان صادقاً وفيَّ العهد ـ وهو لا يدري ..؟!

إن ما يحصل عليه المرء من الكسْبِ والمال بسبب التَّخلّقِ بأخلاق التوكل والصبر وحسن اليقين .. لهو أضعاف أضعاف ما يحصل عليه بسبب خُلُق الجزَع، والخوف على الرزق، وسوء اليقين برب العالمين .. ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً﴾المعارج:20. وكم من رزقٍ يُمنَع عن صاحبه بسبب تخلّقه بخلق الخوف والجزَع وسوء الظن برب العالمين ـ كان سيُدركه لو كان من المتوكلين الصابرين ـ وهو لا يدري ..؟!

إن ما يحصل عليه المرء من الكسْبِ والمال بسبب خُلُق الرِّفق .. والتحلي بأخلاق الرفق .. لهو أضعاف أضعاف ما يحصل عليه بسبب خُلُق العنف والشّدة .. والتحلي بأخلاقيات العنف والشدة .. وكم من رِزقٍ يُمنَع عن صاحبه بسبب تخلّقه بخلق العنف والشدة وابتعاده عن الرفق ـ كان سيُدركه لو كان رفيقاً ـ وهو لا يدري .. والله تعالى يُجازي على الرفق ويُعطي عليه ما لا يُجازي ويُعطي على العنف والشدَّة؟!

إن ما يحصل عليه المرء من الكسْبِ والمال بسبب خُلُق التواضع، وصِلة الأرحام .. لهو أضعاف أضعاف ما يحصل عليه بسبب خُلُق الكبر، وقطيعة الأرحام .. وكم من رزقٍ يُمنَع عن صاحبه بسبب تخلّقه بخلق الكبر، والاستعلاء على الخَلْقِ، وقطيعة الرحم ـ كان سيدركه لو كان متواضعاً رحيماً برحمه واصلاً لهم ـ وهو لا يدري ..؟!

إن ما يحصل عليه المرء من الكسْبِ والمال بسبب خُلُق التحلي بالكسب الطيب .. وتحري دروب الكسب الحلال .. لهو أضعاف أضعاف ما يحصل عليه بسبب خُلُق التحلي بالكسب الخبيث، وتحري دروب الكسب الحرام؛ كالسرقة، والاحتكار، والربا، والمتاجرة بالخمور والمخدرات وغيرها من المحرمات .. وكم من رزقٍ يُمنَع عن صاحبه بسبب تخلّقه بخلق تحري الكسب الخبيث الحرام ـ كان سيدركه لو كان ممن يتحرون الكسب الطيب الحلال ـ وهو لا يدري ..؟!

ثم شتَّان شتان بين بركة المال الذي يتأتَّى بالحلال وعن طريق حسن الخلق .. وبين المال الذي يتأتى بالحرام وعن طريق سوء الخلق .. فإن درهماً واحداً يأتي عن طريق الحلال، وطريق حسن الخلق .. لهو أشد بركة وأكثر نفعاً من مائة ألف درهم يأتي عن طريق الحرام، وطريق سوء الخُلق .. لو كانوا يعلمون!!

* * * * *

259- الهِجْرَةُ.

الوطنُ عزيزٌ .. لكن الأعزَّ منه سلامة العبادة والدين .. وسلامة النفس وأمنها .. ولأجل هذين الغرضين شَرَعَ الله تعالى الهجرة .. وهجر الأوطان، كما قال تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾العنكبوت:56. وقال تعالى: ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾النساء:97.

فالطاغوت الذي يُراهن على الولاء الوطني .. وأنه مهما فعل بشعبه .. ونكَّل به .. وروَّعَه .. وحاربه في دينه .. وأمنه .. وأمن أهله .. ولقمة عيشِه .. فإنه لن يتخلى عن موطنه الذي يُسامُ فيه الذل والهوان والعذاب .. فرهانه خاسر .. وهو واهم واهم .. وإني لأعرف أوطاناً لو فُتح لأهلها باب الهجرة لوطن يكون لهم أكثر أمناً وسلامة لهم في دينهم وعبادتهم .. ومعاشِهم .. لأصبح الطاغية ـ بمفرده هو الحاكم والشعب معاً ـ يحكم بلداً بلا شَعبٍ .. وبيوتاً خاويةً من أهلها!

* * * * *

260- ذِكر الله.

لِذِكر اللهِ تعالى صوَرٌ عِدَّة، أعظمها وأعلاها هو الذكر الذي يرتبط بجنسه من الفعل أو النعمة .. فإن منَّ الله تعالى على عبده بنعمة من النعم .. شكرَه عليها وأكثر من حمده أن منَّ الله تعالى عليه بتلك النعم من غير حول منه ولا قوة .. وسألَه دوامها وخيرها .. وإن وقع بصره على آية من آيات الكون الفسيح البديع .. أو رأى منظراً جميلاً .. أكثر من تسبيح وتعظيم الخالق ﷻ الذي أبدع وأودع هذا الجمال في خلقه .. وتذكَّر أنّ ما أعده الله تعالى لعباده الموحدين في الجنة .. أجمل وأعظم بكثير .. وكثير .. وإن حدثته نفسه بمعصية أو وقع بمعصية ..

بادر وأسرع إلى التوبة والاستغفار .. وأكثر من دعاء سيد الاستغفار .. وإن حملته قوة نفسه على ظلم من تحته من المستضعفين .. تذكّر أن الله تعالى أقدَر عليه منه عليهم .. فيمسك .. وإن بايع وتاجر .. وعامل الناس .. استشعر رقابة الله تعالى عليه التي تمنعه من الغش والخيانة والغدر .. وإن تعرَّض للاختيار .. وأن يختار من أمر دنياه شيئاً .. اختار أقرب الأشياء إلى الله تعالى وأحبها إليه ﷻ .. وإن مدّ يده إلى طعام .. أو انتهى من طعام تذكّر الأدعية والأذكار التي تُقال قبل الطعام وبعده فبادر إلى ذِكْرها .. وإذا خرج إلى السوق .. وركب دابته أو سيارته .. تذكَّر أدعية وأذكار الخروج من البيت .. وأذكار الركوب والسفر .. وما ينبغي أن يُقال من أذكار في الأسواق .. وإن ذُكِر أمامه النبي مُحَمَّد ﷺ أكثر من الصلاة عليه .. وإن آوى إلى فراشه تناول الأذكار ذات العلاقة بالنوم والفراش .. وإذا أتى أهله .. ذكر ما ينبغي أن يُقال من ذِكرٍ في هذا الموضع .. وإذا نزل وادٍ أو قرية .. أو واجه عدواً أو ظالماً .. ذكَرَ الله تعالى وتناول الأذكار ذات العلاقة بهذه المواضع .. ولانفلاق الصبح أذكاره، ولغسق الليل أذكاره .. وأوقات ما بعد كل صلاة أذكارها .. وهكذا كل موضع .. وكل مناسبة .. يتناول أذكارها الخاصة ذات العلاقة بها .. فمن فعل ذلك كُتب عند الله تعالى من ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾آل عمران:191. وكان أشدَّ لله تعالى ذكراً من ذكره لآبائه .. وهو أفضل بكثير من الذي يخصّص في اليوم ساعة واحدة للذكر فيذكر الله تعالى بذكر معين ومحدد الألفاظ .. ثم يغفل عن ذكر الله تعالى بقيّة ساعات اليوم!!

* * * * *

261- ليس من النُّصْح ولا الفِقْه.

ليس من النُّصْحِ ولا الفقْهِ .. أن تجنح في وعظك وحديثك إلى الشِّدة والتشدد أمام من يُعرَف بالتشدد أو من يجنح إلى التشديد على نفسه .. كما أنه ليس من النصح ولا الفقه أن تجنح في وعظك وحديثك إلى التيسير والتساهل أمام من يُعرف بالتّفريط والميل الشديد للأخذ بالرخص!

ليس من النُّصْحِ ولا الفقْهِ .. أن تجنح في وعظك وحديثك إلى المبالغة في الترهيب من وعيد الله تعالى أمام من غلبه الخوف على القنوط والإياس من رحمة الله .. كما أنه ليس من النصح ولا الفقه أن تجنح في وعظك وحديثك إلى المبالغة في الترغيب برحمة الله تعالى وعفوه .. أمام من علاه الأمن والرجاء .. فترك أو قصر بالعمل معتمداً على رحمة الله تعالى وعفوه!

ليس من النُّصْحِ ولا الفقْهِ .. أن تجنح في وعظك وحديثك إلى الترغيب بالاقتصاد والادخار أمام من عُرِف بالبخل والحرص الشديد .. كما أنه ليس من النصح ولا الفقه أن تجنح في وعظك وحديثك إلى الترغيب في الانفاق والتوسيع على النفس .. أما من يُعرَف بالانفاق إلى درجة الإسراف والتبذير .. والعدل في هذه المسألة

وسط بين سيئتين: الاقتار، والإسراف، كما قال تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً﴾الإسراء:29.

ليس من النُّصْحِ ولا الفقْهِ .. أن تجنح في وعظك وحديثك إلى المبالغة عن قوة العدو .. وأنه أكبر من أن يواجَه أو يُجاهَد .. أمام من يُعرَف بالخوف والجبن .. وكثرة الحسابات في هذه المواضع .. كما أنه ليس من النصح ولا الفقه أن تجنح في وعظك وحديثك إلى التقليل من شأن قوة العدو .. وما يحتاج لمواجهته من قوة وإعداد .. أمام من يُعرَف بالاندفاع إلى درجة التهور .. ومن دون أن يحسب لعواقب الأمور حساباتها!

وهكذا كل حالة ينبغي النظر فيها .. وإعطائها ما يناسبها .. ويحملها على الاعتدال من غير جنوحٍ إلى إفراط أو تفريط، إذ لا يكفي في هذا الموضع أن يكون الكلام صواباً قد يؤدي إلى باطل أو خطأ .. وإنما يجب أن يكون صواباً يؤدي إلى حقٍّ وصواب .. فقد صح عن النبي ﷺ أن رجلاً سأله عن المباشرة للصائم .. فأجاز له المباشرة ـ أي التقبيل ونحوه ـ .. وجاءه آخر فسأله عن المباشرة للصائم فلم يُجِز له .. فكان الذي أجاز له شيخاً كبيراً لا يُخشَى عليه الوقوع في المحظور .. بينما الآخر كان شاباً قوياً يُخشى عليه الوقوع في المحظور لو باشر زوجته .. كذلك يُروَى عن ابن عباس ﷺ أن رجلاً سأله: هل للقاتل توبة ..؟! قال ابن عباس: لا؛ ليس للقاتل توبة ..! فتعجَّب جلساؤه من جوابه؛ إذ المعلوم أن التوبة تجبّ ما قبلها بما في ذلك الشرك .. والتوبة تُقبَل من صاحبها ما لم يُغرغِر .. فأجابهم: رأيت في عينيه رغبةً في القتل .. فأراد منعه من ذلك ﷺ وأرضاه .. وهذا فقه قلّ من يتنبّه له من خطباء ووعاظ هذا الزمان!

* * * * *

262- مَرضَاةُ النّاسِ.

الناس مشاربُ وأهواء .. ورغَبات .. وانتماءات وولاءات متباينة متضاربة .. مرضاتهم جميعاً غاية شاقَّة لا تُدرَك؛ فمن أرضى طرفاً منهم سخطته وعادته بقية الأطراف .. كما أن من هذه الأطراف من لا يرضى عنك حتى تكون معهم في كل ما هم عليه .. فإن لم تكن معهم فأنت ضدهم .. وصنّفوك من جملة الأعداء!

كيف السبيل .. وما المخرج؟!

السبيل والمخرَج أن تتحرى مرضاة الله تعالى وحده .. أن ترضي الحق .. وتُنصِف الحقَّ .. وتتبع الحق الذي يحبه الله تعالى .. أن لا يحيد بصرك وقصدك عن الله تعالى في جميع شؤون حياتك .. وجميع مواقفك .. وإن سخطك السّاخطون، وتكاثرت عليك لعناتهم .. وسهامهم .. فمن أرضى الله بسخط الناس؛ ﷺ وأرضى عنه الناس .. ومن أرضى الناس بسخطِ الله تعالى؛ سَخِطَ اللهُ عليه .. وأسخط عليه الناس، ولو بعد حِين .. فقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيفما يشاء؛ أحبوا فلاناً فيحبونه، وأبغضوا فلاناً فيبغضونه.

* * * * *

263- الحِكمةُ من خَلقِ الذُّباب.

سألني أحد الإخوان عن الحكمة من خلق الله تعالى للذباب ..؟

قلت: هناك حِكم عدة، منها: أن يذلَّ اللهُ بها الطُّغاة المستكبرين؛ كم مرة رأينا الطاغية وهو في كامل زينته وخيلائه يُعلِن في خطابه على الملأ .. أنه لا يرى لشعبه إلا ما يراه .. وأنه لا يعلم لهم إلهاً ومشرّعاً يرجعون إليه في جميع شؤون حياتهم سواه .. قانونه هو الأنفع، وقانون غيره متخلفٌ لا ينفع .. وهو في موقفه هذا .. وإعلانه الكافر هذا .. وتكبره هذا .. وطغيانه هذا .. تعلو أنفَه ذبابةٌ حقيرة .. كلما حاول دفعها ـ حتى لا تلتقط لها عدسات التصوير صوراً وهي في هذا المقام السامي ـ عادت إليه .. وأصرَّت وأبت إلا أن تقف على أنفه أو رأسه لتذلَّه .. ولكي تقول للناس: لا تصدِّقوه .. إنه يكذب عليكم .. فهو أعجز من أن يدفع عن نفسه ذُبابةً تعلو أنفه .. فكيف ترضون بمن كان هذا هو حاله .. أن يكون لكم إلهاً ومشرّعاً من دون الله؟!

إنها لحكمة عظيمة .. أنعم بها من حكمة .. لكن قَلَّ من يتنبّه لها .. صدق الله العظيم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾الحج:73.

* * * * *

264- طبقاتُ المجتمع العربي!

بعض علماء الاجتماع يقسّمون المجتمعات إلى طبقات: طبقة الأغنياء، وطبقة الفقراء، والطبقة الوسطى .. أو طبقة السادة وطبقة العبيد .. أو طبقة العمال .. وطبقة الفلاحين .. وطبقة الملاكين البرجوازيين .. وغيرها من التقسيمات المعروفة .. ونحن هنا لسنا في صدد مناقشة هذه التقسيمات .. وإنما أردت الإشارة إلى أن المجتمع العربي في هذا الزمان ينقسم إلى طبقتين لا ثالث لهما ـ لا يسلم منهما إلَّا القليل ـ: طبقةٌ ذالَّةٌ؛ تُمارس الإذلال، والقهر لمن تحتها من الناس، وطبقة مذلولة مقهورة تتلقى الذلَّ من الطبقة الذالة التي تعلوها!

هاتان الطبقتان السائدتان في المجتمعات العربية ليس لهما معلَماً واضحاً يميز إحداهما عن الأخرى؛ لأن كُلاً من الطبقتين تَذِلُّ وتُذَلُّ .. تمارس الإذلال على من تحتها من الناس .. ويُمارَس عليها الذل والإذلال ممن فوقها من الناس .. وهكذا كل إنسان يتحول إلى ذالٍّ لمن تحته، ممن يدخل في رعايته ومسؤوليته .. ومذلول ممن هو فوقه؛ الذي يكون عليه راعٍ ومسؤول .. أي أن الكل ذالٌّ ومذلول .. قاهر ومقهور .. خائِف ومُخِيف .. والكل ينتقم من ظلم وإذلال من فوقه بظلم وإذلال من تحته .. والذي يقول لمن فوقه يا سيدي .. ينتظر ممن تحته أن يخاطبه بعبارة يا سيدي .. وإلا مسح به الأرض .. وسعى في حربه وحصاره .. وقطْعِ رِزقه .. والمرأة في المجتمعات العربية يشملها هذا التقسيم .. وهي تعيشه وتُمارسه ويُمارَس عليها .. ولمن يتصدَّى الحديث عن حقوقها .. ينبغي عليه أن يتنبّه لهذا الأمر .. ويعلم أن الإنسان العربي ككل ـ وليس المرأة وحسب ـ خاضع لهذا التقسيم

الطبقي المتخلف الآنف الذكر .. لا بد من مواجهته ومعالجته من جذوره .. وهو أسير لهذه الثقافة المتخلفة المتمكنة .. وإنصاف المرأة .. لا يمكن أن يتحقق .. إلا إذا أُنصف الرجل .. وتحرر المجتمع كله من ثقافة وتبعات تلك الطبقية المذلة المشينة .. ومن أخلاقياتها وسلوكياتها!

لكن يبقى السؤال الأكبر: كيف لمجتمع هكذا الناس فيه يقدرون أن يقوموا بواجب التغيير المنشود .. وواجب النهوض بالأمة نحو الأفضل .. وتحرير أراضيها من أيدي أعدائها .. وكل واحد منهم ذالٌّ ومذلول .. قاهر ومقهور .. خائف ومُخِيف .. ظالم ومظلوم .. يحرص على الانتقام ممن فوقه بالانتقام ممن تحته .. والإنسان مهما تدنى مستواه .. وكانت مكانته .. إلا ويجد تحته من هو أدنى منه درجة وأضعف منه مكانة .. ليذله ويقهره .. وينتقم منه .. ما لم يتقِ الله .. فالكل راعٍ، ومسؤول عن رعيته .. وعمّا استرعاه الله إياه!

أكبر خدمة يقدمها طغاة الحكم في بلادنا للعدو .. وللعدو الصهيوني المغتصب لأرض فلسطين تحديداً .. أن يحولوا الناس في مجتمعاتهم .. إلى تلك الطبقتين الآنفتي الذكر .. بمواصفتيهما الآنفتي الذكر .. لما في ذلك من إشلال تام لإرادة الإنسان .. نحو النهوض .. والتغيير .. والبناء .. والتحرير!

إنها لمشكلة كبيرة ـ وهي سبب لكثير من المشاكل ومظاهر التخلف في مجتمعاتنا ـ تستدعي النفير العام .. من جميع من يستشرفون مهمة الإصلاح .. من الدعاة والعلماء، والمربين، والمثقفين المصلحين!

* * * * *

265- قِيَم حَضارية غائِبَة!

في كثير من مجتمعاتنا العربية تغيب بعض القيم الحضارية البسيطة المتفق عليها بين جميع الشعوب .. كقيمة النظام والتنظيم .. واحترام كل إنسان لدوره من دون أن يتعدى على دَور أو حقوق الآخرين .. مستغلاً لنفوذه وقوته في ظلم الضعفاء والاعتداء على دورهم وحقهم .. وكقيمة احترام الوقت واستغلاله فيما ينفع البلاد والعباد .. وكقيمة احترام قواعد المرور وقوانينه المرتبطة بسلامة الإنسان .. وبخاصة بعد أن تعددت وتنوعت وسائل المواصلات .. وازدحمت الطرق بها .. وكقيمة النظافة والاهتمام بالبيئة ونظافتها .. وكقيمة احترام الطبيعة وما فيها من عوالم ونباتات وحيوانات .. وهي أمم أمثالنا .. تحس كما نحس .. وتألم كما نألم .. نلتقي معها في التسبيح والتوحيد .. إن غياب مثل هذه القيم الحضارية البسيطة ـ التي كان للإسلام السبق في بيانها والتأكيد على أهميتها ـ تجعل من المجتمع الإنساني أقرب إلى مجتمع الغاب .. الذي تسوده الفوضى والأنانية، والشريعة التي يستعلي فيها القوي على الضعيف .. ويأكل القويُّ فيها الضعيفَ!

هذه القيم الحضارية البسيطة .. لا تحتاج إلى بحوث علمية .. ولا إلى تجارب ومختبرات .. ولا إلى عقلية علمية كبيرة .. حتى نعتذر عن القيام بها بالعجز والجهل والضعف .. وإنما تحتاج إلى التربية الصالحة، وقليل من الإرادة الصادقة .. والشعور بالمسؤولية نحو بلادنا ومجتمعاتنا وما يجري حولنا!

إن تعاجز الناس عن إحياء مثل هذه القيم الحضارية البسيطة الراقية التي ترتد عليهم بالخير الجزيل .. فهم عمَّا سواها من القيم الحضارية الأخرى .. والأرقى .. أعجز وأضعف .. وحينئذٍ لا تحدث عن درجة التخلف والفساد أو الهلكة التي ستصيب هؤلاء الناس .. ومجتمعاتهم!

* * * * *

266- لنفسِك حظّها من اللهوِ المُباح.

ما من إنسان إلا وتنتابه حالتان: حالة نشاط .. وحالة فتور .. كالسُّنبلة؛ فهي تميل أحياناً وتقوم أحيانا .. فإن انتابته حالة النشاط .. نفر إلى الجد والصعب من الأعمال والمهام لينجزها .. فإن جاءته حالة الفتور؛ روَّح عن نفسه باللهو المباح ـ من غير إسراف ـ ليتقوّى بها على حالة ومرحلة النشاط .. وترويحه عن نفسه بهذا المعنى وهذا القصد .. يكون عبادة لله تعالى.

عن أبي هريرة، قالوا: يا رسولَ الله، إنَّك تُداعِبنا؟! قال ﷺ:" إنِّي لا أقولُ إلا حقًّا ".

وكان أصحاب النبيِّ ﷺ يَتَبَادَحُون ـ أي يتضارَبون ـ بالبطيخِ، فإذا كانت الحقائق، كانوا هم الرجال!

* * * * *

267- عادَةٌ مغربيّةٌ خاطِئةٌ.

من عادة أهل المغرب العربي في استضافتهم للضيف .. أن يقدّموا الطعام للضيف على مرحلتين: المرحلة الأولى؛ مرحلة المقبلات .. كالبيض المسلوق .. والشوربات .. والخضروات .. والفواكه .. والحلويات .. وبعض المعجنات .. وكثير من المأكولات .. التي تدخل ـ عند كثير من الشعوب ـ في إعداد الوجبة الرئيسية .. تبقى هذه المقبلات موضوعة على المائدة ما يُقارب النصف ساعة أحياناً .. فيتناول الضيف منها ما يُقيم به صلبه وزيادة .. وإلى درجة الشّبع .. وبعد أن يتأخر .. ويحمد الله .. ويَشكر المُضيف على حسن ضيافته وطعامه .. ويُرفَع الطعام من أمامه .. تأتي المرحلة الثانية من الطعام .. وهو ما يعتبرونه بالوجبة الرئيسية .. وتكون عبارة عن لحوم .. ودجاج .. ومعها الأرز أو المفتول المطبوخ ولوازمه .. فيقدمونه للضيف .. الذي أصيب بالتُّخمة من طعام المرحلة الأولى .. والضيف هنا إما أنه يعتذر؛ لأنه قد شبع من طعام المرحلة الأولى .. فيُعاد حينئذٍ بالطعام من حيث أتى ومن دون أن يُمَس .. وإما أنه يُعاود الطعام .. على مضض واستحياء .. فيدخِل الطعام على الطعام .. ويضر نفسه!

والذي يعلم هذه العادة من أهل المغرب .. أحياناً يُمسك عن تناول طعام المرحلة الأولى أو يتقلل منه كثيراً .. أملاً فيما سيأتي من الطعام الدسم في المرحلة الثانية .. وبعد الانتظار .. ورفع طعام المرحلة الأولى من أمامه .. يأتي طعام المرحلة الثانية .. لكن ليس وفق المتوقع أو المرجو .. فيُصاب الضيف بخيبة أمل على ما فرّط

بحق الوجبة الأولى .. ويتمنى لو أنه قد شبع من طعام المرحلة الأولى ولم ينتظر .. ولكن بعد فوات الأوان .. وضياع الفرصة .. فيكون كمن خسر طعام المرحلة الأولى، والثانية معاً!

هذه عادة خاطئة أرجو من أهل المغرب أن يُعيدوا النظر فيها .. أو على الأقل ـ إن أصروا عليها ـ أن يُخبروا الضيف أن هناك وجبة ثانية ستأتي .. ويبينوا له صفتها ومحتواها .. حتى لا يُكثر من الوجبة الأولى .. أو لعله يؤثر طعام المرحلة الأولى على ما سيأتي من طعام في المرحلة الثانية .. كما أنصح ممن ينزل ضيفاً عند مغربي أن يتنبه لهذا الكمين حتى لا يُلدَغ .. كما لُدِغَ مرة صاحب هذه الكلمات!

* * * * *

268- عبدُ الدِّرْهَمِ والدِّينَارِ!

من الناس من تراه يوالي ويُعادي في الدِّرْهَمِ والدِّينار .. ويُحارب ويُسالم في الدرهم والدينار .. يدور مع الدرهم والدينار حيثما دارا .. وفي أي مسارٍ اتجها .. ولو دخلا جحر ضبٍّ لدخل معهما .. يُقيم ويحط رحله .. ويطير ويُسافر .. حيثما يجد الدرهم والدينار .. يطلبهما حثيثاً ولو كانا في الصين .. يُسَرُّ ويبشُّ حيثما يجد الدرهمَ والدينار .. ويُسَاء، ويعلوه الهم والغم والكرب ـ وكأن مصائب الدنيا كلها فوق رأسه ـ حيثما يفقد الدرهم والدينار .. يطرب ويترنّح لرنين وصوت الدرهم والدينار .. أكثر مما يطرب لأي صوت آخر .. الدرهم والدينار عنده غاية الغايات ترخص وتهون في سبيلها الغايات والوسائل .. يضحي في سبيلهما بالغالي والنفيس .. هما خليلاه وحبيباه وقرَّة عينه في السّراء والضراء من أغضبهما أغضبه وحاربه وعاداه .. ومن أرضاهما أرضاه وسالمه ووالاه .. وتودَّد إليه .. يقوى على مفارقة الجميع .. وإغضاب الجميع .. وخسارة الجميع .. إلا الدرهم والدينار فهو لا يقوى على مفارقتهما ولا إغضابهما .. فإن تذكَّر هازم اللذات .. ولا بد له منه .. لم يحزن على شيء كحزنه على مفارقة الدرهم والدينار .. وكيف أنه سيتركهما لغيره رغماً عن أنفه .. ممن قد يعقُّهما ولا يعرف لهما نفس القدر الذي كان يعرفه لهما .. وهو لهما أبد العمر خادم مطيع لا يعصي لهما أمراً .. ولا يُخالفهما في رأي .. ولو كان منكراً!

من كان كذلك فهو عبد الدرهم والدينار .. وإن زعم بلسانه ألف مرة أنه عبدٌ لله .. فعبادته للدرهم والدينار تُكذّب وتُبطل زعمه هذا .. وهو المعني من قول النبي ﷺ:" تعِس عبدُ الدِّينار، وعبد الدِّرهم، وعبدُ الخميصةِ ـ نوع من الثياب ـ إن أُعطي رضي وإن لم يُعْطَ سخِط، تعس وانتكَس، وإذا شِيكَ فلا انتقَش ".

* * * * *

269- علامَاتُ الزَّندَقَة!

للزندقة علامات .. بها يُعرَف الزنديق: منها تحري زلات أهل العلم، والأقوال المرجوحة التي توافق هواه .. ليشكل منها مذهباً لنفسه .. فإن رُوجِع في مذهبه زعم أن له سلف من أهل العلم فيما ذهب إليه .. وقد صدق من قال: من تتبَّع زلات أهل العلم فقد تزندق!

ومنها: التعامل مع المتشابه من نصوص الشريعة كمحكم .. ومع المحكم منها كمتشابه .. وجعل المتشابه حكَماً على المتشابه!

ومنها: رد المصالح المنصوص عليها .. بمصالح مرسلة .. وأحياناً بمصالح موهومة لا وجود لها .. فإن رُوجِع في أمره .. زعم أنه يطلب المصلحة .. ويسعى من أجل تحصيل المصالح!

ومنها: الزعم بأن مقاصد الشريعة .. تخالف ظاهرها .. وأن للشريعة باطن يُخالف الظاهر .. فإن رُوجِع في مخالفته لنصوص الشريعة، ورده لظاهر الأدلة .. زعم أنه يحرص على مقاصدها .. وباطنها .. لا على ظاهرها .. إذ النظر في ظاهر النصوص من شأن العوام .. بينما النظر في المقاصد والبواطن من شأن العلماء العارفين!

ومنها: الزعم بأن غالب نصوص الشّريعة ظنية .. لا حجة فيها .. وهي تقبل النظر والاجتهاد في ردها .. وتعطيلها .. والتعقيب عليها .. وأن المحكم من الشريعة أو النصوص القطعية في دلالتها وثبوتها التي لا تقبل الرد أو الاعتراض .. قليلة جداً!

ومنها: اللجوء إلى تحريف معاني النصوص .. تحت عنوان التأويل .. لينجو ويسلم من المؤاخذة .. فإن رُوجِع في أمره .. زعم أنه أراد التأويل لا التحريف!

ومنها: المعارضة بين العقل والنقل .. ومعارضة النقل بالعقل .. وتحكيم العقل على النقل .. وتقديم العقل على النقل .. وجعل العقل ميزاناً للتحسين والتقبيح .. ولما يُؤخذ وما يُرَد من النقل!

ومنها: أنه لا يعترف بخطئه .. ولا ينصف الحق من نفسه .. فهو ينكر ويجحد أنه قد أخطأ رغم قيام البينة والحجة على خطئه .. ولرد التهمة عن نفسه، يزعم أن الآخرين لم يفهموه .. وإنما أراد وقصد كذا وكذا .. ومن أراد أن يُحاكمه فليحاكمه على قصده .. وباطنه .. وعلى ما وقر في بطنه .. لا على لفظه .. وفعله!

هذه بعض خصال ومعالم الزندقة .. فمن رأيتموه يتحلّى ويتصف بها .. أو يدعو إليها .. فاعلموا أنه زنديق جلد .. فاحذروه .. وإن زعم بلسانه زوراً أنه من المحبين للإسلام والمسلمين!

* * * * *

270- ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾إبراهيم:7.

مما تدوم به النعم وتزداد .. الشكر .. والشكر ينبغي أن يكون من جِنس النعمة .. والزيادة تكون من جنس النعمة وغيرها .. والله يُضاعف لمن يشاء .. ولتحقيق الزيادة يُسخّر الله تعالى لعبده الشكور من الأسباب .. والأشخاص .. ما كانت لتُسخَّر له من دون حسنة الشكر .. ومن شُكرِ الله تعالى أن تُشكَر الأسباب التي سُخِّرت، والتي بها تتحقق الزيادة للعبد الشكور .. كما في الحديث:" لا يشكر الله من لا يشكر الناس ". وقال ﷺ:" مَن أُعطي عطاءً فوجدَ . أي ما يُكافئ به هذا العطاء فليجزِ به . فإن لم يجد فليُثْنِ، فإنَّ من أثنى فقد شَكَرَ،

ومن كتَمَ فقد كَفَرَ "؛ أي كفر المعروف. وقال ﷺ:" من أُولِيَ معروفاً فلم يجد له جزاءً إلا الثناء ـ أي على صاحب المعروف ـ فقد شَكَرَه، ومن كتَمَهُ فقد كَفَرَهُ ". ومن كَفرَه حُرِم الزيادة .. وحُرِمَ معها خير كثير!

* * * * *

271- العَصبيَّةُ القِطْريَّة!

غابت الحميّة للدين، وللإسلام والمسلمين .. يُحارَب الإسلام والمسلمون .. فلا حرج .. يُطعَن في الإسلام .. ويُستهزأ به وبأتباعه .. فلا حرج .. قد تبلّد الشعور والإحساس تجاه أي مصاب ينزل بالأمة .. لكن إن اقتربتَ من شعب بلدٍ أو قِطر من الأقطار بشيء من النقد .. أو التوجيه .. قام شعبُ ذلك القطر قومةً واحدة .. وثاروا في وجهك ثورة واحدة .. لينكروا عليك أشد الإنكار!

هم فيما بينهم متفرقون في كل شيء إلا أن العصبية للقطر أو البلد التي ينتمون إليها .. توحدهم، وتجمعهم على من سواهم .. وفي الحق والباطل!

تأمل لو أن المصريين تكلموا على السودانيين أو العكس .. أو السوريون تكلموا على اللبنانيين أو العكس .. أو الأردنيون تكلموا على الفلسطينيين أو العكس .. أو اليمنيون تكلموا على السعوديين أو العكس .. أو الليبيون تكلموا على الجزائريين أو المغاربة أو التونسيين أو العكس .. ثم أنظر إلى حجم المعارك والمناوشات .. والمقاولات البذيئة التي ستحصل فيما بينهم .. وهؤلاء لا يُضيرهم أن تَشتم العربَ جملةً .. وتتهكم بالعرب جملة .. علماً أنهم من العرب .. والشتم يطالهم كعرب .. لكن أن تتوجه لشعب بلده بشيء من النقد .. أو بعبارة تخرج فيها عن حدود الأدب واللباقة .. فالويل لك .. وأخلاقيات الولاء والبراء كلها يحملها عليك!

هذه العصبية الجاهلية النتنة التي فرقت بين أبناء الأمة الواحدة .. وأماتت فيهم حس الانتماء والولاء للأمة الأم .. وروح الغيرة على الأمة الأم .. من المسؤول عنها .. هل الثقافة الوطنية .. والتربية الوطنية التي تُربَّى عليها الشعوب .. أم الطغاة الوطنيون .. أم كلاهما معاً؟!

* * * * *

272- الحقُّ والباطِلُ. " قِصَّة ".

ذهبَ الحقُّ والباطلُ ـ على غير ميعادٍ بينهما ـ إلى البحر ليسبحا .. فرحَّب البحرُ بالحق أيما ترحيب .. واستقبله أحسن استقبال .. فهما متعارفان متآلفان متحابان .. فالحق حبيب لله .. والبحر جند من جنود الله .. لا يعصي الله ما أمره .. فشَرَعَ الحق في السباحة ـ من دون استئذان، فمثله لا يحتاج إلى استئذان ـ يَسبَحُ ويتقلب في البحر بمنة ويسرة .. بانسياب وسهولة .. ومتعة .. وأمواج البحر الهادئة الصافية .. تحمله برفق .. وتضعه برفق .. خشية أن يُساء إلى ضيفها ونزيلها الحبيب!

ولمّا أن وصلَ الباطلُ إلى البحر .. خلع ثيابه .. وكشف عن سوءاته .. وما إن خطا خطوات نحو الشاطئ .. وابتلت قدماه بمياه البحر .. عرفه البحر من رائحته النتنة .. وسوءاته الظاهرة .. أنه الباطل .. فاضطربت أمواجه غضباً .. فهاجت .. وماجت .. وثارت .. وصرخ مغضباً بوجه الباطل: اخرج يا لعين .. يا عدوّ الله .. كدت أن تنجسني .. وأنا الطاهر المطهر .. الذي لا ينجّسه شيء!

فخرجَ الباطلُ مسرعاً مذموماً مدحوراً مذعوراً .. وما إن هدأت عليه أنفاسه .. وذهب عنه الذعر .. ورأى الحقَّ يسبح في البحر .. ورأى من البحر حسن استقباله للحق .. إلا وامتلأت عليه نفسه حسداً وغيظاً وحقداً على الحق .. فحدثته نفسه الخبيثة .. بالمكر والكيد والانتقام من الحق .. فأخلد إلى التفكير والتخطيط ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾المدّثر:18–22. فأوحى إليه شيطانه بأن يرتدي ثياب الحق التي تركها عند الشاطئ .. ويدَع له ثيابه .. ثم ليخرج إلى الناس .. ويزعم لهم أنه هو الحق .. وأنه يدعو إلى الحق .. وأن ما سواه يدعو إلى الباطل .. فسُرّ الباطل بفكرة شيطانه أيما سرور .. وفعل ما أمره به!

لبس الباطلُ ثيابَ الحق .. كلابس ثوبي زورٍ .. متشبّعاً بما ليس فيه ولا له .. وخرج مختالاً فخوراً إلى الناس .. يناديهم أن إليه .. إليه .. إنه هو الحق .. الذي لا ريب فيه .. فاسمعوا وعوا!

فتجمّع الناسُ حوله .. وما إن رأوا عليه ثيابَ الحق .. التي يُعرَف الحق بها .. إلا وصدقوه .. وبجّلوه .. وأكرموه .. وخضعوا له .. وأنصتوا إلى خطابه .. وهذا شأن العامّة الذين لا يحسنون الغوص إلى حقائق الأمور .. فوعدهم ومنّاهم .. بالحريات .. والاقتصاد الزاهر .. والحياة الهنيئة الآمنة .. إن استجابوا ودخلوا في الطاعة له ولقانونه ودستوره .. ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً﴾النساء:120. فصدّقوه .. وأجابوه إلى ما دعاهم إليه .. وتعالت لأجله الأصوات والهتافات: بالروح .. بالدم .. نفديك .. يا ....!

فقال لهم: أيها الناس .. تعلمون أني أنا الحق .. بما ترون عليَّ من الثياب التي لا يرتديها إلا الحق .. وأن الحقّ لا يكذبُ قومَه .. اعلموا أن الباطل سيخرج إليكم .. ويزعم لكم أنه هو الحق .. وأنّي أنا الباطل .. فإن خرجَ لكم فلا تصدقوه .. وارجموه!

فتعالت الأصوات والهتافات: بالروح .. بالدم .. نفديك .. يا ....!

فاستمر الباطل في تحريض الناس على الحق .. وتعبئتهم ضده .. وعلى أنه هو الحق .. والحق هو الباطل .. بينما كان الحق ـ في غفلة عن هذا كله ـ لا يزال يَسبح في البحر .. ولمّا همَّ بالخروج .. ووصل إلى الشاطئ .. فوجئ بأن ثيابه قد سُرِقت .. وأن الباطل قد سرقها .. فعلاه الهمُّ والغم .. والتفكير .. كيف سيخرج إلى الناس .. فمثله لا ينبغي أن يخرج إليهم نصف عارٍ .. فما اعتاد الناس على رؤيته بهذا المنظر المخجِل ..!

وهو في هذه الحالة من التفكير والحيرة من أمره .. وقع بصره على ثياب الباطل .. فأسرع إليها عسى أن يجد فيها ما يستر به جسده .. لكن سرعان ما خاب فأله عندما أدرك أنها ثياب الباطل .. وأن الباطل يُعرف بهذه الثياب .. وأن مثله لا ينبغي أن يرتدي ثياب الباطل .. فازداد همه همّاً .. وتفكيره تفكيراً .. ماذا يفعل .. وأيهما يختار: هل يخرج إلى الناس نصف عارٍ على ما يسبب له ذلك من الحرج الشديد .. أم أنه يرتدي ثياب الباطل .. ثم يعرف الناس على نفسه .. ويشرح لهم ما حصل له .. وما كان من أمر الباطل معه .. وبعد التفكير .. والترجيح بين المصالح والمفاسد .. اختار الحق أن يرتدي ثيابَ الباطل .. ويخرج بها إلى الناس .. وهذا الذي يتناسب مع ثقة الحق بنفسه .. وأنه فوق الشبهات أو أن يُشار إليه بالبطلان .. ففعل .. فأدرك الناسَ مجتمعين في الميدان يتوسطهم الباطل وعليه ثياب الحق .. يخطبهم ويحرضهم .. ويغويهم عن الحق .. وما إن رأى الباطلُ الحقَّ مقبلاً عليه ليدمغه .. ويظهر الحقيقة للناس .. إلا وارتعدت أوصاله .. وعلاه الخوف والذعر .. وصاح بالرعاع من أتباعه: أيها الناس .. ها هو الباطل قد أتاكم .. يريد أن ينازعني على الملك والزعامة .. وأن ينزع عني ثيابي .. يريد أن يحرمكم مني ومن حكمي العادل .. وأن يبدل دينكم .. وطريقتكم المثلى في الحياة .. بدليل ما عليه من ثياب لا يرتديها إلا الباطل .. فدونكم وإياه!

فالتفت الرعاع من الناس إلى الحق .. وأقبلوا عليه ـ كعادتهم من دون أن يتبينوا أو يتثبتوا من هويته ـ بالضرب .. والرجم .. وسوء القول .. والحق يناديهم بأعلى صوته: أني أنا الحق .. صدقوني أنِّي أنا الحق .. وذاك هو الباطل .. فلم يأبه الرعاع؛ الجماهير الضالة ـ بلاء كل زمان ـ لندائه .. فاستمروا في ضربه ورجمه .. حتى علت الدماء وجه الحق وسالت منهمرة على جسده الطاهر .. وهو لا يفتأ يناديهم .. أنه هو الحق .. وأن صاحبهم هو الباطل فاجتنبوه .. ولكن لا حياة لمن تنادي .. فما كان من الحق إلا أن كشف عن صدره .. وخلَع عن نفسه ثوب الباطل .. فعرفه حينئذٍ العارفون العالمون أنه هو الحق صدقاً وعدلاً .. فشقَّوا الصّفوفَ .. وفرَّقوا الجموعَ بعزيمة لا تُقهر .. وانكبّوا على الحقِّ .. يعتذرون إليه .. وقد أحاطوا به من كل حدَب وصوب .. يتصدون بصدورهم وظهورهم دونه .. رجمات وسهام الرعاع من أتباع الباطل .. وهم يصيحون في وجوههم .. أن أمسكوا عن رجمكم .. وعداواتكم .. عودوا إلى رشدكم .. إنه الحق الذي لا ريب فيه .. فاتبعوه .. وصاحبكم هو الباطل .. فاجتنبوه!

ما لنا ندعوكم إلى الحق .. إلى النجاة .. إلى الجنة .. وأنتم تدعوننا إلى الباطل .. وإلى النار؟!

لكن أنَّى للرعاع الضالين أن يسمعوا لصوت العلماء العاملين الذّابين عن الحق .. أنَّى للجماهير الضالة الثائرة ـ أتباع الطغاة الظالمين ـ أن تسمع لصوت الحق والعقل .. فرجمهم مستمر .. وعداوتهم مستمرة .. وبغضاؤهم للحق مستمر .. كما أن ذود أهل الحق عن الحق وجهادهم دونه مستمر .. فطائفة الحق التي تُقاتل وتجاهد عن الحق موجودة ووجودها مستمر .. لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم .. يدفع اللهُ بهم الباطلَ وأهلَه

.. وهذه سنة من سنن الله في خلقه ماضية لا يوقفها جور جائر .. ولا جَهل جاهل .. ولا تآمر مُتآمِر .. إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾محمد:3. ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾الرعد:17. ﴿ وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾الإسراء:81.

* * * * *

273- حوار بين الظاهر والباطن.

قال الظاهر للباطن: أنا دليل عليك في الخير والشر .. وفي الحق والباطل .. مهما اختبأت وتخفيت فأنا المرآة التي من خلالها يراك الناس .. فاحرص أن لا يروا منك إلا خيراً .. واعلم أنك إن أحسنتَ أحسنتُ وإن أسأتَ أسأتُ .. ولا تلومني على اعوجاج أنت سببه!

قال الباطن للظاهر: ولكن منك أرتوي .. وأستمد قوتي وعافيتي .. فاحرص أن لا تسقني إلا خيراً وطهراً .. وأن لا تمدني إلا بأسباب القوة والعافية .. واعلم أنني إناؤك .. والإناء ينضح ما فيه .. فإن ألقيتَ فيه خيراً .. أعطيتك وأفرزت لك خيراً .. وإن ألقيت فيه شراً أعطيتك وأفرزت لك شراً .. ووجدت مالا يسرك ولا يرضيك .. والملام حينئذٍ أنت لا أنا!

قال الظاهر: ولكن أنت الأمير .. وأنا رعيتك .. وفساد الرعية من فساد الأمير!

قال الباطن: وأنت جندي وعتادي الذي بهم أقاتل عدوي .. فإن انتصروا انتصرتُ .. وإن انهزموا وخسروا .. انهزمتُ وخسرتُ .. فما نَفْعُ الأمير بلا جندٍ تحوطه وتحميه .. وما قيمة الأمير أو الرَّاعي من دون رعيَّة .. ثم ألم تسمع بمقولة العلماء الشهيرة: أن انتفاء الطاعات الظاهرة مؤداه إلى موت القلب وانتفاء الإيمان منه .. وعلامة دالة عليه؟!

فحاجَّ الباطنُ الظاهرَ .. فحاج الباطن الظاهر!

* * * * *

274- محبَّة اللهِ.

محبة الله تعالى شرط لصحة الإيمان .. لا يُقبل الإيمان إلا بها .. قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ﴾البقرة:165.

علامتها؛ المتابعة للنبي ﷺ .. وعلى قدر المتابعة تكون المحبة؛ محبة العبد لربه، ومحبة الرب ﷻ لعبده .. فإن اقتصرت المتابعة على المتابعة في الواجب فقد أُتي بالمحبة الواجبة .. وهم المقتصدون بالخيرات .. وإن شملت المتابعة الواجب والمندوب معاً فقد أُتي بكمال المحبة .. ولا يُلقّاها إلا السابقون بالخيرات .. أما إن انتفت مطلق المتابعة كان ذلك دليلاً على انتفاء مطلق المحبة .. ولا تنتفي مطلق المحبة إلا عن الهالكين الخاسرين!

قال تعالى:﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّه فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّه وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّه غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾آل عمران:31.

لوازمها؛ أن تحب ما يحبه الله، وتبغض ما يبغضه الله؛ فتوالي وتُعادي، وتعطي وتمنع، فيه وله .. وتُطيعه فيما أمر، وتنتهي عما نهى وزجَر .. إذ لا يستقيم حب مع مخالفة المحبوب فيما يحب وفيما يكره.

تعصي الإله وأنت تُظهِرُ حُبَّهُ ... هذا مُحالٌ في القياسِ بديع

لو كان حُبُّكَ خالصاً لأطعتَهُ ... إنَّ المحبَّ لمن يُحبّ مُطيعُ

تقوَى المحبة وتزداد بمعرفة العبد لخالقه ﷻ .. ومعرفته لأسمائه الحسنى وصفاته العليا .. وكلما قويت المعرفة قويت المحبة وازدادت .. وتمكَّنت من قلب صاحبها .. وكلما ضعفت المعرفة ضعفت المحبة ونقصت .. وابتعد العبد عن ربه ﷻ .. فالمرء عدو ما يجهل .. فكيف تراه أن يُحبَّ ما يجهل!

كما تقوَى بالنظر والتفكر في الآيات الكونية والنفسية .. وفي الطبيعة الخلابة .. وما أودع الله تعالى فيها من جمال وآيات وأسرار .. الدالة على عظمة وقدرة ورحمة ورفق الخالق ﷻ .. إذ عظمة الآية أو المخلوق .. من عظمة الخالق ﷻ .. وهي دليل قاطع على عظمة الخالق المصور ﷻ.

قال تعالى:﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّه قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾آل عمران:191. وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ العنكبوت:20. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ اللَّه الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾الإسراء:99. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾الشعراء:7. وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾فصلت: 53. أي أنه الرب والإله المعبود بحق، وأن قوله الحق. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّه مِن شَيْءٍ﴾الأعراف:185. وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ق:6.

إن عجبي ليشتد من قومٍ يسلِّمون بعظمة المخلوق .. بينما تراهم يجحدون عظمة الخالق ﷻ .. ويُجادلون حول عظمة وقدرة الخالق ﷻ!

* * * * *

275- كلامٌ عن العقلِ أعجبني.

قِيلَ لأعرابي: لماذا أسلمتَ، وما رأيتَ من النبيّ ﷺ مما دلَّكَ على أنه رسولُ الله ﷺ ؟

قال: ما أمرَ بشيءٍ، فقال العقلُ: ليتَهُ نهى عنه. ولا نهى عن شيءٍ، فقال العقلُ: ليته أمَرَ به، ولا أحلَّ شيئاً، فقال العقل: ليتَهُ حرَّمَهُ. ولا حرَّم شيئاً، فقال العقلُ: ليتَه أباحَه!

قلت: وذلك لأن العقل السليم لا يتعارض مع النقل الصحيح .. بل هو يباركه .. ويتبعه .. وينقاد له .. ويُسلِّم له تسليماً.

فهذا الأعرابي .. بفطرته .. وأميّته .. أعلم وأفقه بكثير ممن عارضوا بين العقل والنقل .. وقدموا العقل على النقل .. من الفلاسفة والمتكلمين .. المتقدمين منهم والمتأخرين!

* * * * *

276- المذهبُ الصحيحُ.

المذهب الصحيح في اتباع الدليل الصحيح .. وما سواه فهو باطل، باطل، باطل.

كل الأئمة قالوا ـ بمن فيهم الأئمة الأربعة رحمهم الله ـ: إذا جاء قولي معارضاً أو مخالفاً للدليل الصحيح من سنة النبي المصطفى ﷺ .. فاضربوا بقولي عَرض الحائط .. ومنهم زاد فقال: فبُولُوا عليه!

وكلهم اتفقوا أن كلاً ـ مهما علا كعبه وشأنه ـ يُخطئ ويُصيب .. يؤخَذ منه ويُرَد عليه .. عدا النبيّ المصطفى ﷺ.

فأي قدسية لقولٍ يُرَدّ به قول النبي المصطفى ﷺ .. ويُعارَض به قول النبي المصطفى ﷺ .. ويُقدّم به على قول النبي المصطفى ﷺ ..؟! والله تعالى يقول:﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾النور:63. وقوله تعالى ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾؛ أي أن يُصيبهم كفر وشرك .. فيقعوا في الردة بعد أن كانوا مؤمنين .. بمخالفتهم وردهم لأمر النبي ﷺ .. بدليل قوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾البقرة:191. ولا شيء أشدّ من القتل إلَّا الكفر والشرك.

وقال تعالى:﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً﴾الأحزاب:36.

وقال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا﴾؛ أي بقول أو فهم أو حكم، أو فعل ﴿بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾الحجرات:1.

وكان ابن عباس ﷺ يُفتي بحديث النبي ﷺ، فقيل له: ولكن قال أبو بكر وعمر! فقال: تكاد السماء أن تمطر عليكم حجارة؛ أقول لكم: قال رسول الله ﷺ .. وتقولون لي: ولكن قال أبو بكر وعمر؟! ... وأبو بكر وعمر هما، هما!

وقال أبو هريرة ﷺ لرجلٍ: يا ابن أخي، إذا حدَّثتُك عن رسولِ الله ﷺ حديثاً فلا تضرب له الأمثال.

* * * * *

277- الموتُ.

الموتُ حقٌّ .. به تُهزَم اللذّات .. وعلى صخرته تتحطم الأمنيات .. ويُوضَع لطول الأمل حد تنتهي معه الآمال والمشاريع والمخططات!

الموت حق .. به تُقصَم ظهورُ الطغاةِ المستكبرين .. فيَضع لطغيانهم وظلمهم وتكبرهم .. حداً تستريح معه البلاد والعباد من شرهم وطغيانهم!

الموت حق .. ليقول للناس .. أن الدنيا ليست دار قرار وجزاء .. ولا ينبغي لها أن تكون كذلك .. أو أن تتعاملوا معها على أنها كذلك .. وإنما هي دار عمل وكدحٍ وبلاء .. ليوم لا بد منه؛ فيه يكون الحساب والجزاء.

الموت حق .. يقول لكل لقاء بين طرفين .. أو حبيبين .. مهما طال .. لا بد من الفراق .. فاستعدا لألم الفراق!

الموت راية مكتوب عليها عبارة " قِفْ .. ممنوع المرور "؛ قِفْ في خطاك .. قِفْ في أعمالك ومشاريعك .. قِف في آمالك وتطلعاتك .. قِفْ في جميع حركاتك وأنفاسِك .. وكلماتك .. لا يُسمح لك أن تتقدم ولا أن تتأخّر .. كفى .. قد أخذت نصيبك من الحياة الدنيا .. فلم يعد يُسمح لك منها بشيء!

الموت حق .. لا يأنس لذكره إلا الصالحون .. ولا يكره ذكره .. إلا الغافلون .. الساهون .. اللاهون .. العاصون .. فهو يُكدّر عليهم نشوة انغماسهم في اللهو والملذات .. والحرام .. لذلك لا يُطيقون ذكره .. ولا يحبون من يذكرهم به!

ذِكره حافز على العمل .. ونسيانه سبب في الغفلة .. وطول الأمل .. فلولا الموت .. وما بعد الموت .. ربما ما عملَ إنسانٌ خيراً قط!

الموتُ حق .. لا بدّ منه .. لا منجاة لأحد منه .. وهو بداية لرحلة قصْريّةٍ طويلة لا حدَّ لنهايتها .. فهلاَّ أعددت الزاد لتلك الرحلة التي لا بد لك منها .. ولا خيار لك فيها .. أم أنك عنها من الغافلين؟!

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾الزمر:30-31.

* * * * *

278- أمورٌ تَجِبُّ ما قبلها.

الإسلامُ يجبُّ ما قبله .. فمن كان كافراً فأسلم .. وحسن إسلامه .. فإسلامه يجبُّ ما قبله من السيئات .. فيعود نقياً طاهراً كمن ولدته أمه الساعة.

والتَّوبةُ؛ فإن التوبةَ تَجبُّ ما قبلها .. فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

والصَّلاةُ؛ تَجبُّ ما قبلها من السيئات ...

وإتْباع السيئة بالحسنة تمحها .. فالحسنات يُذهِبن السيئات .. والصدقة تُطفِئ غضب الرب سبحانه وتعالى.

فمن غلبه الشيطان على سيئة فلا ييأسَنَّ .. ولا يقنطنّ من رحمة الله .. وإنما يعمل على محوها ومحو آثارها .. بما تقدم ذكره أعلاه.

* * * * *

279- أمورٌ تُبطِلُ العمل.

الكفر بعد إيمان؛ يُحبط العمل كلياً .. بشرط الموافاة على الكفر، كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾الزمر:65. وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً﴾الفرقان:23.

الرياءُ في العمل؛ فالرياء يُبطِل العمل المُرَاءَى به .. فالله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم.

أن يكون العملُ بخلاف السُّنة؛ فمن عمل عملاً ليس على السُّنّة ـ وإن كان خالصاً ـ فهو رَد .. وهو بدعة؛ وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

المنُّ والأذى بعد إحسان؛ يُبطلُ أجرَ الإحسان، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى ﴾البقرة:264. وقال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ﴾البقرة:263.

وأمر خامس لا يُبطل الحسنات، لكن يُذهبها .. ويُنقِصها .. وهو ظلم العباد .. والاعتداء على حقوقهم وحرماتهم .. فيأتي المظلوم يوم القيامة لينتصف لنفسه من ظالمه .. فيغترف من حسنات الظالم .. ما شاء الله له أن

يغترف .. وعلى قدر درجة ونوع مظلمته .. فإن كثر عليه طلابه أصحاب الحقوق عليه .. أفلسوه وتركوه بلاقع بلا حسنات .. وهذا هو المفلس الحقيقي كما سماه النبي ﷺ بذلك.

وعليه، فكما يحرص العامل على العمل .. يجب عليه أن يحرص على الحفاظ على العمل وعلى أجره .. فلا يَضيعه.. فالعمل سهل .. والصعب منه أن تُحافظ عليه ـ بشروطه ـ وتحافظ على مكتسباته، إلى أن تلقَى الله .. نسألُ اللهَ تعالى السّلامَة.

* * * * *

280- هو المؤمن.

جاء في الحديث أن" من سرَّته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن "؛ والناس في ذلك درجاتٌ: فمنهم من تسيئه الكبائر دون الصغائر؛ إذ الصغائر لا تستحق عنده الاستغفار أو الاعتذار .. أو أدنى قلق .. ومنهم من تسيئه الصغائر .. لكنه لا يقلق ولا يكترث ولا يعتذر لخوارم المروءة والأدب .. لو وقع فيها .. ومنهم الذي تسيئه خوارم المروءة والأدب .. حتى مجرد الاقتراب من الشبهات .. فيضيق لها صدره .. ويجد لها في نفسه حرجاً شديداً .. وهذا أكمل المؤمنين إيماناً .. وكان من الصحابة ﷺ لفرط حساسيتهم من الذنب .. يخافون على أنفسهم من النفاق!

أما من لا تُسيئه السيئة مهما عظمت .. فهذا ليس بمؤمن.

* * * * *

281- ليته ساعدني!

كنت في طريقي إلى منزلي .. أحمل بيدي اليمنى عدة أكياس ثقال .. وفي اليسرى مثلها .. أترنّح بها يمنة ويسرة .. وأنا على هذه الحالة .. استوقفني أحد الإخوان ليسألني بعض المسائل الفقهية .. فأجبته عن أسئلته وأنا ماشٍ في طريقي إلى المنزل .. وكان كلما انتهى سؤال يبادرني بالآخر .. وكنت مع كل جواب أجيبه إياه .. ألتقط أنفاسي .. وأترنّح يمنة ويسرة مما أحمل بيداي .. فوصلنا إلى المنزل .. من دون أن تُطاوعه نفسه على أن يحمل عني بعض ما في يداي من أكياس .. كما أنني لم تُطاوعني نفسي أن أسأله أن يحمل عني بعضاً منها .. ثم قلت في نفسي: ليته ساعدني .. فكان اكتسب علماً وأجراً معاً!

فيا طالب العلم .. اعلم أن لشيخك عليك حقّاً!

* * * * *

282- حقوق الشيخ!

حقوق الشيخ بين إفراط؛ يتمثل في موقف التلميذ من شيخه كما في الطرق والمدارس الصوفية .. وإلى درجة استعباد وإذلال التلميذ!

وبين تفريط؛ يتمثل في موقف التلميذ المستهين والمستخف بحقوق شيخه .. كما عند الغلاة .. والسلفيين المعاصرين الغلاظ .. الشّداد .. بذريعة أن كلاً يؤخذ منه ويُرد عليه عدا النبي ﷺ .. وما دام الأمر كذلك فهذا الشيخ المردود عليه فيما قد أخطأ فيه لا يستحق الاحترام ولا التوقير!

وكلا المدرستين .. والمنهجين خطأ .. والصواب وسط بينهما؛ يُرَد على الشيخ فيما قد أخطأ فيه .. وفي المقابل يُحفَظ له حقه في الاحترام والتوقير .. والدعاء له في ظهر الغيب .. كما في الحديث :" ليس من أمتي من لم يُجِلَّ كبيرنا، ويرحم صغيرَنا، ويعرِف لعالِمنا "؛ أي يعرف له حقه.

وقال ﷺ:" إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النَّملةَ في جُحْرِها، وحتى الحوتَ، ليصلون على معلمي الناسِ الخيرَ ".

فاحرص يا أخا الإسلام أن لا تكون النملةُ .. والدواب .. والحيتان .. خيراً منك للعالم!

* * * * *

283- الأصلُ في خرّيج جامعة الأزهر!

إذا سمعت لأزهري يتكلم عن الإسلام .. فاحترز لدينك منه .. لأن الأصل في خريج جامعة الأزهر أن يُسَاء الظن بمنهجه ما لم يثبت العكس؛ وذلك لسببين: أولهما أنها جامعة تؤصل لمذهب الأشاعرة والمتكلمين في الصفات وغيرها من مسائل الدين .. كما أنها تؤصل لمذهب المرجئة في مسمى الإيمان.

ثانياً: أنها مؤسسة مسيّسَة ومجيَّرة ـ منذ زمن ليس بقريب ـ لصالح سياسات وأهواء النظام الحاكم في مصر .. فهي مؤسسة لا يُمكن أن تخرج عن إرادة وسياسة الحاكم في شيء .. ومؤسسة لها مثل هذا الارتباط .. وخاضعة لهكذا تأثير وضغط .. لا تُستَأمَن على دين .. كما أنها قد تُغيِّب كثيراً من معالم ومعاني الحق .. طلباً لمرضاة الحاكم .. وسعياً في إشباع رغباته!

وقد لاحظنا على كثيرٍ من خريجي جامعة الأزهر .. ما تقدم ذكره أعلاه .. وما أخبار شيخ الأزهر ورئيسه الطنطاوي عنا ببعيد!

* * * * *

284- شحٌّ من نوعٍ آخَر!

وهو ما يُسمونه بسرِّ المهنة .. حيث ترى أحدَهم قد مَنّ الله عليه بنوع علم بحرفة أو مهنة من المهن .. كالعلم في الكمبيوتر ومجالاته ومتعلقاته .. أو أي مهنة أخرى .. فيمنع فضلَ زاده وما منّ الله به عليه من علم عن الآخرين .. ويتعزَّز .. ويتعامل معهم بالقطّارة .. وبالثواني والدقائق .. وبسريّة تامّة .. حتى لا يأخذوا عنه أسرار المهنة .. أو يستفيدوا منه في شيء .. وهذا يتنافى مع كمال الإيمان الذي من لوازمه أن يُحبَّ المرءُ لإخوانه ما يحب لنفسه .. وهو مصيبة لو آلت إليه الفتوى في شؤون الدين .. أو احتاجه الناس في شؤون دينهم .. لأماتهم على الجهل ـ شحاً بما عنده من علم ـ دون أن يعلمهم شيئاً من أمور دينهم!

لذا فالعلم الدنيوي يؤتيه الله من يحب ومن لا يُحب .. بينما العلم الديني الشرعي لا يؤتيه الله إلا لمن يحب، وأراد به خيراً .. وعَلِمَ فيه نفعاً لنفسه والآخرين .. وفي الحديث المتفق عليه:" من يُرِد الله به خيراً يُفقهه في الدين ".

* * * * *

285- شيخٌ لا يُرَبي تلاميذه على الأدَب!

قلت لأحد الشيوخ: لو تجعل جانباً من دروسك واهتماماتك له علاقة بالأدَب .. فتهتم بالأدَب .. وتدريس الأدَب .. فالناسُ بحاجة إلى هذا العلم .. حيث أن كثيراً منهم قد ساءت أخلاقهم .. وآدابهم .. فلم يعد يحترمون أحداً .. ولم يعرفوا لكبير حقّاً ولا قَدراً .. والناس في هذا الزمان يعيشون أزمة أخلاق وأدَب .. لذا لا بد من أن يُعنى هذا الجانب الهام اهتمام الدعاة إلى الله.

ثم إن من السلف من كان يَدرُس الأدبَ ثلاثين عاماً .. قبل أن يجلس مجالس الوعظ والإفتاء؛ لأهمية هذا العلم العظيم.

فاستخفّ الشيخُ بتوجيهي ونصحي .. واستهان به .. وأعرَض عنه .. وفهمه خطأ .. وما هي الأيام تمضي .. إلا وتلامذته المقربين إليه .. ينقلبون عليه .. ويُسيئون الخُلُق والأدب معه .. بكل ما تعني الإساءة من معنى .. فقلت في نفسي: يا سبحان الله .. هذا جزاء من يستخف بالأدب .. وتدريس الأدب .. وتربية الناس على الأدب .. فهو أولاً يجني على نفسه .. ثم لو ارتدت إليه بعض سهام وآثار تجاهله للأدب .. وتربية الناس على الأدب .. فلا يلومَنّ إلا نفسه!

* * * * *

286- يومُ عَرَفَة.

في يومِ عرفة من كل سنة .. عندما أشاهد ـ عبر وسائل الإعلام ـ الجموع الغفيرة من حجاج بيت الله الحرام .. وهم ينفرون من مِنى إلى عَرَفَة .. تنحبس الدمعة في عيني حسرةً .. وخشية أن يروا الأبناء مني ما يُسيئهم .. كما تنتابني غصة في القلب .. وشعور بالحزن الشديد .. إذ ـ منذ سنوات ـ لا يمكنني أن أقوم بهذه الفريضة العظيمة .. والتي هي ركن من أركان الإسلام .. قد حال الطغاة الظالمون بين وبينها!

أحياناً تراودني وساوس ما أظنها إلا من الشيطان الرجيم .. تقول لي: لو سكتّ عن الظالمين مع الساكتين .. ولم تُبِن الحق في الطغاة الآثمين .. لتمكنت من أداء فريضة الحج .. ومن أن تقصد بيت الله الحرام للعمرة في كل عام .. لكن أبيتَ إلا البيان والصدّع بالحق .. فتحمّل النتائج .. ولا تلومَنَّ إلا نفسك!

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم ....!

أداء فريضة الحج .. حق .. وهو حبيب إلى نفسي .. أتوق شوقاً إليه .. كذلك الصّدع بالحق .. حقٌّ واجب .. وهو حبيب إلى ربي .. وإلى نفسي .. أسأل الله تعالى أن يقبله عذراً لتقصيري في أداء الحق الآخر المتعلق بفريضة الحج .. وهو أرحم الراحمين.

ولمن يعتقد أن لي عليه حقاً .. إن علِمَ بوفاتي ـ قبل أن أتمكن من أداء فريضة الحج ـ أن يحجّ عني .. ويقول: هذه حِجَّة عن عبدٍ حال الطغاةُ الظالمون بينه وبين فريضة ربه .. وجزاه الله عني خير الجزاء.

* * * * *

287- ابتسامَةُ الإنكليزي، وابتسامَةُ العربي!

استوقفني موقف لشخصين يتبادلان المجاملات فيما بينهما .. أحدهما إنكليزي، والآخر عربي .. فتأملتهما: فأما الإنكليزي فقد تبسّم لصاحبه بسمة ظلّت معالمها على وجهه ثانية أو ثانيتين .. ثم ذهبت، وكأنَّ الرجل لم يبتسِم!

ولما أراد العربي أن يبتسم للإنكليزي من قبيل المقابلة .. وحسن المجاملة .. تبسَّم له .. وظلَّت معالم بسمته على وجهه دقيقة أو دقيقتين .. وهو بعد الدقيقتين لم يحسن إخفاء آثار تبسمه عن وجهه جيداً!

قلت: وذلك لأن اسم العربي مشتق من معنى وصفة الإظهار والإعراب .. أعرَبَ عن الشيء؛ أي أظهره وأبانَهُ .. والعربيُّ هو شديد الإعراب والإظهار .. لا يستطيع أن يخفي مشاعره الباطنية كغيره .. بل سرعان ما يُعرِبُ عنها .. ويُظهرها على جوارحه وملامح وجهه للعيان .. سواء كانت مشاعر رضا وسرور أم مشاعر سخط وحزَن .. فإذا غضب أو حزن باطنه .. غضب وحزن ظاهره مباشرة ولا بد .. وظهرت آثار حزنه وغضبه على وجهه .. إذ يصعب عليه إخفاؤها .. وكذلك إذا تبسّم؛ تبسّم باطنه وظاهره معاً .. ولكي يُوقف تبسمه الظاهري،

لا بد له أولاً من أن يُوقف تبسّمه الباطني، وأن يُخاطبه بالتوقف .. ولكي يُوقِف تبسمه الباطني، ومن ثم يتبعه بتوقف التبسم الظاهري .. فهذا يستغرق منه زمناً طويلاً .. لا يحتاجه من يبتسم ظاهره وحسب .. ولعل هذا مما يُميّز العربي عن غيره من الناس.

* * * * *

288- غَرِيبُ الأطوارِ والطَّبائع!

هو مَن إذا أحسنت إليه أساء إليك .. وإذا أسأت إليه أحسن إليك .. وإذا أنصفته ظلمَك .. وإذا ظلمته أنصفَك .. وإذ وصلته قطعك .. وإذا قطعته وصلَك .. وإذا أقبلت عليه أدبر عنك .. وإذا أدبرت عنه أقبل عليك .. وإذا احترمته انتقص منك بقدر احترامك له .. وإذا انتقصته احترَمك .. يُقابل الأدب بفجور .. والفجور بأدَب .. علماً أنه ليس من أهل الأدب .. لا يشكر المعروف .. ولا يرى من الحقوق إلا حقه .. إن اعتُدي على حقه هاجَ وماجَ .. وأرعَدَ وأزْبَدَ .. وإن اعتُدي على حق غيره هدئ وسكن .. وكأن شيئاً لم يكن .. يتمنَّع وهو راغبٌ .. أطمَعُ من أشعَب .. فهذا إن وجدته .. فاهرب منه هروبك من الكلب الأجرَب!

* * * * *

289- المتحَضِّر.

هو مَن تحمله قِيمَهُ الحضارية على القيام بأعمال وسلوكيات إيجابية راقية .. في السرّ والعلَن سواء .. وفي الظاهر والباطن سواء .. وفي تعامله مع القريب والبعيد سواء .. وفي حالتي القوة والضعف سواء .. والغنى والفقر سواء .. والرضى والغضب سواء .. وسواء سُلّطت عليه الكاميرات والأضواء .. أم أزيلت الكاميرات، وانطفأت الأضواء .. فقيَمَه الحضارية الراقية هي الرقيبة عليه .. وهي التي تلازمه أينما كان .. وفي أي وقت وزمان .. وهي التي تُلزِمه وتوجهه ـ في جميع أحواله وظروفه ـ بأن يعمل عملاً كيِّساً راقياً .. فهذا الإنسانُ هو المتحضر .. وإن نُسِب إلى عائلة أو قبيلة أو عشيرة .. لا تُذكَر بالتحضر.

أما من تحمله قيمَه الحضارية على أن يكون من ذوي الوجهين، واللونين: أمام الناس .. وأمام الكاميرات، والأضواء .. بوجه ولون يتسم بالإنسانية .. فإن غابت عنه الأنظار .. وزالت عنه الكاميرات، وانطفأت الأضواء .. وخلا بنفسه ومعاصيه .. أصبح بوجه ولون آخر؛ يتسم بالحيوانية والوحشية .. مع المقربين يكون إنساناً .. ومع الغرباء والأباعد يكون وحشاً كاسراً .. كل حركة من حركاته تحتاج إلى ثلاثة أشياء: إلى قانون .. وكاميرة .. وسوط جلاد أو إرهاب حاكم .. وإلا تحوَّل إلى وحشٍ كاسرٍ يعيش في مجتمعٍ إنساني .. فهذا إنسان متخلّف غير متحضّر .. وإن زعم بلسانه خلاف ذلك .. أو كان من ذوي التحصيل الأكاديمي .. أو لبس ثياب المتحضرين .. وأكل على طريقتهم .. أو كان ينتمي إلى عائلة أو قبيلة أو عشيرة أو أمة عُرِفت بالتحضّر .. لا تقل كان أبي،

وقُلْ ها أنذا .. والمرء لا يُقدِّسه نسبه وإنما يُقدّسه عمله .. ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾الحجرات:13.

* * * * *

290- شِركُ المحبَّة.

هو أن تحب المخلوق ـ أيَّاً كان هذا المخلوق؛ سواء كان حاكماً، أم زعيماً، أم وطناً، أم حزباً وتكتلاً، أم قبيلة، أم زوجة، أم مالاً أم غير ذلك ـ لذاته من دون أو مع الله؛ فتوالي وتعادي فيه .. وتُحب وتكره فيه .. وتُعطي وتمنع فيه .. تغضب وترضى فيه .. وتصل وتقطع فيه .. فتصل من وصله وتقطع من قطعه .. وفي الحق والباطل سواء .. فهذه المحبة محبة شرك .. تخفى معالمها على كثير من الناس علماً أنها من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله .. وصاحبها يكون ممن اتخذ محبوبه إلهاً يُعبد من دون أو مع الله .. وهو المعني من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ﴾البقرة:165. وقال تعالى: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾الشعراء:97-98. أي نسويكم برب العالمين في المحبة والطاعة؛ فكنا نحبكم ونطيعكم ونوالي ونعادي فيكم .. ولذواتكم .. كما كنا نحب ونوالي ونعادي في الله .. فتلك كانت مساواتهم برب العالمين .. وذلك كان شركهم وكفرهم .. فالحذر الحذر عبادَ الله.

* * * * *

291- إذا داهمَتْكَ مشكلةٌ!

إذا داهمتك مشكلة .. التمس حلّها بما تقضي به مبادئ الأخلاق الحميدة .. فإن العواقب ـ بإذن الله ـ ستكون حميدة .. وإن بدت للعيان أنها بعيدة أو مستحيلة .. أما من يلتمس حلها بسوء الخلق .. وبما تقضي به مبادئ الأخلاق الرديّة .. أملاً منه في التماس السّلامة .. والخروج من المشكلة بسلام وعافية .. فهو واهم .. واهم .. والعواقب حينئذٍ ـ لا شك ـ أنها ستكون عليه وخيمة .. وإن بدَت للعيان أنها بعيدة أو مستحيلة!

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً﴾ من كلِّ همٍّ وكربٍ ومشْكِل .. ﴿وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾الأنفال:29.

* * * * *

292- الرَّحيم.

ليس الرحيم من تقتصر رحمته على أبنائه وأقاربه وحسب .. بينما هو على الأباعد شديد .. غليظ .. ليس في قلبه عليهم رحمة أو شفقة .. فهو بذلك لا يتعدّى ما عليه الحيوانات والوحوش الكاسرة من صفات؛ التي

ترحم أبناءها وتعطف عليها وتحنو .. فإن تعاملت مع البعيد .. أو اقترب منها البعيد .. انقضَّت عليه .. ومزَّقته .. وافترسته!

وإنما الرحيم؛ هو الذي يرحم القريب والبعيد سواء .. ويرحم كل ما حوله من المخلوقات والحيوانات؛ الإنسيّة منها وغير الإنسية .. وهو المراد من قوله ﷺ:" ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء ". والذي في الأرض ليس الأبناء والأقرباء وحسب .. وليس الإنسان وحسب .. بل الإنسان .. والدواب .. والحيوانات .. وغيرها من المخلوقات .. فهذه كلها يجب أن ترحمها .. وأن تتعامل معها وفق قانون الرحمة .. حتى يرحمك مَن في السماء.

* * * * *

293- من مفاسد التكنولوجيا الحديثة!

كان الناس في الأمس القريب .. يُسلّمون على بعضهم البعض مشافهةً .. ويباركون لبعضهم البعض في الأعياد والمناسبات السعيدة .. مشافهة .. ومواجهة .. وكان لذلك أكبر الأثر الطيب في تآلف الأنفس وتحابها .. كما في الحديث:" هل أدلكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفْشُوا السَّلامَ بينكم ".

واليوم .. بعد أن فشت الهواتف اليدوية والنّقالة .. وأصبح كل شخص يحمل منها في جيبه عدداً منها .. أصبح السّلام .. والمباركة في الأعياد والمناسبات الطيبة .. عن طريق إرسال رسائل مكتوبة .. عبر تلك الهواتف اليدويّة .. ترسل بكبسة زرٍّ من شخص إلى عدة أشخاص .. وفي كثير من الأحيان تُرسَل من دون أن يُذكَر اسم مرسلها .. فتصل فاترة .. ناشفة .. جافة .. ليس لها أدنى أثر أو وقع حسنٍ على قلب المرسَل إليه .. وهذا هو الوصل البارد .. الذي لا يليق بالمتحابين في جلال الله!

وفي هذا العيد .. وصلتني عشرات الرسائل الخطية عبر هاتفي اليدوي .. لكن لا أعرف من أرسلها .. لأنه لم يكتب أحد منهم اسمه في رسالته .. فالرسالة تُعرَف قيمتها بذكر اسم صاحبها .. وليس بمجرد كلماتها!

قلت: وهذا من جملة مفاسد التكنولجيا الحديثة .. التي أفسدت الناس وأصابتهم بالكسل والخمول .. وحملتهم على التقصير بحقوق بعضهم البعض .. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

* * * * *

294- الأدَب مع العلماء.

الناسُ في الأدَب مع العلماء، ثلاثة مذاهب: مَذهبٌ جَنَحَ إلى الإفراط؛ فهو لا يُنصف الحق من العلماء .. ويُجرّم من يُنصِف الحقَّ منهم .. لا يقبل أن يُقال في العالم أخطأ والصواب كذا .. ويرى أن يُتابَع ويُطاع العالم في

الخطأ والصواب .. وفي الحق والباطل سواء .. ولأصحاب هذا المذهب حظّ من قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ﴾التوبة:31.

ومذهب في المقابل جنح إلى التفريط؛ فلا يُقيم للعلماء وزناً ولا قدراً .. ولا يعرف لهم حقاً .. ولا فضلاً .. ولا معروفاً .. ولا توقيراً ولا احتراماً .. فيُساويهم ـ من حيث التعامل ـ بالسوقة من الناس .. ويميل إلى تجريمهم، ورفع الصوت عليهم لأدنى خلاف .. أو فيما يُستساغ فيه الخلاف .. أو لمجرد أن العالم قد خالف هواه .. أو خالف حزبه .. أو شيخه الذي يحبه .. وأصحاب هذا المذهب قد جنحوا إلى الظلم والعدوان .. وسوء الأدب .. يحتاجون إلى التأديب .. وأن يدرسوا الأدب من جديد.

ومذهبٌ ثالث يُنصِف الحق من العلماء؛ فيشهد على المحسن منهم بأنه محسن .. وعلى المخطئ منهم بأنه مخطئ .. ويتأول لمخطئهم ما وجد للتأويل سبيلاً .. وفي المقابل يحفظ لهم حقهم في الموالاة والتوقير والاحترام .. ويعرف لهم فضلهم ومعروفهم على الإسلام والمسلمين .. ويدعو لهم في السرِّ والعَلَن .. وأصحاب هذا المذهب وسط بين مذهبي الإفراط والتفريط المشار إليهما أعلاه .. قد أصابوا الحق والأدَب في التعامل مع العلماء .. فالزم ـ يا عبد الله ـ غرزهم وطريقتهم؛ تسلم.

* * * * *

295- أبو حنيفة .. وجهالات الناس!

يرتكبون ـ وأعني متعصبة الأحناف من العجَم ـ البدع والمخالفات الشرعية .. فإن نصحتهم وراجعتهم .. أجابوك: نحن أحناف .. وهذا الذي نحن عليه هو مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله .. تأمرهم بأن يتراصّوا .. وأن يسووا الصفوف في الصلاة .. وأن لا يدعوا بينهم فرجة للشيطان .. وأن تكون للإمام أو المصلي المنفرد سترة يدنو منها حتى لا يمر الشيطان بينه وبينها .. كما ورد ذلك في السنة .. فيقولون لك: ولكن هذا بخلاف مذهب أبي حنيفة..!

تقول لهم: قد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" صلّوا كما رأيتموني أصلي". "خذوا مناسككم عني ".

فيقولون لك: لا؛ نحن نصلي على مذهب أبي حنيفة رحمه الله .. ونأخذ مناسكنا من أبي حنيفة .. وهكذا كل جهالة وبدعة ـ لكي يخرجوا منها سالمين! ـ يلصقونها بأبي حنيفة .. ويتسترون بأبي حنيفة .. وأبو حنيفة رحمه الله منها براء!

وفي هذا الصنيع والتعصب وزران:

وزر أنهم ينسبون لأبي حنيفة رحمه الله، ويقوّلونه ما لا يصح عنه، ولا يثبت .. وهذا من الكذب والجهل .. وتقويل أهل العلم ما لم يقولوا!

ووزر آخر ـ وهو أشد مما قبله بكثير ـ وهو أنهم يُعارضون قول النبي ﷺ وسنته .. بالبدعة وبقول أبي حنيفة .. ويجعلون من أبي حنيفة نداً للنبي ﷺ .. في كل أمرٍ من أمور الدين .. وكأن لأبي حنيفة ديناً يختلف عن دين النبي ﷺ .. أو له أن يخالف دين وسنّة النبي ﷺ .. ولو خالف تجوز متابعته فيما قد خالف فيه .. وهؤلاء على خطر كبير .. ولهم حظ كبير من قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾النور:63.

* * * * *

296- حِلمُ اللهِ تعالى.

تأملتُ كم هؤلاء الناس .. الذين يعصون الله تعالى .. ويُخالِفون أمره .. وكم هم الذين يُحاربونه ﷻ ويُحاربون دينه وشرعه .. وكم هؤلاء الذين يُعارضون حكم الله تعالى بحكم الطاغوت .. وكم هؤلاء الذين يتطاولون على الذات الإلهية بالسب والانتقاص .. وكم هؤلاء الذين يستخِفّون ويستهزؤون بالله وآياته، ورسوله ﷺ .. وكم هؤلاء الذين لا يرجون لله وقاراً وقد خلقهم أطواراً؛ طوراً بعد طور .. ومع كل ذلك .. فالله تعالى يحلم بهم .. ويصبر عليهم .. ويرزقهم .. ويمنُّ عليهم بالنعم والخيرات التي لا تُحصى!

ما أعظمَ الله .. وما أحلَمَه .. وما أرحمه .. وما أرفقه .. وما أجمله .. وما أصبره على عباده .. يُدْبِرون ويُعرِضون .. ويُسيئون .. وهو ﷻ يُقبل عليهم باللطف والرحمة والرعاية .. والرفق .. والمنّ والعطاء .. ولو شاء لأخذهم ـ بذنوبهم ـ أخذ عزيز مقتدر .. وكلمح البصر .. حقاً .. ثم حقاً .. ثم حقاً .. إنه ربٌّ يُعبَد .. لا شريك له.

* * * * *

297- مَعْذِرةً إلى أطفالِنا!

مَعذرةً إلى أطفالِنا وأبنائنا .. فقد ترك لكم الأجداد والآباء إرثاً ضخماً من التخلف والضعف والظلم .. والخوف والذل .. والجهل .. والفقر .. لا فرار لكم منه .. إذ لا بد لكم من معايشته والتعامل معه .. وأنتم بين خيارين لا ثالث لهما: أن تعيشوا طفولتكم .. بسَهوها .. ولهوها .. ولعبها .. ونعومتها .. وبراءتها .. إلى أن تشبُّوا .. فتُفاجئكم الحياة بهمومها .. ومشاكلها .. وواقعها الأليم .. وهذا يعني أن يمتد من أجَلِ ذلك الإرث اللعين الثقيل .. وأن تعيشوا في الكِبر همومَه وآلامه .. كما عاشه من قبلكم من الآباء .. وأن تكونوا سُبَّة للجيل التالي بعدكم .. كما كان الجيل الذي قبلكم سُبة وهماً لكم .. وسبباً في تخلفكم!

وإما أن تنهضوا ـ في وقت مبكر من طفولتكم ـ لتتحملوا شيئاً من تبعات وآلام هذا الواقع المرير .. وتعيشوا همّ معالجته ومواجهته .. فإن لم تعُالَج ـ على أيديكم وفي عهدكم ـ جميع مشاكله .. تكونون ـ على الأقل ـ قد خطوتم خطوات كبيرة نحو علاجها .. ومهدتم وسهّلتم لمن بعدكم إكمال مسيرة التصحيح والبناء .. والتحرير .. وحينئذٍ لا شك أنكم ستكونون مصدر فخر واعتزاز وعرفان للجيل، والأجيال التالية بعدكم ... لكن هذا يعني أن تُضحوا ابتداءً بشيء من حقوق الطفولة .. وبراءتها .. ولهوها .. لتعيشوا هموم ومشاكل الكبار .. وتتحدثوا بأحاديثهم .. في وقت مبكر من أعماركم!

أعلم أن كلا الخيارين صعبان ومرّان بالنسبة لكم .. لكن لا بد من الاختيار .. لاجتياز هذه المرحلة العصيبة .. وأنا ـ كأبٍ ومربٍّ وناصحٍ ـ عايش إرث الآباء القاسي .. أختار لكم ـ على مضض، وأنا كاره ـ الخيار الثاني .. وأرجو أن تعذروني .. وتغفروا لي اختياري .. ثم لعلكم في الكِبَر تتفهموا اختياري هذا لكم أكثر .. وتعرفوا له قدْراً .. أسأل الله تعالى أن يرعاكم، ويحفظكم، ويأخذ بأيدكم إلى ما فيه خير البلاد والعباد .. وأن يكشف بكم الغُمَّة عن الأمَّة .. وما نزل بها من ذلٍّ .. وضعف .. وتفرّقٍ .. وتخلف .. إنه تعالى سميع قريب.

أمّا ألآباء إن أرادوا أن يُكفّروا عن بعض ذنوبهم وتقصيرهم .. وأن يقوموا ببعض واجبهم نحو الجيل القادم .. عليهم أن يُنشّئوا أطفالهم تلك النشأة الصالحة القوية .. التي تعينهم على تحمل المسؤوليات ـ نحو أمتهم ـ في وقت مبكر من أعمارهم وحياتهم!

* * * * *

298- لا تبكي على أحدٍ ..!

لا تبكي على أحدٍ تَسخّطاً واعتراضاً على قضاء الله تعالى وقدره .. مهما كانت صورته مأساوية .. فلا تدري ماذا فعل حتى نزل به هذا البلاء أو العقاب .. أو ماذا كان سيفعل من الشرّ؛ لو تُرِك من دون ذلك البلاء أو العقاب .. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾البقرة:216. ولو اطلعتم على الغيب لرضيتم بالواقع .. وفي سورة الكهف: ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً﴾الكهف:80.

* * * * *

299- المرأةُ المتَسَلّطَةُ!

جمَعَ كبيرُ القضاة مَن تحته من القضاة والعاملين .. ليعرف مَن منهم تحكمه زوجته وتوجهه، ومن منهم يحكم زوجتَه ويوجهها .. ورفَعَ ـ لأجل ذلك رايتين ـ إحداهما مكتوب عليها " المرأةُ تحكمُ زوجَها "، والثانية مكتوب عليها " الرجلُ يحكمُ زوجَتَه "!

ثم نادى القضاةَ كلاً باسمه .. ليقف كلُّ قاضٍ تحت الراية التي تناسبه وتمثل واقعه .. فجاء الأول .. فوقف ـ بسرعة ودون تردد ـ تحت الراية التي كُتب عليها " المرأةُ تحكم زوجَها " .. ثم جاء الثاني، ففعل مثله؛ وقف تحت الراية التي كتب عليها " المرأة تحكم زوجَها " .. ثم جاء الثالث .. كذلك وقف تحت الراية التي كُتب عليها " المرأة تحكم زوجَها " .. فجاء الرابع .. والخامس .. والسادس .. والعاشر .. وكل من تبقى من القضاة والعاملين .. كلهم وقفوا تحت الراية التي كُتب عليها " المرأة تحكم زوجَها " .. باستثناء رجل واحد .. فجاء يشق الصفوف شقاً .. منتفشاً .. ومنتفخاً .. ومفرِّقاً ومُباعِداً يديه عن أضلاعه .. ومصعِّداً وجهَه إلى السماء مفتخراً .. ليقف تحت الراية التي كُتِب عليها " الرجلُ يحكمُ زوجَتَه " .. فبهَر الجميع .. وتعجَّب منه الجميع لشجاعته .. وقوته .. فما كان من كبير القضاة إلا أن سألَه: كل هؤلاء الرجال ـ الذين هم أمامك ـ تحكمهم نساؤهم .. إلا أنت .. فما السر .. وكيف؟!

فأجابه الرجل: لا تؤاخذني يا سيدي .. امرأتي هي التي أمرتني أن أقف تحت هذه الراية التي كُتب عليها " الرجلُ يحكم زوجَتَه "!!

قلت: وما أكثر النسوة ـ في زماننا ـ المتسلّطَات .. الجاثمات على صدور .. وأنفاس أزواجهن .. يراقبنَ ـ كشرطي مرور ـ حركاتهم .. وكلماتهم .. والخارج والداخل من زفراتهم .. ويتدخَلْن في الشّاردة والواردة من حياة أزواجِهنَّ .. وفيما لا يعنيهنَّ .. وهؤلاء عليهنّ أن يتقين الله في أزواجهنَّ .. ولا يَحْسَبْنَ أنَّهُنَّ يُحسِنَّ صُنعَاً .. وفي الحديث:" من حسن إسلام المرءِ تركه ما لا يعنيه ".

* * * * *

300- المرأة والقانون.

مهما كان القانون متعاطِفاً مع المرأة .. ويُحابي المرأة .. لا يُمكن أن تُنصَف المرأة .. أو أن تنالَ حقَّها .. إن لم يكن الرجلُ متحضّراً؛ ذو خُلُقٍ ودين .. وإلا فقل لي: كيف تفسر هذه الاعتداءات الجسدية الخطيرة المتكررة من الرجل على المرأة في دول عُرِفت بمحاباتها للمرأة ـ من الناحية القانونية ـ إلى درجة الإفراط والغلو .. ومع ذلك فالقانون لم يحمِ المرأةَ في تلك المجتمعات من تلك الاعتداءات .. والتي منها القتل في أبشع صوره!

فإن قيل: فما هو الحل ..؟!

أقول: الحل يكمن في التركيز على تنشئة الذكور تنشئة أخلاقية راقية متحضرة .. فحينئذٍ ـ فقط! ـ المرأة تعيش كاملَ سعادتها .. وتنال كامل حقها .. ومن دون أن تحتاج إلى تلك القوانين!

المرأة لا يمكن أن تنال حقوقها .. أو أن تعيش حياتها بطريقة صحيحة .. مع غياب القِيم الحضارية الراقية لدى الرجل، والتي منها الإيمان بالله .. وهؤلاء الذين يقتلون ويحاربون القيم الأخلاقية والحضارية الراقية عند

الرجل، ويستهدفونها من خلال وسائل إعلامهم الخبيث .. فإن من أوائل ضحاياهم .. المرأة .. وإن بكوا عليها .. أو تظاهروا بالبكاء عليها!

* * * * *

301- كلُّ كلمةٍ يَلُوكُها طرفان.

ما من كلمة تُكتَب أو تُقال .. إلا ويتلقّاها طرفان: حق وباطل .. مؤيد ومعارض .. مادحٌ وذامٌّ .. فأما الحق .. فيفهمها وينصفها .. ويُنصف الحقَّ منها .. ويستفيد منها .. وينزلها منزلتها التي تستحقها من غير إفراطٍ ولا تفريط .. وأما الباطل .. فيسيء بها الظن .. ويردها .. ويظلمها .. ولا يستفيد منها.

ومن يطمع أن يُرضي الطرفين: الحق والباطل معاً .. وينال عندهما القبول .. فيما يكتب أو يقول .. فهو واهم، واهم .. والواجب على الكاتب الملتزم في هذه الحالة أن يوطد نفسه على الصبر، والتزام الحق .. وعلى تحمّل أذى الناس وجهالاتهم .. وأن يتقبل هذه الحقيقة الواقعية .. ولا بد له من ذلك .. وإلا فليعتزل مجالس الكتابة والوعظ والإصلاح!

* * * * *

302- حُقُوق المرأةِ.

لا يُمكن تناول الحديث عن حقوق المرأة بعيداً عن حقوق الرجل .. فحق المرأة، والرجل حقان متلازمان؛ كل منهما لازم وملزوم للآخر .. ويُكمّل الآخر .. وكل منهما يؤثر سلباً أو إيجاباً على الآخر؛ وإلا فقل لي: كيف يمكن أن ننصف حق المرأة .. وفي المقابل حق الرجل؛ الذي هو أبوها أو أخوها، أو زوجها، أو ابنها .. ضائع ومُهان .. ولا يُؤبَه له؟!

كيف للمرأة أن تتمتع بحق .. أو عَطاء .. وأبوها وأخوها، وزوجها، وابنها .. يعيشون ـ أمام عينيها ـ الذل .. والهوان .. والحرمان .. وربما الاعتقال التعسّفي .. كما في كثير من بلاد الشرق الأوسط؟!

وهؤلاء الذين يُهينون الرجل .. ويُذلّونه .. ويحرمونه حقه .. ثم في المقابل تراهم يتحدثون ـ وبحماس ـ عن حقوق المرأة .. فهم متناقضون .. وكذّابون .. وظالمون .. ولصوص .. ومن شياطين الإنس الذين ينبغي أن نتعوذ بالله منهم ومن شرّهم!

* * * * *

303- إلغاءُ صراع الحضارات.

قالوا: نريد أن نلغي صراع الحضارات ..!

قلنا لهم: إذاً أوقفوا إبليسَ عن العمل .. وخذوا منه عهداً بأن لا ينشط لباطله .. وأن لا يُحزِّب الأحزاب على الحقِّ، وأهلِه ... وأنَّى!

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ص:82. و ﴿ لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾الأعراف:16.

* * * * *

304- تمسْكَنَ حتى تمكَّنَ!

ما أسوأه من خُلُق .. أن يتمسْكنَ المرءُ .. ويتَمَسْكَن .. ويخفض صوتَه .. وجناحَه .. ويكون أرضاً لغيره .. لغرضِ أن يتمكَّن .. فإذا تمكَّن .. انتفش، وطغى وتكبَّر .. وسَطَا .. ورفَع صوتَه .. وأظهر المخبوء من سوء الأخلاق!

كالثَّعلب يظل يُدني بطنه من الأرض ويقترب .. يُدني بطنه من الأرض ويقترب .. إلى أن ينقضَّ على فريسته .. وسوء هذا الخلق يتغلّظ لكونه ينطوي على جملة من الأخلاق السِّيئة، منها: الكذب .. والغش .. والخيانة .. والغدر .. أبْئِسْ بها من أخلاق!

* * * * *

305- كم المسافة بيننا وبين النَّصر؟!

أعتقد أن المسافة بيننا وبين النصر والتمكين .. لا تزال بعيدة، وذلك لسببين: أولهما أن الأمة لم ترتقي بعد الارتقاء المطلوب الذي يوازي مستوى مبادئ وقِيَم الإسلام .. وهو شرط من شروط النصر والتمكين.

ثانياً: أنَّ الأمة لم ترتقي بعد الارتقاء المطلوب الذي يوازي مستوى التحديات والمؤامرات التي تواجهها وتُحاك ضدها من قبل الأعداء .. إذ كثير من الكيد يمر أمامها .. بل ويدخل حماها .. من دون أن تتعرّف عليه .. وعلى خطورته .. أو أن يكون لها منه موقف .. وهذا الارتقاء ضروري من ضروريات النصر والتمكين .. وبالتالي لا ينبغي أن نبكي على نصر أو نستعجل نصراً .. نحن لسنا كفأً له .. ولا مُعدين له حق الإعداد!

لكن هناك بصيص نور وأمل قادم من بعيد؛ من جهة أولئك الذين هانت عليهم أرواحهم في سبيل الله .. الذين لا يخشون في الله لومة لائم .. نسأل الله تعالى أن يُرْبِيه ويُبارك فيه، ويضع له القبول في الأرض وفي السماء .. إنه تعالى سميع قريب مجيب.

* * * * *

306- آدابُ الدعاءِ المُستجاب.

للدعاء المستجاب آداب: منها: أن يبدأ ويُختَم الدعاء بالصلاة على النبي ﷺ؛ فكل دعاء محجوب حتى يُصلَّى على النبي ﷺ .. كما أن الصلاة على النبي ﷺ تُقبَل .. وإذا قُبل أول الدعاء وآخره .. فالله تعالى أكرم وأجل من أن يرد وسطه!

ومنها: أن يُقدّم بين يدي الدعاء والطلب بتوحيد الخالق ﷻ وتمجيده .. والإقرار بأنه هو الرب، والإله؛ لا مألوه ولا معبود بحق سواه .. كقولك " اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني ..".

ومنها: مناجاته ومناداته ﷻ بأسمائه الحسنى .. كقولك " يا حيّ يا قيوم .. " ونحوها.

ومنها: الإقرار بالعبودية .. وأن مقام السائل لا يتعدى مقام العبد، والعبودية لله ﷻ .. أنعم وأكرم به من مقام.

ومنها: الإقرار بنعمه وفضله عليك التي لا تُعد ولا تُحصى، ولا يُمكن أن تُجزَى أو تُكافأ، مهما قابلها العبد بالشكر ..

ومنها: الإقرار بالذنب والاعتراف بالتقصير ... ثم بعد ذلك تبدأ بالطلب والدعاء .. وعرض حاجتك على ربك .. فإن فعلت ذلك يُرجى أن يُستجاب لك بإذن الله.

هذه الآداب كلها يتضمنها دعاء سيد الاستغفار، كما هو ثابت عن النبي ﷺ: " اللهمّ أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شرّ ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوبَ إلا أنت. قال ﷺ: من قالها من النهار موقناً بها، فمات من يومه قبل أن يُمسِي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقنٌ بها، فمات قبل أن يُصبِح فهو من أهل الجنة "البخاري.

يُضَاف إليه الصلاة على النبي ﷺ تَسليماً كثيراً طيباً مباركاً فيه عدد خلقه، ورِضا نفسه، وزِنةَ عرشه، ومِداد كلماته.

* * * * *

307- التفكير على طريقة القَطِيع!

هو الذي يُفكّر على طريقة القطِيع؛ فيسير حيث يسير القطيع .. ويتوجه حيث يتوجه القطيع .. ولو كان في ذلك هلكة الجميع .. ويلغي تفكيره؛ ليجعل القطيع تفكر بالنيابة عنه .. على مبدأ "ضع رأسك مع الرؤوس، وقل يا قطّاع الرؤوس"، ومبدأ "ما أنا إلا من غزيَّة إن غوَت غويتُ .."، ومبدأ "يُصيبك ما يُصيب الناس .. أنت لست أفضل من الناس .. خليك مع التيار" ولو أوردك موارد الهلكة .. وأوقعك في حفر لا مخرج لك منها!

هذا النوع من التفكير السلبي ـ السائد عند بعض الشعوب ـ إضافة إلى أنه يُشبه طريقة القطيع من الحُمر والوحوش البرية في التفكير والحركة والتوجه .. فإنه لا يُمكن أن تنهض به أمة .. أو تتحرر مما أصابها من أمراض الوهن، والتخلف والجهل، والخوف، والفقر .. وهو بخلاف ما عليه الطليعة المؤمنة الذين أثنى عليهم النبي ﷺ خيراً، ووصفهم بأنهم:" يُصلحون إذا فسد الناس .. من يعصيهم أكثر ممن يُطيعهم "، ومع ذلك فهم ماضون .. لا تُثنيهم الغربة .. ولا وحشة الطريق .. ولا قِلة الأنصار والأعوان .. ولا لعنات وصيحات القطِيع .. عن المضي في المسير نحو الهدف .. والإصلاح المنشود!

* * * * *

308- التَّدخِينُ.

التدخين يحترق به ثلاثة: المالُ، والمُدَخِّنُ، ومن يصلهم دخان المُدخّن ممن يُجالسهم أو يسكن معهم .. فهؤلاء ليسوا أقل ضرراً من المُدخن ذاته .. يُضاف إلى ذلك تلوث البيئة والهواء .. لأجل ذلك فهو حرام .. لا يُجادل في حرمته إلا جاهل!

التدخين .. سمٌّ .. يقتل صاحبه ببطئٍ .. وأحياناً يكون أثره سريعاً .. يدخل كسبب مباشر في كثيرٍ من أمراض القلب القاتلة .. ومن يموت به أو بسببه فهو منتحر قاتل لنفسه بالسم .. وأقل أحواله أنه واقع في شبهة انتحار!

أعجبُ للمدخِّن كيف يطيب له التدخين .. أو أن يتلذذ بتدخينه .. وأن ينفخ دخانه على الآخرين .. مع علمه المسبق أن دخانه يؤذي ويضر من يُجالسه .. وأن جليسه يكره منه التدخين أو أن يصله شيء من دخانه .. حقاً إنها وقاحة وأنانية في آنٍ معاً!

في البلاد المتحضرة صحيًّاً .. يمنعون التدخين في الأماكن العامة .. والمغلقة .. كالحافلات وغيرها .. ويشددون في ذلك أيما تشديد .. ويُعاقبون المخالف بعقوبات بليغة .. وينشرون الدعايات المكثفة التي تُحذِّر من الدخان، ومن ضرره وأثره .. وفي بلادي لا يزالون يزينون التدخين .. ويروجون له .. ويعتبرونه من مظاهر الرجولة

والعظمة .. ويمنعون الدعايات ضده .. ربما لأن تجار الدّخان هم من المسؤولين المتنفذين .. الذين ينتمون إلى الطبقة الحاكمة .. وهؤلاء أنّى لأحدٍ أن يقترب من جنابهم ـ أو جناب جيوبهم ـ بسوء!

* * * * *

309- ظاهِرةُ النِّسيان عند العرب!

أعني بالعرب .. عرب هذا الزمان .. فهم دائماً يتذكرون آخر بلاء .. وآخر مصاب .. وآخر هزيمة وانتكاسة نزلت بهم .. وآخر مجزرة أُقيمت لهم .. وآخر مؤامرة تُحاكُ ضدهم .. وينسون ما قبلها عشرات الهزائم والمصائب والمجازر التي نزلت بهم وبساحتهم .. وهكذا كلما داهمهم مُصابٌ أو بلاء انشغلوا به ونسوا ما قبله .. وكأن ما قبله لم يكن .. فمثلاً لو قتل العدو منا اليوم ألفاً .. ثم غداً قتل منا عشرة .. نسينا الألف .. وانشغلنا بالعشرة .. وكأننا لم نفقد بالأمس ألفاً .. وأن المشكلة مع العدو تكمن فقط في العشرة الذين قتلهم اليوم!!

حتى الحقوق إذا تراكمت وتعددت .. تذكروا آخر حقٍّ لهم ونسوا ما قبله من الحقوق .. وأمسكوا عن المطالبة بها .. فالأقدمية والزمن كفيلان بأن يسقطا ـ من ذاكرة العربي المعاصر ـ ما لنا من حقوق مضت .. قد سطا عليها العدو .. واستملكها .. واستوطن فيها .. وغدت حقاً له من دون أصحابها .. القضية الفلسطينية مثال على ذلك ـ حيث كل عام تنحسر المطالب بما لنا من حقوق وتقل عن العام الذي قبله إلى أن أصبحت المطالب محصورة في دويلة مشوّهة مقطّعة مفككة الأوصال والأجزاء في بعض أراضي الضفة الغربية .. وبلا سيادة ولا إرادة ولا قرار حر .. والأعوام القادمة كفيلة بأن تنقص من حجم هذه المطالب، كما أنقصت الأعوام السابقة المطالب التي قبلها ـ وغيرها كثير من الأمثلة لو أردنا الإحصاء!

وهذا ـ مما لا شكّ فيه ـ يُفقدهم الاستفادة من تجاربهم .. وماضيهم القريب .. ومن أخطائهم .. كما يُفقدهم الدقة في تحديد الصديق من العدو؛ إذ من آثار هذه الظاهرة ـ ظاهرة النسيان ـ أن يتذكروا آخر عدو فقط .. وآخر عدوانٍ له .. وينسوا مَن قبله من الأعداء الذين قد يكونون أشد عداوة من الأخير .. وكذلك أن يتذكروا آخر صديق .. وينسوا مَن قبله من الأصدقاء الذين قد يكونون أشد وفاء من الأخير .. فهم دائماً يتذكرون الأخير .. ويتعاملون مع الأخير .. ويُطالبون بالآخير .. لذلك هم الآن ـ بين الأمم ـ في الأخير!

* * * * *

310- عندما تثور الجماهير.

عندما تثور الجماهير وتغضب .. فاللغة التي تُناسبها حينئذٍ .. هي لغة العاطفة .. والحماسة .. والمزاودة في طرح الشعارات .. ومن يُحاول أن يستخدم معهم ـ وهم في ثورتهم الغضبية ـ لغة الفقه والعقل .. فإنه ـ حينئذٍ ـ يُرجَم .. وقد يُرمَى بالخيانة العظمى!

* * * * *

311- الوقت.

الوقتُ ماضٍ لا يتوقف لأحدٍ .. فإن لم تقطعه قطعك .. وإن ضيعته ضيَّعك .. وهو بضعٌ منك .. لتُسألنَّ عنه كيف قضيته وأهلكته كما تسألنّ عن جسدك فيما أهلكته وأفنيته .. يَذهب منك على قدر ما يَذهب منه .. فإذا ذهب وقتك المُقدَّر وانقضى ذهبت كلّك ومتّ وتوقفت جميع أعضاء جسدك عن الحركة والعمل .. فاجتهد أن لا تُذهِب نفسك وعمرك إلا فيما ينفعك في نفسك، ودينك، وآخرتك.

الذي يبيع وقته للآخرين بثمنٍ بخس كالذي يبيع نفسه وأعضاء جسده للآخرين بثمنٍ بخس .. والذي يتلف وقته فيما لا ينفع كالذي يُتلف جسده فيما لا ينفع .. والذي يهون عليه وقته كالذي تهون عليه نفسه .. وتهون عليه سلامتها .. واعلم أن الواجبات أكثر من الأوقات .. فاغتنم فراغك قبل شغلك .. وقوَّتك قبل ضعفك .. وشبابك قبل سَقمك وهرمك .. تفلح!

* * * * *

312- الإنسان العربي والتغيير.

لكي يتمكن الإنسان العربي من التغيير نحو الأفضل .. وتحقيق العيش الكريم .. والتحرر من الذل والظلم .. عليه أن يتدرب ويروّض نفسه على انتزاع حقوقه من فم الوحوش الكاسرة .. لأن من يحكمه من الطغاة أشرس من الوحوش الكاسرة .. وأشد منها أنانية .. وهذا يستدعي منه نوع تضحية .. وجرأة .. وإقدام .. وتحرر من الخوف والجُبن .. ومن ينشد التغيير عن طريق الحلول الوردية الرومانسية .. فهو واهم .. ويحلم .. وهو يهدر الأوقات والطاقات من غير نفع ولا جدوى .. والوحوش الكاسرة .. تستخف به وبحلوله .. وربما تبتلعه مع ما تبتلع من أشياء!

* * * * *

313- التكنولوجيا والبطُولة.

كان البطلُ من قبل هو الذي يجندل بيديه وسيفه العشرات من الرجال .. هو الذي تفر منه الرجال في ساحات الوغى؛ إذا ما احتدمت الصفوف للقتال .. هو الذي تجتنبه الأبطال إذا ما نادى للمبارزة والنِّزَال .. وحقاً لمن يكون كذلك أن يكون بطلاً .. وأن يُسجَّل في صفحات التاريخ كبطل مقدام .. بينما اليوم بسبب التقدم التكنولوجي في تصنيع الأسلحة .. لم تعد لتلك البطولة ولا لمعانيها من وجود .. فالرجل الضعيف .. والجبان .. والذي قد لا يزيد وزنه عن خمسين كيلو غرام .. قد يَقتل بقذيفة واحدة وهو من وراء دبابته أو مدفعه

.. أو بارجته .. أو وهو مختبئاً في طائرته في السماء .. عشرات من هؤلاء الأبطال .. فالتكنولوجيا لم تجنِ على كثير من العادات الحسنة في حياتنا اليومية وحسب .. بل جنت كذلك على البطولة .. والأبطال!

* * * * *

314- حَسبُنا الله ونِعمَ الوكيل.

إذا داهمتك الخطوب .. وتكالبت عليك العِدا .. وتكاثروا واجتمعوا .. وجَمَعُوا .. فالجأ إلى " حَسبُنا الله ونِعْمَ الوكيل "، وأكثر منها .. ولُزْ بها .. واجعل منها حصنك الحصين .. فمن كان الله تعالى حسبه فلا خوف ولا ضَيْعَةَ عليه .. فقد قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها مُحَمَّد ﷺ وأصحابه حين قال لهم الناس: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾آل عمران:173.

وقال ﷺ:" كيف أنعَمُ وقد التقمَ صاحبُ القَرنِ القرنَ، وحنى جبهتَه، وأصغى سمعه ينتظر أن يُؤمَر فيَنْفُخ "، فأثقل ذلك على أصحابه، فقالوا: كيف نفعل يا رسولَ الله .. كيف نقول؟ قال:" قولوا حَسْبُنا اللهُ ونِعمَ الوكيل، على اللهِ توكلنا ".

حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا .. عَددَ خَلْقِه، ورِضا نَفْسِه، وزِنَةَ عرشه، ومِدادَ كلماتِه .. وصلى الله على مُحَمَّد النبيِّ الأمي، وعلى آله وصحبه وسلّم.

* * * * *

315- لا حَولَ ولا قوَّة إلا بالله.

لا حولَ ولا قوَّة إلا بالله؛ انتفاء الشخص من حوله وقوته .. واعترافه ـ لخالقه ـ بكامل عجزه وضعفه وانكساره وحاجته .. ورد الحول كله، والقوة كلها لله تعالى وحده .. فالعبد لا حول له ولا قوة على أن يفعل لنفسه أو لغيره شيئاً .. ولا أن يجلب لنفسه أو لغيره نفعاً، ولا أن يدفع عن نفسه أو عن غيره ضراً .. إلا بالله .. وإلا إذا أعانه الله ومكّنه .. ولولا الله تعالى .. وعون وقوة الله .. لما قدر أن يحرك ساكناً مهما كان صغيراً .. بل لما قدر على أن يستنشق الهواء.

"فلا حول ولا قوة" نفي .. وبراء .. وانخلاع من مطلق الحول والقوة .. جاء بعده أداة استثناء "إلا"؛ تفيد غاية الحصر والقصر .. حصر الحول والقوة بالله تعالى .. واقتصارهما به ﷻ وحده.

"لا حول ولا قوة إلا بالله"؛ أي لا قوَّة في الوجود بحقٍّ إلا قوة الله .. ولا قوي في الوجود بحق إلا الله .. فهو ﷻ قوي بذاته .. غني عن خلقه .. وما سواه لا قوة له إلا به ﷻ .. ولا حول ولا حِراك له إلا به ﷻ ..

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" لا حول ولا قوة إلا بالله، كَنزٌ من كنوز الجنَّة ". فالزم غرزها يا عبد الله .. وأكثر منها .. عساك أن تفوز بالجنة .. وبكنز من كنوزها.

لا حول ولا قوَّة إلا بالله، عدَدَ خَلْقِه، ورِضا نَفْسِه، وزِنَةَ عرشِه، ومِدادَ كلماتِه .. وصلى الله على مُحَمَّد النبيِّ الأمي، وعلى آله وصحبه وسلّم.

* * * * *

316- الصلاةُ على النبيِّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم.

الصلاة على النبي ﷺ تتعيّن وتجب عندما يُذكَرُ النبي ﷺ .. وكلما ذُكِرَ ﷺ .. فمن سمع ذِكْرَ النبيِّ ﷺ وجب عليه أن يصلي عليه ﷺ .. وإلا أثِمَ .. وأخطأ به طريقُ الجنّة على سعته .. فقد صحّ عن النبي ﷺ أنه قال: " مَن ذُكِرْتُ عندَه فنسي الصلاةَ عليَّ، خَطِئ به طريقُ الجنَّة". وقال ﷺ: " أتاني جبريلُ فقال: يا مُحَمَّد من ذُكِرتَ عنده فلم يُصلِّ عليك فماتَ فدخَلَ النارَ، فابعَدَهُ اللهُ، قل: آمين، فقلتُ: آمين". وقال ﷺ: "لما رَقيتُ الدرجة الأولى ـ أي من المنبر ـ جاءني جبريل فقال: شَقِيَ عبدٌ ذُكِرْتَ عنده ولم يُصلِّ عليك، فقلتُ: آمين ".

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ونبيك مُحَمَّد، عدَدَ خَلْقِكَ، ورِضا نَفْسِكَ، وزِنَةَ عرشِكَ، ومِدادَ كلماتِك.

* * * * *

317- لمن يُريد أن يتعَرَّف عليه النبيُّ محمد ﷺ.

هل تريد أن يتعرَّف عليك النبيُّ ﷺ باسمك الصريح واسم أبيك، وتُصبح من المشهورين المعروفين لديه ﷺ ... أكثر من الصلاة عليه ﷺ، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" إنَّ الله وكَّلَ بقبري ملَكاً أعطاهُ اللهُ أسماءَ الخلائق، فلا يُصلي عليَّ أحدٌ إلى يوم القيامة إلا أبلغني باسمه واسم أبيه: هذا فلان ابن فلانٍ قد صلَّى عليك ". وفي رواية: " قال لي ذلك الملك: يا مُحَمَّد إن فلانَ ابن فلان صلّى عليك السَّاعةَ ".

ما أجمله من معنى أن يتكرر اسمك الكامل على مسامع النبيّ ﷺ .. كل ساعة .. بل وكل دقيقة .. فيُقال له ﷺ: إن فلان ابن فلان يُصلي ويسلم عليك الساعة؛ أي الآن يا رسولَ الله .. إلى أن تُصبح من معارفه المقربين .. أما من لا يتذكَّر النبي ﷺ .. ولا يصلي عليه في اليوم أو الشهر إلا مرة واحدة .. فأنى لهذا الإنسان أن يكون من معارف النبي ﷺ المقربين .. ثم اعلم أن هناك مئات الملايين الذين يُسابقونك ويُزاحمونك إلى هذا المقام .. والتعارف .. فأنَّ لك أن تسبقهم .. إن كنت من المقلين في الصلاة على النبي ﷺ .. وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" أولى الناسِ بي يومَ القيامة أكثرهم عليَّ صلاةً ".

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ونبيك مُحَمَّد .. عدَدَ خَلْقِكَ، ورِضا نَفْسِكَ، وزِنَةَ عرشِكَ، ومِدادَ كلماتِك.

* * * * *

318- الخيانة.

لم تُؤتَ الأمةُ من جهة كما أُوتيت من جهة الخيانة .. فالخيانة هي الزاوية الأضعف والأخطر في جسد الأمة، التي ينبغي أخذ الحيطة لها .. والحذر منها .. ومراقبتها على الدوام .. لكشف الخائنين والحذر منهم، ومن شرهم .. والعدو دائم البحث ـ ومن غير كلل ولا ملل ـ عن تلك الزاوية الخطيرة .. والأضعف في جسد الأمة .. دائم البحث عن تلك النفوس الوضيعة الضعيفة الساقطة الخائنة ـ التي تهون عليها الخيانة مقابل متاع بخس زائل ـ التي ترضى أن تسلّمه مفاتيح الحصون والثغور عند التحام الصفوف .. ونزول الشدائد ـ وعلى غفلة من أعين الناس ـ لتمكنه من التسلل والعبور إلى قلب الأمة .. إلى قلب الجماعة .. إلى قلب المدينة .. ومن ثم العبث بحرماتها وحقوقها، وخيراتها .. ومن يتأمل غالب صراعات الأمة ومعاركها مع أعدائها ـ القديمة منها والحديثة ـ يجد أنها لم تُصَب بهزيمة إلا بسبب خيانة بعض من ينتمون إليها من أبناء جلدتنا، وممن يتكلمون بلغتنا .. والعدو لم يسلم من هزيمة محققة إلا بسبب خيانة الخائنين من أبناء جلدتنا .. فكم من دولة سقطت بسبب الخيانة .. وكم من أرضٍ اغتُصبت وضاعت بسبب الخيانة .. وكم من عِرض اغتصب وانتهك بسبب الخيانة .. وكم من بيت هدّم على رؤوس ساكنيه من الأطفال والنساء بسبب الخيانة، ووشاية الخائنين .. وكم من بطل مجاهد اغتيل وطُعن في ظهره بسبب الخيانة .. وكم من أسير بريء يُسام ذل الاعتقال عند الطغاة المجرمين بسبب الخيانة .. ألا لعنة الله على الخائنين!

فاحذروا الخيانة والخائنين ـ عباد الله! ـ واجتنبوهم ولا تُخالطوهم .. ولا تتخذوا أحداً منهم بطانة؛ تأمنوهم على شيء لا ينبغي أن يعرفه العدو عنكم .. واعملوا على كشفهم، وتعريتهم، والتحذير منهم ـ سواء كانوا حكاماً أم محكومين ـ تسلموا .. ولا تدنوهم من مجالسكم بعد أن أبعدهم الله .. ولا تكرموهم بعد أن أذلّهم الله .. ولا توقروهم بعد أن أسقطهم الله من أعين الناس .. واعلموا أن الله لا يحب الخائنين .. ولا كل خوَّانٍ أثيم.

* * * * *

319- كلماتٌ في الصَّبرِ مُهداة إلى أهلِنا المرابطين في غزَّة.

قال رسول الله ﷺ:" إن الصبر عند الصدمة الأولى".. ولن تعطوا عطاء خيراً وأوسع من الصبر .. أفضل الإيمان الصبر والسماحة .. واعلم أن في الصبر على ما تكرهه خيراً كثيراً، وأن النّصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا .. الصبر مفتاح الفرج .. والصبر ضياء .. إذا أحب الله قوماً ابتلاهم، فمن صبر فله

الصبر ومن جزع فله الجزع .. وإن الصبر يأتي من الله على قدر البلاء والمصيبة .. وقد بايع أصحابه يوم الحديبية تحت الشجرة على الصبر "، صلوات ربي وسلامه عليه.

والله تعالى قد أوصى بالصبر .. وأمر بالصبر .. وهو مع الصابرين .. ويحب الصابرين .. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾آل عمران:200. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾البقرة:153. وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾البقرة:155. وقال تعالى: ﴿وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾آل عمران:146.

فكم من نصر بيننا وبينه صبر ساعة .. وهل النصر إلا صبر ساعة تزيد على صبر العدو .. اصبروا عباد الله .. وصابروا وتصبَّروا .. وأجركم على الله .. ولا تُرُوا العدو منكم جزعاً أو قِلة صبر .. فتُفرِحوه .. ويطمع بكم وبديارِكم .. فأنتم على ثغرٍ عظيم من ثغور الأمة .. والأمة تحيى، وتنهض .. وتُروَى شجرة عزتها وكرامتها، بصبركم وجهادكم .. يحفظكم الله.

* * * * *

320- الإنسانُ الرّخيص.

الإنسانُ الرخيص؛ هو الذي يرضى لنفسه أن يكون جندياً عند الطاغوت .. يُقاتِل ويُقتَلُ في سبيله .. مقابل راتب زهيدٍ .. أو دُريهمات معدودات!

هو الذي يفعل أو يقول ما يطلبه الآخرون منه .. وإن لم يكن مقتنعاً به .. مقابل راتبٍ زهيدٍ .. أو دُريهماتٍ معدودات!

هو الذي يذوب في مشاريع وأهداف الآخرين .. والتي هي ليست من مشاريعه وأهدافه .. ويذوب في قناعاتهم على حساب قناعاته .. مقابل راتبٍ زهيدٍ .. أو دُريهماتٍ معدودات!

هو الذي يفني عمره وجسده في خدمة الآخرين .. وخدمة مشاريعهم .. وأهدافهم .. مقابل راتبٍ زهيدٍ .. أو دُريهمات معدودات .. فإذا علا الشّيبُ رأسَه .. وانحنى ظهرَه .. لفظوه .. ورفسوه .. وأحالوه إلى التقاعد غير مأسوف عليه .. ومن غير تعويض .. وكأنه لم يكن يعمل عندهم من قبل .. بينما تراه يغفل عن التعامل مع مالِكِ المُلْكِ .. الذي بيده خزائن السماوات والأرض .. والذي يُعطي العامل في سبيله .. جنةً عرضها السماوات والأرض .. فيها مالا عينٌ رأت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خَطرَ على قلب بشر!

* * * * *

321- ناشدتُكم قليلاً من الحياءِ .. فالدماء لم تجفّ بعد!

ما إن وضعت الحرب أوزارها .. وأثقالها .. وانكشف غبار المعركة عن أهلنا في غزّة الصبر والجهاد .. إلا وتسارع المجادلون المغرضون .. والمرجفون ـ على اختلاف أطيافهم واتجاهاتهم ومقاصدهم ـ وكأنهم كانوا على موعد مستعجلٍ مع هذا التوقيت الحرج .. ليبدأوا في الطعن .. والتجريح .. والتخذيل .. والتشكيك .. والاستهزاء .. والاستخفاف .. بإنجاز المجاهدين وثباتهم وصبرهم وانتصاراتهم .. وقبل أن يقرأوا الحدَث جيداً .. وهذا كله يتم ـ كما يزعمون ـ باسم النقد .. والنصيحة .. والغيرة على الدين .. والقضية!

ولمن سَلِم قصده من هؤلاء .. لكن أخطأه التعبير والأسلوب في النصح والنقد .. كما أخطأه التوقيت، أقول: لا تُشمّتوا بنا العدو بعد أن أخزاه الله .. لا تقفوا في مصاف الأعداء من الكافرين والمنافقين وأنتم لا تدرون .. لا ترقصوا مع الراقصين السكارى على أشلاء وجِثث المجاهدين .. ما هكذا يكون النصح .. ولا النقد .. ولا هذا هو توقيته المناسب .. فأخوك ـ يا مجادل! ـ لا يزال ينزف دمه .. فهلَّا بادرت أولاً إلى إسعافه .. وتضميد جراحه .. والتخفيف من آلامه؟!

أخوك لا يزال تحت الأنقاض .. فهلَّا انتشلته .. ورفعت عنه الأنقاض .. ثم بعد ذلك توخيت التوقيت المناسب للنصح ـ بالرفق، والحكمة والموعظة الحسنة ـ فتنصحه ..!

أخوك لا تزال أشلاؤه مبعثرة بين الأنقاض وتحت الحطام .. فهلَّا أسرعت إلى إكرامه ودفنه .. كما أسرعت إلى نقده .. والتجريح به .. وبجهاده؟!

أخوك المجاهد .. الذي دافع عن دينك وعِرضك وأرضك .. وأمّتك .. قد اصطفاه الله شهيداً .. وخلَّف لك أيتاماً .. وأطفالاً .. بلا مأوى .. ولا طعام .. ولا شراب .. فهلَّا أسرعت فمسحت على رؤوسهم .. أو مسحت الدمع من على خدودهم .. أو واسيتهم بما تستطيع فعله نحوهم .. قبل أن تُظهر مهاراتك .. في النقد والتجريح .. والتهكم .. ممن قضوا نحبهم في سبيل الله؟!

ناشدتكم قليلاً من الحياء .. فالدماء لم تجفّ بعد!

* * * * *

322- أطفالنا .. وأطفالهم!

أطفالنا لهم كل مرَّة، ومضرَّة .. وأطفالهم لهم كل حلوة ومسرَّة!

أطفالنا لهم التشريد .. والجوع .. والفقر .. والجهل .. والبكاء .. وأطفالهم لهم الأمن والأمان .. والفرح .. واللعب .. والسرور .. وكل خير!

أطفالنا غير معنيين من حقوق الطفولة .. فحقوق الطفولة كلها لأطفالهم .. دون أطفالنا!

أطفالنا قتل الواحد منهم مجرد رقم يُضاف إلى أرقام القتلى .. لا يُعبَأ له .. وأطفالهم قتل الواحد منهم .. تقوم له الدنيا ولا تقعد .. وذكرى قتلاه .. تتحول إلى مناسبة سنوية قومية ووطنية .. واجتماعية!

أطفالنا قتل المائة منهم .. قضية فيها نظر .. تستدعي التحقيق .. وقتل الواحد منهم جريمة لا تُغتَفر!

أطفالنا كفالة اليتيم منهم جريمة .. وإرهاب .. ودعم للإرهاب لا يُغتفَر .. وأطفالهم لهم كل خدمة .. ورعاية .. وإحسان!

ومع ذلك، نقول صادقين: إننا نحب أطفالهم .. وتُسيئنا الدمعة التي تسيل على خدودهم بغير وجه حق .. وإن كانوا هم يكرهون أطفالنا .. ولا يتورعون عن قتلهم .. وترويعهم .. وقصدهم .. بالدبابات .. والطائرات .. والصواريخ العابرة للقارات!

* * * * *

323- الجهادُ والمقاومة.

الجهادُ هو التعبير الشرعي الدال على جهاد المجاهد عندما يُجاهدُ في سبيل الله .. والمقاومة هي اصطلاح دال على مقاومة المقاوم عندما يُقاوم العدوان .. وقد يكون مسلماً أو غير مسلم .. وقد يكون في سبيل الله .. وقد يكون في سبيل الطاغوت .. وعليه فالجهاد يشمل المقاومة ويزيد عليها .. بينما المقاومة لا تشمل الجهاد ولا تدل على جميع جزئياته ومعانيه .. وعليه فكل مجاهد مقاوم، وليس كل مقاوم مجاهداً.

ولما كان الأمر كذلك كما ذُكر أعلاه .. رَغِب القوم عن مصطلح الجهاد والمجاهد .. إلى مصطلح المقاومة والمقاوم .. وهؤلاء لهم نصيب من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾الزمر:45.

* * * * *

324- رسولُكم محمدٌ قال ...!

استوقفني صراخ تلك المرأة البلجيكية .. وهي تصرخ في وجوه العرب والمسلمين ـ عبر وسائل الإعلام ـ لما رأت منهم من تقاعس وخذلان لإخوانهم في غزّة:" رسولُكم مُحَمَّد قال: انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ..!"

قلت: يا سبحان الله .. هذه المرأة النصرانية على علم بديننا .. وتوجيهات نبينا ﷺ .. أكثر من كثير من المسلمين!

هذه المرأة .. رغم أنها على غير ديننا .. إلا أنها تفاعلت مع خطاب نبينا ﷺ .. أكثر من كثير من المسلمين!

أَوَصَل الخذلانُ دَرَكاً .. أَوَصَل الانعدام بالإحساس دَرَكاً .. أوَأُصِيبت المروءة بمقتلٍ .. استدعى من هذه المرأة ـ التي هي على غير ملة الإسلام ـ أن تستنهضنا وتذكرنا بكلمات نبينا صلوات ربي وسلامه عليه ..؟!

اللهمَّ غفرانك .. ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منّا!

* * * * *

325- النصرانيّةُ والمسيحيّة.

النصرانية اسم لدينٍ .. والنصارى اسم دال على أتباع هذا الدين .. بينما المسيحية كلمة دالة على ما كان عليه المسيح ﷺ من دينٍ حق .. والمسيحي هو الذي يتبع تعاليم المسيح ﷺ .. ويتخلّق بأخلاق المسيح ﷺ .. وينتمي إلى المسيح ﷺ .. لذا فالنصارى رغبة منهم في إلصاق ما هم عليه من باطل وضلال بالمسيح .. ولعلمهم ما للمسيح ﷺ من مقام عظيم عند الله تعالى .. وفي نفوس المسلمين .. يسمون أنفسهم بالمسيحيين .. تشريفاً وتعظيماً لأنفسهم .. وما هم ـ على الحقيقة ـ بمسيحيين .. ويحبون من الآخرين أن يُخاطبوهم بالمسيحيين .. وليس بالنصارى .. علماً أن اسمهم كما ورد في القرآن والسنة .. وكما كانوا يسمون أنفسهم دهراً .. نصارى .. ولم يرد مطلقاً عن النصارى اسم المسيحيين .. ومع ذلك فريق من أبناء جلدتنا وديننا .. من مشايخ ودعاة الفضائيات .. يُطلقون على النصارى تودداً لهم، وكذباً على الحقيقة .. وتشريفاً وتعظيماً لهم .. اسم المسيحيين .. وهم من أبعد ما يكونون عن المسيح والمسيحية السّمحة!

وكذلك اليهود .. يحبون أن يُسمَّوا .. بالإسرائيليين .. نسبة إلى إسرائيل "يعقوب" ﷺ .. وكذلك النصيرية الباطنية .. يحبون منك أن تسميهم بالعلوية .. أو العلويين .. نسبة إلى علي بن أبي طالب ﷺ .. لما في هذه النسبة والتسمية من تشريف لهم وتعظيم .. وتمييع لما هم عليه من باطل وكذب وضلال!

ولو تأملنا جميع الملل والفِرق .. تجد جميع أهلها يحبون أن ينتسبوا .. ويتسموا .. بأسماء الأشخاص .. ليغطوا على بعض ضلالاتهم وعيوبهم .. وانحرافاتهم .. باستثناء المسلمين فإنهم يحبون أن يتسمّوا بالمسلمين ـ كما سماهم ربهم ﷻ ـ نسبة إلى دين الله الإسلام .. وليس بمحمديين .. نسبة إلى محمدٍ ﷺ .. ليقينهم أن دينهم حق .. وأنهم لا يحتاجون أن يتسموا بأسماء الأشخاص؛ ليغطوا على عيوبهم، وانحرافاتهم .. لأن دينهم أصلاً كامل؛ يخلو من النقص والعيوب والانحراف .. والانتساب إليه تشريف وتعظيم .. وفخر نباهي به .. ولو جاز التسمي أو الانتماء إلى أسماء الأشخاص أو الأنبياء .. فنحن المسلمين أتباع الأنبياء والرسل ـ الذين آمنا بجميع أنبياء الله تعالى ورسله؛ لا نفرق بين أحدٍ منهم ـ الأولى بالأنبياء والرسل .. والأولى بأن نسمي أنفسنا بأسمائهم .. وأن ننتسب إليهم فنقول عن أنفسنا: مُحَمَّديين .. ومسيحيين .. وموسويين .. وإبراهيميين .. وإسرائيليين .. لأننا نحن أتباع الأنبياء والرسل .. ولكن لا نستعيض ولا نحيد عن الاسم الذي ارتضاه لنا ربنا ﷻ .. والذي سمانا به ربنا ﷻ ألا وهو اسم "المسلمون"؛ كما قال تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾

الحج:78. وقال تعالى:﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ ﴾ آل عمران:19. وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِين ﴾ آل عمران:85. وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾المائدة:3. ونحن رضينا بالإسلام ديناً .. واسماً .. ونِسبةً .. ونسَبَاً .. اللهمَّ تقبّل.

أبيَ الإسلامُ لا أبٌ لي سواه ... إذا افتخروا بقَيسٍ أو تميم

* * * * *

326- الرابحُ والخاسر.

الرابح هو الذي يخسر القليل الحاضر من أجل الكثير الغائب القادم .. والمستمر .. بينما الخاسر هو الذي يؤثِر الربح القليل الحاضر والمستعجل، على الربح الكثير القادم .. والدائم!

مثالهما: الذي يحرص على الدنيا ومتاعها .. وعلى الحياة .. في مواطن الإقدام والجهاد والاستشهاد .. والذي يقتحم مواطن الجهاد عندما يتعين؛ فيستشهد في سبيل الله .. فالأول استفاد لنفسه متاعاً دنيوياً قليلاً مستعجلاً .. وخسر خيراً كثيراً ودائماً يوم القيامة .. إضافة إلى الخسارة التي تنزل بالجماعة أو الأمة في الحياة الدنيا بسبب تنكّبه عن واجب الجهاد .. والآخر خسر حظه القليل من الحياة .. لكنه كسب خير وسعادة الحياة الأبدية يوم القيامة .. يُضاف إليه ما حققه بجهاده من خير عظيم للجماعة .. ولأمته .. التي لا أمن ولا أمان لها إلا بالجهاد.

ويُقال كذلك: مثل الأول الخاسر كل من يَنشد الدَّعة والراحة والخمول على حساب مستقبله .. فيحقق لنفسه بعض الخير والراحة الآنية المستعجلة .. لكنه يخسر مستقبله .. ويعيش صفراً على هامش الحياة .. لا يُنتبَه إليه فضلاً عن أن يُؤبَه له .. بينما الآخر الذي يكِدّ ويتعب .. ويجتهد .. يخسر القليل المستعجل من راحته الآنية .. لكنه يكسب مستقبلاً زاهراً ومديداً بالخير والعطاء .. ويكون رقماً كبيراً في الحياة يصعب تجاوزه أو تجاهله!

فمن أيِّ الصنفين أنت ...؟!

* * * * *

327- أنت والدنيا!

اعلم يا هذا .. أن الدنيا لا تتوقف حركتها لأجلك .. لا في حياتك ولا عند ـ ولا بعد ـ موتك .. فهي ماضية بحركتها وصخبها .. وضجيجها .. بك ومن دونك .. وأنت ينبغي عليك أن لا تتوقف لأجلها عن آخرتك!

إن مت وغبت فهي لا، ولن تبكي عليك .. لا، ولن تحزن عليك .. بل لا تحس برحيلك عند رحيلك .. فكيف أنت تبكي عليها .. وتهتم وتغتم لأجلها؟!

كم من مَلِك .. كم من طاغية علا .. فلما علا وفرِح بما بين يديه .. مات .. فلما مات ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾الدخان:29.

كيف تنشغل ـ يا هذا ـ بتطاول البنيان فوق الأرض .. وليس لك في باطنها غير حفرة مظلمة ضيقة .. مليئة بالديدان .. هي في انتظارك!

إن أردت السلامة والنجاة .. من ظلمة القبر .. ومن عذاب ما بعد القبر .. كن في الدنيا كأنك غريب أو كعابر سبيل .. واجعل منها سلماً لآخرتك، وليس الآخرة سلماً لدنياك .. فإن أصبحت فاحمد الله .. ثم اعمل لآخرتك كمن لا ينتظر المساء، وإن أمسيت فاحمد الله .. ثم اعمل لآخرتك كمن لا ينتظر الصباح.

قال رسولُ الله ﷺ:" مالي وللدنيا، مثلي ومثل الدنيا كمثل راكبٍ قال في ظلِّ شجرةٍ في يومٍ صائفٍ ثم راحَ فتركها ".

وإنّا وإيَّاكَ لتاركوها لغيرنا ـ ولا بد ـ كمن تركها لنا مَن قَبلنا ..!

اللهم ارحمنا فوق الأرض .. وتحت الأرض .. ويوم العرض عليك .. إنك سميع قريب مجيب .. وصلِّ اللهم على عبدك ونبيك مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم!

* * * * *

328- التَّنوُّع.

تأملت هذا التنوع البديع الفريد الذي تنفرد به الأرض دون سائر الكواكب والنجوم؛ فعلى مستوى الإنسان .. يوجد الشريف والوضيع .. الغني والفقير .. السيد والمسود .. الطويل والقصير .. الجميل والقبيح .. المؤمن والكافر .. التقي والشّقي .. الصحيح والسقيم .. الخادم والمخدوم .. العالم والجاهل .. وبين كل صنفين أصناف ودرجات في التنوع والاختلاف .. وهم مع ذلك ألوان ولغات مختلفة!

وعلى مستوى الدواب والحيوانات .. والطيور .. والحيتان والأسماك .. كذلك أصناف وأنواع .. بعضها بحاجة إلى بعض .. وبعضها لا يستطيع العيش والحياة من دون وجود البعض الآخر .. وعلى مستوى النباتات والأشجار .. فهي كذلك أصناف .. وأنواع .. وألوان .. لا تُحصى .. لا غنى عنها .. ولا تكتمل الأرض إلا بها!

كذلك الجبال .. والسهول .. والوديان .. والغابات .. والصحراء .. فليس كلها على نسق واحدٍ .. أو لون واحد .. بل بينها من التباين والاختلاف كما بين سائر المخلوقات!

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾فاطر:27-28.

فأدركت الحكمة من هذا التنوع الفريد .. البديع .. وأنه لا يصدر إلا من قدير عليمٍ حكيم .. وعلمت أن ما يضيق منه صدري .. فهو ضروري لغيري .. وقد يكون غاية لغيري .. أو سبباً لغاية .. لا تستمر الحياة ولا تستقيم من دونه!

فيا سائلاً عن الحكمة من وجود هذا التنوع البديع العجيب .. أو من وجود مخلوق لم تفهم الغاية أو الحكمة من وجوده .. إن أدركت الحكمة أو بعضاً منها فاحمد الله .. وإن لم تدركها فسلِّم وارضَ .. واعلم أن الله تعالى لم يخلق شيئاً في الوجود عبَثاً من غير غاية ولا حكمة .. ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾المؤمنون:115-116.

* * * * *

329- آيةٌ مِن آياتِ الله!

يَدبُّ على الأرض آلاف الملايين من الناس .. ومن أجناس وشعوبٍ شتى .. ومع ذلك لا يوجد واحد منهم يُشابه الآخر من جميع الوجوه .. أو يتطابق مع الآخر في جميع صفاته .. ومن كل الأوجه والمقاسات .. إذ لا بد من نوع اختلاف وتباين بينهما .. فكل واحد منهم يمتاز بخصائص وصفات تميزه عن الآخرين .. وتُعرِّف عليه من بين الناس .. وهذه آية من آيات الله الدالة على عظيم قدرته وعدله .. لو كنتم تعلمون .. ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾الذاريات:21. ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾فصلت:53.

تصوروا لو أن الناس أو بعضاً منهم متشابهون ومتطابقون فيما بينهم من جميع الأوجه والمقاسات .. لادَّعَى كل شخص الحقّ فيما عند الشخص الآخر .. وزعمَ أنه هو الآخر .. ولَسَطا بعضهم على بعض .. وأُخِذ البريء بجريرة المذنب .. والمظلوم بجريرة الظالم .. والناس لا يعلمون!

* * * * *

330- الحِيَادُ الظالم.

أن يقف المرء على الحياد وسَطاً بين موقفين متغايرين لا يُعرَف منهما الظالم من المظلوم .. ولا المبطل من المُحِق .. ولا المعتدي من المعتَدَى عليه .. وهو لا مع هذا ولا مع ذاك إلى أن يستبين له الحق .. ويعرف الظالم من المظلوم .. والمحقَّ من المبطل .. فهذا حياد محمود ومفهوم .. نتفهمه .. أما أن يقف المرء على الحياد وسَطاً بين موقفين أو حدَثين أو قضيتين يُعرَف منهما الظالم من المظلوم .. والمبطل من المحِق .. فهذا حياد ظالم؛ متواطئ مع الظالم المعتدي المُبطل على المظلوم المُعتَدَى عليه .. وهو شريك الظالم في الظلم والوزر .. قد ساوى في حياده الظالم المتواطئ بين المعتدي والمُعتدَى عليه .. وبين الظالم والمظلوم .. وبين المجرم الجزار وضحيته .. وجعلهما سواء .. وهو بذلك يكون طرفاً مع الباطل لا يجوز أن يوسَم بالحياد .. أو يُسمح له بأن يتَستّر بالحياد!

مثال هذا الحياد الظالم المتواطئ يتمثل في موقف منظمة الأمم المتحدة .. ومنظومة الدول الأوروبيّة .. وأمريكا .. من القضية الفلسطينية .. وأطراف الصراع!

مثاله: كل ظالم يتواطأ مع الظالم على المظلوم باسم الحياد .. وبزعم التزام الحياد!

* * * * *

331- الحريّة عندما يكون لها اتجاهين ووجهين!

عندما تسير الحرية باتجاه الإلحاد .. والمجون .. والإباحية؛ بكل ما تعني الإباحية من معنى .. وباتجاه نصرة قضايا وأهداف وأطماع النصارى واليهود في العالم .. فالحرية حينئذٍ تتَّسع .. وتتسع إلى أقصى ما يمكن لها الاتساع .. لتستوعب كل هذه القضايا والمجالات .. والأهداف .. والنشاطات .. والحرية حينئذٍ تكون مقدسة؛ المساس بها جريمة لا تُغتَفَر!

بينما عندما تسير الحرية باتجها الإيمان .. وتكريس الإيمان والفضيلة في النفوس .. وباتجاه خدمة قضايا الإسلام والمسلمين العادلة .. فإنها حينئذٍ تَضِيقُ .. وتضيق .. إلى درجة الاختناق .. وإلى أن تُصبح الحرية متهمة بالتواطئ مع الإرهاب والإرهابيين .. والظلاميين .. تحجيمها وإلغاؤها مطلب من مطالب المجتمع الدولي الحر .. حتى يُصبح مجرد إذاعة بيان ـ عبر وسائل إعلامهم ـ من أجل دعم وإغاثة أطفال وضحايا غزّة .. تهمة وجريمة لا تُغتفَر .. يُؤخَذ عليها بالنواصي والأقدام!

كل هذا يجعلنا نضع عشرات إشارات الاستفهام، والتعجب .. حول حقيقة الحريات الموجودة والمتاحة في العالَم .. والتي يتبجّحون بها؟!

* * * * *

332- فُقِدَت الأَمَانةُ!

يا أسفاي على الأمانة .. فلم أعد أجد لها أثراً عند كثير من الناس!

كثير من الناس يقول لي: لي على فلان مالاً .. فأنكرَهم علي!

ومنهم من يقول: قد استودعت أمانة عند فلانٍ .. فضيّعها!

ومنهم من يقول: أرسلت مع فلانٍ أمانة فلم يوصلها ...!

ومنهم من يقول: استأجرتُ فلاناً .. واستأمنته على مالي ومتجري .. فخانني وسرقني!

ومنهم من يقول: استأمنت فلاناً على مجلسي .. وبيتي .. وبعض أسراري .. فلم يُصبِح .. إلا وقد فشى سري ـ وكل ما رآه في مجلسي وبيتي ـ بين الناس!

ومنهم من يقول: استأمنت فلاناً على عِرضي وأهلي .. وهو من أخلائي المقربين إلي .. وفي غيابي الاضطراري اعتدى عليهم .. وخانني!

ومنهم من يقول: قال فلان العالم .. وفلان العالم لم يقل .. ونحو ذلك من يجعل فهمه السقيم لقول العالم .. قولاً ومنطوقاً للعالم!

ومنهم من يوقّع عن رب العالمين كذباً .. ليروج باطله على الناس؛ فيقول: هذا حكم الله ورسوله .. وعند التحقيق والمراجعة .. تجده حكم الهوى والشيطان!

ومنهم من يكتم الحقّ ويَكْفُرُه ـ بعد أن علّمه الله إياه، واستأمنه عليه ـ انتصاراً لهوى .. أو طاغية!

يا أسَفاي على الأمانة .. فقد فُقِدَت منذ زمنٍ بعيد .. ونحن في الزمان الذي يُقال فيه: في قبيلة بني فلان .. وفي قرية كذا .. وبلدة كذا .. رجلٌ واحد أمين .. شدوا إليه الرحال!

صدق رسولُ الله ﷺ إذ يقول:" أول ما يُفقَدُ من الدين الأمانة .."، وقال ﷺ:" يُصبح الناسُ يتبايعون، فلا يكادُ أحدُهم يُؤدي الأمانة، فيُقَال: إنَّ في بني فلانٍ رجلاً أميناً "!

فيا أيها الناس .. احتاطوا لدينكم .. وأعراضكم .. وأموالكم .. وثِّقوا عقودَكم .. وديونكم .. ومعاملاتكم .. وأشهدوا عليها .. فالأمانة قد نُزِعَت من قلوب الرجال منذ زمن بعيد .. إلا من رحمه الله .. وما أقلهم .. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

* * * * *

333- نِعْمَ الجلِيس ..!

غابَ الجليسُ الصالحُ .. الذي تسمع منه لغة الأدب .. والفقه .. والعلم!

غاب الجليس الصالح .. الذي تؤمِنُ معه ساعةً .. فتُسامِره ويُسامِرُك .. وتُناصِحه ويُناصِحُك .. الذي تبتاع منه ـ أو يبتاع منك ـ المسك والعِطر!

غاب الجليس الصالح .. الذي تستأنسُ به ويستأنس بك .. وتَصْدُقُه ويَصْدُقُك .. الذي تستطيع أن تفضي إليه بعض ما يعتلج في صدرك من هموم .. ثم ترجو منه أن لا يخون مجلسك .. ولا أن يغدر بك!

الكل ـ إن سألت عنهم ـ يشكو الدنيا .. ويركض وراء الدنيا .. ومشغول بالدنيا .. لا وقت عندهم لأحد غير الدنيا .. ولا حق لأحد عليهم مع الدنيا .. غير الدنيا .. ولا أدري من منهما يأكل الآخر؛ الدنيا تأكلهم، أم هم يأكلون الدنيا .. أم كل منهما آكل ومأكول للآخر؟!

غاب الجليس الصالح .. ولا أرى عِوَضاً عن هذا الخسران العظيم .. سوى مجالسة الكتاب النافع .. الذي يحكي لقارئه سيرة الأولين من الصالحين .. ويحكي له لغة الأدب والأدباء .. والفقه والفقهاء .. والعلم والعلماء .. وكل ما تطلبه نفسه من فنون العلم والأدب والثقافة .. التي يتحقق فيها إمتاع النفس والروح والعقل معاً .. فنِعْمَ الجليسُ هو .. ونِعْمَ الخليل هو .. ونعم الأنيس هو .. ونِعم العطاء عطاؤه .. تُقَلِّبُ صفحاته متى شئت .. وتَطويه متى شئت .. وتأخذُ منه ما شئت .. وتدع منه ما شئت .. خيره إليك متدَفِّق .. ولا خير لك عليه .. ثم هو مع كل ذلك راضٍ عنك .. لا يعترض عليك .. ولا يمتعض .. تملُّهُ ولا يَمَلُّك .. ولو لم تُذكَر للكتاب حسنة سوى أنه يُشغلك به عن الغيبة والنَّميمة .. والقال والقيل .. وسفاسِف الأمور .. وكل ما يستحي العقل منه ويَقِيء .. لكفته .. أنعم وأكرم بها من حسنة!

* * * * *

334- وصَايا لُقمَانيَّة.

قال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه ويوصِيه:﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان:13. ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ لقمان:16-19.

يا بُنيَّ لا تُمارِيَنَّ حَكيماً، ولا تُجادِلَنَّ لَجُوجاً، ولا تُعاشِرنَّ ظَلوماً، ولا تُصاحِبنَّ متَّهماً.

يا بُنيَّ من قَصُرَ في الخصومَة خُصِم، ومن بالغَ فيها أثِمَ، فقل الحقَّ ولو على نفسِك، فلا تُبالِ من غَضَبٍ.

يا بُنيَّ احذَر الكذبَ فإنّه شهيٌّ كلحم العصفور، مَن أكلَ منه شيئاً لم يصبر عنه.

يا بُنيَّ جالِس العلماءَ، وزاحمهم بركبتيكَ؛ فإنَّ الله ليُحيي القلوبَ الميتةِ بنورِ الحكمة كما يُحيي الأرضَ الميتة بوابلِ السماء.

يا بُنيَّ تواضع للحقِّ تكُن أعقل الناسِ.

يا بُنيَّ إيّاكَ وكثرةَ النومِ والكسلِ والضَّجر؛ فإنَّك إذا كسلت لم تؤدِّ حقًّا، وإذا ضَجِرتَ لم تصبر على حقٍّ.

يا بُنيَّ استعِن بالكسبِ الحلال؛ فإنَّه ما افتقرَ أحدٌ قَطُّ إلا أصابه ثلاث خصالٍ: رِقَّةٌ في دينه، وضَعفٌ في عقله، وذهابُ مروءته، وأعظَم من ذلك استخفافُ الناس به.

يا بُنيَّ ثلاثَةٌ لا يُعرَفُون إلا في ثلاثةِ مواطِن: لا يُعْرَفُ الحليمُ إلا عند الغَضَب، ولا الشُّجاعُ إلا عند الحربِ، ولا الأخُ إلا عندَ الحاجَةِ.

يا بُنيَّ إذا أردتَ أن تؤاخي رجلاً فأغضِبْهُ قبل ذلك، فإن أنصفَكَ عند غضبه وإلا فاحذَره.

يا بُنيَّ إذا أتيتَ ناديَ قومٍ فارمهم بسَهمِ الإسلام ـ يعني السلام ـ ثم اجلس في ناحيتهم فلا تنطق حتى تراهم قد نطقوا، فإن أفاضوا في ذِكرِ الله فأجِل سهمَكَ معهم، وإن أفاضوا في غير ذلك فتحَوّل عنهم إلى غيرهم.

يا بُنيَّ أكثر من قول: ربِّ اغفر لي؛ فإن لله ساعة لا يُرَدّ فيها سائل.

يا بُنيَّ إيَّاك والتقنّع فإنها مخوفة بالليل، ومَذلةٌ بالنهار.

يا بُنيَّ حملتُ الحجارةَ والحديدَ، والحمل الثقيل، فلم أحمل شيئاً أثقلَ من جار السوء.

يا بُنيَّ إن العملَ لا يُستطاعُ إلا باليقين، ومن يَضعف يقينه يَضعف عملُه.

يا بُنيَّ إذا جاءك الشّيطان من قِبَل الشكِّ والريبة فاغلبه باليقين والنَّصيحة، وإذا جاءك من قِبل الكسل والسآمة فاغلبه بذكر القبر والقيامة، وإذا جاءك من قِبل الرغبة والرهبة فأخبره أن الدنيا مفارقة متروكة.

يا بُنيَّ اتخذ تقوى الله تجارةً يأتك الربحُ من غير بضاعة. يا بُنيَّ ليس غنى كصحّةٍ، ولا نعيم كطيبِ نفسٍ.

يا بُنيَّ من كذَبَ ذهب ماءُ وجهه، ومن ساءَ خلُقُه كثر غَمُّه، ونَقْلُ الصخورِ من مواضعها أيسر من إفهام من لا يفهم.

يا بُنيّ لا تُرسِل رسولَك جاهلاً؛ فإن لم تجد حكيماً فكُن رسولَ نفسك.

يا بُنيَّ لا تأكل شبعاً على شَبَعٍ، فإنك إن تُلقِه للكلب خيرٌ من أن تأكلَه، يا بُنيَّ لا تكن حلواً فتُبلَع، ولا مُرّاً فتُلفَظ.

يا بُنيَّ لا تكونَنَّ أعجزَ من هذا الديك الذي يُصوّتُ بالأسحار، وأنت نائم على فراشك. يا بُنيَّ لا تُؤخّر التوبة؛ فإن الموتَ يأتي بغتةً.

يا بُنيَّ لا ترغب في ودّ الجاهل فيرى أنَّك ترضى عملَه، ولا تُهاون بمقت الحكيم فيزهد فيك.

يا بُنيَّ اتقِ الله، ولا تُرِ النَّاسَ أنك تخشى الله ليُكرموك بذلك، وقلبك فاجر.

يا بُنيَّ ما ندمت على الصمتِ قط؛ وإن كان الكلامُ من فضةٍ كان السكوتُ من ذهب.

يا بُنيَّ اعتزِل الشرَّ كيما يعتزلك؛ فإنّ الشرَّ للشرِّ خُلِق.

يا بُنيَّ اختر المجالس على عينِك، فإذا رأيتَ المجلسَ يُذكر الله ﷻ فيه فاجلس معهم، فإنك إن تكُ عالماً ينفعك علمك، وإن تكُ عَيِيّاً يعلموك، وإن يطلع الله ﷻ برحمة تصبك معهم، يا بُنيَّ لا تجلس في المجلس الذي لا يُذكر فيه الله؛ فإنك إن تكُ عالماً لا ينفعك علمك، وإن تكُ عيياً يزيدوك عيَّاً، وإن يطلع الله إليهم بعد ذلك بسخطٍ يُصبك معهم.

يا بُنيَّ لا يأكل طعامك إلا الأتقياء، وشاور في أمرك العلماء.

يا بُنيّ إيَّاكَ والدَّيْن؛ فإنّه ذُلُّ النهار، همُّ الليل.

يا بُنيَّ لتكن كلمتُك طيبةً، وليكن وجهُكَ بَسيطاً، تكن أحبّ إلى الناسِ ممن يُعطيهم العطاء.

يا بُنيَّ إن الدنيا بحرٌ عميق، وقد غرقَ فيها ناسٌ كثير، فاجعل سفينتك فيها تقوى الله، وحَشوها الإيمانُ بالله، وشِراعها التوكل على الله، لعلّك تنجو، ولا أراك ناجياً!

يا بُنيَّ إني حملتُ الجندلَ والحديدَ فلم أحمل شيئاً أثقل من جار السوء، وذِقتُ المرارة كلها فلم أذق أشدّ من الفقر.

يا بُنيَّ كن كمن لا يبتغي محمدَةَ الناسِ، ولا يكسب ذمّهم، فنفسه منه في عناء، والناس منه في راحة.

يا بُنيَّ لا تتعلم ما لا تعلم حتى تعمل بما تعلم.

يا بُنيَّ إنكَ منذ نزلت إلى الدنيا استدبرتها واستقبلت الأخرى؛ فدارٌ أنت إليها تسير أقرب من دارٍ أنت عنها تُباعِد.

يا بُنيَّ ارجُ الله رجاءً لا يُجرّئك على معصيته، وخف الله خوفاً لا يُؤيسكَ من رحمته.

يا بُنيَّ مَن يحب المراءَ يُشتَم، ومَن يدخل مداخلَ السُّوء يُتّهم، ومن يُصاحب قرينَ السوء لا يَسلَم، ومن لا يملك لسانه يندم .. وشَرُّ الناسِ الذي لا يُبالي إذا رآه الناسُ مُسيئاً.

يا بُنيَّ لا تُضيع مالك وتُصلِحَ مالَ غيرك؛ فإن مالَك ما قدَّمت، ومالَ غيرك ما تركت.

يا بُنيَّ ما يتمُّ عقلُ امرئٍ حتى يكونَ فيه عشرَ خِصالٍ: الكِبر منه مأمونٌ، والرشدُ فيه مأمولٌ، يُصيبُ من الدنيا القُوتَ، وفضلُ مالِه مبذولٌ، التواضعُ أحبُّ إليه من الشَّرَف، والذِّلُّ أحبُّ إليه من العِز ـ أي الذلة على المؤمنين ـ لا يَسأمُ من طلبِ الفقهِ طولَ دهره، ولا يتبرَّمُ من طلَب الحوائجِ مِن قِبَلِه، يستكثرُ قليلَ المعروفِ من غيره، ويَستقِلّ كثيرَ المعروفِ من نفسِه، والخصلةُ العاشرةُ التي بها تَمّ مجدُه وأعلَى ذِكره: أن يرى جميعَ أهلِ الدنيا ـ أي من أهلِ القِبلةِ والتَّوحيد ـ خيراً منه وأنه شَرَّهم، وإن رأى خيراً منه سرَّهُ ذلك وتمنى أن يلحقَ به، وإن رأى شَرّاً

منه قال: لعَلَّ هذا ينجو وأهلَك أنا، فهنالك حين استكملَ العقل .. والعاقِلَ يُبصِرُ بقلبه ما لا يرى بعينِه، والشَّاهِدُ يرى ما لا يَرى الغائِبُ.

يا بُنَيَّ إنَّ الحِكمةَ أجلَست المساكينَ مجالِسَ الملوك.

* * * * *

335- كما تَدِينُ تُدَان.

ورد في الأثر: كما تَدِينُ تُدَان .. وكما تَزرعُ تحصَد .. وبالكيل الذي تَكيل تُكتَال .. وكما تُعامِل تُعامَل .. والعقوبَةُ من جنسِ العمل .. وهذا معناه صحيح يُدرَك بالتجربة والمشاهدة: فكم من حفرة حفرها الأخ لأخيه فوقع فيها ولو بعد حين .. وكم من مكيدة ومظلمةٍ يسوقها الأخ إلى أخيه، فتنحرف عليه، ولو بعد حين .. وكم من سُمٍّ أعده الأخ لأخيه فتَجرَّع مثله ولو بعد حين .. وكم من شامِتٍ اليوم كان غداً مشموتاً به .. وكم من ظالم اليوم فُعُوقِب في اليوم التالي بما قد ظَلم به الناس .. السِّهام التي رمى بها أخاه ذاتها يُرمَى بها .. يَطمئن لغفلة الناس عن ظلمه وعدوانه، وطول أمد ظلمه من دون أن يتنزل به العقاب .. وينسى أن الله تعالى له بالمرصاد .. وأنه تعالى قادر عليه .. عالم به وبمكره .. وأنه يعلم الجهرَ وما يخفى .. وأنه تعالى يُمْهِل ولا يُهمِل .. فسبحان المنتقم الجبار الذي ينتقم لعباده المظلومين من ظالميهم في الدنيا قبل الآخرة .. غير الذي ينتظرهم في الآخرة من وعيدٍ أليم.

* * * * *

336- نَبْعَان لا يَنضَبَان.

نبعان لا ينضب خيرهما ولا عطاؤهما: أولهما؛ كتاب الله تعالى .. فخيره وفوائده لا تنضب .. ولا تجف .. والمرء كلما أعطاه من جهده .. وزاد من إقباله عليه .. كلما تكشّف له من الخير والعلم والفقه، ما لم يتكشف له من قبل.

أما النبع الثاني: يكمن في سيرة النبي المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه .. فالنبي ﷺ هو الترجمان العملي الكامل للقرآن الكريم؛ ترجم القرآن الكريم وفسَّره بحركته، وجهاده، وأخلاقه، وعبادته، وأقواله، ومعاملاته مع الآخرين .. وقد اجتمع في شخصه العظيم كمالُ الإيمان .. وكمال العلم والفقه .. وكمال الأخلاق .. وكمال الجهاد .. والمرء كلما اشتد إقباله على سيرة النبي ﷺ دراسة وتأملاً وفهماً .. كلما تكشّف له من المعاني، والفقه، والعلم .. والخير الجزيل .. ما لم يتكشف له من قبل .. والزيادة مستمرة لا تتوقّف بحسب زيادة نسبة الإقبال على التفقه بسيرة المصطفى الحبيب ﷺ.

* * * * *

337- من علاماتِ حُبِّكَ للنبي صلى الله عليه وسلم.

من علامات حُبِّكَ للنبي ﷺ، أنك عندما تقرأ سيرتَه ﷺ العَطِرَةِ النبيلة العظيمة في كل جوانبها وجزئياتها وأطوارها .. أن تبكي حيثما بكى النبيُّ ﷺ .. وأن تضحكَ حيثما ضحك النبيُّ ﷺ .. وأن تبتسم حيثما تبَسَّم النبيُّ ﷺ .. وأن تُسَرَّ حيثما سُرَّ النبيُّ ﷺ .. وأن تحزَن حيثما حزِنَ النبيُّ ﷺ .. وأن تغضبَ حيثما غضبَ النبيُّ ﷺ .. وأن تُحَسِّن ما حَسَّنه النبيُّ ﷺ .. وأن تُقبّحَ ما قبَّحه النبي ﷺ .. وأن تُحلَّ ما أحلّه النبيُّ ﷺ .. وأن تُحرّم ما حرّمه النبي ﷺ .. وأن ترضَى ما رضيه النبيُّ ﷺ .. وأن تسخَطَ ما سخطه النبيُّ ﷺ .. وإذا مررت على موقفٍ قد أُسيء فيه للنبي ﷺ .. تقول في نفسك: ليت هذه الإساءة كانت علي دون النبيّ ﷺ .. ليتني كنت أقدر أن أفدي النبي ﷺ بنفسي .. ولا تكن تلك الإساءة قد نزلت به .. أو قد تعرّض لها .. عِرضي دون عِرضِه فداءُ .. ونفسي دون نفسه فِداءُ .. ومالي دون ماله فداء .. أن أُقَطَّعَ إرَباً إرَباً ولا يُشَاك النبيُّ ﷺ بشوكةٍ صغيرة في جسده الطاهر .. ثم أنت مع ذلك كثير الصلاة عليه في حال ذُكِر أمامك وفي حال لم يُذكَر .. صلوات ربي وسلامه عليه.

فإن وجدت في نفسك تلك العلامات .. وذلك الشعور .. فأنت من المحبين الصادقين للنبي ﷺ .. وإن لم تجد في نفسك تلك العلامات .. ولا ذلك الشعور .. ففي قلبك ـ حينئذٍ ـ مرض .. يستدعي منك المراجعة والمحاسبة .. وحُبُّك للنبي ﷺ دعوى مشكوك في صدقها .. مهما زعمت بلسانك أنك من المحبين للنبي ﷺ!

* * * * *

338- ثلاثةُ أمورٍ تُعِينُكَ على حُبِّ النبيِّ صلى الله عليه وسلم.

ثلاثةُ أمورٍ تُعينك على حُبِّ النبي ﷺ .. أولها: الاطلاع على سيرته ﷺ العطرة في جميع جوانبها ومراحلها .. وعلى أخلاقه العظيمة النبيلة الكاملة .. فالمرء كلما اشتدت معرفته بالشيء، وبخصال هذا الشيء الجميلة الرفيعة النبيلة .. كلما اشتد تعلقه وإعجابه به .. واشتد حبُّه له .. والعكس كذلك كلما كان يجهله .. ويجهل صفاته .. ويجهل قدْرَه .. كلما زهد به .. ولم يعرف له قدراً .. وقد صدق من قال: المرء عدو ما يجهل!

ثانياً: الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ .. فالإكثار من الصلاة على النبي ﷺ تقوي وتوطد العلاقة بين المُصلِّي والنبي ﷺ المُصلَّى عليه .. إذ أن السنَّة قد دلت أن الله تعالى قد وكَّل ملَكاً ينقل إلى النبي ﷺ وهو في قبره .. صلاة من يُصلي عليه .. مع ذكر اسم من يُصلي عليه واسم أبيه، فيقول له الملَك:" هذا فلانُ ابنُ فلانٍ قد صلّى عليك "، وفي رواية:" يا مُحَمَّد إن فلان ابن فلان صلى عليك السَّاعة " .. وبالتالي عندما يتكرر هذا الاسم على مسامع النبي ﷺ مئات .. بل وآلاف المرات .. في اليوم الواحد .. فاسمه يُصبح معلوماً ومألوفاً عند النبي ﷺ ومحبوباً له أكثر من غيره؛ ممن يسهون عن الصلاة عليه .. ولا يُصلون عليه إلا في الأسبوع أو الشهر مرة واحدة!

فيا من حُرِمت من صُحبته فلا تحرمَنَّ نفسك من تعريف نفسك للنبي ﷺ بكثرة الصلاة عليه .. صلوات ربي وسلامه عليه.

وفي الحديث، قال ﷺ:" أولى الناس بي يومَ القيامة أكثرهم عليَّ صلاةً ".

ثالثاً: إفرادُ النبي ﷺ بالمتابعة والاقتداء .. فتحمل نفسك ـ ظاهراً وباطناً، وبالقول والعمل، وفي جميع أطوار حياتك، وتنوع أشغالك ـ على الاقتداء بالنبي ﷺ .. وتحري سنته ﷺ .. فتسأل نفسك قبل أن تفعل شيئاً أو أن تقول شيئاً ـ وبصورة دائمة ـ: هل هذا الذي أفعله أو أقول به ثابت عن النبي ﷺ .. هل كان النبي ﷺ يفعل ذلك .. هلى يرضى النبي ﷺ مني هذا القول أو هذا الفعل .. هل يتحقق في قولي أو عملي الطاعة للنبي ﷺ أم المعصية والمخالفة .. والمشاقة ؟؟ فهذا من أقوى ما يمتّن علاقتك بالنبيّ ﷺ .. ويحبّبك بالنبي ﷺ .. ويحبّب الله تعالى ورسوله ﷺ بك .. كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّه فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّه وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّه غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾آل عمران:31.

* * * * *

339- لا تُعينُوا الشّيطانَ على أخيكم!

أحياناً يُخطِئ المسلم .. وخطؤه قد يُعالَج ـ أو تقل نسبته كثيراً ـ بقليل من الوَصْلِ .. والنُّصح .. والرِّفق .. وتحسين الظن به .. أما إن اعتُزِلَ .. وأُعلِنَ البراء منه .. والحرب عليه .. وجُرِّم وأُثِّم وخُوِّن .. لمجرد وقوعه في ذلك الخطأ .. فهو من جهة قد يستمر في خطئه، وربما يزيد ويستفحل .. ويجعل بينه وبين نصيحة الناصحين حجاباً مستوراً .. وقد يتقوى بالكافرين، والظالمين على خطئه .. وعلى حماية نفسه .. وعلى مواجهة مَن تبرأوا منه، وأعلنوا الحربَ عليه .. فيتسع حينئذٍ الخرق، وتزداد نسبة الإنحراف والخطأ .. ويصعب حينئذٍ الإصلاح .. أو الترقيع!

ونكون حينئذٍ ـ بفعلنا هذا وما أكثر من يفعل ذلك منا ـ كمن أعان الشيطانَ على أخيه .. وهو لا يدري .. أو وهو يحسب أنه ممن يُحسنون صُنعاً، وأنه بفعله هذا ممن يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .. وما هو ـ في الحقيقة ـ كذلك!

* * * * *

340- مراتبُ الكلام.

فقد تأملت الكلامَ؛ فرأيت أعلاه، وأجمَعَه، وأجملَه، وأطيبَه، وأكثره عطاء وبركة .. كلام الله تعالى في كتابه الكريم .. ثم كلام نبيه مُحَمَّد ﷺ .. ثم كلام أصحاب النبي محمدٍ ﷺ .. ثم كلام التابعين لهم بإحسانٍ في القرن الثاني

ثم الثالث من هجرة النبي المصطفى ﷺ .. ثم أن كلام الناس من بعدهم .. يتفاضل ويتمايز جودة وعطاء .. هبوطاً وصعوداً .. قوة وضعفاً .. بحسب حومهم وقربهم من منهج وأسلوب الكتاب والسنَّة .. وبحسب اقتياتهم من معين ومائدة الكتاب والسنة .. فأحسنهم كلاماً أقربهم إلى أسلوب ومنهج ولغة الكتاب والسنة .. وأردأهم كلاماً أبعدهم عن أسلوب ومنهج ولغة الكتاب والسنة .. مهما جاء كلامهم مزوقاً ومزخرفاً .. ومحشواً بغرائب الألفاظ والمعاني .. فالتكلُّف فيه واضح!

* * * * *

341- مَن قدوتك؟

ما نَشَدَ العُلا، والرفعة والسؤدد من كان لقدوته ومثَله الأعلى مثيلاً .. أو ندَّاً .. أو مكافئاً .. يوازيه في خصائصه .. ومرتبته .. ودرجته.

كثير من يُسأل عن قدوته، وأسوته في حياته، فيجيب: العالِم .. أو المصلح .. أو المفكر .. أو الزعيم .. فلان ابن فلان .. وعند المراجعة والتحقيق .. نجد أن لهذا المثَل المختار .. والفلان ابن فلان .. عشرات الأقران ممن يُماثله ويُكافئه .. وبل ويفضل عليه .. فيكون صاحبه باختياره له كمن يستبدل الذي أدنى بالذي هو خير منه .. وكمن يستبدل الأدنى بالأعلى!

فإن قيل: فمن هو قدوتك، وترونه يَصلح أن يكون قدوةً للبشرية جمعاء؟

أقول: مَن لا يُدانيه أحد شرفاً ومرتبةً .. مَن لا يرقى إلى مستوى أخلاقه وعظمة صفاته مخلوق قط .. مَن إذا وزِنت الأمة .. بل والبشرية كلها به .. لرجح عليهم .. إنه الموصوف من قِبل رب العالمين بأنه على خُلقٍ عظيم .. إنه محمدٌ رسولُ الله صلوات الله وسلامه عليه.

آتوني - إن استطعتم - برجلٍ مثل مُحَمَّد ﷺ .. ومعكم الدهر كله .. وأنَّى!

أعجب لمن عَرفَ النبيَّ ﷺ .. وسمعَ به .. ثم يرتضي لنفسه غيرَه قدوة وأسوة .. ومثَلاً أعلى!

يكفي النبي المصطفى ﷺ شرفاً وعظمةً .. ومرتبة سامية .. أن الله تعالى خالق الخلق .. قد ارتضاه قدوة وأسوة حسنة للناس أجمعين .. ولكل من يرجو السعادة والفوز في داري الدنيا والآخرة معاً .. وجعل اتِّباعه والاقتداء به سبباً جالباً لمحبة الله تعالى على المتَّبِع المقتدِي .. ومن أحبه الله تعالى فقد نجا وفاز .. كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ الأحزاب:21. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾آل عمران:31.

* * * * *

342- الفقهاء والنبيُّ صلى الله عليه وسلم.

مِن الفقهاء من يُسيء الأدب مع النبي ﷺ .. وهو لا يدري .. إذ تراه يستدل بأقوال النبي ﷺ كما يستدل بأقوال مذهب من مذاهب الفقه .. ويستدل بقوله ﷺ كما يستدل بأقوال فقهاء المذاهب الفقهية .. ويجعلهما في قوة الاستدلال سواء .. وأحياناً تراه ـ تعصباً لقول مذهبه الفقهي ـ ينتصر لقول المذهب .. وأرباب المذهب .. على قول النبي ﷺ .. ويُحسّن ويُصوّب قول المذهب وفقهاء المذهب .. دون قول النبي ﷺ؟!

وهؤلاء ـ وإن تسموا بالفقهاء! ـ لا يحسبون أنفسهم على خير .. بل هم على شرٍّ عظيم .. ولهم قسط كبير من قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ النور:62. وقوله تعالى:﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً﴾النساء:115. لو كانوا يعلمون ..!

* * * * *

343- الفضُولُ والتطفّل!

التقيتُ بدمشقيٍّ لقاءً عابراً .. فلم يمضِ على اللقاء سوى دقائق معدودات .. إلا وبادرني السؤال: ما اسمك .. من أي البلاد أنت .. ومنذ متى لم تذهب إلى بلدك .. وهل أنت من جماعة هؤلاء الإخوان وما الإخوان .. وأين تعيش .. وكيف تعيش .. وماذا تعمل .. وهل بيتك ملك لك أم بالإيجار ..؟!

فقلت له: اليوم كان طبخنا في البيت الأرز والفاصولياء ...!

فقال لي: ولكن أنا لم أسألك هذا السؤال ..؟!

قلت له: أعلم أنك ستسألني هذا السؤال .. فأجبتك عنه قبل أن تسألني إياه .. رحم الله أيام زمان ـ أيام زمن السلف الصالح ـ كان الضيفُ لا يُسأل عن اسمه وقبيلته .. وحاجته .. إلا بعد أن يُضَافَ ثلاثة أيام .. ويكون الضيفُ قد اطمأنَّ للمُضِيف .. ونحن في هذا الزمان .. نُسأل كل هذه الأسئلة؛ الشخصية منها، وغير الشخصية .. خلال ثلاث دقائق .. وفي لقاء عابر .. ومن دون ضيافة .. أو أن نُضَاف!!

* * * * *

344- من علاماتِ استحواذِ الشيطانِ عليك!

من علامات استحواذِ الشيطان عليك .. أنك تتثاقل طاعة ساعة .. ولا تمل لهو ولعب مائة ساعة وساعة!

تتثاقل عن قراءة صفحة من كتاب الله .. ولا تمل قراءة مائة صفحة من قصةٍ أو رواية!

إن راقبت فلماً أو مسلسلاً تلفزيونياً .. ألزمت كل من حولك بالصمت .. والهدوء .. والخشوع .. لتفهم الفلم ورسالته .. بينما إذا دخلت في الصلاة .. ووقفت بين يدي رب العباد .. لم تفقه من صلاتك شيئاً .. لأنك ـ وأنت في الصلاة ـ تفكر في كل شيء .. وتسمح لتفكيرك أن يسيح في كلِّ شِقٍّ ووادٍ .. إلا الصلاة .. وما تقتضي منك من خشوع وتأمل .. فإنها لا تحظى منك على شيء من ذلك!

إن صادفك موقف يوجب عليك أن تنفق في سبيل الله .. جبنت .. وتردّدت .. وأكثرت من الحسابات والتساؤلات .. بينما لم يحصل شيء من ذلك .. عندما تتوسع في الإنفاق على الكماليات .. والمباحات .. وما هو غير مباح!

فإن كنت كذلك؛ فاعلم أن الشيطان قد تمكّن منك .. واستحوذ عليك .. فبادر إلى مخالفته .. والتماس العلاج للتخلّص منه .. وسَلِ اللهَ العفو والعافية!

* * * * *

345- كلامُ السَّلَف وكلامُ الخلَف.

كلامُ السَّلف؛ أقلُّ كمَّاً .. لكنه أكثر نوعاً ودلالة .. وبركة وعطاءً .. بينما كلام الخلف؛ أكثر كمَّاً .. لكنه أقل نوعاً ودلالة .. وبركة وعطاءً.

القليل من كلام السَّلف يدل على المعنى الكثير .. والكثير من كلام الخلَف يدل على المعنى القليل .. حتى أن منهم من تقرأ له مائة صفحة .. أو تسمع لكلامه أكثر من ساعة .. ولم تستخلص من كلامه فكرة أو فائدة واحدة!

كلام السَّلف يميل إلى الإيجاز والإفهام .. بينما كلام الخلَف يميل إلى تعقيد المبَسَّط .. وتصعيب السَّهل .. وتَعسير المُيَسَّر .. وتكرار المكرر .. وتفصيل المفصّل .. وشرح المشروح .. إلى درجة الإطناب الممل .. والمخِل للمعنى .. فكثرة الكلام يُنسي بعضه بعضاً .. ويُنسي أوله آخره، وآخره أوله .. ويكون ذلك في الغالب على حساب وقت وظرف، وقدرات القارئ ـ أو المستمع ـ الاستيعابية!

كلام السّلف على قوة عباراته ومتانته .. وجماله .. وعلو فصاحته .. يميل إلى الوضوح والبساطة .. والسهولة .. والتيسير .. بينما كلام الخلف على ضعف عباراته .. ولغته، وفصاحته .. يميل إلى الغموض، والصعوبة .. والتعقيد .. وكأنك تتعامل مع رموز وطلاسم .. وألغاز .. وليس مع كلام عربي فصيح .. حتى أنك في كثير من الأحيان يصعب عليك أن تفهم ماذا يريد المتكلم ـ منهم ـ من كلامه!

هذا بشكل عام .. ولا ننفي وجود الاستثناء أو الشاذ من ذلك العام.

لذلك قلنا ونقول: أن كلام السَّلف الصالح .. هو الأسلم والأحكم .. والأجمل .. والأعلم .. والأطيب .. والأكثر بركة وعطاء .. وقد خاب وخسر من قدّم كلام الخلف على كلام السَّلف .. وفهم وفقه وعلم الخلف على فهم وفقه وعلم السَّلف!

* * * * *

346- حين يَغِيبُ الإنصافُ من العَالَمِ!

حين يسود الظلم .. ويغيب الإنصافُ من العالَمِ .. ومن المؤسسات الدولية العالمية المتنفّذة .. ويتساوى ـ في نظر تلك المؤسسات العالمية ـ الظالم مع المظلوم .. والجاني مع المجني عليه .. والمعتدي مع المُعتدَى عليه .. والقاتل مع المقتول .. وتُسمِّي الأشياءَ بغير مسمياتها .. وتُقلَب الحقائق والمعايير والموازين .. وتُكالُ الأمور بمكاييل عدة .. بحسب ما تقتضي مصالح الساسة الكبار .. وإن كان ذلك على حساب حقوق المستضعفين من الشعوب .. ليُصبح القاتل هو المقتول .. والظالم هو المظلوم .. والمظلوم هو الظالم .. والمعتدي هو المُعتدَى عليه .. والمُعتدَى عليه هو المعتدِي .. حينئذٍ لو وجد من الناس من يُعلِن الحرب على هذا العالَمِ الظالم كله .. وعلى تلك المؤسسات الدولية العالمية الظالمة كلها .. التي تُشرّع لذلك الظلم والقهر والاستعباد .. فإن حربه حينئذٍ ستكون مفهومة ومُتفَهّمة .. ولها مبرراتها .. ومسوّغاتها .. مهما اصطلح العالَمِ على تسمية حربه بغير اسمها الصحيح .. أو وصَفَها بأوصافٍ سلبية مُهينة!

* * * * *

347- لماذا يجب أن تقرأ ..؟

مهما قِيل عن علمك .. وأنك قد بلغت الدرجات العُلا في العلم .. فما تجهله أكثر بكثير مما تعلمه .. وأنت في النهاية ممن لم يُؤتَوا من العلم إلا قليلاً .. لذا يجب عليك أن تقرأ .. وأن تجعل من يومك نصيباً مفروضاً للقراءة.

يجب عليك أن تقرأ؛ لأن القراءة تُثري مخزونك اللغوي، والفكري، والثقافي .. وهذا مما يُعينك على الإعراب .. والبيان .. والعطاء .. والتجديد في العطاء.

يجب عليك أن تقرأ؛ لأن القراءة تصلك بالماضي .. وتجعلك تعيش وتفهم الحاضر .. وتُعينك على التخطيط للمستقبل.

ثم بعد ذلك ـ والأهم من كل ذلك ـ لأن الله تعالى قد أمر بالقراءة، فقال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾العلق:1. وهذا أمرٌ يعمُّ كلَّ قراءة نافعة.

لأجل هذه الأوجه مجتمعة قلنا لك: يجب عليك أن تقرأ .. وأن تستمر في القراءة إلى أن يتوفاك الله .. وأن تكون القراءة جزءاً من برنامجك اليومي .. الذي لا فكاك لك منه.

* * * * *

348- المرأة التي تتكلم عن حقوق النساء.

لا حرج ولا ضير أن تتكلم المرأة عن حقوقها، وحقوق أخواتها .. وتُطالِب بها .. لكن نصيحتي للنساء أن لا ينتدِبْنَ للكلام والذود عن حقوقهِنَّ الأصناف التالية من النساء: المرأة الفاشلِة في حياتها الزوجية .. والمرأة المترَجّلة .. والمرأة الفاسقة .. لأنهنَّ مرضى، وحاقدات، لا يُحسِنَّ تمثيل المرأة السويّة حق التمثيل .. ولا يُحسنَّ التحرر من مشاكلهن الشخصية .. والنفسية .. والعاطفية .. والتي تؤثر سلباً على لغتهنّ وخطابهنَّ، وطريقة سعيهِنّ في تحصيل الحقوق للمرأة .. فالمرأة من تلك الأصناف عندما تتكلم عن المرأة وحقوقها تُسيء للمرأة .. ولحقوقها أيما إساءة .. وتظلم المرأة .. وتزيد الظلم عليها .. من حيث تدري أو لا تدري!

وقد قيل من قبل: من لم يجد حكيماً ينتدبه ممثلاً عنه .. فليمثل نفسه بنفسه .. ولا يسمح لغيره بأن يتكلم نيابة عنه!

* * * * *

349- ماذا يريد الرجل من المرأة؟!

كتبت إحدى الفاشلات في مقالة لها عن الرجل ـ بصيغة التعميم من دون استثناء ـ ماذا يريد الرجل من المرأة .. فقالت مستنكرة ومستهجنة .. وساخرة: إنه يريد منها أن تكون المرأة الخارقة .. والزوجة الحبيبة والعشيقة .. والأم الحنون .. والطفلة الشقيّة اللعوب المندفعة وراء جنونه .. والحكيمة العاقلة الرزينة .. الطبيبة والممرضة .. الساهرة على راحته، وإشباع رغباته .. مديرة منزل ممتازة .. وخادمة نشيطة .. وطاهية ممتازة .. ذكية لطيفة .. مرحة فكاهية .. مثقفة بليغة .. إلى آخر القائمة التهكمية بالرجل وأطماعه!!

وأنا أقول لهذه الكاتبة ـ ولمثيلاتها من الكاتبات الفاشلات ـ كذبتِ: الرجل يريد من المرأة أن تكون قصيرة اللسان .. فلا ترد على الكلمة بمائة كلمة .. وكأن لسانها مُندَلِقٌ أمامها أمتاراً!

يريد منها الصفات التي ذكرها النبي ﷺ في حديثه الشريف:" خير نسائكم الودود، الولود، المواتِيَة، المواسية، إذا اتقين الله ".

فإن لم تكوني ـ أيتها الكاتبة ـ من هذا الصنف النبيل الرفيع من النساء .. فاصمتي .. وأقصري .. وأفسحي الطريق لغيرك من النساء .. ولا تُسيئي إليهنّ .. وتُحْدِثي فتنةً بينهنّ وبين شقائقِهن من الرجال .. ألم أقل لكم ـ في مقالتي السَّابقة ـ أن من النّساء إذا تكلَّمْنَ عن حقوق المرأة يُسِئن لحقوقِ المرأة!

* * * * *

350- لكي تَسْلَم ..!

لكي تَسْلَم من الغَدر .. والطعن في الظهر .. والوقوع في الحفر .. قدِّمْ إساءة الظن ـ بمن حولك ـ على تحسين الظن إلى أن يثبت لك العكس ..!

فإن قلت: ولكن هذا بخلاف المتفق عليه، والمعمول به، والذي ينص على أن الأصل في الناس البراءة حتى يثبت العكس!

أقول: قولك هذا صحيح عندما تريد أن تصدر حكماً معيناً على شخص معين .. وهذا شيء تلزمك فيه البيّنة .. بينما تقديم إساءة الظن إلى أن يثبت لك العكس ـ الذي يحملك على أن تحطات لنفسك ودينك ـ لكي تسلم من الغدر والطعن في الظهر .. شيء آخر .. لا يُشترط له البيّنة.

وأقول كذلك: زمن تقديم تحسين الظن على إساءة الظن له بيئته المؤمنة الطاهرة .. السليمة .. التي تخضع لحكم وشرع الله ﷻ .. وهذا ما نفتقده في هذا الزمان .. حيث أننا ـ وللأسف ـ نعيش في بيئة هي أقرب إلى بيئة الغاب؛ المليئة بالوحوش والأفاعي التي تكمن لك في كل زِقٍّ .. وحفرةٍ .. ومنعطف .. لا تدري من أين، ومتى تأتيك الطعنات واللدغات القاتلات!

من هنا جاء توجيه المولى ﷻ باجتناب كثير من الظن .. وليس كل الظن .. لأن من الظن ما ينفع صاحبه .. وبخاصة عندما يفترش المرءُ أرضاً مليئة بالسِّباع .. والسَّعابين .. والعقارب اللاسعة .. وفي الأثر:" من لا ينفعه ظنُّه لا تنفعه عينُه "!

هذه نصيحتي لك .. إن شئت فاعمل بها .. وإن شئت فدعها .. ولكنك عندما تقع .. وتُلدَغ من جحرٍ واحدٍ مرات ومرات .. فلا تلومَنَّ إلا نفسَك!

* * * * *

351- الحاكِمُ وشَعبُهُ.

فقد تأمَّلت حالَ الحكامِ وشعوبهم .. فرأيتُ أن الحاكمَ الظالم الفاسد سيئة من سيئات شعبه .. يُعاقبهم الله به .. وأن الحاكمَ العادلَ حسنةٌ من حسنات شعبه .. يُكافئهم الله به .. وأن التغيير من حال إلى حال لا

يكون إلا بعد أن يغير الناس ما بأنفسهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّه لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾؛ من الخير إلى الشرّ، أو من الشرِّ إلى الخير ﴿ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾الرعد:11.

وفي الحديث الضعيف:" كما تكونوا يُولَّى عليكم ". فالحديث وإن كان ضعيفاً من حيث السند إلا أن معناه صحيح، والله تعالى أعلم.

* * * * *

352- ظاهرةٌ طبيعيّة.

قد تأملت أبناء غالب الحيوانات .. الكاسرة المتوحشة منها والأليفة .. فألفيتها كلها تلازم أمهاتها في الحِل والترحال .. دون آبائها .. أو الذكور منها .. كما أن الأمهات من تلك الحيوانات يلازمن أبناءهن .. ويقمن بواجب الرعاية لهم .. من دون الآباء أو الذكور منها!

فقلت: يا سبحان الله .. هذا القانون يجري على جميع الخلائق .. حتى الدواب والحيوانات منها .. فالأمهات أشد رأفة ورحمة بالأبناء .. إلا الشاذات من نساء هذا الزمان .. المتحررات والمتفلتات .. يردن أن يتحررن من حضانة أطفالهنّ .. فيتركن رعاية وحضانة الأبناء للآباء .. أو لغيرهم من الناس .. لكي يخرجن ويضربن في الأرض فساداً .. تحت زعم عمل المرأة .. وحرية المرأة .. وحقوق المرأة!

فيا أيتها المرأة المتحررة .. أترضين أن تكون الوحوش الكاسرة أرحم لأبنائها .. مِنكِ لأبنائك .. وأكثر شعوراً بالمسؤولية نحو أبنائها .. منكِ نحو أبنائك؟!

* * * * *

353- عندما تكون المرأةُ أكثر تحصيلاً من الرجل.

في غالب الأحيان يكون الرجل أكثر تحصيلاً للشهادات العلمية .. وأكثر ثقافة وعلماً .. من زوجته .. ومع ذلك فالحياة الزوجية بينهما ـ في الغالب ـ تكون طبيعية .. وعادية .. يسودها الود والتفاهم والإنسجام .. ومن دون مَنٍّ ولا أذى .. ولا ترفّع .. من قِبل الزوج.

بينما عندما تكون المرأة أكثر تحصيلاً أو ثقافة من زوجها .. فالحياة الزوجية حينئذٍ ـ في الغالب ـ يسودها النَّكد والاستعلاء .. والإذلال والترفّع والتباهي من قِبل المرأة .. وهي إلى آخر عمرها مع زوجها تندب حظها .. وتشكو قدَرَها .. لا تفتأ تذكّره ـ عند أدنى خلاف وأحياناً بلا خلاف ـ بالفارق العلمي والأكاديمي بينهما .. وأنها أكثر منه تحصيلاً .. وعلماً .. ومع ذلك قد صبرت عليه .. ورضيت به .. ولا يخرج عن هذه القاعدة إلا القليل القليل من النساء!

لماذا .....؟!

أُمسِكُ عن الجواب حتى لا أُفهَم خَطأً ...!

* * * * *

354- تَمَنَّع وهي راغبة!

ظلّت امرأة تشكو زوجها لي ـ ولغيري ـ لأكثر من ثلاث سنوات .. فلم تدع نقيصة إلا وألصقتها به .. دائمة التذمر والشكوى منه .. وأنها أعلى منه مرتبة .. وتديناً .. وثقافة .. فما هو الحل .. وكيف الخلاص من هذا الواقع المرير؟!

فأرشدتها إلى الحل .. بل إلى جملة من الحلول .. ليس منها الطلاق والفراق .. لكن كلها لم تُجدِ معها نفعاً .. فاستمرت المرأة في الشكوى .. والبكاء .. والندب على سوء الحظ!

فما كان من الرجل ـ لكثرة ما شكته وتشكو منه ـ إلا أن طلقها .. فلما طلقها .. وبلغها قرار الطلاق .. بكته بكاء شديداً .. وأخذت تحتال وتفكر كيف تُثنيه عن الطلاق!

قلت: يا سبحان الله .. تتمنّع وهي راغبة .. تترفع على زوجها ونفسها فيه .. وما أكثر اللاتي يفعلن ذلك من نساء هذا الزمان .. ويكون ذلك على حساب سلامة البيوت .. وتنشِئة الأبناء تنشئةً سويَّة صالحة!

* * * * *

355- إيَّاكَ وما يُعتَذَرُ منه!

ليست البطولة أن تعتَذر .. وأن تُعرِّض نفسك لكثرة الاعتذار .. ودواعي الاعتذار .. وإنما البطولة أن تصون نفسك عن مواطن الزَّلل .. وأن لا تضطرها للاعتذرا .. وللمواقف التي تجبرك على الاعتذار .. وتكرار الاعتذار!

وفي الحديث، أن رجلاً قال: أوصني يا رسولَ الله وأوجِز! فقال ﷺ:" عليك بالإياسِ مما في أيدِي الناس، وإيَّاك وما يُعتَذَرُ منه ". أي لا تُعرّض نفسك للمواقف الخاطئة التي تضطرك للاعتذار ممن قد أخطأت بحقهم!

* * * * *

356- كُفرانُ العَشِير!

كفران ونكران العشير .. وفضل ونعمة العشير .. صفة هي ألصق بالنساء منها بالرجال .. ولا يلزم من ذلك تعميم هذه الصفة على جميع النساء .. لكن أيضاً لا يُستثنى الرجال من هذه الصفة .. فليس كل الرجال ـ لكونهم رجالاً ـ بمنأى عنها .. إذ أن منهم من يَكفر نعمة ومعروف الزوجة .. لأدنى سبب .. وأحياناً بلا سبب ..

فالمرأة تحسن عشرته .. وتسهر على راحته وخدمته .. وتفني جسدها في تنشئة وتربية أبنائه .. وتجميل بيته .. وتعيش معه دهراً طويلاً من العمر .. فتشاركه الحلوة والمرة .. ثم هو بعد ذلك ـ لأدنى سبب ـ يلفظها .. ويرميها .. ويلعنها .. ويُكثِر من شكايتها .. وينسى معروفها وفضلها .. ويكفر نعمتها .. ويقول لها: ما رأيت منكِ خيراً قط .. ما رأيت منكِ إلا شرَّاً .. نعم يوجد ـ وللأسف ـ من رجالات هذا الزمان الأنانيين الكثير ممن يفعلون ذلك .. وهؤلاء فيهم خصلة كفران العشير سواء علموا بذلك أم لم يعلموا!

قال تعالى: ﴿وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾البقرة:237. وهذا خطاب يُعنى منه الرجال والنساء سواء؛ فكما لا يجوز للمرأة أن تَنسى وتُنكر فضل الزوج عليها .. كذلك الرجل لا يجوز أن ينسى وينكر فضل الزوجة عليه .. وما كان بينهما من فضل وعشرة وخير متبادل .. وبخاصة عند حلول الخصام والاختلاف .. حيث يَعزّ العدل والإنصاف!

* * * * *

357- الأشَدُّ سَفَاهةً!

هو الذي يُسَاقُ له الخير كله .. ثم يَكْفُرُه ولا يَشْكُرُه .. ولا يَعرفُ له قَدْراً!

هو الذي يُسَاق له الخير كله .. ثم هو لا يحسِن كيف يتصرّف بهذا الخير .. ولا كيف يستفيد منه أو يتمتّع به!

هو الذي يُسَاق له الخير كله .. ثم هو ـ بسوء أخلاقه وإدارته ـ يهدره .. ويُهلِكه في كل وادٍ .. وسبيل .. وفيما لا نفع به .. ومن دون أن يفكر بعواقب ما تجني يداه .. وما قد سيؤول إليه أمره من ندم .. ولات حين مندم!

هو الذي يُغلِق دونه أبواب الخير بعد أن فُتِحت عليه .. ثم يحسب أنه قد أحسن صُنعاً!

هو الذي لم يترك له السَّفَه صاحباً ...!

فمن كان كذلك فهو الأشدُّ سَفَاهةً .. وعليه وعلى أمثالِه يُحمَل قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ﴾النساء:5.

* * * * *

358- الرَّجلُ المحكوم!

إذا رأيت الرجل يكثر من الاستدلال في مجالسه، وأحاديثه بزوجته، وبكلماتها .. وفي محضرها وعلى مسمع منها وفي غيابها .. فيقول: قالت أم فلان .. أو كما قالت أم فلان .. فعلت أم فلان .. ذهبت أم فلان ..

صدقت أم فلان .. فاعلم أنه محكوم من زوجته .. لا فكاك له من سلطانها عليه .. على مدار السّاعات والدقائق .. فإن زعم بلسانه خلاف ذلك فاعلموا أنه يَتشبَّع بما لم يُعطَ، وبما ليس فيه!

* * * * *

359- ﴿ هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾الشعراء:79.

﴿هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾؛ على المعنى الظاهر والحرفي للإطعام والإسقاء؛ فكما أن الله تعالى هو الذي يخلق الطعام والماء .. وهو الذي يخلق ويسخَّر لهما الأسباب العديدة ليوجَدا في حالة صالحة للتناول .. وهو الذي يسهّل بلوغهما إلى الإنسان من غير مشقة كبيرة ولا نصَب .. فهو كذلك الذي يُطعم ويسقي إلى آخر مراحل الإطعام والإسقاء؛ فهو ﷻ الذي يأذن بأن يُرفَع الطعام والماء إلى فَمِ عبده .. ويُعِين على ذلك .. وعلى مضغه وازدراده .. ثم يأذن له بأن يسري سائغاً بسلام إلى أن يستقر له في معدته .. ثم يأذن للمعدة بأن تأخذ من الطعام والشراب ما ينفع صاحبها .. وتلفظ وتُخرِج ـ من خلال السبيلين ـ ما لا ينفعه .. وفي كل مرحلة من مراحل تناول الطعام .. ولكي ينتقل الطعام وكذلك الشراب من مرحلة إلى أخرى لا بد له من إذنٍ بالمرور والعبور من الخالق سبحانه وتعالى.

كان رسولُ الله ﷺ إذا أكلَ أو شَرِبَ قال:" الحمد لله الذي أطعَمَ، وسَقَى، وسوَّغَه، وجعَلَ له مخرَجاً ".

قولوا لي: كم هم الذين يجدون الطعام والشراب .. لكن لا يستطيعون تناولهما أو أن يرفعوهما إلى أفواههم .. السبب أن الذي يُطعِم ويَسقي لم يأذن أن يصلهم الطعام .. أو أن يُرفع إلى أفواههم!

كم هؤلاء الذين يصل الطعام والشراب إلى أفواههم .. لكن لا يستطيعون أن يستسيغوهما .. ولو حاولوا .. لقاؤوا الطعام والشراب على الفور .. وخرج من أفواههم قبل أن يصل إلى معداتهم .. السبب أن الذي يُطعِم ويَسقي لم يأذن أن يستسيغوا الطعام .. ولم يسمح بأن يتجاوز الأفواه .. والحلاقيم!

كم هؤلاء الذين يصلهم الطعام والشراب .. ويتجرعونهما بسلام .. لكنهما لا يستقران .. ولا يستطيعان أن يستقرا بهناءة في المعدة .. إذ سرعان ما يخرجان .. ويقيئهما الإنسان .. والسبب أن الذي يُطعِم ويَسقي لم يأذن أن يستقر الطعام والشراب في المعدة .. لتكتمل عملية الانتفاع منهما!

أعرف تاجراً غنياً رأس ماله يتجاوز الملايين من الدنانير والجنيهات .. في موقف له مع عماله الفقراء وهم يتناولون وجبة غدائهم .. وكان عبارة عن فول وحمص يعلوهما زيت الزيتون .. وبجواره البصل اليابس المجفف .. وكانوا يتناولون طعامهم بشهية كبيرة، وبشراهة ممزوجة بالفرح بما يأكلون ... فقال لي التاجر وهو ينظر بحسرة إلى عماله الأكلَة: تعرف يا فلان .. لو أستطيع أن آكل طعامهم .. وعلى طريقتهم .. أُعطي نصف ما أملك .. لكنني لا أستطيع .. فالرجل مُبتلَى بمرض السكري الشديد!

فقلت له: نعم؛ لأن الذي يُطعِم ويَسقي .. لم يأذن لك ـ على ما تملك من مالٍ ـ أن تتناول هذا الطعام .... فلا تقدر!

قال: صدقت .....!

* * * * *

360- نزعةُ حُبِّ التَّشَفِّي والانتقام!

نزعةُ حبِّ التشفي والانتقام لها في النفس جاذبية قوية .. قد تعلو جاذبية الشهوات والنوازع الأخرى .. فمن ألجمها بالنَّقلِ والعقل سلِم .. وأمِن شرّها وغوائلها .. ومن ترك لها العَنَان .. وفقد السيطرة عليها .. أوردته المهالك .. والسجون .. وأفقدته كثيراً من الخيرات .. وربما كانت سبباً في أن يلقى حتفه باكراً ..!

من هنا جاء التوجيه الرباني يأمر ويحض على كبح جماح حب التشفِّي والانتقام .. فقال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾آل عمران:134. وما أقل من يقدر على ذلك!

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ النازعات:40-41. ومن نهي النفس عن الهوى؛ نهيها وتحريرها من أسر وضغط وملاحقة حب التشفي والانتقام .. وما أقل من يقدر على ذلك!

وقد جاء في الحديث الصحيح:" ليس الشديد بالصَّرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب " .. وما أقل من يقدر على ذلك!

وقال ﷺ:" من كظم غيظاً وهو قادرٌ على أن يُنفِذَهُ دعاهُ الله ﷻ على رؤوس الخلائق يومَ القيامة حتى يُخيِّرهُ الله من الحورِ ما شاءَ ".

* * * * *

361- أسيرُ حُبِّ التَّشفِّي والانتقام!

كل أسير يتحرر من أسره مهما طال أسره .. ومهما كان نوع أسره .. إلا أسير حب التشفي والانتقام .. فيظل يتلوَّى على فراشه الأيام .. والشهور .. والسنين الطوال ـ كأن في ظهره وخز الإبر والأشواك ـ أسير أحقاده .. وثاراته .. وحب الانتقام والتشفِّي .. لا يعرف الراحة .. ولا النوم .. ولا صفو البال .. إلى أن يشفي غليله وأحقاده بالانتقام .. والثأر .. ولو في الباطل .. وهذا فيه نوع عبودية لنفسه المليئة بحب التشفّي والانتقام .. وله حظ من قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾الفرقان:43.

وإني لأعرف رجلاً لشدة حقده، وما يجد في نفسه على شانئيه .. ينزف أنفه دماً .. لا يتوقف إلا بعد أن يُوغل في التَّشَفي .. ويشفي غليله بالانتقام ـ بحسب ما يقتضي المقام ـ ممن أثاره وأغضبه!

* * * * *

362- أسوأ الميسِر!

أن يُقامر المرء على ماله .. وأبنائه .. وبناته .. فيخسر ماله وأبناءه وبناته أمر سيء .. وسوءه معلوم .. لكن الأسوأ منه أن يُقامر المرء على آخرته .. وعلى الجنة أو النار .. فيراهن على الإيمان والكفر .. فيختار الكفر على الإيمان .. من قبيل المقامرة والمغامرة .. ليرى النتيجة بعد موته .. ويوم القيامة .. يوم لا ينفع مال ولا بنون .. يوم لا ينفع الندم .. يوم يعض الملحد على يديه حسرةً أن جعل آخرته عرضة للميسر والمقامرة كأي متاع .. يوم تَسوَدُّ وجوه المقامِرين .. يوم يُقال له إقرأ نتيجة مقامرتك ومغامرتك بنفسك: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾الإسراء:14.

وما أكثر الملحدين المقامرين المغامرين في هذا الزمان .. الذين أدمنوا المقامرة واللعب بالميسر .. الذين يتعاملون مع مسائل الإيمان والكفر .. مسائل الآخرة .. على أنها من جملة المسائل التي تقبل المقامرة .. والاختيار .. واليانصيب .. إما أن تربح وإما أن تخسر .. فيختارون الجحود .. والكفر .. والإلحاد .. على الإيمان .. ليُفاجَأوا يوم القيامة بسوء ووبال اختيارهم .. ومقامرتهم .. فهذا أسوأ الميسر وأضرَّه على صاحبه .. لو كانوا يعلمون!

* * * * *

363- فُشُو القَلَم.

قد كثر الكلام .. والقيل والقال .. وقلّت الأفعال .. انظروا كم يُكتب في اليوم .. وكم من مقال يُقال ويُكتب في اليوم .. وكم صفحة تُسوّد في اليوم .. لو قلنا بالملايين .. بل وعشرات الملايين .. لما أخطأنا في العدّ والحساب .. ولكن أين القرّاء .. وأين العاملون .. أين الأعمال .. والأفعال التي توازي الأقوال .. فهي قليلة جداً قياساً لما يُكتب أو يُقال!

وهذا من فشو القلم الذي أشار إليه النبي ﷺ في قوله:" بين يدي الساعة فشو القلم ...". ومن فشو القلم هذا الكم الهائل الذي يُطبع وينشر في كل يوم .. هذا التنوع الضخم في الأقلام ومتعلقاتها من المداد والأوراق .. فنحن حقاً نعيش زمن فشو القلم .. زمن ترف القلم .. وهذا من جملة دلائل نبوة سيد الخلق صلوات ربي وسلامه عليه .. حيث أنه ﷺ قال هذا الحديث الشريف في زمنٍ كانت أمة الإسلام أمة أميّة لا تعرف

القلم .. ولا كيف تستخدم القلم .. ولا كيف تقرأ ما يُكتب بالقلم .. صدق الله العظيم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾النجم:3-4.

* * * * *

364- الظلمُ في الدعاء!

كم من والدة ـ في لحظة غضب وانفعال ـ تدعو على ولدها بالموت والهلاك ..!

وكم من شخص يضيق صدره بمخالِفه، فيطالبه ـ لمجرد أن خالفه في مسألة أو وجهة نظر، قد يكون للمخالف وجهة نظر معتبرة وراجحة ـ بالمباهلة .. ويدعو عليه بالهلاك .. والموت .. والثبور .. وأن تنزل بساحته البلايا والمصائب!

وكم من حقود لأدنى خلاف أو مخاصمة مع مخالفيه .. يقوم في الليل ليدعو عليهم .. لا ينهضه من فراشه سوى الرغبة في الدعاء عليهم .. وهذا كله من الظلم والعدوان في الدعاء .. والله تعالى لا يحب الظلم، ولا الظالمين .. ولا يستجيب للظلم .. أياً كان نوعه أو كان سببه!

كما في الحديث القدسي:" يا عبادي إنِّي حرّمتُ الظلمَ على نفسي، وجعلته بينكم محرَّماً، فلا تظَّالموا " مسلم.

* * * * *

365- نِعمَةٌ يَغفَلُ عنها كثيرٌ من الناس!

مِن نِعَم الله العظيمة التي لم يقدر كثير من الناس قَدْرَها .. ولو ظلوا طيلة حياتهم ساجدين لله ﷻ لما وفَّوا حقَّها .. وهي أن الله تعالى قد سبقت رحمته غضبَه ونقمتَه، كما في الحديث الصحيح:" إن الله كتبَ كتاباً قبل أن يخلقَ الخلقَ: إن رحمتي سبقت غضبي، فهو مكتوب عنده فوق العرش"البخاري.

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه عدَدَ خَلقِه، ورِضا نفسه، وزِنَةَ عرشِه، ومِداد كلماته .. أن جعل ربنا ﷻ رحمتَه تسبق غضبَه .. تصوروا لو أن الأمر كان بالعكس؛ غضبه سبق رحمته .. ماذا سيكون حالنا .. وحال كوكبنا الجميل الذي نعيش فيه .. لربما كانت الزلازل والبراكين .. والكوارث لا تهدأ ولا تتوقف، ولا تجعل الإنسان يهنأ بعيش ولا حياة .. ولربما رأينا كثيراً من الناس تتطاير رؤوسهم عن أجسامهم وهم يمشون في الأسواق؛ يُؤخذون بذنوبهم ومعاصيهم في الحال .. لكن الحمد لله أن الله تعالى ـ على ما فينا من ذنوب وتقصير ـ يأخذنا ويعاملنا برحمته .. وأن رحمته سبقت غَضَبَه .. ما أجملها وأعظمها من نعمة لو كنتم تعلمون!

* * * * *

366- فِقْهُ الحَدَث.

من فقه ونباهة المرء أن يفقه الأحداث التي تنزل به .. وبساحته وبمن حوله .. ويفقه غاياتها .. ودلالاتها .. ومضامينها .. وعِظاتها .. والعِبر والدروس المستخلصة منها .. فلا يمر عليها مرور من لا يسمع ولا يُبصر، ولا يعتبر .. ولا يفقه شيئاً!

كم من حدَث بل كم من آية باهرة .. يمر عليها الناس .. وهم عنها وعن مضامينها ودلالاتها .. ساهون لاهون .. غافلون!

ما من حدَث ينزل بالمرء ـ سواء كان خيراً أم شرَّاً ـ إلا وله رسالة .. ودلالة .. وفيه عبرة وعِظة .. علمها صاحبها أم لم يعلمها .. والفقيه هو الذي يفقهها ويعرفها .. وينتفع بها .. ومن لم يعرفها حري به أن يسأل عنها أهل الذكر والفقه .. فيعرّفوه عليها!

عن مُحَمَّد بن سيرين أنه لما رَكِبَه الدَّين اغتمَّ لذلك، فقال: إني لأعرف هذا الغم بذنبٍ أصبته منذ أربعين عاماً!

تأملوا .. لم يدَع هذا الغم ـ الذي نزل به ـ يمر من دون مساءلة، وأن يعرف سببه .. والغاية منه .. فظل يُحاسِب نفسه ويُسائلها .. ويعود بها إلى الماضي .. حتى وجد أنه قد أصاب ذنباً قبل أربعين عاماً .. قد عُوقِب عليه بعد أربعين عاماً .. وهذا من فقهه وورعه رحمه الله.

بينما في زماننا يفعل المرء الموبقات والمهلكات من الخطايا والذنوب .. فإذا نزل به عقاب أو بلاء .. اعترض .. وسخط .. وأساء الظن بالله .. وتساءل عن سبب نزول هذا البلاء به!

* * * * *

367- لا تَقطَع رَحِمَك!

أعني لا تزوّج ابنتك أو من تلي أمرهن من النساء من فاسِقٍ ظالم .. لأنه لا يُراعي في رحمها حقَّاً ولا حرمة .. فتراه أول ما يقوم به .. ويهتم له في حياته الزوجية: كيف يستملك زوجته كما يستملكُ أيَّ متاع .. وكيف يفصلها عن رحمها .. وكيف يفصل ويُبعِد رحمها عنها .. وهو من أجل تحقيق ذلك لا يتورَّع أن يعصي الله فيها، وأن يختلق المشاكل والعراقيل .. والمرأة حينئذٍ لا تملك من أمرها شيئاً .. كما يصعب عليها الاختيار لو خُيرت بين رحمها وزوجها .. وقد أُثِر عن بعض السلف قولهم: "مَن زوَّج كريمته من فاسِقٍ فقد قطَعَ رحمها"؛ فمرادهم ما أشرنا إليه أعلاه ... فالحذَر، الحذر!

* * * * *

368- البريد.

صغائر الذنوب بريد إلى الكبائر، والكبائر بريد إلى الكفر، والكفر بريد إلى الخلود في النار.

والنَّظر بريد إلى العشق، والعشق بريد إلى القبلة والخلوة، والقبلة والخلوة بريد إلى الزنى، والزنى بريد إلى المرض، والمرض بريد إلى الموت .. والموت على معصية بريد إلى النار إن شاء الله .. فاتقِ الله يا عبد الله وليكن بريدك كله طاعة لله، وفي طاعة الله .. الذي يوصلك في النهاية إلى جنة عرضها السماوات والأرض.

* * * * *

369- رجالٌ صنعتهم الدعاية!

كم من رجل صنعت منه الدعاية الحكومية أو الحزبيّة رمزاً مقدّساً .. وعالماً كبيراً .. ومرجعاً لا يُعقّب عليه .. وسياسيّاً لا يُعلَم له نِدٌّ .. وعند المراجعة والتحقيق نجد هذا الرجل أو هؤلاء الرجال دون هذه المكانة التي صنعتها لهم الدعاية بكثير .. وأن مناهجهم .. ومواقفهم .. وكلماتهم التي قالوها وسطّروها .. مليئة بالأخطاء المنهجية والعقائدية والفكرية والسياسية التي لا تليق بطالب علم مبتدئ .. حديث التجربة في هذه الحياة!

حقاً الدعاية في زماننا .. تمارس دور السحرة في زمن فرعون!

* * * * *

370- الدُّنيا التي يتقاتل عليها الناس!

قال رسولُ الله ﷺ:" لو كانت الدُّنيا تَعْدلُ عند الله جَناحَ بعوضةٍ ما سَقَى كافراً منها شَربَةَ ماءٍ ".

وقال ﷺ:" ما الدُّنيا في الآخرةِ إلا كما يمشي أحدُكُم إلى اليمّ، فأدخَلَ إصبعَهُ فيه فما خرجَ منه فهو الدُّنيا ".

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال النبيُّ ﷺ:" إنّي لأعلمُ آخِرَ أهلِ النارِ خروجاً منها، وآخِرَ أهلِ الجنَّةِ دخولاً؛ رجلٌ يخرجُ من النَّار حَبْواً، فيقولُ اللهُ: اذهب فادخُلِ الجنَّةَ، فيأتيهَا فيُخيَّلُ إليه أنها مَلأى، فيرجِعُ فيقول: يا ربِّ وجدتُّها ملأى، فيقولُ: اذهب فادخُلِ الجنَّةَ، فيأتيها فيُخيَّلُ إليه أنها مَلأى، فيرجعُ فيقول: يا ربِّ وجدتُّها ملأى، فيقولُ: اذهَب فادخُلِ الجنَّةَ، فإنَّ لك مِثْلَ الدُّنيا وعشْرة أمثالِها، أو: إنّ لك مِثْلَ عَشْرَةِ أمثَالِ الدُّنيا، فيقولُ: تسْخَرُ مِنّي، أو تضحكُ مِنّي وأنتَ المَلِكُ ". فلقد رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حتى بدَت نواجِذُهُ، وكان يقول:" ذاكَ أدنى أهلِ الجنَّةِ منزِلَةً "متفق عليه.

سبحان الله ما أعظَمَه .. وما أعظمَ مُلْكَهُ .. وما أعظَمَ جزاءه .. إنه العطاء والجزاء الذي يليق بجودِه وكرمه .. وسعةِ مُلكِه .. وكمالِ أسمائه الحسنى وصفاته العُليا!

* * * * *

371- أَسرَقُ الناسِ وأبخَلُهم.

قال رسولُ الله ﷺ:" أسرَقُ الناسِ الذي يَسرقُ صلاتَهُ؛ لا يُتمُّ ركوعَها ولا سجودَها، وأبخلُ الناسِ من بخلَ بالسَّلام ".

* * * * *

372- شَبابٌ لا يتَّعِظ ولا يَستفيد!

من الشّباب من لا يُريد أن يتعظ ولا أن يستفيد من تجارب .. وأخطاء .. ومعاناة الآخرين .. ممن لهم سابقة تجربة وخبرة في هذه الحياة ودروبها .. ومناهجها .. فتراهم يريدون أن يجربوا بأنفسهم ما جربه الآخرون من قبلهم، ويكرروا أخطاءهم .. فيجربون مناهج ومسالك الإرجاء والتفريط كلها .. ثم بعدها ينتقلون ليجربوا بأنفسهم مناهج الغلاة والإفراط كلها .. ويعيشون كدر وقلق ومخاطر المنهجين .. وفي النهاية وبعد رحلتين طويلتين شاقتين محفوفتين بالخطر مع المنهجين المتناقضين ـ لمن سَلِم منهم وشاء الله له أن يَسلم ـ وبعد أن يكون قد مضى من العمر الشيء الكثير .. وذهبت مرحلة العطاء والشباب عند أكثرهم فيما لا نفع فيه .. يعودون إلى رشدهم وصوابهم من جديد .. إلى المنهج الوسط الحق ـ منهج أهل السنة والجماعة ـ من غير جنوح إلى إفراط ولا إلى تفريط .. وكانوا بغنى عن خوض غمار هذه التجارب التي لا تُؤمَن عواقبها .. والتي ضررها أكبر من نفعها .. لو اتّعظوا واستفادوا من تجارب وأخطاء الآخرين!

* * * * *

373- الذي لم يَمُتْ.

هو الذي تبقى آثاره النافعة تتحدث عنه وتُحيي ذكره واسمه بعد موته دهراً طويلاً .. ككتاب نافع يضرب الأمصار .. أو صدقة جارية .. أو جهاد في سبيل الله .. وغير ذلك من الأعمال الصالحة التي تُخلّد ذكر صاحبها على لسان الأجيال من بعده .. فيترحمون عليه .. ويثنون عليه خيراً .. ويبقى ذلك دهراً .. وما شاء الله له أن يبقى .. وفي الحديث:" أيما مسلمٍ شهدَ له أربعةٌ بخير أدخله الله الجنة"، فقلنا: وثلاثة؟ قال:" وثلاثة "، فقلنا: واثنان؟ قال:" واثنان "، ثم لم نسأله عن الواحد "البخاري.

كم من عالم عنده عدد من الأبناء .. فلم يخلدوا ذكره .. ولم يكونوا سبباً في تخليد ذكره واسمه .. بينما الذي خلّد ذكره بالخير بين الناس .. كتاب أو علم نافع تركه من بعده للناس .. فكان الكتاب النافع ـ من هذا الوجه ـ خيراً لصاحبه من الأبناء!

* * * * *

374- زيارة المستشفيات.

كما في زيارة المقابر والأموات عِظة وعبرة .. وتذكير بالآخرة .. وبهادم اللذات .. ولأجل ذلك قد رغَّب النبي ﷺ بزيارتها .. كذلك زيارة المستشفيات .. ومشاهدة من فيها من المرضى .. يُذكّر الزائر بفضل الله عليه .. وبنعمه الوافرة عليه التي لا تُحصى .. وأنه كان من الممكن أن يكون واحداً من هؤلاء المرضى .. طريح الفراش مثلهم لا يقوى على الحراك .. ولا على الانتفاع أو التلذذ بشيء من نعم الحياة .. لولا فضل الله عليه .. وأن الله تعالى قد سلَّمه وحفظه .. وهذا مما يحمله على شكر الله، ومداومة الشكر .. والعرفان بفضل الله عليه .. هذا غير الأجر الذي يناله بسبب زيارته للمريض، كما في الحديث:" مَن عادَ مريضاً لم يَزَل يخوضُ في الرحمة حتى يجلس، فإذا جلَسَ اغتمَسَ فيها ".

لأجل ذلك يُستحسَن للمرء .. بين الفينة والأخرى .. وكلما غلبه النسيان .. أو شعر بالجفاء وقساوة القلب .. أن يزور المستشفيات .. ويتفقد بعض من فيها من المرضى .. ويدعو لهم .. حتى لو لم يكن بينه وبينهم سابق معرفة.

* * * * *

375- لا تنقلوا القَيءَ والبَعْرَ!

بعض الإخوان ـ لقصد صالح ـ ينقلون لنا ما يصدر عن بعض أهل البدع والأهواء .. والإرجاف .. لكي ننشغل بالرد عليهم وعلى كلماتهم!

ولهؤلاء الإخوان ـ حفظهم الله ـ أقول: ليس كل ما يصدر عمَّن تتآكلهم البدع والأهواء .. والمذاهب المنحرفة الضالة .. يُستحسن نقله .. أو الانشغال به .. ليس كل قَيءٍ أو بَعْرٍ يصدر عن هؤلاء القوم يجوز أن يُحمَل أو أن يُنقل .. أو أن يُشَاع .. لأن في نقله، والانشغال بالرد عليه .. إذاعة للبدعة ذاتها .. وتعريف الناس بها وبصاحبها .. كما فيه أذى للناس .. ولعقولهم .. وأذواقهم .. وهذا مطلب يستشرف له أهل الأهواء والبدع، والإرجاف .. ويدفعون في سبيله الغالي والنفيس .. فلا ينبغي أن نحققه لهم بسهولة .. ومن دون ضرورة ملحة .. وضمان أن تكون المصالح راجحة على المفاسد.

ثمَّ أن القافلة تسير والكلاب تنبح .. فليس كل نُباحٍ يُستحسَن الالتفاتُ إليه!

* * * * *

376- جمالُ الطبيعَةِ وعظَمَةُ الكونِ!

مما يُنعِشُ القلبَ .. ويُريح النفسَ .. ويرد لها عافيتها ونشاطها .. استنشاقُ نسمة هواء نقية منبعثة من تمايل أغصان الأشجار، أو حركة تدافع أمواج البحر، أو عَبَقِ الأزهار والورود .. وإرسال النظر والفكر في جمال الطبيعة الخلابة في مناظرها وتقسيماتها؛ في البحار، والأنهار، والأشجار، والجبال، والسهول، والوديان .. وما يسكنها من أسماك، وحيتان، ودواب، وأنعام، وطيور .. وغير ذلك من مخلوقات الله العجيبة الفريدة .. وإعمال الفكر والنظر في عظمة هذا الكون .. وما أودع الله فيه من آيات وكائنات وجمال .. يحملك راغباً، أن تقول: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم!

هذه الأرض بجمالها الخلاب الأخَّاذ للقلوب .. ومعها السماوات وما فيهن من آيات باهرات .. هي المعرَض البديع الفريد الذي عرَضَه الله علينا .. وأمرنا أن ننظر فيه نظر الاعتبار .. والتأمل .. والتدبر .. لا نظر الغافلين المعرضين .. لنعلم أنه الحق ﷻ، وأن ما سواه فهو الباطل، كما قال تعالى: ﴿قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾يونس:101. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾الأنعام:99.

ما أكثر الآيات الباهرات .. التي أُمرنا بأن ننظر إليها .. وما أقل المعتبرين والمستفيدين منها!

* * * * *

377- لكي تَظهَر عبر وسائل إعلامِ الطغاة!

لكي يحتفي بك الطاغية ـ كداعية ـ ويُظهرك عبر وسائل إعلامه .. ويُسخّر لك إمكانياته .. وقدرات دولته .. ويُجيّش لك أتباعه وأبواقه .. يَلزمك أمران: أن تمسك عن تكفيره، وترى فيه حاكماً شرعياً على البلاد والعباد .. ولا يضره منك بعد ذلك لو فسَّقتَه أو ضللته أو خطأته .. وأن تمنع الأمة ـ بتلبيساتك وتدليساتك ـ من الخروج عليه .. أو من التفكير في الانتصاف لحقوقها منه .. فإن فعلت ذلك فأنت إذاً العلامَةُ الفهَّامَة .. ومن المقربين للطغاة .. ولبلاطهم!

لكن اعلم ـ في نفس الوقت ـ أنك بذلك قد ازددت من الله ورحمته بعداً .. كما في الحديث:" ما ازدادَ أحدٌ من السلطان قُرباً إلا ازدادَ من الله بُعداً ". هذا في السلطان .. فكيف إذا كان هذا السلطان طاغية من الطغاة الذين يُحادّون الله ورسولَه ..؟!

من تلبيس إبليس على بعض هؤلاء الدعاة الذين ازدادوا من الطغاة قرباً .. وازدادوا من الله بُعداً .. أنهم يفسرون القبولَ الآتي لهم من قِبل الطغاة وقصورهم .. ومحافلهم .. وجنودهم .. أنه علامة على القبول لهم في السماء .. وأن الله تعالى قد وضع لهم القبول في الأرض .. وهذا لعمر الحق عين الجهل والضلال .. لو كانوا يعلمون!

* * * * *

378- علاماتُ القبول في السماء والأرض.

للقبول في السماء والأرض علامات، بها يُعرف من وُضِع له القبول ممن سواه، منها: ثناء أهل الحق والتوحيد مهما قلَّ عددهم أو وجودهم في الأرض .. وكثر مخالفوهم .. فإن من الأنبياء من لم يؤمن به إلا الرجل الواحد .. فالعبرة بنوعية المثني .. وليس بعددهم بعيداً عن النوع!

ومنها: حسن الخاتمة .. فمن أحبه الله ـ وأراد له القبول في الأرض وفي السماء ـ استعمله بأحب الأعمال إليه قبل موته .. نسأل الله تعالى لنا ولكم حسن الخاتمة.

ومنها: مباركة آثاره وأعماله الصالحة ـ بعد موته ـ أكبر زمن يشاؤه الله .. والتي تحبب به الناس .. وتستجلب إقبالهم على آثاره وعلمه .. ودعاءهم له .. فالعبرة في القبول وعدمه يُعرَف بمدى ومقدار الزمن الذي يُوضع فيه القبول .. يُعرف بعد الموت، وليس فقط قبل الموت.

كم من عالم مات غريباً .. وحيداً .. سجيناً .. طريداً .. ثم ـ بعد موته ـ وضع الله له ولآثاره وعلمه القبول في الأرض .. وأجرى الثناء الحسن له على ألسنة الناس .. ولقرونٍ عدة .. شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ مثال على ذلك .. وما أكثر الأمثلة الدالة على ذلك لو أردنا الاستدلال والاسترسال!

وفي المقابل كم من طاغية ظالم هتفت باسمه الجماهير والملايين المملينة من الناس .. وفدوه ـ في حياته ـ بالروح والدم .. ثم لما مات وهلَك .. ومضى على موته أيام قلائل .. هتفوا بلعنه .. وسبه .. ونَسَوه .. وتبرؤوا منه، ومن أعماله .. وكأنه لم يكن موجوداً بينهم .. وما أكثر الأمثلة الدالة على ذلك لو أردنا الاستدلال والاسترسال!

* * * * *

379- الحيَاءُ والخَجَل.

في كثير من الأحيان يُستخدَم الحياءُ في موضع الخَجَل، والخجَل في موضع الحياء .. ويُحمل أحدهما على معنى الآخر .. والصواب أنه يوجد فرق بينهما:

الحياءُ: خُلُقٌ إيجابي ممدوح؛ يمنع صاحبه من مقارفة ما يُشِينُه في دينه وأخلاقه، ومروءته .. حياءً من الله ومن عباد الله .. وهو كله خير؛ لا يأتي لصاحبه إلا بالخير .. وقد عدَّه النبي ﷺ شُعبةً من شعب الإيمان.

إذا قوي الحياءُ .. قويت بقوته مناعة الإنسان في مواجهة المحظورات .. والمنكرات .. وضعفت جرأته على مقارفة الحرام.

والمرء كلما ضعف حياؤه كلما ازدادت جرأته على مقارفة المحظورات .. فإذا انتفى الحياء مطلقاً .. انتفت بانتفائه المناعة مطلقاً .. وأصبح المرء حينئذٍ لا يأبه ولا يُسَاء إذا ما ارتكب المنكرات والسيئات .. وطاوع شهواته في الحرام جهاراً نهاراً .. لذا قد جاء في الحديث:" إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت "البخاري. فإذا كنت لا تستحي من الله .. ولا من عباد الله .. فما الذي يمنعك أن تصنع ما شئت؟!

أما الخجَل: فهو خُلُق سلبي مذموم؛ من معانيه وآثاره الحيرة والدهشة، والاستكانة، والذِلّة .. يحمل صاحبه على الانكماش في موضع الانبساط، والاحجام في موضع الإقدام، والجبن في موضع الجرأة والشجاعة، والسكوت في الموضع الذي يتعين أو يُستحسن فيه الكلام .. تُنتَهك حرماته .. ويُغتصَب حقه .. ويبقى ساكناً لا يتحرّك ولا يتكلم خوفاً وخجَلاً .. وقد جاء في الحديث:" لا يمنعنَّ رجلاً هيبةُ الناسِ أن يقولَ بحقٍّ إذا علمَه؛ فإنه لا يُقرِّبُ من أجلٍ ولا يُبعِد من رِزقٍ ".

وقال ﷺ:" لا يَحْقِرَنَّ أحدُكُم نفْسَه" قالوا: يا رسولَ الله كيف يحقِرُ أحدُنا نفسَه؟ قال:" يرى أمراً لله عليه مقالاً ثمّ لا يقول فيه، فيقول الله ﷻ يوم القيامة: ما منعك أن تقولَ فيَّ كذا وكذا؟ فيقول: خشيةَ الناسِ، فيقول: فإيايَ كُنتَ أحقَّ أن تخشَى ".

* * * * *

380- أثَرُ المعصيةِ وعواقِبُها.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾الشورى:30.

قال رسول الله ﷺ:" لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرقُ السارقُ حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يقتل وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد "متفق عليه.

وقال ﷺ:" إن العبد إذا أخطأ خطيئة ـ وفي رواية: إذا أذنب ذنباً ـ نُكِتت في قلبه نُكتةٌ سوداء، فإذا نزع واستغفر وتاب سُقل قلبه، وإن عادَ زيدَ فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾المطففين:14.

وقال ﷺ:" تُعرَض الفتنُ على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلبٍ أُشربها نُكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلبٍ أنكرها نُكتت فيه نكتة بيضاء، حتى يصير على قلبين: أبيض بمثل الصفا فلا تضرُّه فتنةٌ ما دامت

السماوات والأرض، والآخر أسود مرباداً ـ أي صار كلون الرماد من الربدة ـ كالكوز مجخيَّاً ـ أي مائلاً منكوساً ـ لا يعرف معروفاً ولا يُنكر منكراً إلا ما أُشرِب من هواه "مسلم.

وقال ﷺ:" يا معشَرَ المهاجرين، خمسٌ إذا ابتُليتم بهنّ، وأعوذُ بالله أن تُدركوهن: لم تظهر الفاحِشةُ في قومٍ قط حتى يُعلِنوا بها إلا فشا فيهم الطّاعون والأوجاعُ التي لم تكن مَضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيالَ والميزانَ إلا أُخِذوا بالسِّنين وشدَّةِ المؤنة وجور السلطانِ عليهم، ولم يمنعوا زكاة مالهم إلا مُنِعوا القطرَ من السماءِ، ولولا البهائم لم يُمطَروا، ولم ينقضوا عهدَ اللهِ وعهدَ رسولِه إلا سلّطَ اللهُ عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعضَ ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتابِ الله ويتخيّروا مما أنزل اللهُ إلا جعل اللهُ بأسَهم بينهم ".

وقال ﷺ:" إذا ظهرَ السوءُ في الأرض أنزلَ اللهُ بأسَه بأهلِ الأرضِ، وإن كان فيها قومٌ صالحون يُصيبهم ما أصابَ الناس، ثم يرجعون إلى رحمة الله ومغفرته ".

وقال ﷺ:" إنَّ الناسَ إذا رأوا الظالمَ فلم يأخذوا بيده، أوشَكَ أن يعمَّهم اللهُ بعقابٍ منه ".

وقال ﷺ:" الإثمُ حَوَّازُ القلوبِ، وما من نظرةٍ إلا وللشيطان فيها مَطمَعٌ ".

وقال ﷺ:" إنَّ الرجلَ ليُحرَم الرزقَ بالذنبِ يُصيبُه ".

وقال ﷺ:" الربا وإن كَثُرَ فإنَّ عاقبته تصيرُ إلى قُلٍّ ".

وقال ﷺ:" ما اختَلَجَ عِرْقٌ ولا عينٌ إلا بذَنبٍ، وما يَدفعُ اللهُ عنه أكثر ".

قال علي بن أبي طالب ﷺ:" ما نزَلَ بلاءٌ إلا بذنبٍ، ولا رُفِعَ إلا بتوبةٍ ".

وكتبت عائشة ﷺ إلى معاوية:" أمّا بعد، فإن العبدَ إذا عملَ بمعصية الله عادَ حامده من النَّاس ذامّاً ".

وقال أبو الدرداء:" ليحذَر امرؤ أن تلعنَهُ قلوبُ المؤمنين من حيث لا يشعر؛ يخلو بمعاصي الله، فيُلقِي اللهُ بُغضَهُ في قلوبِ المؤمنين من حيث لا يشعر ".

وعن ابن عباس قال:" إن للحسنة ضياءً في الوجه، ونوراً في القلبِ، وسِعةً في الرزقِ، وقوةً في البدَن، ومحبةً في قلوبِ الخَلْقِ، وإنَّ للسيئةِ سواداً في الوجهِ، وظُلمةً في القلبِ، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزقِ، وبغضةً في قلوبِ الخَلْقِ ".

قال الإمامُ مالك للإمام الشافعي ـ لما رأى من وفور فطنته، وتوقد ذكائه، وكمال فهمه ـ: "إنّي أرى اللهَ قد ألقَى على قلبِكَ نوراً، فلا تُطفئه بظلمةِ المعصية ".

وقال بعضُ السلف:" إنّي لأعصي الله فأرى ذلك في خُلُقِ دابَّتي وامرأتي ".

وقال أبو هريرة:" إن الحَبارَى لتموتُ في وكرها من ظلم الظالم ". والحَبارَى طائرٌ طويل العُنُق.

وقال مجاهد:" إنّ البهائم تلعنُ عصاةَ بني آدم إذا اشتدَّت السَّنَةُ، وأَمسكَ المطرُ، وتقول: هذا بشؤم معصية ابن آدم ".

وقال عكرمة:" دوابُّ الأرضِ وهوامُّها حتى الخنافس والعقارب يقولون: مُنِعنا القطرَ بذنوبِ بني آدم ".

وقال الحسن البصري:" إنَّهم وإن طقطقَت بهمُ البغالُ وهملجَت بهم البراذين ـ نوع قوي من الخيول والبغال ـ إنَّ ذلَّ المعصيةِ لا يُفارقُ قلوبَهم، أبى اللهُ إلا أن يُذلَّ من عصاهُ ".

وقال عبد الله بن المبارك:

رأيتُ الذُّنوبَ تُميتُ القلوبَ .... وقد يُورثُ الذُّلَّ إدمانُها

وتركُ الذُّنوبِ حياةُ القلوبِ .... وخيرٌ لنفسِكَ عِصْيانُها

* * * * *

381- ليس لكنَّ أن نَتوسَّطْنَ الطريقَ!

من العادات الخاطئة المستوردة لنسائنا من بلاد التحلّل والتفسّخ .. أننا نجد المرأة ـ بكل جرأة ووقاحة ـ تتوسّط الطريق .. فتفرق المشاة من الرجال عن اليمين وعن الشمال .. تظل واقفة في وسط الطريق المزدحم بالمشاة .. مع علمها أنها بذلك قد تلامس الرجال .. والرجال قد يلامسونها .. ويرتطمون بها .. ومع ذلك فهي لا تتحرّك .. ولا تُبالي .. ولا تُفسِح الطريق للمشاة من الرجال إلا بعد أن يُقال لها .. لو سمحتي .. من فضلك .. أفسِحي .. وبعد كل تلك العبارات، قد تتحرك شبراً أو فتراً!!

وهذا ليس من حقكنّ أيتها النساء .. لما في ذلك من فتنة .. وأذى لكنَّ .. وللمارة من الناس سواء .. ولورود النهي عن ذلك، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال للنساء وهو خارج من المسجد، فاختلط الرجال مع النساء في الطريق:" استأخِرن فإنه ليس لكنَّ أن تحقُقْنَ ـ أي تتوسَّطْنَ ـ الطريقَ، عليكنَّ بحافَّات الطريق ". أي بالجوانب والأطراف .. فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به.

رحم الله نساء ذلك الزمان .....!

* * * * *

382- لِكَي يهون عليك البلاءُ.

لكي يهون عليك البلاء، وتخف عليك وطأته، عليك النظر إلى أمور عدة:

منها: أن تستقبل البلاء .. بالصبر .. والحمد .. والشكر .. والرضا .. وإياك ثم إيّاك من التسخّط والاعتراض .. فإن التسخط والاعتراض قد يُبطل أجرك .. كما يُضعف صَبرك على البلاء!

ومنها: أن تعتقد أن ما أصابك من بلاء هو بسبب من عند نفسك .. وأنك ترجو بصبرك على البلاء أن تكفِّر عن ذنوبك وخطاياك السالفة .. فالبلاء طهور لصاحبه الصابر .. حتى يدعه يمشي على الأرض .. ويلقَى ربه يوم القيامة بلا ذنب ولا خطيئة.

ومنها: أن تعتقد أن ما أصابك من بلاء؛ هو لدفع بلاء أشد منه كان من الممكن أن ينزل بساحتك .. كان في الدنيا أم في الآخرة .. ولو اطلعت على الغيب .. وما يكمن لك في الغيب .. لرضيت بالواقع .. وعلمت أن ما نزل بك من بلاء .. هو عين الرحمة لك!

ومنها: أن تنظر لجوانب العافية فيك .. وهي كثيرة .. فتحمد الله عليها .. وترضى، وتعلم أن ما بقي هو أكثر بكثير مما أُخِذ!

ومنها: أن تعلم أن من هم أعظم منك بكثير هم أشد منك بلاء .. وأكثر منك صبراً على البلاء .. وأن أشد الناس بلاء هم الأنبياء .. ثم الأمثل فالأمثل .. وأن المؤمن مُبتلى، ويُبتلى، ويُشدد عليه البلاء، على قدر دينه .. واعلم أن من السّلف الصالح من كان يُسَرُّ بالبلاء .. كما يُسر أحدُنا بالعافية والسِّعةِ والخير!

ومنها: أن تنظر إلى من هم حولك ممن هم أشد منك بلاء ومصاباً .. فيهون عليك أمرك وبلاؤك .. وتعلم أنك ـ على ما نزل بك من بلاء ـ على خير عظيم.

هذه جملة من الأمور تهوِّن عليك مُصَابك وبلاؤك لو فقهتها .. وأحسنت التعامل معها.

* * * * *

383- خطأ في دعاء شائع!

من الأخطاء الشَّائعة على ألسنة كثير من الناس، أن أحدهم تراه عندما يدعو لمحبٍّ له، سواء كان ميتاً أم حيّاً، يقول: رحمه الله وأسكنه في مستقرّ رحمته .. أو جمعني اللهُ وإياكَ في مستقرّ رحمته .. وهذا خطأ .. لا يجوز؛ لأن رحمة الله صفة من صفاته سبحانه وتعالى .. وصفاته تعالى لا يجوز أن تكون مستقراً للأشياء والحوادث.

كما في الأثر الصحيح عن أبي الحارث الكرماني، قال: سمعتُ رجلاً قال لأبي رجاء العُطارِدي ـ وهو صحابي ـ: أقرأُ عليك السلام، وأسأل الله أن يجمع بيني وبينك في مستقرِّ رحمته!

قال: وهل يستطيع أحد ذلك؟ قال: فما مستقرّ رحمته؟ قال: الجنَّة، قال: لم تُصِبْ، قال: فما مستقر رحمته؟ قال: ربُّ العالمين. [صحيح الأدب المفرد: 591].

* * * * *

384- يا أَسَفَاى على المال!

تأملتُ كثيراً من وسائل الإعلام العربية المرئيّة، والمسموعة، والمقروءة .. والأموال الطائلة التي تُنفق في سبيلها .. والتي تُقدَّر بمئات المليارات من الدولارات .. والأهداف والأغراض التي تتناولها وتنشط لها تلك الوسائل الإعلامية .. والتي لا تخرج عن هدفين وغرضين: تلميع الطّغاة وأنظمتهم الفاسد .. وإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا!

والسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح: هل هذان الغرضان والهدفان .. يستحقان إنفاق وهدر تلك الأموال الطائلة .. والتي هي من أموال الأمة .. ولكل فرد منها له حق فيها؟!

كيف سيكون حال مجتمعاتنا لو أُنفِقَت هذه الأموال الطائلة .. في سُبُلِ الخير .. والأبحاث العلمية .. وما فيه منفعة لعامة الناس .. هل كنا سنرى فقيراً أو متسولاً يسأل الناس .. وهل كنا سنعيش هذا التخلف والفقر والجهل الذي نعيشه الآن؟!

لكن منطق الطغاة والمفسدين يقول: كل شيء في سبيل الطاغية .. وعرشه .. ونظامه .. يهون .. ويرخص .. ولو أدى ذلك إلى هدر أموال الأمة كلها .. فبقاء الطاغية ونظامه أعز وأغلى .. وأكثر فائدة ومصلحة!

صدق الله العظيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾الأنفال:36.

* * * * *

385- هذا الكتاب.

هذا الكتاب "صَيدُ القَلَم" خلاصة تجربة صاحبه في الحياة .. فيه ـ ولله الحمد ـ خير كثير .. فيه من كل بُستانٍ من بساتين المعرفة زهرة .. ووردة .. فيه العِبَر .. والدروس .. والمواعِظ .. فيه ما يعني كل إنسان أيَّاً كان مستواه الثقافي والاجتماعي .. أو كانت مهنته ووظيفته .. لكن كثيراً من الناس ـ كعادتهم مع كثير من الكتب النافعة وللأسف ـ لن يتعرفوا على هذا الكتاب .. ولن يقرأوه .. إلا بعد مضي سنوات عديدة على تأليفه .. وبعد أن يُقال لهم عشرات المرات: هذا كتاب نافع .. وربما بعد رحيل صاحبه عن الحياة!

إلى متى سيُقَال عنا .. ونصدِّق ما يقولونه عنا .. بأننا الأمة التي لا تقرأ .. ونحن الأمة التي كانت أول كلمة نزلت إليها من ربها، وأول أمرٍ تلقته من السماء .. هي كلمة ﴿ اقْرَأْ ﴾العلق:1.؟!

أقول: ثم أتبعت كتاب " صَيدُ القَلَم "، بكتاب آخر أسميته " بستان الزهو، حكم وفوائد جاد بها الخاطر "؛ وهو لا يقل فائدة عن " صيد القلم "، بل ربما يزيد .. فدونك وإيَّاه.

* * * * *

386- صِفاتُ الشُّعوب.

قد خالطتُ كثيراً من الشعوب والجنسيات .. العربية منها والأعجمية .. وأعرف كثيراً عن خصائص وصفات وعادات وطبائع تلك الشعوب .. سواء منها الصفات والطبائع الإيجابية أم الصفات والطبائع السلبية .. ولولا خشية أن تثور علي تلك الشعوب .. وترميني عن قوسٍ واحدة ـ ولا طاقة لي بذلك ـ لبينت خصائص وصفات، وطبائع .. تلك الشعوب!

الشعوب في زماننا تعيش ثقافة التعصب للجنسيات .. والبلدان .. والأوطان ـ أكثر مما تعيش ثقافة التعصب لدينها وعقيدتها ـ ومن كان كذلك لا يُطيق أن يسمع منك نقداً أو وصفاً لا يروق له ـ وإن كان حقَّاً ـ بحق شعبه .. وبلده .. أو قبيلته .. فهو لا يقبل منك إلا المدح والإطراء .. ولو في الغش والباطل!

يريدون منك أن تكون شاهد زورٍ .. وهذا لا يجوز!

* * * * *

387- أمورٌ تُفسِدُ أموراً.

الخلُّ يُفسِدُ العسَلَ.

وسوءُ الخُلُقِ يُفسدُ العمَلَ.

والمنُّ يُفسِدُ ويُبطلُ الصدقةَ والمعروفَ.

والرياء يُفسِدُ الطاعةَ .. كما يُفسدُ العلاقة بين العبد وربه عزَّ وجل.

والعجلَةُ تُفسِدُ الثمرة .. وتُورِثُ النَّدامَةَ.

والتقليدُ يُفسدُ العقلَ .. ويُورثُ الجهلَ.

والمعصية تُفسدُ صفاءَ الروح والنفس.

والغيبةُ والنميمة تُفسِدان الودّ بين الأصحاب.

والبخلُ والحرص يُفسِدان المالَ.

والحقدُ يُفسدُ النومَ .. وراحةَ البالِ.

وكثرةُ العتابِ تُفسدُ المحبَّة.

والكَذبُ يُفسِدُ الثِّقَةَ.

والخيانَةُ تُفْسدُ حسن الظَّنِّ,

وجليسُ السُّوءِ يُفسِدُ الصَّالحين من جلسائه .. كما تُفسِدُ الثَّمرةُ المتعفِّنَةُ أخواتها.

وقربُ العالِمِ من الطُّغاةِ وقصورِهم .. يُفسِدُ عِلْمَه، وعلاقته بالنَّاس .. كما يُفسِد علاقته بربِّ الناس .. ويضَع نفسَهُ في موضعِ شُبهةٍ واتهام.

والقبولُ الذي يُوضَعُ للمَرءِ عند الطاغوت .. يُفسِدُ القبولَ الذي في السماء.

والغلُو يُفسِدُ الجهادَ.

والإرجاءُ يُفسِدُ الدِّينَ كله.

والشّركُ يُدمِّر كلّ شيءٍ .. فلا يُبقي ولا يَذَر .. وكل عملٍ صالح يجعله هباءً منثوراً .. وكأنه لم يكن.

* * * * *

388- أمورٌ تُورِثُ أموراً.

الجهادُ يُورِثُ العِزَّةَ والحياة.

وحبُّ الدنيا، وتركُ الجهادِ، وكراهيةُ الموت في سبيل الله .. يُورِثُ الذلَّ والهوان .. وخراب الديار .. وتكالب الأعداء.

والصَّبرُ يُورِثُ الظَّفرَ.

والغَدرُ يُورِثُ الهزيمة وتسليط العدو.

والعُسرُ يُورِثُ اليسرَ .. والشدةُ تُورِثُ الخير والرخاء!

والكرَمُ والجود يُورِثُ ويُكَثِّرُ الأصحاب.

وصلة الرحم تُورِثُ الغِنى، وطول العمر.

وقطع الرحم يُورِثُ الفقرَ .. كذلك البخل والإمساك في مواضع الإنفاق.

والحسنةُ تُورِثُ نوراً في الوجهِ والقلب .. كما تُورِثُ قوةً في الإيمان .. كذلك فهي تُورث حسنة مثلها أو أحسن منها .. فالحسنةُ تدلُّ على الحسنة.

والسيئةُ تُورِثُ ظلمةً في الوجه والقلب .. كما تُورِثُ ضعفاً في الإيمان .. كذلك فهي تُورث سيئة مثلها أو أسوأ منها .. فمن مضاعفات السيئة أنها تدل صاحبها على أخواتها وصويحباتها من السيئات!

والحِميَةُ تُورثُ صحةً وعافية في البدَن .. والإكثارُ من الطعام، يُورث الأمراضَ والأوجاع.

وكثرة الضحك تُورِثُ السَّهوَ .. وغفلةً في القلب.

والتقوى يُورِثُ العِلمَ .. والعلمُ يُورِث القربَ من الله تعالى .. كما أن الجهلَ يُورِث الجفاء، والبعدَ عن الله.

والكِبرُ يُورِثُ الجهلَ، والصَّغَار .. فيُعاقَب صاحبه من جنسِ سيئته!

والطمَعُ والحرصُ والبخلُ يُورِثُ الظلمَ والعدوان .. والظلمُ يُورثُ سوء العاقبة.

والجُبنُ يُورِثُ الاستكانة والعبودية للعبيد .. واستعبادَ الطُغاةِ للأحرار!

والسؤالُ عن غِنى، يُورِثُ الذلّ .. ويُضعف التوكل واليقين .. كما يُورِثُ خسران الأصدقاء والمعارف.

والزُّهدُ بالدنيا يُورِث محبةَ الله .. والزهدُ بما في أيدي الناس يُورِثُ محبة الناس.

والقُربُ من الطُّغاة يُورِثُ البعدَ من الله.

والقربُ من الضعفاء واليتامى والمساكين يُورثُ القربَ من الله.

والقبولُ في السماء يُورثُ القبولَ في الأرض .. كذلك البغض في السماء يُورث البغضَ في الأرض.

والنظرُ في الآيات التي أودعها الله تعالى في النفس البشرية، وفي السماوات والأرض .. يُورِثُ الإيمان واليقين .. والإيمانُ يُورِثُ الإطمئنانَ والجِنان.

والإلحاد يُورِثُ القَلَقَ .. والقَلقُ يُورِثُ الكآبة والمرض إلى درجة الجنون .. وفي الآخرة يُورِثُ صاحبه الخلود في نار جهنّم وبئس المصير.

* * * * *

389- شَجَرَةُ العائلة!

وصلت إلى بريدي نشرة ضَخمة تتضمَّن صوراً لكثير من الحيوانات والحشرات، والنباتات .. مُرسَلة من إذاعة " BBC "، كُتبَ عليها "شجرة العائلة" أو "شجرة الحياة"، تُبين هذه النشرة المصورة ـ كما يزعمون ـ أصول الإنسان وغيره من الدواب والحيوانات البرية منها والبحرية .. وكيف كان مبتداها في الأرض .. وإلى أين أصبحَ منتهاها!

يقولون: أن المخلوقات كلها ـ بما فيها الإنسان ـ ابتدأت من بكتيريا .. فالخالق الأول ـ كما يزعمون! ـ الذي ليس قبله ولا معه شيء .. لهذه المخلوقات كلها .. والتي أودعت في كل مخلوق خصائصه الفريدة البديعة .. هي البكتيريا!!

وفيما يخص شجرة العائلة الإنسانية، ومراحل تطورها، قالوا ـ كما هو مرسوم ومصور في نشرتهم المرسلة إلى بريدي ـ:" الجد الأول للإنسان هو البكتيريا .. ثم تطورت البكتيريا فنشأت عنها الفطريات .. ثم تطورت الفطريات فنشأت عنها الأسماك .. والأسماك تطورت إلى الحلزون .. والحلزون تطورت إلى الديدان .. والديدان تطورت إلى السلحفاة .. والسلحفاة تطورت ونتج عن تطورها الأفاعي والحرادين والسحليات والتماسيح .. والحرادين والسحليات والتماسيح تطورت فنتجت عنها الفئران والجرابيع .. والفئران والجرابيع تطورت فنتجت عنها الأرانب .. والأرانب تطورت فنتجت عنها السناجب .. والسناجب تطورت فنتجت عنها سلسلة من السعادين والقرود .. والقرود والسعادين تطورت فنتج عن تطورها الإنسان .. أي أن آباء الإنسان المباشرين ..

والذين منهم ومن أصلابهم جاء الإنسان هم السعادين والقرود .. كما يزعم العلماء من أبناء القرود، الذين يتشرفون بانتسابهم إلى سلالة وعائلة القرود "[2]!!

هكذا قالوا .. وهكذا يقولون .. وهكذا صوروا ويُصورون .. وهكذا يُخيل إليهم .. لكنهم لم يخوضوا في الحديث عن التطور إلى ما بعد الإنسان .. أي هل شجرة التطور وقفت عند الإنسان .. أم أن عملية التطور مستمرة إلى ما بعد الإنسان .. وأن الإنسان سيتطور ـ مع الزمن ـ إلى حيوان من الحيوانات .. أو حشرة من الحشرات .. هذا ما لم يتجرأوا على بيانه أو الخوض فيه!

يتكلمون عن آبائهم وأجدادهم من الحيوانات والحشرات .. قبل مئات الملايين من السنين ـ كما يزعمون ـ وكأنهم كانوا شهوداً على الخلق الأول .. وأحدهم ـ لو سألته ـ لا يعرف أباه أو اسم جدَّه المباشر الذي جاء من صلبه .. ومع ذلك تراه يخوض في أصول البشرية قبل مئات الملايين من السنين .. كما يزعمون .. صدق الله العظيم: ﴿مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً﴾الكهف:51. وقال تعالى:﴿ وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾النجم:28.

هذه الخرافة السائدة والشائعة في بلاد الغرب .. والمسماة بشجرة العائلة .. التي لا تتعدى دائرة الظن الذي لا يُغني من الحق شيئاً .. ليس هنا موضع الرد عليها على وجه التفصيل والتدقيق .. فالمقام هنا مقام خواطر .. وليس مقام أبحاث ومقالات وردود .. وما يُقال ويُناسب الخواطر .. لا يُقال ولا يُناسب الأبحاث والردود التفصيلية .. ولعلني ـ إن شاء الله ـ تكون لي وقفة أخرى .. وفي وقت آخر .. مع هذه الخرافة .. التي لا يجوز أن ترقى أو أن تُسمى نظرية علمية .. كما يحلو لهم أن يسموها!!

هذه الخرافة يُدَرِّسونها للتلاميذ في مدارسهم وجامعاتهم على أنها الحقيقة العلمية المطلقة التي لا يجوز أن يُعقَّب عليها .. فهي عندهم من المسلَّمات التي لا تقبل النقاش .. كعدد الذين قتلوا وحُرّقوا من اليهود في " الهيلكوس " فهو لا يقبل عندهم النقاس، ولا التشكيك في مدى صحة الرقم الذي يضعونه!!

ينفقون في سبيل الدعاية والترويج لهذه الخرافة مئات الملايين من الجنيهات والدولارات .. وهم على استعداد أن يُرسلوا لك النشرات الباهظة التكاليف عن هذه الخرافة إلى عنوانك .. حيثما كان بلدك .. أو كانت إقامتك .. ومجاناً ..!!

لماذا .. وما هي حاجة الإنسانية في هذا الزمان إلى هذه الخرافة .. وما هو المردود الاقتصادي أو الحضاري القيمي الذي يرجونه من وراء هذا الإنفاق الطائل على هذه الخرافة .. وما هي الفائدة العلمية أو

---

[2] ربما فاتني ذكر بعض الحيوانات والحشرات الداخلة في تسلسل سلالة شجرة العائلة ـ كما رسموها ـ فأنا لا أدعي شرف معرفة جميع أسماء الآباء والأجداد ـ بالعربية ـ من الحيوانات والحشرات الداخلة في سلالة شجرة العائلة ... كما يزعمون!!!

الأخلاقية أو المادية المرجوة ـ التي تبرر هذا الإنفاق وهذه الدعاية المكثفة ـ عندما يعلم الإنسان أن من أجداده وآبائه الأوائل .. الفئران والجرابيع والأرانب .. والقرود .. كما يقولون؟!!

الجواب يعلمه الجميع: لا توجد أي قيمة أو فائدة علمية أو اقتصادية أو حضارية .. سوى أنهم يريدون أن يشككوا الإنسان بأصل نشأته وولادته كما هو مبين في الديانات السماوية .. يريدون أن يُبطلوا عقيدة أن آدم عليه السلام هو أبو البشر .. وأنه أولهم .. وأن مَن بعده جاؤوا من صلبه .. ومن ثم تكذيب الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم الذين جاؤوا بهذا الاعتقاد من ربهم عزَّ وجل .. وبعد ذلك التشكيك بوجود الله تعالى الذي أوحى بهذا الاعتقاد إلى أنبيائه ورسله!!

يريدون أن يتهربوا من حق الله تعالى عليهم؛ وهو أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئاً .. يريدون أن يعيشوا بلا شريعة ولا تكاليف تلزمهم بشيء .. يحسبون أنهم خُلقوا عبثاً من غير غاية ولا شريعة ربانية تنظم لهم حياتهم ـ وتبين ما لهم من الحقوق وما عليهم من الواجبات ـ ومن غير ربٍّ يرجعون إليه فيُحاسبهم على ما قدمت أيديهم من أعمال .. يريدون أن يعيشوا لغرائزهم وشهواتهم، وأهوائهم وحسب .. من غير إنكار ولا تنظيم ولا سؤال .. كالأنعام بل أضل .. كما قال تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾الفرقان:44. ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾الأنفال:55. ولا سبيل لهم إلى ذلك كله .. إلا بعد أن يكفروا .. ويجحدوا وجود الله العظيم .. ويتحرروا من عقيدة الإيمان بالله، واليوم الآخر .. ومن عقيدة أن الله تعالى هو خالقهم .. وخالق هذا الكون وما فيه ومن فيه .. ليستبدلوها بعقيدة الإيمان بالبكتيريا .. والقرود والحشرات .. التي لا تُلزمهم بأي تكاليف أو حقوق أو شرائع!

من العبارات التي يكتبونها على وسائل النقل العامة .. والتي يقرأها المارّة من الناس:" لا يوجد إله .. تمتَّع بحياتك!"؛ هذا هو الهدف .. وهذه هي الغاية من كفرهم، وعدم إيمانهم بالله، ومن قولهم بنظرية القرود .. وشجرة العائلة " تمتَّع بحياتك!" انطلق لشهواتك، وتمتع بحياتك كما تتمتع الدواب والبهائم .. من غير قيد ولا شرط .. ولا خوف من رقيب ولا حسيب .. هذا الذي يريدونه في النهاية .. وهذا الذي يسعون إليه .. وهذا الذي يفعلونه!

كذلك يُقال: الملحد الذي رفض دين الكنيسة المحرَّف .. يعيش قلقاً نفسياً كبيراً مبعثه الخواء والفراغ الروحي الكبير .. لا يمكن أن يتفاداه ولا أن يتجاهله؛ لأن الإنسان مخلوق ومركب من جسد وروح .. فكما أن حاجيات الجسد تلاحقه على مدار الوقت ولا بد له من أن يلبي متطلباتها .. كذلك حاجيات الروح فهي تلاحقه على مدار الوقت ولا بد له من أن يلبي متطلباتها .. وبالتالي فهو عندما فقد الإيمان بالله .. فقد الإيمان بفطرته، وفقد الإيمان بنصفه الآخر؛ الذي اسمه الروح .. وأصبح بحاجة ماسّة إلى مسكنات .. ومهدئات .. وملهيات .. واعتقادات جديدة .. تلبي له بعض حاجياته الروحية .. وتخفف عنه بعض معاناته وقلقه .. وبعض ما افتقده ..

وتقنعه بصواب ما هو عليه من الإلحاد .. فابتدعوا له هذه الخرافة " شجرة العائلة "؛ التي لم يسبقهم إليها عبدة الأوثان والحجارة .. عساه أن يجد فيها مُسَكِّناً لبعض آلامه .. وقلقه .. وتساؤلاته .. وخوفه من المجهول .. وبما هو آتٍ، ومُلاقِيه!

هذا هو السبب الذي يُفسّر إقبالهم الشديد ـ وإلى درجة الهوَس ـ على الأفلام، والقصص، والروايات الخرافية، التي يجدون فيها البديل .. وبعض المسكنات والمهدئات لقلقهم الناجم عن فراغهم الروحي!

يريدون أن يتعاملوا مع كل الحقائق التي أقرتها جميع الديانات السماوية .. وعلى مدار تاريخ جميع الأنبياء والرسل .. على أنها خرافة .. مثلها مثل أي فلم أو مسلسل خرافي يتابعونه .. ليُذهِبُوا عن أنفسهم بعض قلقهم وخوفهم .. وليتهربوا مما تملي عليهم تلك الحقائق من واجبات!

أذكر أن من سألني عن علماء الكفار: كيف أنهم قد صعدوا إلى القمر .. واكتشفوا .. وصنَّعوا الصناعات المتقدمة .. ثم مع ذلك القرآن الكريم يصفهم بأنهم: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾البقرة:18. وقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ البقرة:171. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى الظُّلُمَاتِ﴾الأنعام:39. وقال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾الأعراف:179. فكيف التوفيق ..؟!

أقول لهذا السائل: ها قد أتاك الجواب .. وعرفت التوفيق .. من خلال شجرتهم الملعونة تلك .. التي لا يقول بها إلا من كان جاهلاً من ذوي الجهل المركّب والمغلّظ، أعمى البصر والبصيرة!

الله تعالى قد علَّمهم، فقال تعالى: ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾العلق:5. وأذِن لهم بأن يصعدوا إلى القمر .. وما بعد القمر .. وأن يروا الآيات الباهرات الدالة على أن الله حق .. وأنه لا إله إلا هو .. وأن القرآن الكريم حق .. كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾فصلت:53. وبعد أن أراهم تلك الآيات الباهرات الحاسمات لمادة الجهل من جذورها .. والتي تبين لهم أن الله تعالى هو الحق .. وأنه تعالى هو المعبود بحق لا إله إلا هو .. وأن ما نزَّله على أنبيائه من آيات هو الحق .. ومع ذلك .. وبعد كل ذلك .. يخرجون لنا وللناس بشجرتهم الملعونة تلك؟!!

فجهلهم جاء بعد علم وعن علم .. وبعد قيام الحجج العلمية عليهم .. ومن كان كذلك فجهله أغلظ من جهل من لا يعلم .. ومن لا يرى الآيات الباهرات!

قال تعالى عن هذا النوع من العلماء الجهال: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾الروم:7. فعلمهم لا يتعدى إلى الحقائق المطلقة .. فهو لا يتعدى ظاهر الحياة الدنيا .. ومتاعها وحسب .. كما هو حالهم الآن!

هؤلاء علماء هذه الشجرة الملعونة .. ومن قال بقولهم أو اتبعهم على قولهم، وغيرهم من المشركين .. هم الذين يقولون يوم القيامة يوم يرون العذاب .. وتتقطَّع بهم الأسباب:﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾ أنهم كانوا بلا عقل .. ولا سمع نافع .. ﴿فَسُحْقاً لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾الملك:10-11.

* * * * *

390- نصيحةٌ للزوجين.

مما أنصح به العروسين والزوجين: أن يحترم كل منهما والِدَي الآخر .. لأن الزوجين في حياتهما الزوجية يمكن لهما أن يتجاهلا بقية الأرحام .. وإن كان ذلك خطأ .. لكن لا يمكن لهما أن يتجاهل كل طرف منهما والِدَي الطرف الآخر؛ لأنهما من النّسب الذي بهما يثبت نسَب الأبناء، والأحفاد .. كما لا يمكن تجاوزهما لوصية الله تعالى ورسوله ﷺ بهما .. ولأن احترامهما ضروري لبقاء الود والاحترام المتبادل بين الزوجين .. كما أن احترامهما .. وقيام علاقة طيبة معهما .. ضروري لنشأة الأبناء نشأة سليمة سوية بعيدة عن العُقَد والأمراض النفسية .. فالجدُّ ـ صنو الأب ـ والد .. كذلك الجدَّةُ ـ صنو الأمّ ـ والدة .. لا يُمكِن تجاوزهما!

من الأخطاء الفادحة والمدمِّرة التي يرتكبها بعض الأزواج .. ومنذ بدء الحياة الزوجية: أن كل طرف من الزوجين يعمل .. ويحتال .. ليبعد الطرف الآخر عن أبويه .. فينتج عن ذلك خلافات ومشاكل ـ لا تُحمَد عُقباها ـ تنعكس أولاً على الزوجين .. وبيتهما .. وأبنائهما!

* * * * *

391- لكي يكون ولدُكَ بَطَلاً.

لكي يكون ولدك بطلاً ـ كما يحب وينشد كلُّ أبٍ ـ يجب أن تُعِدَّ له أُمَّاً صالحةً، صابرة، مجاهدة .. عالمة .. وعلى قدر إعدادك لها .. واهتمامك بها وبنشأتها نشأة صالحة على قدر ما ينشأ ولدك نشأة صالحة .. والعكس صحيح كذلك.

أعجب لبعض الآباء يريدون لأبنائهم أن يكونوا أبطالاً وأعلاماً .. ومتقدمين في جميع ميادين الخير .. وفي نفس الوقت .. يعيشون قمة الإهمال لأمهات أبنائهم .. فلا يكترثون لتعليمهن .. وتوجيههن .. ولا لتربيتهن

التربية الصالحة الراقية .. وهذا لا يصح ولا يستقيم .. وهو من قبيل تمني الشيء وضده .. والقول بالشيء وضده في آنٍ معاً!

وقد صدق من قال: الأمُّ مدرَسةٌ إذا أعدَدتها أعدَدْتَ شَعباً طيّبَ الأعرَاقِ.

مفهوم المخالفة والمقابلة يحملنا على أن نقول: الأمُّ مدرَسةٌ إذا أهملتَها أعدَدْتَ جيلاً خبيثَ الأعراقِ!

* * * * *

392- الفسادُ خُطوة، خطوة.

الفسادُ الصريح في صورته القبيحة المتفق على قبحها .. لا يقتحم المجتمعات، والبيوت دفعة واحدة .. وإنما خطوة، خطوة .. ومرحلة مرحلة .. وأحياناً يبدأ زحفاً .. ثم حبواً .. ثم مشياً .. ثم هرولة .. ثم كأنه أسرع من السيل المنحدر إلى منتهاه .. يجرفُ كلَّ ما يُصادِفُهُ أو يقفُ أمامَه!

يبدأ الحديث أولاً عن ضرورة خروج المرأة .. ثم عن تسوّق المرأة .. ثم عن سفر المرأة من غير محرم .. ثم عن مبيتها في الفنادق من غير محرم .. ثم عن عمل المرأة .. ثم عن اختلاط المرأة بالرجال .. ومزاحمتها لهم في ميادين أعمالهم وأسواقهم .. ثم عن حجاب المرأة ولباسها .. ثم عن جسد المرأة وحقها في اللعب وممارسة الرياضة في الأندية وصالات الرياضة .. ثم عن حرية المرأة في نفسها وجسدها .. ثم عن حق المرأة في اختيار عشيقها ورجل مستقبلها .. وما يستدعي ذلك من خلوات ومراسلات .. ومقابلات .. ثم .. ثم .. إلى أن تتحول المرأة إلى صديق حميم للشيطان .. يُؤذي بها العباد والبلاد .. وينشر بها الفساد .. ويصبح الرجوع إلى نقطة البداية المتعلقة بصفة خروج المرأة من بيتها .. أو الحديث عنها وعن الأحكام المتعلقة بها .. رجعية وتخلف .. وعرضة للتهكم والسخرية والاستخفاف .. من قِبل المجتمع والناس!

وحتى لا نصل إلى هذا الموصل .. ينبغي على الناس أن يتفهموا موقف العلماء المصلحين ـ حرّاس العقيدة والفضيلة، والدين ـ المتحفّظ من أي دعوة يطلقها الليبراليون الإباحيون .. حتى لو كان ظاهرها بريء .. يُفيد الإباحة والجواز .. فهم لا يريدون الوجه المباح من دعوتهم وإنما يريدون ما بعدَه .. وعلى مبدأهم الاستدراجي، التدريجي، الترويضي الخبيث .. خطوة .. خطوة .. ومرحلة .. مرحلة .. إلى أن يتحقق مرادهم النهائي الخطير .. وتغرق المجتمعات بفسادهم وخبثهم وشرهم .. فيصعب الترقيع والإصلاح .. والإنقاذ .. فتغرق السفينة .. ويقع الندم، ولات حين مندم!

* * * * *

393- استمعتُ اليومَ إلى حَسنين هيكَل!

أصارحكم القول: أنني لا أطيق النظر ولا الاستماع إلى هذا الرجل .. أغض الطرفَ عنه إن بدَت صورته لي كما أغضه عن أي منكرٍ يتعين غض الطرف عنه .. لكن اليوم (2009/3/26)، وفي مقابلة له مع قناة الجزيرة .. حملت نفسي على مضضٍ ـ وهي كارهة ـ على الاستماع لما يقول .. وألزمتها الصبرَ على ما تسمع: فرأيت أغلب كلامه بالعاميّة وباللهجة المحلية المصرية .. ثم أنه لا يُحسِن ترتيب أفكاره ولا عرضها .. فهو يُقحِم على الفكرة عشرات الأفكار .. قبل أن يُنهي الفكرة الأساس .. حتى لا يدري المستمع عن أي فكرة من هذه الأفكار يتكلم ويعني .. فتضيع الفكرة الأساس من حديثه .. كما أنه يملك قدرة عالية على التشويش؛ تشويش المُحاوِر والمستمع سواء، وهذا لا يليق بسمعته الثقافية التي يتباهى بها!

يتباهى بماضيه الثقافي الحافل بمجالسة ومقابلة الطواغيت الظالمين .. وهو لا يتردد ـ لكي يُقيم الحجة على مُحَاوره وعلى مستمعيه ـ أن يُخرِج بين الفينة والأخرى ورقة .. أُرسلت إليه من طاغية .. أو أرسلها إلى طاغية .. ظناً منه أنه بذلك يُفحِم المستمعين .. ويُلزمهم الحجة ـ فيما يقول ـ التي لا مردَّ لها!

وجدته شديد التشاؤم .. وشديد اللعن للواقع العربي .. وللظلام العربي ـ وهو جزء منه ـ لكن من دون أن يُبدي أي حلول عملية واقعية لهذا الواقع المرير .. فانتهى الحوار .. ومن دون أن يُشعِل شمعة صغيرة تُضيء الظلام العربي الذي أكثر من لعنه!

ظلَّ طيلة حياته يُجادل عن القومية العربية .. وعن دعاتها .. وطغاتها .. وفي مقابلته الآنفة الذكر أعلاه .. وجدته يريد أن يُسلِم المنطقة العربية كلها ـ بلداناً وشعوباً ـ لُقْمَةً سائغة للمشروع الإيراني الشيعي الرافضي التوسعي .. مستخفًّاً بعقيدة الأمة وثوابتها!!

ولما سأله المحاور عن عملية السلام .. ومستقبل السلام العربي الإسرائيلي .. كعادته أبدى تشاؤماً نحوها .. وأنها قد انتهت .. ولا يوجد على الحقيقة عملية سلام مع الإسرائيليين .. وإلى هنا لا مأخذ على كلامه .. ولكن لما ألح عليه المحاوِرُ بالسؤال .. وكرر عليه الإلحاح .. سائلاً إياه عن البديل .. ما هو البديل عن السلام الأعرج المطروح .. ما الواجب على الأمة في حال سُدت جميع الخيارات أمام عملية السلام المزعومة ..؟!

كعادته .. أخذ يلف ويدور .. ويلعن الظلام العربي .. كالثعلب الماكر .. ومن دون أن يُشير إلى الحل أو البديل .. والذي كان المستمع يتوقع منه أن يقول: أن تأخذ الأمة بخيار الجهاد والقتال .. وإعداد العدة لمواجهة العدوان .. لكنه لم يُشِر إلى شيء من ذلك .. بل أشار إلى ما هو خلاف ذلك .. فالرجل قد عاش حياته كلها وهو يَكذِبُ أُمَّتَه .. وها هو قد بلغ من العمر عتيًّا .. ولا يزال يَكذِبُ أمته ويغشُّها .. وعند الله الملتقى .. والحساب!

وعتبي ـ كذلك عجبي! ـ لا يزال قائماً على بعض وسائل الإعلام .. التي تُقدمه للناس على أنه صاحب تجربة في هذه الحياة .. تستحق النشر .. وتستحق الاستماع!!

* * * * *

394- الشُّحُّ المُغَلَّظ.

عرفنا معنى الشُّحِّ؛ وهو الإمساك في موضع يتعيّن فيه الإنفاق .. ومن ذلك عدم إكرام الضيف .. فما هو الشُّح المغلَّظ؟!

الشُّحُّ المغلَّظ: هو عندما يكون الشُّحُّ بمثابة القانون أو النظام العام للشحيح؛ فالشحُّ يُلازمه على مدار الوقت .. وفي جميع مجالات حياته، وأحواله .. وعلاقاته: فيشحُّ حيث يتعين الإنفاق .. ويشح على الناس من وقته .. ومن جهده .. ومن نصيحته .. ومن علمه وخبرته إذا كان من ذوي العلم والخبرة والاختصاص .. ويتعامل معهم بالقطَّارة .. وعلى قدر ما ترد عليه هذه القطارة من منفعة شخصية .. كما يشح في التدليل على الخير .. وفعل الخير .. وتعريف الناس بالخير .. أو أن يكون للناس شفيع خير .. فشحه ليس مقصوراً عليه وحسب، بل يتعداه ليشح نيابة عن الآخرين؛ فيثنيهم عن الإنفاق وفعل الخير .. ويزهدهم به .. إذا ما رآهم يريدون الإنفاق أو العطاء ... فلا هو أنفق .. ولا هو تركَ غيره ينفق .. فهذا من ذوي الشح المغلَّظ .. أعاذَنا الله وإياكم منه!

* * * * *

395- يمينٌ خاطِئةٌ شائع!

من الأيمان الخاطئة الشائعة على ألسنة كثير من الناس، التي يَنبغي أن تُصحَّح .. قولهم: أقسم برب القرآن .. وهذا خطأ .. القرآن كلام الله .. صفة من صفاته .. ليس بمحدَث ولا مربوب .. كما في الأثر عن عكرمة، قال: كان ابن عباس في جنازة، فلما وُضِعَ الميتُ في لحدِه، قام رجلٌ، فقال: اللهمَّ ربَّ القرآن اغفر له! فوثبَ إليه ابنُ عباس، فقال: مَه؟! القرآن منه. وفي رواية: القرآن كلامُ الله ليس بمربوب، منه خرَجَ وإليه يعود.

* * * * *

396- لا تُجرِّئوا الطاغوت عليكم!

لا تُجرِّئوا الطاغوتَ عليكم؛ عيشوا حياتَكم كما يعيشها الأحرار .. كونوا أحراراً كما خلقكم ربكم أحراراً .. قوموا بأعمالكم على الوجه الأكمل كما يحب ربكم منكم .. خذوا حقوقكم بقوة من غير استجداء .. أتستجدون حقاً بعد أن منحكم الله إيَّاه .. مارسوا جميع حقوقكم بلا خوف ولا وجل ولا تردد .. اعبدوا ربكم .. تواصلوا .. تحابُّوا .. تعاونوا .. تمتعوا بالطبيعة وبما حباها الله من جمال .. تكافلوا .. كونوا عباد الله إخواناً .. فإن

لم تفعلوا ذلك أو شيئاً من ذلك خوفاً من الطاغوت وجنده وجلاديه .. ازداد طغيانه وجبروته عليكم .. وازداد طمعه فيكم .. وجرأتموه على ظلمكم واستعبادكم أكثر .. واستخفَّ بكم كشعبٍ يستحق الحياة .. وطالبكم بمزيدٍ من الضرائب التي لا طائل لكم بها .. ولا تلوموا حينئذٍ إلا أنفسكم!

* * * * *

397- الاحتفالُ بالمولد النبوي في ظل الأنظمة الديكتاتورية حلال!

أعلمُ أن تحديد يومٍ في السنة للاحتفال بميلاد سيد الخلق صلوات ربي وسلامه عليه .. بدعة مُحدَثة .. لم يكن السلف الصالح يفعلون شيئاً من ذلك .. كما فيه جفاء منا للنبي ﷺ؛ لأن النبيّ ﷺ حقه علينا أن نحتفل به في كل يومٍ .. بل وفي كل ساعة .. ودقيقة من حياتنا؛ وكيف لا وهو قدوتنا ومثلنا الأعلى .. نلتمس خطاه وسنّته .. في جميع شؤون حياتنا وحركاتنا وسكناتنا .. لا يَغيبُ عن أذهاننا لحظة واحدة .. نلهج بالصلاة عليه على مدار الوقت .. وكلما ذكَرنَاه .. هذا بعض حقه علينا .. وبعض احتفائنا به صلوات ربي وسلامه عليه.

لكن عندما الشعوب ـ كما هو حال شعبي في سورية الحبيبة، وغيرها من البلدان ـ يُمنعون من ذِكر الله .. ومن طلب العلم .. والتعلم .. ومن إقامة الندوات العلمية والثقافية .. ويكون التجمع من أجل الاستماع إلى محاضرة نافعة .. جريمة لا تُغتفَر .. يُؤخَذ عليها بالنواصي والأقدام .. ويُغيَّب أصحابها السنوات الطوال في غياهب السجون .. عندما يكون حال الشعوب المقهورة هذا هو وصفه .. ثم هم لا تُتاح لهم فرصة الاستماع إلى كلمة نافعة تنفعهم في دينهم ودنياهم إلا في مناسبة المولد النبوي .. وما يماثلها من المناسبات .. فحينئذٍ لا أستطيع أن أحرّم ـ وليس من الحكمة أن أحرم ـ على تلك الشعوب المحكومة بالحديد والنار الاحتفال بالمولد النبوي .. بل أقول لهم: لو في كل يومٍ .. تُحدِثون مولداً .. واحتفالاً .. وتجمعاً .. عساه أن يسمع جاهلٌ غافل كلمةً تنفعه في دينه ودنياه .. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

* * * * *

398- أخطاءُ المجاهدين.

أخطاء المجاهدين تجاه أخطاء الأنظمة الطاغية الحاكمة التي يتعين جهادها .. تعتبر نقطة في بحر .. فكل خطأ من المجاهدين يُقابله ألف خطأ وجريمة من قِبل الطغاة وأنظمتهم الفاسدة .. ونحن بدورنا نقوم بواجب النصح والتوجيه مع إخواننا وأبنائنا المجاهدين .. صفوة وأمل وطليعة الأمة .. حرصاً منا على سلامتهم وسلامة الجهاد من أن تشوبه الشوائب والعوائق .. لكن هل يوجد من يُشير إلى أخطاء وجرائم هذه الأنظمة الطاغية المجرمة .. بحق الأمة والشعوب .. التي لا يَعمى عنها إلا أعمى البصر والبصيرة!

انظروا ـ إن شئتم ـ إلى وسائل الإعلام العوراء .. المأجورة .. التي ترى بعين واحدة فقط ـ عين الطاغوت ـ كيف تضخم خطأ المجاهد .. إلى أن تجعله كالجبال الراسيات .. ثم هي في المقابل تغض الطرف عن جرائم الطغاة المجرمين .. وفي كثير من الأحيان .. تصور أخطاءهم وجرائمهم في أعين الناس على أنها حسنات .. واجتهادات يُؤجرون عليها ـ إن أخطأوا ـ أجراً واحداً، وإن أصابوا فلهم أجرين؟!

ألا قاتلَ اللهُ الزورَ .. ومن يشهد الزور!

* * * * *

399- الدينُ الذي تَلْقَى اللهَ عليه.

أرى كثيراً من الناس يُسارِعون في الانضمام إلى الأحزاب والجماعات المعاصرة المتباينة المناهج والتوجهات .. والمرجعيات .. وأراهم يُقاتلون دونها، ويُجادلون عنها .. ويتعصبون لها في الحق والباطل سواء .. لكن هل سأل الواحد منهم نفسه: هل ما عليه هذا الحزب أو الجماعة ـ الذي هو واحد منها ـ من تدين .. وتوجه .. واعتقادات .. ومناهج .. يصلح أن يلقى الله عليه؟!

ولو قيل له ـ يومئذٍ ـ: ما دينك ..؟ فهل يليق به أو يمكنه أن يقول وهو مستريح: ديني هو دين الحزب أو الجماعة التي كنت أكثّر سوادها في الحياة الدنيا .. مع العلم أن الدين عند الله الإسلام .. وأن من يبتغي غير الإسلام ديناً فلن يُقبَل منه؟!

فيا أيها المتحزِّب .. أعدّ الجواب من الآن قبل أن تُسرِع في الانضمام إلى هذا الحزب أو ذاك .. وحتى لا تندَم في ساعة لا ينفع فيها الندم!

* * * * *

400- الحنين إلى الأهلِ والدِّيار.

بعد غربة طالت في بلاد المهجر لأكثر من ثلاثين سنة .. لا زلتُ أحنُّ إلى رُؤية الأهل والديار .. أحنَّ إلى بيتنا القديم .. أحن إلى مدينتي الحبيبة "طرطوس" التي نشأت وترعرعت فيها .. وقضيت فيها طفولتي، وأول شبابي..!

بين الفينة والأخرى تتراءى لي شوارعها وأزقّتها .. ومحلاتها .. ومساجدها .. وبحارها .. وشواطئها .. وأنهارها .. وجبالها .. وسهولها .. ووديانها .. وكهوفها .. التي آوتني، وأخفتني عن أعين الظالمين .. لأكثر من ستة أشهر .. لما اشتدَّ عليَّ الطلب من الطغاة الظالمين .. وما نقموا مني سوى أنني كفرتُ بالطاغوت اللعين .. وآمنت بالله العظيم!

كانت تلك الأيام والأشهر قاسية جدَّاً عليَّ .. لكن شعرت ـ فيما بعد ـ بلذتها وبَرَدها وفضلها .. حيث كانت تلك الأيام والأشهر لي بمثابة مرحلة تدريب وإعداد لمرحلة تالية كانت أشد منها قسوة وأثَراً .. ﴿وَاللَّهُ

يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة:216. ولو عُرِضت عليَّ السُّكنة في قصور الملوك .. لما استبدلتها بتلك الأيام .. الخشنة .. القاسية .. الجميلة!

أحنّ إلى حَيّنا السُّنِّي "حي البرانيّة" .. كذلك حي الميناء .. وحي السَّاحة .. وحي مارلياس .. وغيرها من الأحياء .. حيث لي في كل حي منها عشرات القصص والحكايات .. ولي فيها معارف وأصحاب .. وأحباب .. كانوا في حينها يُسمَّون غُلماناً .. أو فِتية يانعين .. والآن يُسمَّون رجالاً، وآباءً .. وربما منهم من أصبح جَدّاً .. ولا أدري بعد طول هذا الفراق .. لو قدر الله لي اللقاء بهم .. هل سأعرفهم ويعرفونني .. ويتذكرونني .. وقد تركتهم شاباً مُقاتِلاً .. والآن قد أصبحت شيخاً؛ الشيبُ يعلوه، ويُغالبه؟!

أحنّ إلى مسجدِ المنصور .. وشبابه .. ورواده .. وإلى مسجد البلدية .. ومسجد عمر بن الخطاب في حي السَّاحة .. ومسجد التقوى في مارلياس .. وإلى شباب ورواد تلك المساجد كلها .. التي طالما اعتكفنا فيها سوية .. وتَلَوْنَا فيها القرآن .. وتحلّقنا فيها لسماع درس أو طلب علم .. ولعبنا فيها أيضاً .. ولا أزال أذكر غضب الشيوخ الكبار منا .. وقِلة صبرهم علينا .. وتوبيخهم وزجرهم لنا .. وأحياناً ضربهم لنا .. وكان لصاحب هذه الكلمات الحظ الأوفر من شِدّتهم وغِلظتهم .. غفر الله لنا ولهم!

لا أدري هل لا تزال طرطوس .. هي طرطوس كما تركتها .. وكما أتخيلها .. أم أن السنين الطوال قد غيرت وبدّلت منها .. ومن أهلها الشيء الكثير؟!

فهل من محسنٍ مُشفِقٍ يتصدّق علينا بخبر صادق عن عروسة الساحل طرطوس .. وعن الأحبة من أهلها .. وله مني عظيم الشكر والدعاء.

* * * * *

401- نهرُ مَرْقِيَّة.

نهرُ مَرْقِيَّة .. قرية ساحلية جميلة جداً .. تقع ما بين طرطوس وبانياس .. تبعد عن طرطوس عشرين كيلو متر تقريباً .. لنا فيها بيتٌ جميل مؤلّف من ثلاثة طوابق .. تُعرَف القرية به ويُعرَف البيتُ بها .. من أقدم بيوت القرية إن لم يكن أقدمها وأولها .. بين يدي الطابق الأرضي حديقة جميلة فيها ما لذ وطاب من الثمر: فيها العنب، والتين، والرمان، والصبّار، والبرتقال، والحمضيات، والموز، واللوز، والحنبلاس، والنجاص، ومناحل تنتج العسل .. وغير ذلك من الخضروات: كالبصل، والثوم، والبقدونس، والنعناع، والخس، والبندورة، والخيار، وغيرها الشيء الكثير .. كما فيها شجرة ضخمة من الصفصاف يزيد طولها عن طول البيت بطوابقه الثلاثة!

ومن الدواب كان يوجد في طرف خاص، وضمن سياج خاص: الغنم .. والماعز .. والدجاج .. وأحياناً البقر .. يتوسطهم حمار .. كان يبدو كأنه زعيمهم وبطلهم .. وحارسهم .. إذا ما داهمهم خطب أو خطر .. كما كان يقوم بدور وسائل النقل داخل القرية!

غرب البيت .. بمسافة تقل عن مائتي متر .. يوجد نهر جميل جداً .. سُمّي باسم القرية .. كما أن القرية سُمّيت باسمه " نهر مرقيَّة ".

مجراه ـ بإذن ربه ـ على مدار الفصول والأشهر والأيام .. لا يتوقف .. مياهه عذبة تُشرَب .. تُسيّجُ ضفتيه شجرُ الصَّفصَاف .. والقصب .. والأحراش .. والحشائش .. وأرضه مفروشة بالحصى والرمال الناعمة .. كان الناس ـ من جميع مدن سورية ـ يشدون إليه الرحال ليصطافوا حول ضفافه .. وعلى شواطئه!

وما بعد النهر توجد الحقول المزروعة بالخضروات والحمضيات .. والفستق .. والتفاح .. وما بعد هذه الحقول .. ببضع مئات من الأمتار .. يطل البحر .. بحر الأبيض المتوسط .. بهديره وأمواجه .. وجماله!

هذا من جهة غرب البيت .. أما من جهة الشرق .. وكذلك الشمال .. والجنوب .. فالبيت محاط بالهضاب .. والجبال .. والأدغال .. والوديان .. وآثار السيول .. والأراضي المشجرة بشجر الزيتون .. لنا منها عدة أراضي .. قد شاركت الوالد ـ رحمه الله ـ في تسميدها .. ورعايتها .. وغرس كثير من شجرها!

في الليل .. تسمع صوت خريرِ المياه المتدفق .. وصوت خشخشة الأشجار والأغصان والأحراش .. ونقيق الضفادع المنبعث من جهة النهر .. كما تسمع صوت وعويل الذئاب والثعالب المنبعث من جهة الجبال والوديان والهضاب المحيطة بالبيت .. وكنت في كثير من الأحيان أصعد ليلاً إلى سطح البيت لأخلو بنفسي مع هذا المنظر البديع الجميل الممزوج بتلك الأصوات المعبرة المنبعثة من حوله .. فأشارك الطبيعة الخلابة من حولي التسبيحَ والتهليلَ والتحميد.

كنت أطيل التأمل والنظر إلى الأفق من جهة البحر .. وكان ينتابني شعور قوي بأنني يوماً ما سأعبر هذا البحر الخضم إلى ما ورائه من البحار .. وقد يطول غيابي وسفري .. وربما لا أعود بعده إلى بلدي .. وقد تحقق هذا الشعور .. وكان الذي كان .. حتى أنني طفت كثيراً من الأمصار والبلدان .. حتى وصلت إلى بلاد السودان .. والأفغان .. والباكستان .. وبلاد الوقواق في ماليزيا وما وراءها، وغيرها .. والحمد لله رب العالمين.

لكن رغم تطوافي الواسع هذا .. ومشاهدتي لكثير من المناظر الطبيعية الجميلة .. فإني لم أر أجمل من نهر مرقية .. ومن بيتنا في نهر مرقية .. لكن لا أدري الآن هل لا يزال البيت محافظاً على جماله وسحره .. وجاذبيته .. كما كان لما كنت فيه قبل أكثر من ثلاثين عاماً .. أم أن السنين الطوال من الفراق .. وخفافيش الظلام .. قد غيرت وبدلت فيه .. وأثرت على جماله ورونقه وسحره .. لأن البيوت ـ كما هو معلوم ـ تعمر وتزيَّن بأهلها .. وتخرب بفراقهم لها!

مع التنبيه أن هذا البيت غير البيت الذي كنا نسكنه في مدينة طرطوس، في فصل الشتاء من أجل الدراسة ...!

* * * * *

402- انظُر مَن تُحِب.

كثير من الناس لا يُبالي في أن يوزع حبَّهُ على الناس؛ الصالحين والطالحين منهم سواء .. وترى أحدَهم لا يُبالي في أن يُشهِد الخلقَ على حبه لبعض الطغاة .. والظالمين .. والفاسقين والفاسقات من الممثلين والممثلات .. والفنانين والفنانات!!

ولهؤلاء أقول: انظروا مَن تُحِبون .. فالمرء يُحشَر يوم القيامة مع مَن يُحِب .. إن أحب الصالحين حُشِر معهم وإن لم يكن منهم .. وإن أحبَّ الطغاة الظالمين .. حُشِر معهم وإن لم يكن منهم .. وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:"المرء مع من أحَبّ "البخاري. فاحرص أن لا تُحِب إلا الصالحين الأتقياء .. وهذا لا يمنع من أن تُحِب الخير للآخرين .. إذ يوجد فرق بين حبك للشخص .. وبين أن تُحب الخير له .. فكل من تحبه تحب له الخير .. وليس كل من تحب له الخير يلزمك أن تحبه.

* * * * *

403- لا تحسبنَّ نفسَكَ محترَماً!

انتبه .. حتى لا تُصدَم!

لا تحسبنَّ نفسك محترماً .. ذا شأن ومكانة .. فأنت مهما كثر عطاؤك .. أو كان تحصيلك العلمي والوظيفي .. أو حتى كبر سُنك .. لأدنى خطأ غير مدروسة عواقبه .. تقع فيه .. قد لا تكترث له .. ولا تُباله بالةً .. ستجد من صعاليك وجهلة الناس ـ وما أكثرهم ـ من يتطاول عليك بالانتقاص والتحقير .. وربما بالشتم والاستهزاء، والتنابز بالألقاب .. هذا من خصائص هذا الزمان الذي فقدنا فيه توقير واحترام الصغير للكبير .. وقلَّ فيه من يَعرف لكبيرنا وعالمنا حقه!

هذا مما ينبغي عليك أن تعلمَه وتدركَه، حتى لا تذهب نفسك بك المذاهب .. وتظنَّ نفسك محترماً، أو أنك في حصانة تمنع الآخرين من أن يتجرأوا عليك .. تُلزمهم باحترامك وتوقيرك .. وفي الواقع لست كذلك .. فتُصدَم، وتُصَاب بالإحباط!

* * * * *

404- إذا أردت أن يتحقَّق لك مُرادُك!

إذا أردت أن ينصرك الله .. ويعزّك .. ويُعلي من شأنك في الدنيا والآخرة.

إذا أردت أن يحفظك الله .. وأن يدفعَ عنك شرَّ الناس.

إذا أردت أن تدفع عن نفسك الفقر .. ومذلة السؤال.

إذا أردت أن يُحبك الناس .. ويحبك رب الناس .. ويُوضع لك القبول في الأرض .. وفي السماء.

إذا أردت أن تجعل لكل ضيق أو كرب يُحيط بك .. وينزل بساحتك .. فرجاً ومخرجاً.

إذا أردت أن ينقلب عسرك إلى يسر.

إذا أردت أن تنجحَ في دنياك .. ومجال عملك واختصاصك.

إذا أردت هذا كله .. اتَّقِ الله فقط .. جَرِّب إن شئت، أو كنت في شَكٍّ من ذلك!

* * * * *

405- تَقوَى الله.

الاتقاء: الاحتماء .. تتقي الشيء؛ أي تحتمي منه .. وتتقي به؛ أي تحتمي به .. وتقوى الله؛ أن تحتمي بالله من الله .. وأن تفرَّ من الله إلى الله .. وأن تستعصم برحمته وعفوه وكرمه، من غضبه، وسخطه، وانتقامه .. ولا يتحقق لك ذلك إلا إذا اتقيت ولِزْتَ بالطاعة من شرِّ المعصية .. وبالحسنات من شرِّ السيئات .. وتركت ما يُرِيبُك إلى ما لا يُرِيبك.

وقِيل: التقوى هو العمل بالتنزيل، والخوف من الجليل، والرِّضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل.

وقِيل: التقوى أن يُطاع الله ﷻ فلا يُعصَى، وأن يُذكَر فلا يُنسَى، وأن يُشكَرَ فلا يُكفَر.

وهذه الأقوال كلها حق لا تنافي بينها .. ولله الحمد.

* * * * *

406- الفَتْوَى!

الفتوى توقيع عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ .. وهي أمانة عظيمة .. فمن تجرأ على الافتاء بغير علمٍ، ولا سلطان من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ .. فقد أساء .. وضَلَّ وأضَل .. وكذَبَ على الله وعلى رسولِه .. وباء بإثمه وإثم من أفتاه .. وفيه يصدق قول من قال: أجرأكم على الفتوى أجرأكم على النار!

من مصائب هذا الزمان .. هذه الفوضى العارمة ـ التي نشهدها ـ في الفتوى .. جرأة مَن هبَّ ودَبَّ من الناس على الإفتاء .. بعلم وغير علم .. ولا خوف من الله .. ولربما أحدهم يُفتي في مسائل لو عُرِضت على عمر بن الخطاب ﷺ لجمع لها أهل بدر!

يَقبلون الاختصاص .. ويرون أنَّ لكل علم أو مجال من مجالات الحياة أهله وخبراءه .. تُردّ إليهم المسائل والمشاكل ذات العلاقة باختصاصاتهم .. إلا الفتوى، والتوقيع عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ .. فبابه مفتوح للجميع .. الكلُّ يقتحمه ويلجُه .. والكل يدلي فيه بدلوه .. ويتجرَّأ عليه .. ويقول: ولكن أنا أرى ...!

يُكثِر أحدهم القولَ ـ وهو يترنَّح على كُرسيّه يُمنة ويُسرة ـ: أنا أرى .. ولكن أرى .. ويرد كتاب الله وسنة رسوله بما يرى .. ويُفتي في المسائل الكبار بحسب ما يَرى .. وهو لا يُحسِن التطَهرَ من البولِ والخَرَى .. كما لا يُحسِن التمييز بين أركان الصلاة وشروطها!

حقاً قد ضاعت الأمانة .. وقد اقتربت الساعة وأشراطها .. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

وفي الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" إذا ضُيّعَت الأمانةُ فانتظر السَّاعة "، قال: وكيف إضاعتها يا رسولَ الله؟ قال:" إذا أُسنِدَ الأمرُ إلى غير أهله فانتظر الساعة "البخاري.

* * * * *

407- أيهما أقرأ العربي أم الإنكليزي؟!

العربي أجود نوعاً وانتقاءً للقراءة .. ولموضوع القراءة .. والإنكليزي أكثر كمَّاً للقراءة .. ومن حيث عدد القرَّاء .. إذ يغلب على قراءات الشعب الإنكليزي الاطلاع على ما يُكتَب في جرائدهم اليومية .. وفي كثير من الأحيان التلفاز يُغني عنها .. كذلك قراءة القصص والروايات ذات الطابع الخيالي الخرافي .. أو ذات الطابع البوليسي الإجرامي .. أو التي تتكلم عن الحب الذي ينتهي إلى مأساة، ونحو ذلك .. وقليل منهم من يقرأ في مجال العلوم الإنسانية .. والاجتماعية .. والدينية .. والقيم الأخلاقية والحضارية!

بينما العرب على قِلَّة القرّاء منهم .. إلا أن الذين يقرأون منهم يغلب على قراءاتهم الطابع الديني العقائدي .. الجدَلي .. وفي مجالات العلوم السياسية والإنسانية والاجتماعية .. فالمثقف العربي من هذا الوجه أكثر إلماماً واطلاعاً من المثقف الإنكليزي أو الأوربي .. بينما المثقف الإنكليزي في مجال القصص والروايات الخرافية والخيالية والرومانسية .. أكثر إلماماً واطلاعاً من المثقف العربي .. هذا بشكل عام .. ولا يعني ذلك انتفاء وجود من كل فريق من يهتم بقراءات الفريق الآخر .. أو يكون ملماً بقراءات الفريق الآخر أكثر من الآخر .. لكن هذا شاذ بخلاف الأصل.

* * * * *

408- دَور النّخبة في الحضارة الغربية!

من ينظر إلى سعة مساحة اللهو واللعب .. والعبَث .. والمجون والفسوق .. وفشو الخمر والمخدرات .. في المجتمعات الغربية .. يظن أن الشعوب الغربية كلها منغمسة في تلك المظاهر السلبية .. ويستغرب كيف توفرت

تلك القوة المادية الهائلة لحضارتهم .. وكيف أن حضارتهم بتلك القوة قائمة ومتماسكة .. بينما غالب شعوبهم ـ في شبه غيبوبة عن الواقع ـ قد شغلتهم أهواؤهم وملذاتهم .. وهم في سعي مستمر وراء اللهو .. واللعب .. والترف .. والخمر .. يوم أحدهم ينقسم إلى نصفين: نصف للعمل .. ونصف للخانات والبارات .. ومقارعة الكؤوس؟!

والجواب: أن الحضارة الغربية تقوم على النخبة أو الصفوة من شعوبهم .. وهؤلاء يُتابَعون ويُعدَّون لدورهم القيادي والريادي منذ الصِّغَر .. ومنذ المرحلة الابتدائية من دراستهم يتم فرزهم وإعدادهم .. وتوجيههم .. وهم قد لا يزيدون عن 10% من عدد الشعوب .. إلا أنهم يمثلون عصب الحياة .. وعنصر التَّحكم بالمجتمع .. إليهم تؤول مهمة القيادة والإدارة .. والمهام الصعبة والمعقّدة .. وهم في الغالب لا يظهرون .. ولا يُعرَفون .. وهؤلاء لا يُمكن أن يُمارسوا الأعمال السلبية العبثية التي يُمارسها الغالبية من الناس .. بل حتى الخمور التي يشربونها ـ إن شربوها ـ لا يجوز أن تتجاوز نسبة محددة .. بحيث لا تؤثر على اتزانهم، ومهامهم القيادية!

والمعجبون من بني قومي بالغرب .. وتجربته .. قد غفلوا عن هذه الحقيقة .. وظنوا أن الشعوب الأوربية كلها يغلب عليها المجون .. والجنون .. واللهو واللعب .. وهم مع ذلك أقاموا حضارتهم .. وبالتالي حتى نقيم حضارتنا كما أقاموها لا بد من أن نمارس المجون، والجنون، والفسوق، والعبَث نفسَه .. وعلى جميع المستويات؛ مستوى القيادات قبل العوام من الناس .. وهذا عين الجهل والغباء .. والتقليد الأعمى!

فلا هم أوجدوا نخبة وصفوة واعية .. ولا هم نهضوا وأقاموا حضارة!

* * * * *

409- بعضُ صفاتِ جهنَّم وأهلها!

هذه بعض صفات جهنم .. وبعض صفات أهلها .. لمن يستخف بها وبعذابها .. ولا يُباليها بالَةً .. فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال:" إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً؛ بذراع الجبَّار، وإن ضرسه مثل أُحِد، وإن مجلسه من جهنَّم ما بين مكة والمدينة ". ليذوقوا العذاب فترة أطول .. وهم في تحديث مستمر لما يتآكل منهم؛ ليستمر شعورهم بالعذاب ...!

قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ﴾النساء:56.

وقال ﷺ:" إنَّ الرجل من أهلِ النار ليعظُمُ للنار حتى يكون الضرسُ من أضراسِه كأُحدٍ ".

وقال ﷺ:" لو كان في هذا المسجد مائةُ ألفٍ أو يزيدون، وفيه رجلٌ من أهل النَّار فتنفَّسَ فأصابهم نفَسُهُ، لاحترق المسجدُ ومَن فيه ".

وقال ﷺ:" نارُكم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم". قيل: يا رسولَ الله، إنَّ كانت لكافية ـ أي حر نار الدنيا ـ، قال:" فُضِّلت عليهنَّ بتسعةٍ وستين جزءاً؛ كلهنَّ مثل حرها "متفق عليه.

وقال ﷺ:" يُؤتَى بأنْعَمِ الناس كان في الدنيا من أهل النار فيقول ـ أي الرب ﷻ ـ: اصبغوه فيها صبغةً، فيقول: يا ابن آدم هل رأيتَ خيراً قط؟ قرة عينٍ قط؟ فيقول: لا؛ وعزَّتك ما رأيتُ خيراً قط، ولا قرة عينٍ قط ".

وقال ﷺ:" إن الصخرةَ العظيمةَ لتُلقَى من شَفِيرِ جهنَّم فتهوي بها سبعين عاماً ما تفضي إلى قرارها ".

وقال ﷺ:"لا تزالُ جهنم يُلقى فيها، وتقول: هل من مزيد، حتى يضع ربُّ العِزَّة فيها قدَمَه، فينزوي بعضها إلى بعضٍ، وتقول: قَطْ، قَطْ، بعزَّتك وكرمك "مسلم.

قال تعالى:﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ق:30.

أعاذنا الله وإياكم منها، وما قرّب إليها من قولٍ أو عمل .. وألهمنا العمل الصالح، والإخلاص في العمل .. إنه تعالى سميع قريب مجيب .. وصلى الله على مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه وسلم.

* * * * *

410- الخِلطَةُ والعِزلَةُ.

لا بد للإنسان ـ أيَّاً كان مذهبه؛ سواء كان يجنح إلى الخلطة أم إلى العزلة والخلوة ـ من نوع خلطة .. ومن نوع عزلة يختلي فيها مع النفس .. لكن أيهما أفضل الخلطة أم العزلة .. وأيهما يُستحسن الميل والجنوح إليه؛ الخلطة أم العزلة ..؟

أقول: قد كثر الكلام حول هذه المسألة .. وكثرت الآراء في المفاضلة بين الخلطة والعزلة .. والصواب منها: بحسب المصالح والمفاسد المترتبة عن الخلطة أو العزلة .. فإذا كانت المصالح من الخلطة ترجح على المفاسد .. قُدِّمت الخلطة واستحسِنت .. وإن كانت المصالح في العزلة ترجح على المفاسد .. قُدِّمت العزلة على الخلطة .. وهذا يختلف من شخص لآخر .. ومن زمن لآخر .. ومن مكانٍ لأخَر .. ومن مجلسٍ لآخر .. فما يناسب شخصاً من الخلطة أو العزلة قد لا يُناسب الآخر .. فكل أدرى بقدراته .. وحاجياته.

لكن من يجد في نفسه القدرة على الخلطة بالناس .. وكانت خلطته نافعة لهم في دينهم ودنياهم .. يُؤثِرُ فيهم بالخير من دون أن يتأثر بشرهم .. ثم هو قادر على أن يصبر على أذاهم .. فحينئذٍ يكون هذا أفضلَ وأحبَّ إلى الله تعالى ممن لا يقدر على مخالطة الناس .. ولا يصبر على أذاهم .. لقوله ﷺ:" المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف "مسلم.

وقال ﷺ:"المسلم الذي يُخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يُخالطهم ولا يصبر على أذاهم ". وهذا محمول على استيفاء شروط المخالطة .. وهو أن يأمر من يخالطهم بالمعروف، وأن ينهاهم عن المنكر .. وأن يجد في نفسه القدرة على التأثير فيمن يخالطهم بالخير من دون أن يتأثر بشرهم .. وبعاداتهم الخاطئة .. وأن لا يُواكبهم على باطلهم .. والله تعالى أعلم.

* * * * *

411- الموقف من الحقِّ!

إذا كنت في مرحلة من المراحل ضَعيفاً مُستضعَفاً؛ لا تستطيع أن تنصرَ الحق .. فلا تتنازل عنه للباطل .. ولا تُبارِك الباطل .. عسَاك فيما بعد تسطيع أن تنصر الحق .. أو يوجد من بعدك مَن ينصر الحق .. فالحق منصور لا محالة .. فإن لم يُنصَر على يدِك، فهو منصور على يد غيرك!

إذا كنت لا تستطيع أن تنصر الحقَّ .. فلا تنتصر عليه .. فقد تُعذَر في الأولى، لكنَّك لا تُعذَر في الثانية.

إذا كنت على حَقٍّ لا تَعتذر عنه .. ولو قُطِّعت أو حُرِّقتَ .. لأن اعتذارَك عنه انخلاعٌ منه .. وتجريمٌ له .. وتزكية لضده من الباطل.

كم من مُبطِلٍ يُسجَن في سبيل باطلِه السِّنين الطوال .. ويُسَامُ في سبيله الذلَّ وسوء العذاب .. فلا يُثنيه عن باطله قيد أنملةٍ .. بل يزداد تمسكاً به .. وصاحب الحق أولى بهذا الثبات على الحق .. أيكون الباطلُ أعزُّ على صاحبه وأهلِه .. من الحقِّ على صاحبِه وأهلِه؟!

* * * * *

412- الدُّنيا والآخرة.

الدُّنيا دارُ عملٍ، وكدحٍ، ونَصَبٍ، واختبار، وبلاء .. يعتري ساكنيها السَّراءُ والضَّراءُ .. والخير والشر .. والسرور والحَزَن .. وموجبات ذلك كله .. وهي وسيلةٌ لغيرها؛ للآخرة .. وأيما امرئٍ يفهم الدنيا غير ذلك .. ويتعامل معها على أنها دار استقرار، ومتاع، وجزاء .. تخلو ـ أو يجب أن تخلو ـ من المنغِّصات والآلام .. والأحزان .. فهو واهم .. سرعان ما يَصدمه الواقع .. وتفجعه الحوادث التي لا يُحسِن تفسيرها أو فهمها .. فيقع في قلَقٍ وأمراض نفسية تستعصي على الأطباء علاجها .. وربما بسببها يحمل نفسه على الانتحار!

أمَّا دار الآخِرة .. فهو دار جزاء .. واستقرار .. إما في جنة عرضها السماوات والأرض .. فيها من النعيم مالا عينٌ رأت، ولا أُذُنٌ سمعت، ولا خَطرَ على قلب بشر .. وإمَّا جهنم وبئس المصير .. التي فيها من صور العذاب مالا عين رأت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خَطَرَ على قلب بشر .. والذي يحدّد مصير الإنسان في الآخرة .. أعماله في الدنيا .. ومدى نجاحه في الاختبارات التي تعرَّض لها، وأُجريَت عليه في دنياه .. ومدى استغلاله للدنيا وتعامله معها كوسيلة للآخرة.

في ذلك اليوم تُعرَض على الإنسان جميع أعماله في دنياه ما دقَّ منها وما جَلَّ .. كما قال تعالى: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾الإسراء:14. وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾الزلزلة:7–8. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾آل عمران:106.

* * * * *

413- ما ارتفَعَ من الدُّنيا شيءٌ إلا وقَعَ.

ما مِن بَطلٍ جَندَل الرجالَ .. إلا وجاء مِن الرجال مَن يجْدِله ويُسْقِطه .. وما ارتفع شيء من الدنيا إلا وضعَهُ الله، ولو بعد حين .. ومهما صعد الإنسان وارتفع في هذه الحياة الدنيا فنهايته إلى قُلٍّ وهبوط ونزول .. هذه سنة من سنن الله تعالى في خلقه .. لا تستثني أحداً .. ولا يتخلّف عنها مخلوق يدبّ على هذه الأرض .. وما زالت الأرحامُ تَدْفَع، والقبورُ تَبْلَع .. فمن أدرك من الأبطالِ هذه الحقيقة .. وفَهِمَ هذا القانون العام .. تواضع والتزَمَ حدودَ الأدَب .. وتفهَّم هزيمتَه .. وتقبَّل هبوطَه ونزولَه، وعلو وصعود غيره .. بنفس طيّبةٍ .. ورِضاً بالأمرِ الواقع .. وعلم أن ما من طيرٍ طار وارتفع، إلا كما طارَ وقَع.

كانت ناقةٌ لرسولِ الله ﷺ تُسمَّى العَضْبَاءُ، وكانت لا تُسبَق، فجاء أعرابي على قَعُودٍ له فسبقها، فشقَّ ذلك على المسلمين، فلما رأى ما في وجوههم، قالوا: يا رسولَ الله، سُبِقَت العَضْبَاء!

فقال رسولُ الله ﷺ:" إن حقًّاً على الله أن لا يرفَعَ شيئاً من الدنيا إلا وضَعَه "البخاري.

والقَعُود: هو ذَكَرُ الإبل الذي يكون أهلاً لأن يُركَب ويُقعَد عليه، ويكون عمره ما بين سنتين إلى خمسِ سنوات، فإذا دخل في السادسة سُمِّي جمَلاً.

* * * * *

414- مَنْ يَحْكُمُ مَن؟!

مَنْ يَحْكمُ مَن .. المرأةُ تَحكمُ زوجَها .. أم الرجلُ يحكمُ زوجتَهُ؟

هذا سؤال قديم جديد .. يتجدد مع كل مشكلة تحصل بين زوجين .. وهو يصوّر حالة متكررة من الصراع بين الأزواج .. وحالة المكر، والكيد، والتخطيط الذي يبذله كل طرف منهما نحو الآخر، ليكون هو الحاكم والمتسلط على الآخر .. وهذا يتنافى مع روح وغايات الحياة الزوجية .. وفي كثير من الأحيان ينتج عن هذا الصراع .. وهذا الكيد، والحرص على الزعامة والرياسة .. سوء تفاهم حاد .. وربما فساد ودمار للبيوت!

فما العلاج، وما هو المخرَج من هذا الصراع .. وهذا التقاتل .. والتشاحن؟!

أقول: المخرج من هذه الدوامة .. وهذا الصراع .. يكمن في نقطتين: أولهما أن يتعامل الزوجان بعضهما مع بعض، ويتفقا ابتداءً على أنهما كليهما ـ سواء ـ محكومان بحكم رب العالمين؛ فالحكم الذي يمضي فيهما، ويجري عليهما، وعلى أسرتهما .. ويُرَدّ إليه أي تنازع يحصل فيما بينهما .. هو حكم الله تعالى وحده .. لا حكم الزوج، ولا حكم الزوجة .. ولا فضل في ذلك ولا تمايز لزوج أو زوجة .. فكلاهما يتساويان أمام حكم الله تعالى وشرعه، كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ

الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾النساء:59. وقال تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾النساء:65.

ثانياً: أن يراعي كل واحدٍ من الزوجين حق الآخر عليه .. فيحرص على أداء حق الآخر عليه كما يحرص على حقه من الآخر .. فإن تحقق هذا .. وما أشرنا إليه في النقطة الأولى أعلاه .. فحينئذٍ تعمر البيوت بالمودة والمحبّة والتفاهم .. ويغيب منطق الاستقواء والاستعلاء .. والإذلال .. ودواعي الصراع .. كما لا يضر الزوجين حينئذٍ شيئاً؛ سواء كان أحدهما طائعاً أم مُطيعاً .. خادماً أم مخدوماً .. آمراً أم مأموراً .. كما لا يضرهما ـ بعد ذلك ـ كلام الناس فيهما؛ من منهما يحكم الآخر .. ومن منهما يسيطر على الآخر .. ومن منهما يقود ويوجه الآخر .. لأن هذا الإنشغال من الناس لم يعد يعنيهما في شيء .. وهما خارج دائرته.

هكذا أرى العلاج لهذه الظاهرة .. وهكذا أرى المخرَج .. وما أقل من يسلكه ويستجيب له!

* * * * *

415- قَلَمِي!

قَلَمي .. هو ما تبَقَّى من سلاحي .. أفزَعُ إليه كلما داهم أمتي خَطبٌ .. أو استشرفت بدعةٌ برأسها .. أو تسَوَّرَ زنديق منافق الأسوارَ والديارَ .. ليفرّق الصفَّ .. أو ليتعدَّى الحرمات .. أو ليوقّعَ عن الله تعالى وعن رسولِه الكذبَ والزور!

قَلَمي .. به أدافع عن ديني .. وأمتي .. وإخواني .. وبه أنازل الطغاةَ الظالمين وسحَرَتهم!

قلمي .. أفزَعُ إليه .. إن راودتني فكرة .. أو خاطرة نافعة .. لأدونها قبل أن تفوتني .. فأنساها وتنساني!

قلمي .. في أي وقتٍ ـ من ليلٍ أو نهارٍ ـ أطلبه .. فهو جاهزٌ للمنازلة والعمل والقتال .. ما خذَلني قَط .. أجده دائماً عند حسن ظنّي به .. أَمَلٌ ولا يمل .. وأفترُ وأَنصَبُ .. وهو لا يعرف النَّصَبَ ولا الفتور!

قلمي .. هو قرَّة عيني .. ورفيق دربي .. فيه ومعه أجدُ أُنسي وراحتي .. ولو سُجِنتُ .. ثم سطا العدو على ممتلكاتي .. وخيرني بشيء واحدٍ يبقيه لي .. لقلت له: دَعْ لي قلمي ...!

إن راودتني فكرة فقد يدي ... راودني مباشرة السؤال التالي: كيف سأحملُ قلمي ...؟!

قَلَمِي كم أنا أُحِبُّهُ .. وأظنُّه كذلك هو يُحبّني!

اللهمَّ اقبلني وقلمي عندَك في عليين .. يا أرحم الراحمين .. اللهم آمين!

* * * * *

416- هكذا الإنسان!

هكذا الإنسان تتنازعه ـ على الدوام ـ مجموعة من المشاعر والنوازِع .. والنزوات .. نزعة حب التشفي والانتقام .. ونزعة الميل إلى البغي والظلم .. ونزعة الانتصار للنفس .. ولو في الباطل .. ونزعة الحرص .. والشُّح .. والخوف .. والقَلَق على المستقبل والحياة .. ونزعة حب النفس، والاعتداد بالذات .. ونزعات شهوات الفرج .. والبطن .. وحب الشّرَف والرياسة .. والظهور .. والاستعلاء .. فهو في صراع مستمر مع هذه النوازع .. والنزوات .. والرغبات .. تخبو حيناً وتَقوى حيناً آخر .. وأحياناً بعضها يقوى أكثر من بعض .. فمن تغلَّب عليها، وعقَلَها بعِقال النَّقلِ والعقل .. فقد أفلح وفاز .. وأراح واستراح .. ومن غلبته وانتصرت عليه .. وعَقَلَته كعبدٍ مملوك لها .. لا فكاك له من سلطانها .. فقد خاب وخسر .. وتَعِبَ وأتْعَب .. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَى. وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى* وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾النازعات:37-41.

* * * * *

417- في القِصَاص حياة.

في القِصَاص حياة .. كيف .. والجاني يُقتَل .. أو تُقطَع يده أو رِجلُه؟!

أقول: الجاني القاتل يُقتَل .. فتحيى مكانه وبقتله عشرات الأنفس .. كان سيقتلهم لو لم يُقتَل .. أو كانوا سيُقتَلون ثأراً وانتقاماً للمقتول إن لم يُقتَل القاتل عدلاً وقصاصاً ..!

بقتل الجاني القاتل .. وتنفيذ القصاص .. يسود الأمن والأمان .. والعدل .. وتُردَعُ ذووا النفوس المريضة الإجرامية، من الإقدام على جريمة القتل .. أو التفكير بالقتل .. فتُكتَب لهم الحياة .. ولغيرهم من الناس .. كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾البقرة:197.

عجبتُ لهؤلاء الذين يتباكون على حقوق الإنسان إذا ما قُتِل القاتِلُ المجرمُ قِصاصاً .. ولا يتباكون على العشرات الذين قُتِلوا ويُقتَلون بسبب ترك القِصَاص .. ولو كانوا من أُولي الألباب لما فعلوا ذلك!

* * * * *

418- إجابَةُ الدُّعاء.

قد يدعو داعٍ .. ثم يستبطئ الإجابة .. ويقول: دعوتُ، ولم يُجَب دُعائي ...؟!

ولهذا أقول: انظر في نفسك أولاً هل حققت شروط الإجابة .. قبل أن تستبطئ الإجابة، وتُسيء الظنَّ بالله .. أم أنَّ مطعمَكَ حرامٌ .. وملبسك حرام .. ومشربك حرام .. وحياتك كلها حرام في حرام .. ثم تقول: يا الله .. فأنَّى يُستجَاب لك؟!

ويُقَال: قد يكون في إجابة دعائك تفويتاً لمصلحة راجحة .. الله يعلمها .. وأنت لا تعلمها .. وربما تعلمها بعد حين .. فتحمد الله أن الله تعالى لم يستجب لدعائك .. ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾البقرة:216. فالله تعالى يحمي عبده المؤمن من الدنيا .. كما يُحمَى المريض من الطعام .. وما أكثر الذين يقتصر دعاؤهم على الفوز بالدنيا، وبمتاعها وحسب .. وما لهم في الآخرة من خَلاق، كما قال تعالى: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ﴾البقرة:200.

ويُقال: قد تتأخر الإجابة إلى وقت تكون الإجابة فيه أكثر نفعاً .. وأكثر مسَرَّة للداعي .. مما لو استُجيب للدعاء في حينه .. فيحمد الله أن أخَّر الإجابة على دعائه إلى ذلك الحين!

ويُقال: قد يُدفَع بالدعاء شرٌّ عظيم .. لم يتنبَّه له الداعي .. ولم يقصده من دعائه .. فكم من قدَرٍ ماحق نازل .. يدفعه قدَرُ الدعاء الصاعد .. وصاحبه في غفلة عن هذا!

وفي الحديث:" لا يَردُّ القضاءَ إلا الدعاءُ ".

ويُقال: قد تُرجَأ إجابة الدعاء إلى يوم القيامة .. ليُعطى الداعي على دعائه الحسنات العظيمة .. والمقامات العالية .. فيكون ذلك أكثر نفعاً ومسرةً له .. فيحمد الله تعالى .. ويتمنى ـ لما يرى من العطاء الجزيل على دعائه ـ لو أن الله تعالى لم يستجب لدعاء له في الدنيا .. وأنه تعالى ادّخر الإجابة على أدعيته كلها إلى يوم القيامة!

وفي الحديث:" لو تعلمون ما لكم عند الله ﷻ، لأحببتم لو أنكم تزدادون حاجةً وفاقةً ".

ويُقال: في الاستبطاء .. بلاء واختبار للداعي؛ هل سيستمر في الدعاء .. مع تحسين الظن بالله تعالى .. أم أن الاستبطاء سيحمله على الاستعجال، والإمساك عن الدعاء .. ويحمله على سوء الظنّ بالله؟!

وفي الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" لا يزالُ العبدُ بخيرٍ ما لم يَستعجِلْ "، قالوا: يا نبيَّ الله، وكيف يستعجِل؟ قال:" يقول: دعوتُ ربي فلم يستَجِب لي ".

* * * * *

419- البلايا ممحاةٌ للخطايا.

من غايات البلاء أن تُمحَى به الآثام والخطايا مهما عَظُمَت عدا الشِّرك؛ فالشركُ لا يجبُّه إلا التوبة منه، قال ﷺ:" ما يبرحُ البلاء بالعبد حتى يتركَه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة ".

وقال ﷺ:" إن الصالحين يُشدَّد عليهم، وإنه لا يُصيبُ مؤمناً نكبةٌ من شوكةٍ فما فوق ذلك إلا حُطَّت بها عنه خطيئة، ورُفِع بها درجة ".

وقال ﷺ:" قال الله تعالى: إذا ابتليتُ عبدي المؤمن، فلم يشكني إلى عوَّاده أطلقتُه من إساري، ثم أبدلتُه لحماً خيراً من لحمه، ودماً خيراً من دمه، ثم يستأنفُ العمَل ".

وقال ﷺ:" إن الله تعالى يقول: إذا ابتليتُ عبداً من عبادي مؤمناً، فحَمِدَني، وصبرَ على ما ابتليتُه به، فإنه يقومُ من مضجَعِه ذلك كيومِ ولدَته أمُّهُ من الخطايا، ويقول الربُّ للحفَظَةِ: إنِّي قيَّدتُ عبدي هذا وابتليتُه فأجْروا له من الأجرِ ما كنتم تُجرُون له قبل ذلك وهو صحيح ".

وقال ﷺ:" ليوَدَّنَّ أهلُ العافيةِ يوم القيامة أن جلودَهم قُرِضَت بالمقاريض، لما يرون من ثوابِ أهل البلاء ".

وقال ﷺ:" ما من شيءٍ يُصيبُ المؤمن في جسدهِ يُؤذيه، إلا كفَّرَ الله عنه من سيئات ".

وقال ﷺ:"ما يزالُ البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسِهِ، وولدِه، ومالِه، حتى يلقى اللهَ وما عليه خطيئةٌ ".

وقال ﷺ:"ما ابتلى اللهُ عبداً ببلاءٍ وهو على طريقةٍ يكرَهُهَا، إلا جَعلَ اللهُ ذلك البلاءَ له كفَّارةً وطَهوراً؛ ما لم يُنزِل ما أصابَهُ من البلاء بغيرِ الله، أو يدعو غيرَ الله في كشفِه ".

وعن أُمِّ العلاء، قالت: عادَني رسولُ الله ﷺ وأنا مريضةٌ، فقال:" أبشِري يا أمَّ العَلاء؛ فإنَّ مَرَضَ المسلمِ يُذهِبُ الله به خطاياهُ كما تُذهِبُ النارُ خبَثَ الذَّهبِ والفِضَّة ".

وقال ﷺ:" إن المؤمن تُصيبُه النَّكبَةُ أو الشوكَةُ، فيُكافَأ بأسوَإِ عمله ". أي يُكافَأ على صبره على ما أصابه من بلاء بذهاب أسوإ ما عنده من سيئات قد عَملَها .. والحديث فيه أن البلايا تمحوا الخطايا .. بما في ذلك كبائر الذنوب .. ولله الحمد.

فالمؤمن أمره كله خير؛ إن أصابته سرَّاءُ، شَكَرَ فأُجِرَ .. وإن أصابته ضرَّاءُ، صبَرَ فأُجِرَ .. كما قال ﷺ:" عجَباً للمؤمن لا يقضي اللهُ له شيئاً إلا كان خيراً له ". فهنيئاً له!

* * * * *

420- هكذا يتعاملون مع شيوخِهم!

قال لي أحد الشيوخ الأفاضل ممن هم على المنهج الحق: انظر كيف يستقبل الناس شيوخَهم من أهل البدع والأهواء .. ممن هم ليسوا على المنهج الحق: يتكلفون بتذاكر سفرهم .. ونفقات إقامتهم .. إضافة لما يُقتطَع لهم من أجرٍ على المحاضرات التي يُلقيها أحدهم .. هذا غير الدعاية المكثفة التي يروجون بها لمحاضرات أولئك الشيوخ .. بينما أحدنا .. ترى التلاميذ والإخوان من شبابنا .. ممن هم على منهجنا .. ينتظرون منك أن تقول لهم: أريد أن أحاضر فيكم .. فإن وافقوا واتفقوا .. وتحقق النصاب الأدنى لاتفاقهم .. يُطالبونك بأن تأتي إليهم بنفسك .. وتتكلف جميع نفقات السفر والإقامة .. حتى عنوان مكان تواجدهم .. يريدون منك أن تأتيه بمفردك .. وتتكلف البحث والسؤال عنه .. ولو أضعت الطريق فلا حرج أن تعود من حيث أتيت .. ثم هم في النهاية إن تمَّ اللقاء ـ من حضرَ منهم ـ يمنُّون عليك أن حضروا محاضرتك .. وجلسوا في مجلسك .. واستمعوا إلى درسك!

فأين يكمن الخلل .. في المنهج الذي نحن عليه، أم في الناس .. أم في ماذا؟!

قلت له: أجد الذي وجدت .. وأشعر بالذي تشعر به .. وهذا من البلاء .. ومن الغربة التي يُعاني منها أهل الحق .. نسأل الله لنا ولكم الثبات .. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أما عن موطن الخلل: فالمنهج الذي عليه أهل البدع والأهواء .. يُلامِس أهواء ورغبات الطغاة الظالمين .. وما يلامس أهواءهم ورغباتهم .. توضع له التسهيلات .. والدعاية .. والرعاية .. وكامل الخدمات .. التي تؤدي في النهاية إلى بروز تلك الظاهرة التي ذكرت .. ثم أن في التجمع والتجمهر حولهم لا يترتب عليه أي تبعات من قبل الطغاة الظالمين وجلاديهم .. بخلاف ما لو تجمعوا وتجمهروا حول الدعاة من أهل الحق .. فإن مجرد القرب منهم شبهة وتهمة يُؤخَذ عليها بالنواصي والأقدام .. ويُزجّ لأجلها في غياهب السجون .. لذا تجدهم يتكاثرون في مجالس أهل البدع والأهواء .. ويقلون في مجالس أهل الحق من أهل السنة والجماعة .. هكذا عادة الغالبية من الناس .. يريدون ويحبذون العلمَ السَّهل .. والشيوخ الذين يدعون إلى هذا السهل من العلم ولا يتجاوزونه؛ الذي يخلو من التكاليف والتبعات .. والأعمال الشَّاقة على النفس بعض الشيء .. والتي منها الموالاة والمعاداة في الله .. ومواجهة الطغاة الظالمين، وأطرهم إلى الحق!

أما عمّن ذكرت من الشباب والإخوان .. ممن هم يحسبون أنفسهم على منهجنا .. فالتقصير فيهم واضح .. والملامة عليهم حاصلة .. وفي النهاية هم الخاسرون .. ولا يلوموا إلا أنفسهم .. غفر الله لهم، وهداهم لما فيه الصواب.

* * * * *

421- لا تَسألوا النَّاسَ شيئاً.

احرص ـ ما استطعت ـ أن لا تسأل الناسَ شيئاً .. ولك الجنَّة!

فما سألتُ إنساناً شيئاً .. إلا وخسرتُ منه على قدر ما سألتُ منه؛ خسرت من مودته .. وقربه .. وصحبته .. واحترامه .. بقدر ما سألته!

وما سألتُ أحداً مسألة .. إلا وارتدَّ عليَّ أذى وضرر سؤالي، عاجلاً أم آجلاً ..!

السائل خاسِر ـ وإن خُيَّل إليه أنه رابح ـ ولو بعد حين!

صَدَقَ رسولُ الله ﷺ إذ قال:" مَن تكفَّلَ لي أن لا يَسأل الناسَ شيئاً أتكفَّل له بالجنة ".

وعن أبي ذرٍّ، قال: دعاني رسولُ الله ﷺ، فقال:" هل لكَ إلى البيعةِ، ولك الجنة؟"، قلتُ: نعم، وبسَطتُ يدي، فقال رسولُ الله ﷺ وهو يشترط:" على أن لا تسأل الناسَ شيئاً "، قلت: نعم، قال:" ولا سوطكَ إن سقطَ منك حتى تنزِلَ فتأخذه "!

وقال ﷺ:" ثلاثة أُقسمُ عليهن ـ منها ـ: ولا فتحَ رجلٌ على نفسهِ باب مسألةٍ يَسأل الناسَ إلا فتَحَ اللهُ عليه بابَ فَقر ".

وقال ﷺ:" من فتَحَ على نفسهِ بابَ مسألةٍ من غير فاقةٍ نزلت به، أو عيالٍ لا يُطيقهم، فتح الله عليه بابَ فاقةٍ من حيث لا يحتسب ".

قلت: لأن الله تعالى غيور ـ لا أحدَ أغيرَ من الله تعالى ـ يغار على عبده .. عندما ينصرف عنه ـ وهو المالك الخالق الرازق، المتصرّف بهذا الكون وما فيه .. القريب من عباده .. الذي يتودّد إليهم بالعطاء والنِّعَم التي لا تُعَد ولا تُحصَى ـ إلى ما سواه ـ الذي لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ـ ليرمي بحاجته إليه .. ويشكو اللهَ إلى عبادِه!!

* * * * *

422- استِشْرافُ محبَّة الناس.

يا مَن يَستشرَف حبَّ الناس له .. ويجعل حبهم له مطلباً وغايةً .. أقول: لا تُتعِب نفسَكَ .. ولا تُرهقها سعياً في رغبات وأهواء الناس .. إن كنت تستحق حبهم لك .. فسيحبونك رغماً عن أنوفهم .. سواء استشرفت ذلك أم لم تستشرفه .. وسواء أقبلت عليهم أم أدبرت .. وإن كنت تستحق بغضهم .. فسيبغضونك .. ولو توددت لهم بكل ما يحبون ويرغبون .. وذلك أن الأمر كله مرده إلى الله تعالى وحده؛ فالله تعالى إن أحبَّ عبداً وضع له القبول في الأرض .. وأحبه العباد .. رغم أنف من شاء ومن لم يشأ .. وإن أبغض عبداً؛ وضع له البغض في الأرض .. وبين العباد .. فيبغضه الناسُ .. شاء من شاء، وأبى من أبى .. فلا تتعب نفسك يرحمك الله .. وإن

كنت حريصاً ـ بحق على أن يحبك الناس ـ فاحرص على أن تُصلِح علاقتك مع الله تعالى .. وعلى أن يُحبك الله .. تصطلح جميع أحوالك .. ويُحبّك الناس.

* * * * *

423- عندما تكونُ الشّهرةُ غاية!

أن تُطلَب الشّهرةُ بعمل نبيل .. مستَقبَح وفق قانون المروءة والأخلاق، والإخلاص .. فما بالك فيمن يمطي كلَّ مستقبَح .. وكل شاذ .. وكل وسيلة .. ويدفع من حياته كل غالٍ ونفيس من أجل الظهور والشهرة .. لا شك أنه أكثر قبحاً واستهجاناً!

والناسُ في سعيهم نحو تحقيق هذا المطلب الهام من حياتهم .. مشارب وأهواء؛ فمنهم: من يسلك مسالك الخوارج الغلاة .. ومنهم من يسلك مسالك أهل التجهم والإرجاء .. فالأول يملك مفاتيح النار .. يُعذّب فيها من يشاء .. والآخر يملك مفاتيح الجنة .. يرحم فيها من يشاء .. هكذا يُخيّل إليهم .. لعلمهم أن كل شاذٍّ عن الاعتدال يُعرَف ويَظهَر ويُلفِت النَّظَر .. ومنهم من يتجرّأ بالشتم والطعن على العظماء الكبار كالأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم .. ليُعرَف .. ويدخل في عالم الشهرة من أقصر طريق .. وفي أقل وقتٍ ممكن .. وهذا أخس الأصناف وأحقرها!

وكذلك الوضيع السَّاقِط عندما يتطاول بالشتم والعدوان على شريفٍ تقيٍّ معروف .. لا ينفك عنه إلى أن يحظى منه على ردٍّ ولو كان قاسياً .. ليطير به في الأمصار؛ ها هو فلان قد عناني برده .. وذكرني باسمي!

ومنهم من لا يُبالي أن يدخل في أي نفَقٍ .. أو يتكلم في أي موضوع .. أو يظهر في أي قناة من القنوات الفضائية .. ومهما انتقده الناس أو تكلموا عليه بصيغة الذم والانتقاص .. فهو لا يُبالي ما دام ذلك يحقق له الظهور والشهرة بأقصر طريق، وأقل زمنٍ ممكنين .. صدَق من قال: إن من الظهور ما يقسم الظهور!

قال رسولُ الله ﷺ:" إنَّ الله يُحبُّ العبدَ التَّقي، الغنيّ، الخَفِي "مسلم. تأمَّل الحديثَ وتدبَّره .. واجتهد أن تكون من أهله .. جعلني الله وإياكم من أهله.

* * * * *

424- عائِلٌ مُستكبِرٌ!

ترى أحدَهم في بلده يعيش الفقرَ .. والجوعَ .. والمرض .. والحرمان .. إلى درجة تثير الشَّفقة والرحمة .. فإذا حطَّ أرضاً من البلاد الأوروبيّة .. وكُشِف عنه بعض ما كان يُعاني منه .. ينسى ما كان فيه من شدة وبلاء؛ فتراه يختال ويخضع في مِشيته .. وكأن كل قطعة من جسده تتحرك وتمشي بمفردها .. بنطاله سالت إلى ما بعد

منتصف مؤخرته .. بجواره كلبين يمشيان من أمامه ومن خلفه .. نفقة أحدهما تكفي لخمس عوائل فقيرة في بلده الذي جاء منه .. إن جلَس؛ يضع حذاءه على مواضع جلوس الناس .. ومواضع رؤوسهم من المجلس .. يتكلم وأنفه شاخِصٌ إلى السماء .. وشِقّ فمه السفلي أعوج؛ مرة يميل به يُمْنَةً .. ومرة يميل به يُسرَةً .. لا يشكرُ معروفاً .. ولا يحمد الله على نعمة!

هذا إن رأيتموه .. فهو العائل المستكبر .. وهو وأمثاله المعنيون من حديث النبي ﷺ:" ثلاثة لا يكلمهم الله يومَ القيامة، ولا يُزكيهم، ولا ينظرُ إليهم . منهم .: وعائِلٌ مُستَكبر ".

* * * * *

425- حُكومَةُ الشّهوات!

حكومة الشهوات؛ هي الحكومة التي تجعل على رأس أولوياتها ومهامها .. والغاية من وجودها: حماية الشهوات .. وخدمة الشهوات .. واتباع الشهوات .. وتهييج وإثارة الشهوات .. وتزيين وتحسين الشهوات .. والانتصار للشهوات .. وحريَّة الشهوات .. وترويج ثقافة الشهوات، والشذوذ .. وتغليب مصلحة الشهوات على ما دونها من المصالح .. فالشهوات هي الوسائل والغايات في آنٍ معاً .. لأن وجود هذه الحكومة متوقف على مدى قوة ورواج الشهوات بين الناس .. وما أكثر الحكومات المعاصرة التي تقوم على هذا المعنى .. وعلى حمايته .. والقتال دونه!

وهؤلاء حظهم من كتاب الله، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾النور:19.

وقوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً﴾النساء:27.

* * * * *

426- من استعمار إلى استعمار!

خرج الاستعمار الأجنبي الخارجي من بلادي .. وبقي الاستعمار الداخلي كمندوب عن الاستعمار الخارجي: يحكم بقانون الاستعمار الخارجي .. ويخدم ويحرس سياسات ومصالح الاستعمار الخارجي .. ويأتمر بأمر الاستعمار الخارجي .. وينتهي بنهيه .. يُحارِب الإسلام والمسلمين كما كان يحارب الاستعمار الخارجي الإسلام والمسلمين، وأكثر .. ويقمع الشعوب ويستعبدها .. ويستذلها .. كما كان يفعل الاستعمار الخارجي ذلك وأشد .. وهو لا يختلف عن الاستعمار الخارجي إلا بخصلة واحدة فقط؛ وهي أن الاستعمار الداخلي من بني جلدتنا، وبلدنا، ويتكلم بألسنتنا!

وعجبي من بني قومي .. كيف اتفقوا على محاربة الاستعمار الخارجي، وإخراجه من البلاد .. وفي المقابل اختلفوا على قتال وجهاد الاستعمار الداخلي .. بل إن كثيراً منهم قد ارتضى الاستعمار الداخلي .. وحرّم وجرّم الخروج عليه .. ورأى فيه وليَّ الأمر الذي يجب أن يُطاع .. علماً أن الاستعمار الداخلي ـ قد أثبت وفق جميع المقاييس والموازين ـ أنه أشر وأضر على الأمة من الاستعمار الخارجي؟!

فمتى يستيقظ بنو قومي .. ويدركون هذه الحقيقة .. وأنهم قد خرجوا من استعمار إلى استعمار أشد؟!

* * * * *

427- ما يطلبه المستمعون!

كما أن المغنيين والمغنيات .. يتحرون في أغانيهم ما يطلبه المستمعون والجمهور .. كذلك يوجد ـ وللأسف ـ من مشايخ ودعاة هذا العصر .. وبخاصة منهم مشايخ الفضائيات من يقدم ما يطلبه المستمعون والجمهور .. فيتقلبون في فتاويهم .. وأقوالهم .. ومواقفهم .. ويُغيرون ويُبدلون .. ويُحسِّنون ويُقبحون .. ويتذبذبون .. بحسب ما يريد ويطلب الجمهور .. وبحسب ما يطلبه المستمعون .. وهؤلاء أضر وأخطر على الأمة .. وعلى الإسلام والمسلمين .. من المغنيين والمغنيات الذين يقدمون الأغاني التي تستهوي الجمهور والمستمعين!

* * * * *

428- كيف تتعامل أمريكا مع الحكومات ومعارضيها في المنطقة؟!

استوقفني فلم وثائقي عن النمل ـ هذا المخلوق الضئيل العظيم .. الذي تستهويني فيه متابعة حركته .. وعمله .. ونشاطه .. ودقة تنظيمه .. وعلو همته .. وإيثاره ـ بعنوان " النمل الذي أكلَ أمريكا "!

فقلت: غزوة من أضأل وأضعف مخلوق .. لأطغى دولة يشهدها العصر الحديث .. لنرى كيف تمت هذه الغزوة!

وبالفعل فقد تناول الفلم الوثائقي الحديث عن نوع من النمل الأحمر .. الشرس .. اللحومي .. وهو يغزو عدداً من المدن والولايات الأمريكية .. وبكثافة هائلة .. فدخل بيوتهم، ومساكنهم، ومتاجرهم، ومزارعهم .. وكل مكان من حياتهم .. فأقلق عليهم مضاجعهم، ومعاشهم .. وكلفتهم مقاومته مئات الملايين من الدولارات ـ كما قالوا هم عن أنفسهم ـ ولما عجزت أمريكا ـ بقوتها وجبروتها وطغيانها ـ عن مواجهة النمل .. أضأل مخلوقات الله .. استقوت عليه بنوع من الذّباب؛ من مطعوماته ومأكولاته هذا النوع من النمل .. فتحالفت معه في حربها ضد النمل .. فقامت بتربيته وتنشئته في محاضن حكومية خاصة .. ليتكاثر .. ويَكثر عدده بالقدر الذي يمكنه من الانقضاد على جيوش النمل .. والتهامها .. وإراحة أمريكا منها!

قلت: هكذا أمريكا تتعامل أيضاً مع حكومات دول المنطقة .. ومع المعارضة لتلك الحكومات .. فمرة تستقوي بالحكومات على المعارضة والشعوب .. ومرة تستقوي بالمعارضة على الحكومات .. كما استقوت بالذباب على النمل .. وتحالفت مع الذباب ضد النمل .. وبحسب ما تقتضي مصالحها .. وسياساتها .. فهي في أي عمل عسكري .. أو نشاط سياسي دوبلوماسي .. تبحث عن الذباب الذي تستقوي به على مآربها .. وتحقيق مصالحها، وفرض سياساتها .. والعتب ليس عليها، ولكن على من رضي ويرضى ـ من بني قومي ـ في أن يدخل في حلفها .. وأن يقوم لها بمقام ومهام ودور الذباب!

* * * * *

429- زوجُ الشَّهوةِ .. وزوجُ المرأةِ.

زوج الشَّهوة؛ هو الزوج الذي يَفهم الحياةَ الزوجية ـ ويتعامل معها ـ عبارة عن مجرد شهوة أو نزوة شهوة .. فإذا قضى شهوته .. نأى .. وأعرَضَ .. وجَفَا .. وقصَّرَ .. وتهرَّب من مسؤولياته .. فإن عادت إليه شَهوته .. عاد .. فأقبلَ .. فإذا قضاها .. عاد إلى سيرته الأولى في الجفاء والإعراض، والتقصير .. وهكذا بقية حياته بين الإقبال والإدبار بحسب إقبال شهوته وإدبارها .. فهو يرتبط بالبيت وأهل البيت .. من أجل الشهوة .. وعلى قدر حاجتها .. وعطشها .. فإذا انطفأت الشهوة كلياً أو خَبَت ـ ولا بد لها من يومٍ تنطفئ فيه أو تخبو ـ فيا خراب البيت .. ويا سوء حظ أهل البيت!

أما زوج المرأة؛ هو الزوج الذي يفهم الحياة الزوجية ـ ويتعامل معها ـ كمسؤولية .. وأمانة .. ورسَالة .. ورعاية .. وحقوق وواجبات متبادلة بين الزوجين .. ومن ذلك ما للشهوة من حظٍّ ونصيب .. لا يُهمَل ولا يُنتَسى.

* * * * *

430- نَسَبٌ لا تَقْطَعْهُ.

العربية نسَبٌ يَصِلك بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ .. وبإرث السلف الصالح .. فاحرص عليه، وتمسَّك به، وعض عليه بالنواجذ .. فإن جهِلتَها .. انقطع ما بينك وبين كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ من صِلةٍ .. وتواصلٍ .. وتفاعل .. على قدْر جهلك بها.

والعكس كذلك؛ على قدر تمكنك من اللغة العربية .. ودرايتك بقواعدها وتصريفاتها .. على قدر ما تتعزز صلتك بكتاب ربك، وسنة نبيك .. بإذن الله.

لذا كانت العربية الفصحة ـ ولا تزال ـ هدفاً لأعداء الأمة .. لعلمهم أن تجهيل المسلمين بدينهم .. وبكتاب ربهم .. وسنة رسولهم ﷺ .. مصدر عزتهم وقوتهم .. ومناعتهم .. وتحويلهم إلى مجرد وعاء فارغ تُلقى فيه الثقافات الوافدة المنحرفة .. لا يتأتَّى لهم إلا بعد تجهيلهم باللغة العربية وبقواعدها!

ومهما قيل عن ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية الأخرى .. فإنها لا يمكن أن تسدَّ مَسَدَّ العربية في فهم القرآن الكريم .. وفهم سنة النبي المصطفى ﷺ .. كما لا يمكن أن تكون لها جاذبية وأثر اللغة العربية في فهم كتاب الله تعالى .. الذي قال تعالى عنه: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾يوسف:2. وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً﴾الرعد:37. وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾فصلت:3.

* * * * *

431- عَطاءُ العلماء والحُكَّام.

كم من عطاءٍ نافِع للعلماء يُمنَعُ، ويُحارَب؛ مرضاة للحكام .. فيموت الحكامُ .. ويذهب زمن سلطانهم .. وينتفض عطاء العلماء من جديد .. ليرتوي به ظمأ البلاد والعباد .. وتنتفع منه الأجيال التالية.

كم من عطاء للعلماء .. يُراعي أهواء الحكام .. ويميل إليهم ميلاً قليلاً أو كثيراً .. فيُنشَر، ويُخدَم، ويُزَاع في حينه .. لكنه يموت بموت الحكّام .. وزوال سلطانهم .. ويذهب جُفَاءً ليصبح أثراً بعد عين .. كأنه لم يكن!

ومن خلَط ـ من العلماء ـ في عطائه بين الحق والباطل .. ظل الجانب الباطل من عطائه وآثاره .. يُلاحِقه .. ويُؤثّر سلباً على جانب الحق عنده .. ما بقي ذكره قائماً بين الناس!

فهنيئاً لمن كان عطاؤه موافقاً للحق ـ خالِصاً لوجه الله ـ وإن سخطه حكام زمانه .. وزبانية وجلادي حكام زمانه .. فإن الأجيال التَّالية .. ستستفيد منه .. وستُنصِفه .. وستعرف له قدراً .. بإذن الله .. ثم هو ـ بإذن ربه ـ أدوم وأمكَثُ في الأرض، وأنفع، كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾الرعد:17.

* * * * *

432- عِبادَةُ التَّفَكّر والنَّظَر.

من أعظم العبادات عبادةُ التفكُّر والنَّظَر؛ أن يختلي المرءُ بنفسه ساعةً فيتفكّر في خلق السماوات والأرض، وفي النفس البشرية .. وما أودع الله تعالى في هذا الكون ـ وما فيه ـ من آياتٍ بَاهرات .. قاطِعات في الدلالة على عظمة ووحدانية الخالق ﷻ .. التَّفكر بكل شيء من شأنه أن يُقرّبَ العبدَ من ربه .. وأن يُشعره بعظيم لطفِ ونِعَمِ وفضل الله تعالى عليه .. فيحمله ذلك على الشكر، والتَّحميدِ، والتَّسبيحِ، والتَّكبير، والتَّهليل .. وما أقل من يُمارس هذا النوع من العبادة العظيمة!

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾الروم:8. وقال تعالى: ﴿قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾يونس:101. وقال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾الأنعام:99. وقال تعالى:﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾الغاشية:17-20.

فنحن مُطالبون بأن ننظر ونتفكّر في هذه المخلوقات كلها .. وغيرها من الأشياء مما يقربنا من الله تعالى .. ويحببنا به ﷻ .. ويعرّفنا على عظيم فضله ونعمه علينا .. وأنه تعالى هو الحق .. وأنه هو المعبود بحق .. وأنه تعالى يقضي بالحق .. وأن ما يُعبَد من دونه فهو الباطل .. ولا يقضي إلا بالباطل.

مَن يمارس عبادة التفكر سَاعةً .. خير من عبادة التنفّل مائة ساعة، أو العكوف للذكر باللسان مائة ساعة مع سَهو القلب والفكر عن الله تعالى .. وانشغالهما بالدنيا ومشاكلها .. ومشاغلها .. وإغراءاتها .. وما أكثر الذين يفعلون ذلك؛ فيتعبدون، وقلبهم ساه عن ربهم إلى ما سواه .. وفي الحديث:" إن الرجلَ لينصرفُ وما كُتِبَ له إلا عُشرُ صلاتِه، تُسعُها، ثمنُها، سُبعها، سُدسُها، خمسها، رُبعها، ثُلثُها، نِصفُها ". أي ليس له من صلاته إلا على قدر ما عَقِلَ منها، وخشِعَ فيها.

* * * * *

433- جِيَفٌ تمشي!

تأملت كثيراً من الناس وهم يمشون في الأسواق .. فبدا لي أنها جِيَفٌ تمشي على الأرض؛ لا تعرف معنى للحياة غير السعي والركض وراء إشباع الشهوات والغرائز الحسّية!

جِيَفٌ ليس لها هدف تسعى إليه سوى شهوتي البطن والفرج!

جِيفٌ مكتوب على وجوهها .. الشهوات .. وليس شيئاً آخر غير الشهوات .. أو يمكن أن يُزاحِم الشهوات!

جيفٌ فقدت الإحساسَ بحاجيات الروح ومتطلباتها .. كما فقدت الوعي بالهدف الأسمى من وجودها في هذه الحياة؛ ألا وهو عبادة الله تعالى وحده، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾الذاريات:56.

فهؤلاء لا يُباليهم اللهُ بالَةً سواء أصيبوا بالإيدز .. أو بانفلوزيا الطيور .. أو انفلوزيا الخنازير .. أو جنون البقر .. أو غير ذلك مما ينتظرهم .. ويخفى عليهم .. وما يخفى عليهم أدهى وأمَر!

* * * * *

434- رعيةٌ بلا راعٍ.

قالت لي ابنتي: يا أبتي مالهم المسلمون متفرقون .. متناحرون .. متخلِّفون .. كلُّ حزبٍ بما لديهم فرحون .. لم يُغنِ عنهم ملياركم شيئاً .. الكلُّ يستقوي عليهم .. ويعتدي عليهم وعلى دينهم .. وينال منهم .. وينهش منهم نَهشةً .. وقتما شاء .. وكيفما شاء .. بلادهم ليست لهم .. وخيراتهم لغيرهم .. حتى أصبحنا سخريةً بين الأمم والشعوب؟!

قلت لها: لأننا رعية بلا رَاعٍ ...!

* * * * *

435- عُقُوقُ الوالد!

قال لي رجل فاضل: قد استعصى ولدي على حجتي .. وأرهقني في الجدال .. فلم أعد قادراً على إقناعه بأن يستبدل ثوبه العربي " الدشداشة " بارتداء بنطال وقميص واسعين .. يحققان المواصفات الشرعية .. لكنهما أقل حرجاً عليه .. وبخاصة أنه طالب يدرس في إحدى الجامعات الغربية .. وهو كثير التنقل في مواصلاتهم .. فثوبه العربي يدل عليه .. وقد يكون بسببه عرضة للأذى من قِبل العنصريين .. فحبذا لو نصحته .. عساه أن ينتصح .. وقد بلغني أنه ممن يُعيرون لك سمعهم!

فقلت للولد الطالب: أطِعْ أباك .. فليس فيما يُطالبك به معصية لله .. إلا أن الولد ازداد عناداً وتمسكاً برأيه .. وازداد جفاء لي ولأبيه .. ورتَّب على مسألة الثوب موقفاً .. وولاءً وبراء!

فمضت الأيام .. والأسابيع .. وإذ نفاجأ بخبر مفاده أن الولد الطالب قد تعرَّض لاعتداء عنصري خطير .. وهو يتنقّل عبر مواصلات أهل البلد المقيم فيها .. قد أفقده وعيه!

فمكث الولدُ في العناية المركّزة بين الموت والحياة .. وبعد أشهرٍ من العلاج .. استرد الولدُ بعض وعيه وعافيته .. إلا أن الأطباء قد أجمعوا له: أنه لا يمكن أن يلبس الثوب العربي .. وأنه لا بد له من ارتداء السروال " البنطال " لكي يتمكن من الحركة والسير .. ومن ذلك الوقت .. والولد يُرَى في الطريق لابساً البنطال ...!

فقلت: يا سبحان الله .. عصى والده وأغضبه من أجل البنطال .. فأبى الله إلا أن يُلبسَه البنطال رغماً عن أنفه .. انتصافاً لأبيه! .. وفي ذلك عبرة للعصاة من الأبناء .....!

* * * * *

436- تحقِيقُ الخشُوعِ في الصَّلاة.

أمورٌ تُعينُك على تحقيقِ الخشوعِ في الصلاة، بإذن الله:

منها: أن تُصلي كما كان النبي ﷺ يُصلي .. وهذا معناه أن تستوفي شروط، وأركان، وواجبات، ونوافل الصلاة من غير نقصان .. ومن ذلك الاطمئنان في كل حركة من حركات الصلاة؛ فتطمئنُّ قائماً، وتطمئنُّ راكعاً، وتطمئنُّ ساجداً .. فعلى قدر تحقيق المتابعة للسنَّة على قدرِ ما يتحقق الخشوع.

ومنها: تحقيق الإخلاص في الصلاة، والابتعاد بالنفس عن عوارض وشبهة الرياء .. فالرياء يُذهب الخشوع، كما يُذهب ويُبطل الأجر على العمل.

ومنها: أن تتدبر معاني الآيات التي تتلوها في الصلاة؛ فتجتهد أن يبقى ذهنك مشدوداً ومقصوراً على التفكر بالآيات ومعانيها .. ودلالاتها.

ومنها: أن تستحضر في قلبك عظمة الخالق ﷻ .. وعظمة أسمائه الحسنى وصفاته العليا .. وتُعلِم نفسك أنها واقفة بين يدي رب العالمين .. مالكِ المُلك .. وخالق الخلق .. الذي لا يخفى عليه شيء .. الذي يعلم الجهر وما يخفى .. عساها بعد ذلك أن تلتزم حدود الأدب والخشوع.

وهذا يستلزم منك أن تتعرف أولاً على أسماء الله الحسنى، وصفاته العليا .. وأن تطلب المزيد من التعلم في هذا العلم العظيم والمبارك .. فعلى قدر ما يكون المرء عالماً بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا .. على قدر ما يتحقق له الخشوع .. ويتحقق التعلق .. وحسن الإقبال على الله تعالى في الصلاة .. وعلى قدر ما يجهل المرء أسماء الله الحسنى وصفاته العليا .. على قدر ما يتحقق له الجفاء، والنفور .. ويضعف الخشوع .. إذ أن المرء لا يعرف قدر من يجهله .. فكيف تراه يعظّم أو يخشع بين يدي من لا يعلم عنه شيئاً!

ومنها: أن تعلم أن الصلاة .. هي عبارة عن موعد تختلي فيه مع ربك .. الرب ﷻ بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، قد أتاح لك فرصة اللقاء به .. لكي تناجيه .. وتدعوه .. وتسأله .. وتتحدث إليه بحاجتك .. وتستخيره فيما أهمَّك وغُمَّ عليك وجه الحق فيه من شؤون دينك ودنياك.

ومنها: وأنت تناجي ربك وتدعوه .. تعتقد اعتقاداً جازماً صادقاً أنك محل نظر الله تعالى .. وأن الله تعالى ينظر إليك .. ويُقبِل عليك .. ويسمع كلامك ودعاءك .. وهذا مما يُعينك على تحقيق الخشوع .. والاجتهاد في أن لا تُريه منك ما يتنافى مع أدب العبد مع الربِّ ﷻ ... ومما يتنافى مع الأدب .. أن تناجيه وتدعوه .. وتطلب منه ما تريد بلسانك، بينما قلبك وذهنك مشغولان ومصروفان عنه إلى ما سواه!

ومنها: أن تدَع ما يهمك من أمور دنياك خارج الصلاة .. وبعيداً عن الصلاة .. فقبل أن تدخل في الصلاة، وتقف بين يدي الله تعالى .. تعزم على أن تتخلى .. أو تنسى كل ما أهمك وشغلك من أمور دنياك .. وتجعله خلفك أو خارج الصلاة .. فإن اقتحمك شيء منه وأنت في الصلاة .. وشغَلَك عن الخشوع .. فاستعِذ بالله من الشيطان الرجيم .. واتفل على يسارك ثلاثاً.

ومنها: أن تجتنب المعاصي ما استطعت .. وبخاصة منها الكسبَ الحرام .. فالمعصية تُفسد ما بينك وبين خالقك من ودّ وعلاقة .. إذ كيف يحلو لك أن تناجيه .. وتدعوه .. وتقف بين يديه .. أو يمكن لك أن تُحقق الخشوع في صلاتك .. وأنت قائم على معاصيه .. تُجاهر .. وتُفاخر بها!

الوقوع في الذنب .. الذي يتبعه ندم .. وتوبة .. واستغفار .. وتذلل وخضوع للعبد بين يدي ربه يسأله العفو والمغفرة .. أرجو أن لا يُفسِد الود بين العبد وربه الرحمن الرحيم .. لكن الإصرار على الذنب .. ثم المجاهرة والمباهاة به .. فهذا الذي يُفسد الود والعلاقة .. ويُخشَى على صاحبه الهلكة والخسران.

ومنها: أن لا تدخل في الصلاة والأخبثان يُدافِعانك .. فهذا مما يُذهب الخشوع في الصلاة.

ومنها: أن لا تدخل في الصلاة .. وأمامك طعام تشتهيه .. لذا جاءت السُّنَّة بتقديم العَشَاء على العِشاء، لمن حضرَه العَشَاء.

ومنها: أن لا تدخل في الصلاة .. وأنت تشكو التُّخمة .. قد أملأت بطنك بالأطعمة والأشربة .. حتى تبلغ منك الحلقوم!

ومنها: أن تُحافظ على أذكار الصباح والمساء التي تحفظك من الشياطين ومن وساوسهم التي تؤثر سلباً على خشوعك في الصلاة.

هذه جملة من الأمور .. تُعينك ـ بإذن الله ـ على تحقيق الخشوع في الصلاة .. فإن عجزتَ عن العمل بمجموعها .. اجتهد أن تعمل بما تستطيع منها .. ثم سلِ الله تعالى أن يُعينك على العمل فيما عجزت عنه.

* * * * *

437- القَاتُ واليمَن.

ما دامَ في اليمن قات ... ما في يمَن!

ما دام علماء وشيوخ وقادة اليمن يتناولون القاتَ ـ وبشراهة ـ قبل العوام ... ما في يمن!

ما دام الحديث عن مضار القات وعن آثاره السلبية .. وعن منعه وضرورة إيقاف زراعته .. يُعتبر من المحظورات التي يُؤخذ عليها بالنواصي والأقدام .. مَا في يمن!

ما دامت وجبة القات اليومية ـ المرتفعة الثمن قياساً لدخل المواطن اليمني ـ أهم من وجبات الطعام .. يُهتَم بإعدادها وتأمينها أكثر مما يُهتم بإعداد وتأمين الطعام .. أو تأمين حاجيات الإنسان الأساسية من الكساء والغذاء ... ما في يمَن سعِيد .. وسيظل اليمن متخلفاً يُعاني من مشاكله السياسية .. والأخلاقية .. والاجتماعية .. والاقتصادية .. والصحية .. والتي تتفاقم يوماً بعد يوم!

هذا ما قلته لبعض الخواص والشيوخ ـ منذ أكثر من عشر سنوات ـ لما كنت مقيماً في اليمَن .. هذا البلد الذي نحبه ونحب أهله الخيرين .. لكن كلماتي قُوبِلت بالاعتراض والاستخفاف .. ومما قالوه لي: أن كل شيء يمكن

مناقشته في اليمَن بصورة فاعلة .. إلا موضوع القات .. فهو خط أحمر بالنسبة لليمني .. وشيوخ وقادة الشعب اليمني .. ونصحوني بأن أمسك عن الحديث في الموضوع .. وأن لا أُتعِب نفسي فيما لا جدوى منه!

لكن ها هي الأيام والسُّنون .. تمضي لتُثبت صحة قولي .. فالوضع اليمني من سوء إلى أسوأ .. ومن تخلفٍ إلى آخر .. ولهذه النبتة الخبيثة أثرها الظاهر والبالغ في ذلك .. وأهل اليمن عن ذلك من الغافلين .. أو من المتغافلين!

وأنا هنا أقول ثانية ـ مشفقاً وناصحاً ـ لأهلنا وأحبّتنا في اليمن .. الذين نحب لهم كل خير: ما دامت هذه الشجرة الخبيثة "القات" تُزرَع في بلادكم بكثافة .. وتُعطَى الأولوية في نشاطكم الزراعي .. وتُؤثرون زراعتها على زراعة ما لذّ طعمه، وكثر نفعه وخيره من الأشجار والمزروعات الضرورية للناس .. فاليمن سيبقى يُعاني من مشاكله المتفاقمة، على جميع الأصعدة .. كما أن مشاكله ستتراكم ـ كما هو حاصل الآن ـ إلى أن تستعصي على العلاج .. لأن المعالجَ حينئذٍ هو واحد من ضحايا القات؛ هو في فتورٍ .. وغيبوبة دائمة عن حقيقة واقعه المريض .. وأنَّى لفاقدِ الشيء أن يُعطيه!

فإن قيل: فما هو الحل .. وكيف؟

أقول: لا بد من وجود فئة من نخبة وصفوة المجتمع اليمني .. تُمسك هي أولاً عن تناول القات .. وتُدرك خطورة هذه النبتة على المجتمع اليمني .. وعلى العقلِ اليمني .. وعلى عطاء اليمني .. ثم تنشط ـ بالحكمة والموعظة الحسنة ـ في الدعاية .. وإقامة المحاضرات والندوات .. وطباعة النشرات التي تُحذر الناس من مساوئ ومضار القات .. وتبين حرمته في شرع الله تعالى كما نعتقد .. وبه نقول .. إلى أن تتسع قاعدة هذه النخبة والصفوة .. ويصبح مطلب اجتثاث هذه النبتة الخبيثة .. والتوقف عن تناولها .. مطلباً جماهرياً .. به يقول عامة أهل اليمن ... ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾الروم:4-5.

* * * * *

438- عَلامَةُ المشبوه!

للمشبوه علامات .. فاعرفوها .. منها: عندما يُظهِر الولاء باللسان لبعض المجاهدين .. لينال من البعض الآخر .. الذين قد يكونون أكثر نكاية بالعدو!

ومنها: عندما يُظهر الولاء لبعض الدعاة والعلماء .. للاحتماء بهم في محاولة نيله من البعض الآخر من العلماء العاملين .. الذين قد يكونون أشد نكاية على أعداء الأمة، والإسلام والمسلمين .. من غيرهم .. فهو لكي ينال منهم .. وتصل سهام حقده وغدره إليهم .. يحتاج إلى غطاء من جنس العلماء الذين يطعن بهم .. ليستتر بهم في تحقيق غرضه ومبتغاه.

ومنها: عندما يُظهر الحماسَةَ الزائدة .. لعمل مشبوه .. منَفِّر .. عليه مقال ومأخَذ .. يُنسَب للمجاهدين .. فهو من حماسه المكذوب .. يريد تثبيت نسبة الفعل للمجاهدين .. ليتحقق لهم الذم والانتقاص .. من قِبل العامة .. ولكي ينفّر عنهم الناس!

والصواب عند حصول الأعمال المتشابهة للمجاهدين، أن يُسكت عنها؛ فلا تُمدَح ولا تُذَم!

ومنها: اتباع منهج وأسلوب التهويش .. والتهييج .. في الحوارات .. ليظهر له ـ ولمن خلفه من الطواغيت الظالمين ـ أكبر قدر من المخبوء!

ومنها: عندما يطرح المسائل؛ على وجه الاتهام والتهجم .. وأحياناً الافتراء والكذب .. ليستفِزَّ الآخرين .. وليستدرج في الحديث من يستعصي عليه استدراجه أو السماع منه في الحالات الطبيعية!

ومنها: حرصه الشديد على منع الناس من الانتفاع من جهد وجهاد العلماء العاملين .. حيث كلما نُقِل قول نافع أو نصيحة نافعة لعالم من هؤلاء العلماء .. لينتفع بها الناس .. قام هو مباشرة ـ من قبيل التشويش والتنفير ـ ليتناول قولاً ـ أو موقفاً ـ متشابهاً لهذا العالم ـ وكأن هذا العالِم ليس من آثاره سوى هذا القول المتشابه ـ ليُبطل مفعول أثر كلامه النافع على الناس!

وهو يكرر ذكر هذه الشبهة ـ لغرضه الخبيث الآنف الذكر ـ كلما ذُكِرَ هذا العالم بخير .. أو نُقِل عنه ما ينتفع به الناس!

هذه بعض العلامات .. فمن تجدونه متلبساً بها .. فاحذروه .. واعلموا أنه مشبوه .. ولا تقولوا عن مثل هذا: نريد بينة ظاهرة قاطعة مانعة .. فقد أثِر عن عمر ﷺ أنه قال:"لستُ بِخَبٍّ، والخَبُّ لا يَخدعُني".

* * * * *

439- عندما يَشتمُكَ جليسُكَ وأنت لا تدري!

احذر أن يشتمَك جليسُك وأنت لا تدري .. وصفته: عندما يشتمك بأسوأ العبارات .. والألقاب .. وعلى وجه التفصيل .. على لسان غيره .. فيقول لك: قال الناس فيك .. وعنك .. كذا .. وكذا .. ويا ابن كذا وكذا .. ويسرد شتمهم لك بالتفصيل .. والتفصيل الممل!

فإن ابتليت بجليس من هذا النوع، فاعلم أن الشاتم حينئذٍ هو وليس أحداً غيره .. أراد أن يشتمك فما استطاع .. فشتمك نقلاً عن لسان غيره .. ليَظهرَ لك على أنه مجرَّدُ ناقلٍ، وهو ليس كذلك!

وقد صدق القائل:

مَن يُخَبِّرْكَ بِشَتْمٍ عَن أَخٍ ... فهوَ الشَّاتِمُ لا مَن شَتَمَكْ

مَا أَسَا مَنْ لَمْ يُواجِهْكَ بِهِ ... إنَّمَا الشَّتْمُ إلى مَن أعْلَمَكْ

* * * * *

440- الحاكِمُ العَادِلُ.

قال الحسَنُ البصري رحمه الله:" الإمامُ العادِلُ قِوامُ كُلِّ مائلٍ، وقَصْدُ كُلِّ جائرٍ، وصلاحُ كل فاسدٍ، وقوَّةُ كل ضعيفٍ، ونَصَفَةُ كلِّ مظلومٍ، ومَفْزَعُ كل ملهوفٍ.

الإمام العادِلُ كالراعي الشَّفيق على إبلِه، الرفيق بها، الذي يرتادُ لها أطيبَ المرعى، ويذودُها عن مراتعِ الهلَكةِ، ويحميها من السِّباع، ويكُنُّها من أذى الحرِّ والقَرِّ.

الإمامُ العادلُ كالأبِ الحاني على ولدِه؛ يسعى لها صغاراً، ويُعلمهم كباراً، يكتسب لهم في حياته، ويدَّخرُ لهم بعد مماته.

الإمامُ العادلُ كالأمِّ الشَّفيقةِ البَرَّة الرفيقة بولدِها، حملته كرهاً ووضعته كُرهاً، وربته طفلاً، تسهرُ بسهره، وتَسكنُ بسكونه، تُرضِعه تارةً، وتفطمه أخرى، وتفرَح بعافيته وتغتَمُّ بشكايته.

الإمامُ العادلُ وصيُّ اليتامى، وخازِنُ المساكين، يُربِّي صغيرَهم، ويَمُونُ كبيرَهم .. هو القائمُ بين الله وبين عبادِه؛ يسمَعُ كلامَ الله ويُسْمِعُهم، ويَنظرُ إلى اللهِ ويُريهم، وينقادُ إلى اللهِ ويقودُهم ".

* * * * *

441- كلامُك!

كلامُك دليل عليك .. يُظهِر المخبوء من نفسك .. إما أنه يُردِيك .. وإما أنه يُنجيك .. ويُعليك .. إن صنته صانك .. وإن هنته هانك.

مَن هان عليه كلامه، وأطلق العنانَ للسانِه، كثر لغطه وغلطه .. وظلم أُذنيه ـ وآذان سامعيه ـ من فِيه .. لا يُبالي أن يضعه في أي موضعٍ مُستقبَح .. تراه يُزاحم الناسَ في الكلام؛ ليأخذ حصته وحصة غيره .. المهم أن يتكلم ـ أي كلام؛ بعلم وبغير علم ـ وأن يصرف وجوه الناس إلى كلامه .. وإن أورده المهالك، وارتد عليه بالخسران!

ومن عَزَّ عليه كلامه .. غلا ثمنه .. وقلَّ لغطه وغلطه .. وأنصف أُذنيه ـ وآذان الناس ـ من فِيه .. وفاضل بين أحسن ما عنده من كلام .. ووازن بين الحسن والأحسن من كلماته .. وحسب لها حسابها قبل إخراجها .. وتحرَّى لها أطيب وأحسن المواضع ليضعها فيها .. يُمسِك حيثما يُستحسن الإمساك ويتعيَّن .. ويتكلم ـ بقَدْر ـ حيثما يُستحسن الكلام ويتعين .. لا يُمِلّ الناسَ من كلامه .. يقوم عنهم وهم لحديثه وكلامه راغبون .. متشوِّفون.

قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ الَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً﴾الإسراء:53.

وفي الحديث:" وهل يكبُّ الناسُ في النارِ على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ". وفي رواية:" وهل يكب الناس على مناخرهم في جهنّم إلا ما نطقت به ألسنتهم، فمن كان يُؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو يسكت عن شرٍّ، قولوا خيراً تغنموا، واسكتوا عن شرٍّ تسلموا ".

وقال ﷺ:" إنَّ الله لا يحبُّ هذا وضربه؛ يلوون ألسنتهم للناس لِيَّ البقرة لسانها بالمرعى، كذلك يلوي اللهُ ألسنتَهُم ووجوههم في النار ".

وقال عمر ﷺ:" من كثُرَ كلامُه كثر سَقَطُه، ومن كثر سقَطُه كثُرت ذنوبُه، ومن كثرت ذنوبُه كانت النارُ أولى به ".

وكان ابن عباس ﷺ يأخذ بلسانه وهو يقول:" ويحك قل خيراً تَغنَم، أو اسكت عن شرٍّ تَسلَم، وإلا فاعلم أنك ستندَم ".

كلامُك أنت سيده ومالكه ما حافظت عليه وبقي في نفسك .. فإن خرج منك .. أصبح مُلْكاً لغيرك .. وربما بسببه جُعِلتَ مُلْكَاً وأسيراً لغيرك .. وأصبحتَ مملوكاً بعد أن كنت مالكاً.

وقد قِيل من قبل: اللسانُ كَلبٌ عقورٌ؛ إن خُلِّي عنه عَقَر.

وقِيل: صدرُكَ أوسعُ لسرّك من صدر غيرك.

وكان ابن مسعود ﷺ:" يحلف بالله الذي لا إله إلا هو، ما على الأرضِ شيءٌ أحوجُ إلى طولِ سجنٍ من لِسانٍ ".

وقال عمرو بن العاص ﷺ:" ما استودَعتُ رجلاً سِرَّاً فأفشاه فلُمْتُه؛ لأني كنتُ أضيَقَ صدراً منه حين استودعتُه إياه حين أفشاه ".

وكان علي بن أبي طالب ﷺ ينشد، فيقول:

يموتُ الفَتى من عَثْرَةٍ من لِسانِه ... وليس يموتُ المرءُ من عَثْرَةِ الرِّجْلِ

فعثْرَتُه من فِيهِ تَرمِي برأسِهِ ... وعثرَتُه بالرِّجْلِ تُبرَى على مَهَلِ

* * * * *

442- من معاني حِفظِ الله لدينه.

من معاني حفظ الله لدينه .. أن يُظهِر نفاق وكيد المنافق؛ الذي يتكلم باسم الدين .. ولو بعد حين!

كمَا من معاني حِفظِ الله لدينه .. أن يُظهِر إخلاص المخلصين .. ويُعلي من كلمتهم وشأنهم ولو بعد حين.

كم من مُتسلِّقٍ مداهنٍ منافق .. أظهرته الدعاية والأضواء على أنه داعية وعالم وبطل لا يُشَق له غبار .. يخفى شرّه وضلاله ـ برهة من الزمن ـ على كثير من الناس .. لكن يأبى الله تعالى إلا أن يفضحه .. ويُظهر نفاقه .. ويُعرِّف الناسَ على حقيقته .. ولو بعد حين.

بل حتى من له سابقة علم ودعوة وإخلاص .. ثم يطرأ عليه النفاق .. أو شيء من النفاق .. يُظهره الله تعالى .. ليميز الخبيث من الطيب .. حتى لا يلتبس على الناس أمر دينهم .. وهذا من مقتضيات ومعاني قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾الحجر:9. فلله الحمد، والمنة، والفضل.

* * * * *

443- صِفَةُ عَمَلِ الدَّاعية النَّاجِح.

الداعيةُ النَّاجحُ الموفَّقُ تتحققُ فيه صفتان: أولهما تَعريفُ العبادِ بربِّ العباد .. وبحقه على العباد .. وما يُقربهم ويوصلهم إليه .. ويُحببهم به ﷻ.

ثانياً: أن يُبَصِّرَ العبادَ بصفات وأنواع الشرك، والطواغيت التي تُعبَدُ من دونِ الله .. ليعتزلوها ويجتنبوها .. ويكفروا بها.

ولا يكتمل عملُ الدَّاعية إلا إذا قام بالأمرين معاً .. وجاهد دونهما في سبيل الله قدر استطاعته .. وهذا الذي كان عليه جميع الأنبياء والرسل من لدن آدم عليه السلام إلى نبينا صلوات الله وسلامه عليه .. كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾النحل.36. وكان ما من نبي إلا ويقول لقومه: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾الأعراف:59.

الداعية الذي تتحقق فيه هاتين الصفتين الآنفتي الذكر أعلاه .. وينشط في دعوته لهما .. هو المعني من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾فصلت:33.

* * * * *

444- صِفَةُ أولِيَاءِ الله.

للوليِّ أربع خِلالٍ:

أولها: العِلم، وبخاصَّة من العِلم؛ العلمُ بالله تعالى، وبأسمائه الحُسْنَى، وصفاتِه العُلْيا .. كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾فاطر:28. وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾آل عمران:18. فأشرك العلماء ـ دون سائر الخلق غير الملائكة ـ في الشهادة على أعظم وأرفع مشهود.

ثانياً: الانقيادُ والمتابعة للكتابِ، وللسُّنّة، على فهم خِيارِ سَلَفِ الأمّةِ .. كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّه فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّه﴾آل عمران:31.

ثالثاً: الجهادُ في سبيل الله .. كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾العنكبوت:69.

رابعاً: الإخلاص .. وهو شرط لقبول أي عمل .. كما قال تعالى ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾الكهف:110. وقال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ص:82-83.

هؤلاء ـ الذين تتوفر فيهم الخلال الأربعة الآنفة الذكر ـ هم المعنيّون من قوله تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾يونس:62.

وعلى قدر تحقق هذه الخلال والصفات في المرء على قدر ما تتحقق له الولاية .. ويكون من المصطفين الأخيار .. والعكس كذلك؛ على قدر ما تنتفي تلك الخلال والصفات عن المرء .. على قدر ما تنتفي عنه الولاية .. وتكون ولايته ناقصة .. ومن يزعم الولاية لمن لا تتحقق فيه الصفات الأربعة الآنفة الذكر أعلاه .. فهو جاهل .. وواهم .. وممن يقولون على الله بغير علم.

* * * * *

445- بلادُنا ليسَت لنا!

استوقفني خبر اقشعرَّ له بدني .. يقول: بأن دولة قطر قد استقبلت الملعون الدنماركي صاحب الرسوم "الكريكاتورية" الساخرة بحق سيد الخلق صلوات ربي وسلامه عليه .. ضمن فعاليات اليوم العالمي للإعلام .. وحرية التعبير .. لينعم الخبيث بدفء حسن الضيافة .. وبالكرم العربي الأصيل!

هكذا يَستَقبلُون الشياطينَ من أعداءِ الأمَّةِ .. وأعداء الإسلام والمسلمين .. الطَّاعنين بسيد الخلق صلوات الله وسلامه عليه .. بينما الأحرار من الدعاة إلى الله فنصيبهم الطرد .. والمطاردة .. وغياهب السجون والزنازين لو حطَّت أرجلهم أرضَ مطاراتهم ...!

ألم أقل لكم: أن بلادَنا ليست لنا ...!

* * * * *

446- ما يَظهر عن طريق الرياء ..!

ما يَظهر عن طريق الرياء .. منقطع .. لا خير فيه .. كان سيَظهر أضعافه عن طريق الإخلاص لو صبرت .. وكنت من المخلصين!

الإخلاصُ سيُظهِره الله .. عاجلاً أم آجلاً .. وتأخير ظهوره اختبار لك؛ هل ستستعجل فتُظهِرُه عن طريقِ الرياء أم تلتزم حدود وآداب الإخلاص؟!

فلا تُفسِدَنَّ عملاً باستعجال إظهاره قبل أوانه .. وعن غير طريقه الشرعي .. فمن تعجَّل شيئاً قبل أوانه عُوقِبَ بحرمانه.

ولو لم تأتها بالريّاء، لأَتَتْكَ بالإخلاص .. لكنك استعجلتَ؛ فاستشرَفتَ، واستَشْوَفْتَ، وأسْمَعْت!

* * * * *

447- شَاهِدُ الزُّورِ.

أن يشهَدَ المرءُ على شخصٍ آخر في قضيةٍ ما هو بريء منها؛ فيَنسِبُ إليه ـ بهتاناً وزوراً ـ ما لم يفعل، ولم يقل .. فهذا شاهد زورٍ!

والأسوأ منه .. الذي ينسب للحق باطلاً .. أو ما ليس فيه .. أو للباطل حقاً أو ما ليس فيه .. فيزوِّر الحقائق والمعاني على عبادِ الله .. فهذا أيضاً شاهد زور .. وزوره أغلظ .. وهو أسوأ ممن قبله.

ونحوه الذي يسكت في المواضع التي يتعين فيها الكلامُ والصَّدعُ بالحق .. ثم يُفَسَّرُ سكوتُه على أنه شهادةٌ وإقرارٌ وموافقة لما يسمع من باطل .. فهذا أيضاً شاهد زور .. يطاله الوعيد الذي يستحقه شاهد الزور .. وما أكثر هؤلاء الذين يدخلون في هذا المعنى لشهادة الزور .. أعاذنا الله وإياكم من شهادة الزور .. وشُهودِه!

* * * * *

448- أماكن لا تُدْخَل!

من الأماكن التي لا تُدخَل .. والتي أنصح بعدم دخولها: المطاعم الخاوية من الناس .. التي يقلُّ روادها .. ونحوها البقّالات والمحلات التي تخلو من الزبائن .. وبخاصة منها التي لا تُسعِّر بضائعها .. فهي غالباً تقوم على الغشّ والاحتيال .. وعرض الفاسد من الأشياء .. فيوضَع لها النفور والكراهية في قلوب العباد .. وتُرفَع عنها بركة السماء .. وإلا قل لي: كيف تفسر وجود بقالتين بجوار بعضهما البعض .. فيهما نفس البضائع والأشياء .. إحداهما مزدحمة بالزبائن .. لا يتوقف فيها البيع والشراء .. والأخرى فارغة من الزبائن .. وكذلك المطاعم؛ فما أكثر المطاعم المتقاربة المتجاورة التي يتحقق فيها هذا الوصف؛ بعضها مزدحم بالزبائن .. لا تهدأ فيها الحركة .. وبعضها الآخر خاوٍ .. لا يُحرّك سكونها أحد؟!

السبب هو ما تقدم ذكره أعلاه ...!

ومن الأماكن كذلك؛ الحدائق العامة .. التي تخلو من وجود الناس .. فغالباً ما تكون هذه الحدائق مرتعاً للجريمة والفساد .. وفي البعد عنها منجاة .. وطلب للسلامة .. والله تعالى أعلم.

* * * * *

449- الكِتَابُ.

كَثُرَت وتنوَّعت وسائلُ الإعلامِ والتَّلقّي .. وهي في توسُّعٍ وازديادٍ .. وهي ـ فيما بينها ـ في تنافسٍ مستمر؛ أيُّها يجذب ويصرف إليه أكبر قَدْرٍ من الناس ...!

لكن الحقَّ، والحقَّ أقول: على كثرة تنوع وسائل الإعلام والتَّلقي .. وعلى شدة فتنتها وأثرها .. إلا أن الكتاب يبقى سيدها .. وهو أولها .. وأدومها .. وأكثرها أثراً وجاذبية .. وجمالاً .. وفائدة .. وسهولةً في التعامل والتداول .. وأكثرها ضبطاً وحفظاً للنصوص التي يُراد نشرها .. وأكثرها أماناً وأمانةً.

والمرء .. مهما اقتنى من تقنيات وسائل الإعلام والتَّلقي .. في النهاية لا غنى له عن الكتاب .. وعن استخدام الكتاب .. والتعامل مع الكتاب؛ لأنه لا يوجد مما يقتنيه من وسائل التلقي الأخرى ـ على كثرتها ـ ما يُغني عن الكتاب .. ويسد مَسد الكتاب!

لأجل ذلك أنصح باقتناء الكتاب النافع .. والتَّصالح مع الكتاب .. وتشكيل مكتبة نموذجية في كل بيت .. ينشد أهله التقدمَ والوعي، والتحضّر.

* * * * *

450- الولاءُ والبراء في البيع والشِّراء.

الاقتصاد عَصَبُ الحياة .. وهو مَطلَبٌ لجميع الناس .. ومن الناس من يؤدِّبه الدرهم والدينار .. مالا يُؤدبه شيء آخر!

وعليه فأقول: مَن عُرِف بعدائه للإسلام والمسلمين .. وأنه يرصد جزءاً من ماله وربح تجارته لمحاربة الله ورسوله .. ولصدّ الناس عن دين الله .. أو أنه ممن يشتمون اللهَ والدين .. أو أنه ممن يبيعون الخمور والمسكرات في محلاتهم .. يُقاطَع اقتصادياً .. ويُعتَزَل التعامل معه بيعاً وشراءً ما أمكن إلى ذلك سبيلاً .. تبكيتاً له وعقاباً .. عساه أن يرعوي على نفسه .. فيُمسِك .. أو يقِل ويضعف شرّه على الناس!

كذلك من يُعرَف بالتقوى والاستقامة .. ينبغي أن يُقصَد في التعامل من بين الناس .. ويُبَاعَ منه وإليه .. لأن في تقوية هذه الشريحة من الناس اقتصادياً .. هو من التضامن والتكافل الذي يجب أن يكون بين المسلمين .. ومن التقوّي على طاعة الله .. والتعاون على البرّ والتَّقوى.

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾المائدة:2.

هذه السياسة في التعامل كما ينبغي أن تُمارَس على مستوى الأفراد .. والجماعات .. ينبغي أن تُمارَس ـ بصورة فاعلة وأشد ـ على مستوى الدول والحكومات .. لو كان حكام بلاد المسلمين ممن ينتسبون إلى الأمة، وإلى عقيدتها حَقَّاً .. وهؤلاء لو ناديتهم .. ومهما ناديتهم .. لا حياة لمن تُنادِي!

* * * * *

451- أنتَ ووسائِلُ التَّلَقّي.

كما تُحْكِم إغلاق وعاء الطعام؛ حتى لا تتسرب إليه الأوساخ والجراثيم .. فتعمل عملها الضار في جسدك .. كذلك يجب عليك أن تُحكِم إغلاق وعاء بصرك وسمعك وفؤادك .. حتى لا تتسرب إلى قلبِكَ وذهنِك وروحِك السُّمومُ المبثوثة عبر وسائل الإعلام والتَّلقّي .. فيصعب عليك التخلصُ منها بعدما يكون السُّمُّ قد سرى في روحك .. وعروقك .. وعقلِك .. وعَمِلَ عَمَلَه الفتَّاك فِيك!

كما تُحْكِم إغلاق النوافذ؛ حتى لا يدخل الغبارُ .. والذبابُ .. إلى ساحة غرفتك .. عليك كذلك أن تُحكم إغلاق النوافذ أمام وسائل الإعلام والتلقي المختلفة .. التي تعمل جاهدة على إدخال ألوان من الأوساخ الفكرية والثقافية والعقائدية الضارة .. والقاتلة لروحِك وعقلِك.

وكما تُحْكِم إغلاقَ باب دارِك؛ حتى لا يدخل اللصوصُ فيسرقون مالَك .. ويعتدون على حُرماتِك .. كذلك عليك أن تُغلِقَ باب دارِك أمام اللصوصِ الذين يُريدون أن يَسرِقوا منك دينَكَ وإيمانَك وعقلك .. وهؤلاء أشد جرماً وأثراً من اللصُوصِ الأوائل!

وإن كان لا بد لك من فتحها .. فليكن بِقَدْرٍ .. وبالقدر الذي يسمح للنافع بالدخول .. والضار منها يبقى خارجاً مطروداً .. واقفاً بعيداً عن العتبات والأبواب .. مذؤوماً مدحوراً.

اعلم أنَّك ابنُ وسائل التَّلقي .. فكما يُلقَى فيك تكون .. وقلْ لي ماذا يُلقَى فيك أقول لك من تكون؛ فإن أُلقي فيك خيراً نَضَحْتَ خيراً .. وإن ألقي فيك شرَّاً نَضَحتَ شرَّاً .. فالإناءُ يَنضَحُ ما فيه .. ولا يُمكن أن يَنضَحَ إلا ما فيه .. والأرضُ تُنتِجُ ما يُزرَعُ فيها؛ فإن زُرِعَت قمحاً، أنتجَت قمحاً .. وإن زُرِعَت شوكاً أنتجَت شوكاً .. فانظر أي أرضٍ أنت .. وأي زَرعٍ يُرمَى فيك!

كما تُعرَفُ صَحَّتُك الجسدية من خلالِ طريقتك في تناول الطعام .. ومَدى اهتمامك بجودة الطعام كمَّاً ونوعاً .. كذلك تُعرَف مَدَى صحتك وسلامتك الفكرية والعقلية والروحية .. من خلال طريقتك في التعامل مع وسائل الإعلام والتَّلقِّي العديدة والمنتشرة .. والتي كثير منها يتربص بك وبغيرك المكائد والضرر، والشر!

قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولِيكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾الإسراء:36. فهذه هي رعيَّتُك .. وأنت راعٍ لها .. ومسؤولٌ عنها.

* * * * *

452- عندما تُجالِسُ عالماً.

إن جالستَ عالماً .. أو كنت في حلقة من حلقات طلب العلم .. احرِص على أمرين: استغلال وقت المجالسة فيما ينفعك في دينك ودنياك .. بحيث ـ ومن معك من طلابِ العلم ـ لا تسمحوا للوقت أن يمر من دون فائدة أو تحصيل فائدة .. كما لا تسمحوا بإشغال العالِم فيما لا ينفع أو فيما يقل نفعه!

ثانياً: احرص على أن تطرحَ على العالِم أهم ما يعنيك من أمور دينِك ودنياك .. فلا تبدأه بصغائر المسائل .. وبما يُصنَّف في خانة الترف الفكري والنَّظري ـ الذي يُعتبر الجهل أو العلم فيها لا يُقدم ولا يُؤخّر ـ بينما أنت لا تعلم شيئاً عما يعنيك ـ ويعني أمَّتك ـ من المسائل الكبار التي يترتب على التفريط أو الجهل فيها وعيدٌ شديد .. فالعالم يسير معكم حيثما تسيرون به .. ويتفاعل مع المسائل التي تطرحونها عليه أيَّاً كان نوعها .. وبالتالي على قدر ما تُحسِن طرحَ المسائل .. وتُحسن انتقاءها .. على قدر ما تستفيد وتُفِيد .. وتُرشِّد حديثَ المجلِس.

أقول لك ذلك: لأن فرصة مجالستِك للعالِم قد لا تتكرر .. وفي الوقت الذي تشاء .. وحتى لا تندم ـ فيما بعد ـ على ما كان منك من تفريط بوقت الشيخ وبمجالِسِه .. ولاتَ حين مندم!

* * * * *

453- الطالِبُ الذَّكي!

هو الطالب الذي يُحسِن جملةً من الأمور:

منها: حسن انتقاء المسائل إذا ما جالس عالماً.

ومنها: حسن طرح المسائل على العالِم؛ فيبدأ بالأهم فالأهم .. ولا يبدأ بالمهم إلا بعد أن ينتهي الجواب عن الأهم .. ثم هو لا يُقحِم المسائل بعضها على بعض قبل أن تستوفي كل مسألة حقّها.

ومنها: أن يطرحَ المسائل على العالِم؛ على وجه الاسترشاد ومعرفة الحق .. وليس على وجه الاختبار .. أو الجدال .. أو المناظرة!

ومنها: حُسن استغلال وقت العالِم فيما ينفعه في دينه ودنياه .. فلا يُضيّع وقت العالِم فيما يقل نفعه .. أو فيما لا نفع فيه!

ومنها: حسن الإصغاء .. وحسن الإقبال على العالِم وهو يتكلم .. فلا ينشغل عنه بشيء يجعل العالِم يفتر عن محادثته والإقبال عليه.

ومنها: حسن الفهم عن العالِم .. من دون أن يضطر العالِم إلى تكرار السهل المُكرر .. وشرح المشروح .. وتوضيح الواضح .. وبرهَنةِ المُبرهَن .. والاستدلال على الدليل .. أو أن يُفسِّر الماءَ بالماء!

ومنها: حسن التأويل للعالم فيما يعتقد أنه قد أخطأ فيه .. والصبرُ عليه ـ من غير استعجالٍ، ولا إنكار ـ فيما لا يفهم، إلى أن يَفهم .. أو فيما يظنه خطأً وفي حقيقته ليس خطأً .. فسرعة إنكار التلميذ على شيخه ـ من غير تثبّت ـ تُفسد ما بين التلميذ وشيخه من ودٍّ وعلاقة .. وقد تقطع ما بينهما من تواصل .. والخاسر حينئذٍ الطالب .. وفي قصة موسى عليه السلام مع الخضر عِظةٌ وعِبرة لمن أراد أن يعتبر.

ومنها: أن يستمعَ القولَ؛ فيتَّبع أحسَنه ...!

* * * * *

454- العَالِمُ مَوْقِف!

العالِمُ موقِفٌ يقِفُه لله .. يُعرَفُ به .. يَصدعُ فيه بالحقِّ في وجه طاغية ظالم .. في وقت تشتد فيه الحاجة إلى هذا الحق .. أو ينتصفُ فيه لمظلوم من ظالمه .. وإن كان في ذلك هلاكه .. قد يسبق به غيره من أهل العلم ـ ممن يتقدمون عليه بحفظ المتون والمسائل ـ سبقاً بعيداً ... لكن ليس لهم مواقف مميزة ينتصرون ـ أو يغضبون ـ فيها للحق، كما له!

وكما أن العالِمَ يظهر، ويُوضَع له القبول في السماء والأرض بموقفٍ يقِفُه لله .. ويرقى به لأن يكون من السَّادَةِ الشهداء .. مثاله الإمام أحمد .. والعز بن عبد السلام .. وشيخُ الإسلام .. وغيرهم الكثير .. ولا نُزكّي على الله أحدَاً .. كذلك قد ينسلخ من آيات الله .. ويوضَعُ له البغض في السماء والأرض .. بموقف يخذل فيه الحق .. وينصر فيه الباطل .. مثاله بِلعام بن باعوراء .. وما أكثر العلماء في هذا العصر الذين هم على مذهب وطريقة بلعام في خذلان الحق .. ونصرة الباطل .. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* * * * *

455- الأدَبُ السَّاقِطُ، والأدَبُ الراقي!

الأدَبُ الوصفِي القائم على وصفِ المرأة؛ كجسدٍ .. وحركات .. وأصوات .. ونظرات .. وإغراءات .. وبالتفصيل الممل .. والمخِل بالأدب .. الذي له دلالة واحدة؛ تنحصر في إثارة الشهوات لا غير .. هو أدبٌ ساقِطٌ وإن سُمي زوراً بالأدَب .. أو كان مُحَلَّى ببعض الصور البيانية .. وما أكثر الأدباء الذين غاصوا في هذا المستنقع الآسِن من الأدب، وما عرفوا الخروج منه ـ نزولاً عند رغبة الجماهير الضَّالة التي لا يهمها في هذه الحياة سوى الإصغاء لنداء الشهوات ـ فماتوا ولم يقدموا أدباً راقياً نافعاً على الحقيقة، وإنما قدموا مقدمات .. ومهيِّجات .. ومسعِّرات .. الرذيلة .. فكان مثلهم كمثل القوَّاد الذي يُعرِّف على أماكن الدعارة .. ويزيّن ارتيادها .. وهم يعلمون أو لا يعلمون!

كم من كلمةٍ ماجِنةٍ ـ تحكي سيرة وأخبار الفُسَّاق ـ صُنِّفَت على أنها كلمةٌ أدبية .. أو عملٌ أدبي يستحق النشر والاحترام .. كانت سبباً في تجريء شابٍّ على اعتياد دُورِ الدَّعارة .. والوقوع في الرذيلة والعياذ بالله .. وعلى محاكاة سيرة العشَّاق من الأدباء .. في العِشقِ .. والولَهِ .. والهيمان .. والقلَقِ .. والسَّهر .. والجنون .. والاعتداءِ على أعراضِ الناسِ .. والدَّالُّ على الشَّرِّ كفاعله!

بينما الأدَبُ الراقي؛ هو الأدب الملتزم برسالةٍ إنسانية أخلاقية راقية .. ترتد على البشرية والإنسانية بالخير .. والرقي والتحضر .. هو الأدَبُ الذي يُعنى بتقويم اعوجاج الناس .. وردهم إلى جادّة الحقِّ والصواب.

فالأدَبُ تُعرَف قيمته من خلالِ رسالته التي يريد إيصالها للقارئ؛ فإن كانت رسالةً إنسانية راقية تُعنى بالقيم الراقية والأخلاق الرفيعة .. فهو أدَبٌ راقٍ محمود .. وإن كانت رسالةً حيوانية .. تُعنى بالغرائز .. والسَّاقِط من القيم والأشياء .. فهو أدَبٌ هابطٌ مَذموم .. ومن الأدباء من خلطوا في عملهم الأدبي بين الأدب الراقي والأدَب الهابط .. وهؤلاء مثلهم كمثل من خلط عملاً صالحاً بعملٍ طالح .. وهو أقرب للأكثر منهما!

* * * * *

456- أكذوبَةُ الحُبِّ العُذْرِي!

كذبوا علينا لما قسَّمَ أدباءُ الحُبِّ الحُبَّ إلى قسمين: حبٌّ عُذري .. راقٍ .. ممدوح لا حرَج فيه .. وحُبٌّ ماجِنٌ فاحِشٌ .. يتنافى مع الآداب .. ولا يليقُ بالأكابر!

وعندي أن الحبَّ هو الحب .. ايَّاً كان نوعه .. إذا بدأ واستعار أواره لا يرضى بالتوقف قبل أن يصل إلى منتهاه .. ومبتغاه إن أمكن له ذلك .. كالجائع الذي يتضور جوعاً .. ثم تُفرَش أمامه مائدة مليئة بالأطعمَةِ الشَّهيَّة .. التي تفوح منها روائحها الزَّكيّة .. لا يَقنع أن يكتفي بشم رائحتها .. أو مجرد النظر إليها عن بُعد .. بل إن النظر إليها .. وشم رائحتها .. يُهيّج عنده غريزة الأكل أكثر .. ويُجرئه أكثر على المجازفة والاقتحام .. ومد اليد .. من دون أن يحسب للعواقِب حساباً!

لا يُمكن أن يُقال لِعَطشانٍ يَكادُ العطَشُ أن يقتلَه .. ها هو أمامك كأس من الماء البارد العَذب .. لك أن تنظر إليه .. وتُتغزَّل به .. وتُحبه حباً عذرياً .. عن بُعد .. لكن لا تمدَّنَّ يدَك إليه!

لذا أقول: فإن التَّرخيص للحبِّ العذري .. وتحسينه .. والترويج لثقافته .. هو ترويج للفاحِشةِ .. وهو مقدمة للوقوع في الحبِّ الماجِن ولا بد .. كما في الحديث:" العينان تزنيان وزناهما النَّظَر، والأذنان تزنيان وزناهما السمع، واليدان تزنيان وزناهما البطش، والرجْلان تزنيان وزناهما المشي، والقلبُ يتمنى ويشتهي، والفَرْجُ يُصدّق ذلك أو يُكذِّبه ".

قال ابن القيم رحمه الله: النظرةُ تُولِدُ خَطرَةً، ثم تولدُ الخطرَةُ فكرةً، ثم تُولِدُ الفكرةُ شهوةً، ثم تُولد الشهوةُ إرادةً، ثم تَقوَى؛ فتصيرُ عزيمةً جازمةً، فيقعُ الفعلُ ولا بد ما لم يمنع منه مانعٌ، وفي هذا قيل: الصبر على غض الطرف أيسر من الصبر على ألم ما بعده ا– هـ.

وقد صدَق من قال:

وطَرْفُ الفتَى يا صَاحِ رائدُ فَرْجِهِ ... ومُتْعِبُه فاغضُضْهُ ما استَطَعتَ تَهْتَدِ

* * * * *

457- الوَعدُ العَربي!

إن قال لك الشرقي أو العربي في زماننا ـ إلا من رحم الله منهم ـ: مَوعِدُ لِقائنا بعدَ ساعةٍ .. فاعلم أن الموعد قد يكون بعد ساعتين أو أكثر .. وقد لا يكون مطلقاً .. ولا تنتظر منه اتصالاً أو اعتذاراً يبرر لك تأخُّرَه أو عدم مجيئه .. وإن دعاك إلى وليمة أو طعامٍ .. فلا تُصدِّقه من أول مرة .. حتى يُكرر لك دعوته مراراً وتِكراراً .. ولو صدَّقته من أول مرة أحرجته .. وتبين لك عدم صدق دعوته لك .. وهو لكي يصدّقك في دعوتك له .. ويلبي لك دعوتك .. يجب أن تكرر دعوتك له مراراً .. وإلى آخر لحظة من الموعد .. فتقول له: لا تنسَ الموعد .. لا تنس الموعد .. فنحن بالانتظار .. لن نأكل ـ ولن نبدأ بتناول الطعام ـ حتى تأتي فتأكل معنا!

وهذه ظاهرة سلبية .. غير حضارية .. تتنافى مع تعاليم وقيم الإسلام .. التي تحض على الصِّدق .. والوفاء بالوعد .. والتَّسامِي عن التَّكلُّفِ ... كما يترتب عليها إحراجٌ وضَرَرٌ كبيران للناس .. وفي الحديث:"لا ضَرَرَ، ولا ضِرار".

* * * * *

458- رنَّاتُ الهواتِفِ في المساجِد!

من مساوئ التكنولوجيا الحديثة .. هذا التَّرَف المُشاهَد في اقتناء الهواتف اليدويّة .. حيث أن الواحد منَّا لم يعد يقتنع بهاتف واحد .. يستخدمه عند الحاجة .. بل تراه يمتلك اثنان وثلاثة .. وربما أكثر: هاتف خاص بأهل البيت .. وهاتف خاص بالعمل .. وهاتف خاص بالأصدقاء .. وهاتف خاص بالخواص من الأصدقاء .. والحالات الطارئة .. وهذه كلها تدخل معه إلى المسجد .. وما إن يدخل في الصلاة .. هو وغيره .. ممن تنتفخ جيوبهم بالهواتف اليديوية النقَّالة .. إلا وتبدأ الرنّات .. تنبعث منها المعازِف المزعجة والمؤذية .. على اختلاف أصواتها وأنواعها .. وهذا كله يكون على حساب صلاة المصلين وخشوعهم .. وحساب قدسية المكان الذي ينبغي أن يسود فيه الهدوء!

فالمساجد من شعائرِ الله .. وكذلك الجمعة والجماعات .. وتعظيم شعائر الله من تقوى القلوب .. كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾الحج:32.

والواجب في هذه الحالة .. التثبت جيداً من إغلاق الهواتف قبل دخول المسجد .. فإن نسي المرء .. ثم فوجئ بهاتفِه النقَّال يرن وهو في الصلاة .. فليبادر مسرعاً إلى غلقه وهو في الصلاة .. فهذا لا يؤثّر على صحة صلاته .. ولا يُبطلها كما يظن البعض من أن ثلاث حركات ـ ليست من الصلاة ـ تُبطِل الصلاة .. وبالتالي فهو يدع هاتفه يرن .. ويرن .. ليستمر في أذى المصلين .. إلى أن تنتهي الصلاة .. وهذا خطأ؛ فالحركة للضرورة لا تُفسِد الصلاة .. كرد السلام إشارة باليد .. أو فتح الباب لقارعه، إن لم يوجد من يفتح له الباب .. أو حمل الطفل الذي يبكي من أجل إسكاته .. فهذا كله ثابت في السنة .. بل أن النبي ﷺ قد أمر بقتل الأسودين في الصلاة:" الحيَّة، والعقْرَب ". وقتلهما يوجب من الحركة ما هو معلوم للجميع .. ومع ذلك يستمر المرء في صلاته ولا يقطعها .. فصلاته صحيحة ولله الحمد.

* * * * *

459- زَكاةُ العِلم.

العلم يزكو وينمو بثلاثة أشياء:

أولها: بذل العلم لمحتاجيه من الناس .. وهذا من لوازمه حصول المدارسة والمراجعة .. فيثبت بذلك العلم في صدر صاحبه .. وينمو ويزداد؛ لأن في المدارسة وعملية التعليم والتلقين تتلاقح الأفكار وتتكاثر .. والفكرة تولد فكرة .. وتدل على أختها .. ثم ما من شيء يُنفَقُ منه لله .. إلا ويُعوّضه الله من جنسِه أضعافه، كما في الحديث القدسي:" أنفِق أُنفِق عليك ". " لا تُوكِي، فيُوكَى عليك ". وهذا عام في جميع ما يُنفَق من الأمور المادية والمعنوية .. وفي الحديث:" مثلُ الذي يتعلّمُ العِلمَ ثم لا يُحدِّثُ به، كمثلِ الذي يكنزُ الكنزَ ثم لا يُنفِقُ منه ".

ثانيها: العمل بالعلم .. فهو كالنقش في الحجر .. فلا شيء يثبّت العلمَ في صدر صاحبه ويزيده وينميه .. كالعمل به.

وقد قِيل: من عمِلَ بما عَلِم أورثه اللهُ علم ما لم يعلم.

قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾مريم:76. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾محمد:17.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾فصلت:33. هذه الآية شاملة للنقطتين الآنفتي الذكر أعلاه: بذل العلم إلى الناس .. بدعوتهم إلى الله .. ﴿وَعَمِلَ صَالِحاً﴾؛ بالعلم الذي تعلَّمه ويُعلِّمه .. فهذا لا أحدَ أحسَنَ منه!

ثم كما أن العملَ بالعلم .. يزيد العلمَ وينميه .. كذلك ترك العمل بالعلم .. فإنه يُذهِب بركةَ العلم، ويمحقه .. كما قال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾الصف:3.

وفي الحديث، قال ﷺ:" مررتُ ليلةَ أُسري بي بأقوامٍ تُقرَضُ شِفاههم بمقاريضَ من نارٍ؛ قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: خُطباءُ أُمَّتِكَ الذين يقولون ما لا يفعلون "متفق عليه.

ثالثها: الإخلاصُ .. وما أدراك ما الإخلاص .. بركة كل عِلمٍ وعمَل .. وشرط لصحته وقبولِه، كما في الحديث:" إنما الأعمَالُ بالنيّات، وإنما لكلِّ امرئٍ ما نوى " البخاري.

وقال ﷺ:" قال الله عزَّ وجل: أنا أغنى الشّركاء عن الشّرك، فمن عملَ لي عملاً أشركَ فيه غيري فأنا منه بريء، وهو للذي أشرَكَ ".

وقال ﷺ:" مَن تعلَّم عِلماً مما يُبتَغى به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليُصيبَ به عَرَضاً من الدنيا، لم يجدْ عَرْفَ الجنَّة يومَ القيامة " يعني ريحها.

وقال ﷺ:" من طلبَ العلمَ ليُباهي به العلماء، ويُمارِي به السُّفهاء، أو ليصرفَ وجوهَ الناسِ إليه، فهو في النار ".

وقال ﷺ:" مَن سلكَ طريقاً يلتمسُ فيه علماً" خالِصاً لله .. " سهَّل اللهُ له به "؛ أي بهذا الطريق من الطلَب .. "طريقاً" آخر .. بل وطرقاً أخرى من طلب العلم والعمل بها .. يسهلها وييسرها له، توصله في النهاية "إلى الجنة"مسلم.

قال ابن المبارك رحمه الله: ما شيءٌ أفضل من طلبِ العلم لله، وما شيءٌ أبغض إلى الله من طلب العلمِ لغير الله!

* * * * *

460- مَكْتَبَتِي.

مَكْتَبَتِي .. فيها من كلِّ ضَرْبٍ من ضروبِ العلمِ ومجالاته .. مائة كتابٍ وكتاب .. فيها من كلِّ ثَمَرٍ أطيبه وأجودهُ وأعلاه.

مكتبتي .. فيها يجتمع العلماءُ الأكابرُ من سلفنا الصالح .. أنظر إليهم من خلالِ كتبهم وآثارهم .. أجالسهم ويُجالسونني .. أُحادِثُهم .. وأستمع إليهم .. وأعيشُ معهم ومع أخبارهم .. أقرأ لهم ما طابَ من الفقهِ والفكرِ والحكمة والأثَر .. لا يملونني مهما طال الجلوسُ أو السَّمَر .. ولا يغلقون دوني بابهم .. أجدهم وقتما أطلبُهم .. وأحتاجُهُم .. وأستعدُّ لمجالستِهم .. ومُسامَرَتِهم .. وفي أي ساعةٍ من ليلٍ أو نهار!

مكتبتي .. جُعلِت لي من دُنيا الناسِ قرةً لعيني .. وروضةً من رياضِ الدنيا .. لا تُماثلها روضة .. ولا أبادلها برياض الأرض كلها .. فيها أجد أُنسي وراحتي .. ومتعتي .. فيها أقضي خَلوتي!

إن استعصَت عليَّ مسألةٌ .. أفزعُ إلى مكتبتي .. فهي لم تُخيّب لي يوماً ظني ولا أملي.

مكتبتي .. كلُّ كتابٍ فيها له قصةٌ وحكايةٌ معي .. إلى أن أصبَحَ عضواً وجِزءاً مني .. إن خرج من مكتبتي .. كأن بعضي قد خرج مني وفارقني!

خذ من مالي لتشتري الكتابَ الذي تشاء .. لكن لا تأخذ كتاباً من مكتبتي!

مكتبتي .. تَرحَلُ معي حيثما أرحَل .. لا أقوى على فِراقها .. فأنا في شَوقٍ وحَنينٍ إليها وأنا معها .. وفيها .. فكيف إن فارقتها!

مكتبتي .. كم أنا أحبها وأرعاها .. فهل يا تُرَى سيأتي بعدي من يُحبها ويرعاها .. ويُحسِن التعاملَ معها .. أو يعرِف لها قدرها؟!

أرجو ذلك .....!

* * * * *

461- ما تكرهه اليومَ قد ترضاهُ غداً!

ما تسخطه اليوم وتَكرَهه قد يظهر لك خيره غداً فترضاه .. وتحمد الله أن كان ما كان على ما فيه من نوع مشقة أو ضرر!

كذلك ما ترضاه اليوم وتفرح له وبه .. وتستكثر منه .. قد يظهر لك شره غداً .. فتسخطه .. وتتمنى أنه لو لم يكن!

وفي الأثر:" لو اطلعتم على الغيب لرضيتم بالواقع ".

كل واحدٍ منا له من حياته دليل بل أدلة .. وتجارب .. تصدق صحة ما ذكرناه .. وأسعدُنا في الدَّارين .. وأصفانا بالاً ونفساً .. من يلتزم حدود الرضا والتسليم بقضاء الله تعالى وقدره .. أيَّاً كان القَدَرُ الذي نزل بساحته .. ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليُخطئه، وما أخطأه لم يكن ليُصيبَه.

* * * * *

462- قُولوا لي ...؟

قولُوا لي: من الذي رَفَع السماء بلا عَمَد ..؟

مَن الذي زيَّنَ السماوات العُلا بملايين من النجوم والكواكب .. كلٌّ منها يَسْبَحُ في مجراه المُقدَّر والمرسوم .. ليُؤدي وظيفته الموكلة إليه .. من دون أن يختلَّ نظامه .. أو يقترب من مجرى الآخر قيد أنملة؟

مَن الذي خلَق الأرضَ وزيَّنها .. وزوَّدها .. بكل ما يُعين الإنسان على الاستخلاف والعيش الكريم؟

مَن الذي خلقَ الجبالَ الشامخات .. وجعلها رواسي للأرض .. كي لا تَميدَ بكم؟

مَن الذي خلَقَ كل شيء في الأرض .. ثم هداه لما يضره وما ينفعه .. وجعل له طعامه وشرابه، ومأواه الذي يُناسِبه .. إذ لا يوجد على الأرض مخلوق يقول: خُلِقتُ في الأرض .. ثم أني لم أجد لي فيها طعاماً، ولا شراباً، ولا مأوى آوي إليه؟!

مَن الذي أنزَل المطر .. وشقَّ الأرضَ أنهُرَاً .. وجعلَ من الماءِ كل شيء حي؟

مَن الذي يُحيي ويُميت .. ويُخرج الحيَّ من الميت، ويخرج الميِّتَ من الحي .. ويُولِجُ الليلَ في النهار، ويولِجُ النهار في الليل؟

مَن الذي خلقَ الإنسانَ طوراً بعد طور .. من نطفة .. ثم من علَقَةٍ .. ثم من مُضغة .. ثم يكسو المضغة عظاماً .. ثم يكسو العظامَ لحماً .. ثم يُخرجه طفلاً سوياً .. لتبلغوا بعد ذلك أشدَّكم .. ثم تكونوا شيوخاً .. ومنكم من يُرَد إلى أرذل العمر .. ومنكم من يُتوفى قبل ذلك؟

مَن الذي خلق الداء والدواء معاً؛ إذ ما من داءٍ إلا وخُلِق له دواؤه .. عَلِمَهُ من علمه، وجَهِله من جَهِلَه؟

مَن الذي هدَى أبناء الدواب والبهائم .. ومنذ الدقائق الأولى من ولادتها .. إلى مصدر طعامها وغذائها .. حيث ترى الوليدَ منهم ـ قبل أن يفتح عينيه، ويرى من الوجود شيئاً ـ يهتدي إلى ثدي أمه ليرضع الحليب؟

مَن الذي عَطَّف الوحوشَ الكاسرة .. والطيورَ الجارحة .. على أبنائها الصغار .. فتُخرِجُ لها الطعام من داخل أحشائها .. لتطعمه ثانيةً إلى صغارها .. وهي الوحوش التي تفترس كل من يقترب منها من غير جنسها .. ومن غير أبنائها؟!

إنه الله تعالى وحده .. الذي لا إله إلا هو ...!

* * * * *

463- الذي يمكثُ في الأرض.

كم من ملِكٍ أو حاكم .. طغى .. واستملَك .. واستكبر .. وعلا .. فلما علا .. مات .. ثم لم يبق من ذكراه ومُلكه .. سوى ذكر اسمه في سطر أو سطرين .. في بعض كتب التاريخ .. أنه كان في أيام الزمان ملك .. مجرد كان .. والفضل في بقاء اسمه .. مجرد اسم .. هو للعالِم أو المؤرِّخ .. الذي تمنَّن عليه ببعض الكلمات!

كم من غني .. شغله غناه عن آخرته .. فشيَّد القُصورَ .. والمباني الطِّوال .. وشاع اسمه في زمانه في الأمصار .. على أنه صاحب القصور .. قصر فلان .. وفلان .. ثم لما مات .. خبا ذكره وانطفأ .. وكأنه لم يكن .. وما كانت قصوره .. التي سكنها غيره!

لأنه ومَن قبلَه .. خلَّفوا وراءهم الزَّبدَ الذي يذهب جُفاء .. وما له من قرار .. بينما في المقابل لو نظرنا إلى عالم فقير؛ لا يملك من زينة الدنيا وأموالها سوى قوت يومه .. وبيت متواضعٍ يأوي إليه .. لكنه خلَّف للإنسانية إرثاً ضخماً من العلم؛ الذي ينفع الناس .. تتداوله .. وترتوي منه الأجيالُ جيلاً بعد جيل .. يبقى ذكراه بالخير .. والثناء الجميل ـ بإذن ربه ـ ما بقيت الأجيال تتوارث الخير الذي خلَّفه لهم .. وكذلك مثله كل من خلَّف خلفَه خيراً ينفع الناس .. قد يكون هذا الخير صدقة جارية .. ماضيةً ضاربَة .. أو شجرة باقية دانية الثمار .. يستظل في ظلها الناس .. أو كلمة نافعة ينتفع بها الناسُ من بعده .. كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ﴾الرعد:17.

فيا أيها الإنسان .. الذي خصه الله تعالى بالعقلِ والتفكير .. احرص على ما يمكثُ في الأرض .. وينفعُ في السماء .. وإيَّاك .. إيَّاك مما يَذهبُ جُفاء .. أو أن تقضي عمرك فيما يذهب جُفاء!

* * * * *

464- العقيدةُ والسياسة!

العقيدةُ أصل .. والسياسة فرع يُبنى على الأصل .. ويُفهم ويُفسَّر على ضوء الأصل.

العقيدة غاية تُخدَم .. والسياسة وسيلةٌ تَخدُم.

العقيدة ميزان؛ تُوزَن به الأشياء .. ويُعرَف صالحها من طالحها .. والسياسة من جملة الأشياء التي تُعرَض على ميزان العقيدة، لتوزَن به!

العقيدةُ حكَمٌ .. والسياسة محكومةٌ بحكم العقيدة.

العقيدة لها مقام القائد المتبوع والمطاع .. والسياسة لها مقام التّابع المُقَاد، المُطيع.

إن حصل تعارضٌ بين العقيدة والسياسة .. وصعب التوفيق بين مصالحهما .. قُدِّمت العقيدة ومصالحها على السياسة ومصالحها .. ولا بد.

هكذا هي السياسة في الإسلام .. وهكذا ينبغي أن تُفهَم .. وينبغي أن تكون .. وأيما جماعة ـ في عملها الدعوي والحركي والسياسي ـ لا تُراعي هذا الأصل .. وهذا الفهم .. حيث تراها تعكس الأمور؛ فتقدم السياسة على العقيدة .. وتَفهم العقيدة على ضوء السياسة ... فمآلها ـ ولا بد ـ إلى الفشل .. والوبار .. والوقوع في الحُفَر .. والندم، ولات حين مندم!

* * * * *

465- التوكُّلُ.

الناسُ مع التوكّل ثلاثة فرقاء:

فريقٌ وقع في التَّواكُلِ؛ فركن على التوكل مع تركِ الأسباب .. وهذا فريق قد وقع في التفريط، وناقَدَ النقل والعقل .. وسار بخلافِ النواميس التي فطرَ اللهُ عليها الخلقَ .. وهو في الغالب عندما لا يتأتَّى من توكله النتائج التي يريدها وينتظرها .. تراه يُسيء الظنَّ بالله تعالى .. ويُكثر من التساؤل .. والتسخّط .. والاعتراض!

وفريقٌ مقابل وقع في الإفراط؛ فجحدَ التوكلَ، وآمن بالأسباب وحسب؛ فعلّق قلبَهُ ورجاءَه بها .. ورد النفع والضر إليها من دون الله تعالى .. وهذا الفريق مشرك بالله؛ قد أشرك الأسباب مع الله تعالى .. وهو في الغالِبِ عندما لا تعمل الأسبابُ عملَها .. ولا تؤدي نتائجها المرجوة والمنتظرة .. تراه يُصدَم .. ويُحارُ عقلاً وجواباً .. ويَعجزُ عن الفهم والتفسير .. وربما يُقتَل هماً ومرضاً وغمَّاً!

وفريق ثالث وسط بين الفريقين؛ لا إفراط ولا تفريط؛ آمنَ بالتوكل .. وأخَذَ بالأسباب .. ثم علَّق عطاء هذه الأسباب بمشيئة الله تعالى وإرادته .. إن شاء أمضى نتائجها وعطاءها .. وإن شاء أمسكها ومنعها .. وأيقن أن النفع والضر بيد الله تعالى وحده .. وأن لا مُمْسِكَ لما أَعطَى .. ولا مُعطي لما أمسَكَ .. وأن الأسبابَ ـ على أهميتها ـ لا يُمكن أن تعمل عملها .. وتؤدي نتائجها .. إلا بإذن ربها .. وهذا الفريق من الناس هم المؤمنون الذين يتوكلون على اللهِ حقّاً .. وهم أسعد الناس، وأوفرهم حظّاً بالنقل، وموافقة العقل.

* * * * *

466- كيفَ تُحقّق حلمك؟

رأيت قرة عيني .. وراحة نفسي .. وأنيس غربتي .. ابنتي .. منهمكةً في مكالمة هاتفية هامة لها .. مع إحدى زميلاتها .. زادت عن الساعة والنصف ساعة ..!

جميع من في الدار قد التزم الصمتَ والهدوء .. من أجلِ المكالمة .. وحتى لا يُشوَّش عليها .. وما أطولها من مكالمة ..!

فما الأمر .. وما الخطبُ الجَلل؟!

الموضوع كبير .. كبير جداً!

لكن لا بد من أن نعرف شيئاً عن ماهية هذا الموضوع ..؟!

كانت صديقتي تشرح لي .. وتجيبني عن سؤال هام يتعلق بكيفية تحقيق الإنسان لحلمه في هذه الحياة .. الموضوع شائك وصعب .. يُلاحق الشباب الصاعِد .. وهناك نظريات ودراسات علمية وفلسفية تتكلم حول الموضوع .. وصديقتي على علم بها!

يا سبحان الله .. تتوجهين بهذا السؤال لصديقتك .. ليستغرق الجواب عنه ذلك الوقت الكبير .. ووالدكم معكم .. وبين أظهركم ...؟!

الجواب ـ يا بُنيَّتي ـ عن هذا السؤال " كيف تحقق حلمك في هذه الحياة " أيسر مما تتصورين بكثير .. وهو لا يحتاج إلى فلسفة ونظريات .. ودراسات .. كما لا يستحق تلك المكالمة الطويلة .. التي ترفَعُ الضغطَ .. وتُسبِّبُ صُداعاً في الرأسِ .. وتشنجاً وألماً في العُنق المائل على الهاتف!

الجواب باختصار وكما أراه، كالتالي: يتحقق حلمُ الإنسان في هذه الحياة ـ بإذن ربه ـ من خلال ثلاثة أشياء:

أولها: تحديد الهدَف .. ويُشترط فيه أن يكون واقعياً .. ومقدوراً عليه .. داخلاً في دائرة المكِنات.

ثانيها: تحديد الوسائل التي تُوصل إلى الهدَف المنشود .. وعلى قدر علو الهدف وسموِّه .. على قدر ما تعلو الوسائل، وتصعب وتتنوع.

ثالثها: توفّر الإرادة القوية التي تحمل صاحبها على تحقيق وترجمة الوسائل .. والصبر على تنفيذها كما خُطِّط لها .. إلى أن يصل إلى هدَفه المنشود.

أيما حلم كان .. ولأيِّ إنسان كان .. يجب أن تتوفر فيه هذه الأشياء الثلاثة الآنفة الذكر .. ولو اختلَّ أو نقُص منها شيء واحد .. قَصُرَ المرءُ عن تحقيق حلمه وهدفه .. وأصبح حلمه مستحيلَ المنال .. وهو أقرب إلى حالة الخيال .. والتمني المجرَّد.

هذا هو الجواب ... وليس بعد هذا الجواب جواب .. مهما قِيل عن تلك النظريات والدراسات المطوّلات؟!

هذا هو الجواب ... فأين العمل .. وأين الأحلام .. والطموحات .. والغايات الرفيعة العظيمة!

* * * * *

467- تطبيقُ الشريعة.

لك أن تُطبق في حياتك الشريعة الوضعيَّة التي تشاء .. حتى لو كانت الشريعة التي تُعبِّد العبادَ للقرود .. والبقر .. والشيطان .. والأصنام .. كما لك أن تُقيم دولة تسود لكل شريعة من تلك الشرائع .. فتلك ديمقراطية تكفلها لك القوانين والأعراف الدولية .. والحقوق الإنسانية .. أما أن تُفكر ـ مجرد تفكير ـ بضرورة تطبيق شرع

الله تعالى في حياتك .. أو أن تخطو خطوة عملية نحو تطبيق شرع الله تعالى في حياتك وحياة من معك من المسلمين .. التي تُعَبِّد العِبادَ لربِّ العِباد .. فتلك تهمة كبيرة .. سرعان ما يُنكَر عليك .. وتُجرَّم .. وتُحمَل عليك جميع ألقاب الإرهاب ومشتقاتها .. وتُصبح مستهدفاً؛ حلال النفس، والدم والمال .. لا حرمة لك .. ولا لمن يحتضنك .. أو يقترب منك .. أو من تعيش معهم .. فقتلك وتشريدك ومن معك ـ ولو كنتم شعباً بكامله ـ مطلب ديمقراطي .. ودولي وأممي .. وحضاري .. يُنفقون في سبيله الغالي والنفيس .. يحظى بكامل التبريرات الأخلاقية والحضارية .. وما حصل ولا يزال يحصل .. في وادي سوات الباكستانية شاهد ـ من جملة عشرات الشواهد ـ على ذلك!

ثم بعد ذلك يزعمون زوراً وكذباً .. ونفاقاً .. أنهم لا يُحاربون الإسلام .. وليسوا ضد الإسلام .. ولا توجد لهم مشكلة مع الإسلام ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً ﴾الكهف:5.

* * * * *

468- الغِنَى.

الغِنى غِنى النفس .. وهو كله خير .. لا يجلب لصاحبه إلا خيراً .. أما غِنى المال .. فمنه ما يكون نعمةً لصاحبه .. وما أقلهم .. ومنه ما يكون نقمة على صاحبه .. وما أكثرهم.

غِنى المال يكون نقمةً على صاحبه؛ عندما يحمله على الطغيان والظلم .. والجفاء .. والعِصيان .. والنسيان؛ نسيان ما لله .. وما لعباد الله من حقٍّ في ماله!

غنى المال يكون نقمةً على صاحبه .. عندما يُمسكه في المواضع التي يتعين فيها الإنفاق .. ويُنفقه في المواضع التي يتعين فيها الإمساك .. فيكون مثله كالسفيه الذي لا يُحسن التصرف في ماله!

أمّا غنى المال الذي يكون نعمةً لصاحبه؛ عندما يَعرفُ حقَّ الله .. وحقَّ عبادِ الله في ماله .. فينفقه في المواضع التي يتعين ويُستحسن فيها الإنفاق .. ويمسكه في المواضع التي يتعين ويُستحسن فيها الإمساك!

فيا أيها الفقير .. لا تسخطَنَّ الفقرَ .. ولا تستعجِلنَّ الغنى .. وتمتطي له المطايا؛ فربما يكون الغِنى نقمةً عليك .. وشاغلاً لك عمَّا هو أنفع لك في دينك ودنياك .. واختباراً يصعبُ عليك النجاحُ فيه .. فترسَب وتكون وأنت فقير خيراً مما أنت عليه وأنت غني .. فربَّ ضارة نافعة .. وربّ نافعة ضارة .. وأنت لا تدري!

﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾البقرة:216.

وقال تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾الأنبياء:35. ومن ينجح في بلاء الشدة والشر، قد لا ينجح في بلاء وفتنة الخير .. نسأل الله تعالى السلامة .. وحسن الختام.

* * * * *

469- من علاماتِ البُخلِ والبخيل!

للبخل والبخيل علامات:

منها: أن يحرص المرءُ بشدَّة على حقه إن كان ضيفاً .. ويتهرَّب من واجبه .. ويخنس .. إن كان مُضيفاً!

ومنها: إن كان ضَيفاً تذكَّرَ وتلا عشرات الأحاديث الدالة على حقِّ الضيف على مُضيفِه .. وطالب المُضيف بالعمل بها .. وبمقتضاها .. وإن كان مُضيفاً تذكَّرَ وتلا قوله ﷺ:" لا يأكل طعامُك إلا تقي "؛ فيتعلل ـ في هروبه من القيام بواجب الضيف والضيافة ـ بعدم وجود الأتقياء الذين يستحقون ضيافته .. فيقطع دابر وأثر الأتقياء من الوجود!

ومنها: إن كان ضيفاً طالب مُضيفَه بأجود أنواع الطعام .. وإن كان مُضيفاً جاد بما تُطاوعه نفسُه ـ وما أقلَّ ما تجود به نفسه ـ وتكلَّم عن اجتناب التَّكَلُّف .. وأننا قوم نُهينا عن التكلّف!

ومنها: أن تمضي الأشهر .. من دون أن يُسرَجَ في بيته نارٌ لضيف .. أو يُحرّك سكونَ بيته ضيفٌ .. وفي الحديث:" لا خيرَ فيمن لا يُضِيف ".

ومنها: إن نزل بساحته ضيف ولا بد .. وتعيَّن الواجب .. تراه قد علاه الهم والكرب والغم .. وكأنَّ جيشاً قد غزاه .. فيخير ضيفَه بالمبيت في بيته أم في الفندق .. وبالطعام عنده أم في المطعم .. وإن كان الخيار أن يكون الطعام في بيته .. خيَّرَ ضيفه بين الفاضل والمفضول من الطعام والشراب .. فإن اختار الضيف ـ على استحياء ـ المفضولَ من الطعام والشراب .. عاد فخيره بين هذا المفضول من الطعام والشراب وبين ما هو أقلَّ منه درجة .. وهكذا يتدرج معه بالتخيير إلى أن يخيره بين كوبين: كوب من العصير والشراب الاصطناعي .. وكوب من الماء .. ولو وجد ما هو أقل من الماء .. لربما خيَّرَه به!

ومنها: أن يضع طعاماً ـ مع وجود السِّعة والخير الكثير ـ ما يكفي الضيف فقط .. وهذا مما يُحرج الضيف .. وربما يمنعه من تناول الطعام إن لم يجد المُضيفَ يُشاركه نفس الطعام!

ومنها: أن البخلَ لا يُشِينه ولا يُقلِقُه .. فهو لا يرى في البخل غضاضة أو عيباً قد يطاله .. بل يرى في البخل شطارة .. وراحة .. وحسن تدبير واقتصاد!

هذه بعض علامات البخل .. والبخيل .. فمن وجد في نفسه شيئاً منها .. فليُكثِر من هذا الدعاء: "اللهم إنِّي أعوذ بك من الجُبن والبُخل ...".

ولو كان البخيلُ يعلم ماذا يخسر ببخله .. لكان من أكرمِ وأجودِ الناس!

* * * * *

470- الشّعوب التي تتقاتل فيما بينها!

تأملت حالَ الشعوب التي تتقاتل فيما بينها من غير مبرر ولا سلطان شرعي .. فوجدتها تتصف بثلاث صفات:

أولها: غلبة التفكير العاطفي عليها.

ثانيها: غلبة الولاءات العصبية عليها؛ كالولاء القومي، أو الإقليمي الوطني، أو القبلي، أو العشائري، أو الحزبي ونحوها من الولاءات العصبية الجاهلية.

ثالثها: أنها قليلة الفهم .. وبطيئة الفهم .. والتَّفهيم .. فتستعيض عن هذا النقص باللجوء السريع إلى السلاح!

وإلى أن تَفْهَم .. وتُفْهِم .. تكون قد سالت أنهراً من الدماء بغير وجه حق!

* * * * *

471- المرأةُ والعمل السياسي.

تأملتُ موقف الناس من مشاركة المرأة في العمل السياسي، فوجدتهم ينقسمون إلى فريقين: فريق جنح إلى الإفراط؛ فحرَّم على المرأة مطلق العمل السياسي .. وفريق آخر جنح إلى التفريط؛ فأباح للمرأة مُطلق العمل السياسي، بما في ذلك مزاحمة ومنافسة الرجال في جميع مواقعهم ووظائفهم!

وفي اعتقادي أن كلا الفريقين على خطأ .. وأن الحقَّ وسط بينهما: فالمرأة من حقها .. بل من الواجب عليها أن تُشارك في الحياة السياسية .. وأن يكون لها دور فعَّال في السياسة .. كما قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾التوبة:71.

والأمر بالمعروف ـ الواجب على الرجال والنساء سواء ـ يشمل جميع الأنشطة المشروعة والمباحة .. السياسية منها وغير السياسية .. يشمل شُعَب الإيمان كلها .. يشمل الدين كله .. فالأمر بالمعروف بهذا المعنى وهذا المفهوم والشمول معنية منه المرأة كما معني منه الرجل .. فكلاهما يتعاونان ويتكافلان ويتناصران على الأمر به .. وعلى تحقيقه .. ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾.

كذلك النهي عن المنكر؛ يشمل جميع ومُطلق المنكر .. كما يُستفاد من دخول التعريف على الاسم الذي يُفيد العموم والشمول؛ أي جميع أنواع المنكر؛ المنكر الاعتقادي، والمنكر السياسي، والمنكر الاجتماعي،

والمنكر الاقتصادي، والمنكر الأخلاقي والتربوي .. فهذا المنكر بمعناه العام .. هو المطلوب من المرأة أن تنهى عنه .. كما هو مطلوب من الرجل كذلك .. لا فرق بينهما .. كلٌّ بحسب موقعه وطاقته .. وهو المراد من قوله تعالى: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾.

وقد أخرج الطبراني بسندٍ جيد، عن يحيى بن سُليم، قال:"رأيتُ سمراء بنت نَهِيك ـ وهي صحابية قد أدركت النبيَّ ﷺ ـ عليها درعٌ غليظ، وخمارٌ غليظ، بيدها سَوطٌ؛ تُؤدِّبُ الناسَ، وتَأمرُ بالمعروف، وتنهى عن المُنكَر".

وقولنا هذا لا يعني .. ولا يُفهم منه .. أن تنخلعَ المرأة من أنوثتها .. وحشمتها .. ووقارها .. وحيائها .. ووظيفتها الأساسية في هذه الحياة .. أو أن تُزاحم الرجلَ في كل موقع وميدان .. وعمل .. لا يتناسب مع مهامها ووظيفتها الأساسية العظيمة في هذه الحياة .. كالولايات العامة التي دل النص على أنها من خصائص ووظائف الرجال من دون النساء .. كما لا يعني أن يُزاحم الرجلُ المرأةَ الأنشطة والأعمال ذات الطابع النسائي .. والمتعلقة بالنساء .. إذ لكل منهما دوره وعمله الذي يُكمّل عملَ ودور الآخر!

هذا هو الموضوع باختصار .. لو فهمه الناس بهذا القدر .. والوضوح .. لاستراحوا وأراحوا .. ولما احتاجوا إلى تأليف مئات المؤلفات .. ولا إلى عقد مئات المحاضرات والندوات حول الموضوع!

صدق الله العظيم: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾الكهف:54.

* * * * *

472- الصبرُ الجميل .. والهجْرُ الجميل .. والصَّفْحُ الجميل.

الصبر الجميل؛ هو الصبر على البلاء والمصاب عند الصدمة الأولى .. الذي يعقبه الرضا والتسليم .. وينتفي عنه مُطْلَق التسخّط .. والشكوى للمخلوق .. احتساباً للأجر .. وطلباً لمرضات الله تعالى وحده.

وقد أُثر عن بعض السلف أنهم قالوا: ثلاثة من الصبر: أن لا تُحدث بما يوجعك، ولا بمصيبتك، ولا تُزكي نفسَك.

أما الهجر الجميل؛ هو الهجر الكريم الذي لا تتبعه معاتبة ولا مُراجعة ولا مؤاخذة .. ولا أذى أو مكافأة للمهجور بما يستحق .. ابتغاء مرضات الله تعالى وحده.

أما الصفح الجميل؛ فهو إعمالُ العفو الحسَن عند المقدرة مكان العقوبة .. من غير مِنَّةٍ ولا عِوَضٍ .. ولا انتقاصٍ من قدر المصفوح عنه .. ابتغاء مرضات الله تعالى وحده.

وبين الصبر الجميل، والهجر الجميل، والصفح الجميل اشتراك .. وتداخل .. وكل واحد منها يحتاج إلى ما سواه؛ فالصبر الجميل يحتاج ـ في بعض جوانبه وجزئياته ـ إلى الهجر الجميل، والصفح الجميل .. والهجر الجميل يحتاج إلى الصبر الجميل، والصفح الجميل .. وكذلك الصفح الجميل يحتاج إلى الصبر الجميل، والهجر الجميل.

اللهمَّ اجعلنا من أهل الصبر الجميل .. والهجر الجميل .. والصفح الجميل .. إنك سميع قريب مُجيب، وصلى الله على مُحَمَّد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم.

* * * * *

473- الحورُ العِين أجمَل.

كلما وقعت عينك على سافرةٍ جميلة .. وعملت عملها الشيطاني في نفسك .. فتذكّر أن حور العين أجمل بكثير .. وأن لا وجه للمقارنة بين الجمالين .. وقل لنفسك: تأدبي .. وتصَبَّري .. إن حور العين أجمل .. وأحلَى .. ومهرها أن تغضِّي ـ يا نفسُ ـ الطرفَ الحرام عن حورِ الطين .. وأن العهدَ بحور العِين قريب .. قريب .. وهو آتٍ .. آت .. فاصبري .. وتجَلَّدي .. ولا تستبدلي الذي هو أدنى بالذي هو خير!

فإن ذلك مما يعينُك ـ بإذن الله ـ على غض البصر .. وحفظ النفس .. وتقديم المهر للفوز بحور العِين.

* * * * *

474- يسرُّني .. ويُغضبني.

يسرُّني الإيمانُ والتوحيد .. ويُغضِبُني الكفرُ والشرك.

يسرني العَدلُ .. ويُغضبني الظلم.

يسرني الصدق .. ويُغضبني الكذبُ، وتشبُّعُ المرء بما لم يُعطَ، وبما ليس فيه.

يسرني الوفاء والأمانة .. ويُغضبني ويُسيئني الغدرُ والخيانة.

يسرني التوسط والاعتدال .. ويُغضبني الغلو والجفاء.

يسرني الكرم والجود .. ويُغضبني ويُسيئني الشحُّ والبخل.

يسرني التواضع .. ويُغضبني الطغيانُ والكِبر.

يسرني ضحك وابتسامة الطفل .. ويغضبني ويحزنني بكاؤه.

* * * * *

475- عندما تُلزَم المرأةُ بالنّفقةِ على البيت.

الأصل والصوابُ أن لا تُلزَم المرأة بالنفقة على البيت، وأن لا تُكلَّف بذلك .. لكن إن كانت من ذوي المال والسّعة .. ثم أرادت أن تُنفق ـ على البيت وأهل البيت ـ كرماً وإحساناً، وطواعية من غير كره، ولا إكراه ..

فلها ذلك .. وتُشكَر .. ولها أجر .. أمَّا أن تُلزَم بالعمل خارج البيت .. ومن ثم بالنفقة على البيت، وأهل البيت .. ويكون ذلك من ضمن واجباتها .. كما هو دارج في هذا الزمان .. فهذا يعني أموراً عدة:

منها: أن قوامَة الرجل في البيت ستضعف وتنخفض إلى النصف .. كما قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾النساء:34. ذهب الإنفاق .. وبقي النصف الآخر ﴿بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ .. وعلى الرجل أن يفهم .. ويتفهَّم ذلك!

ومنها: ظهور أخلاقيات وسلوكيات الندية عند المرأة نحو زوجها؛ فهي تقول له بلسان الحال والمقال: كما أنك تخرج وتعمل وتُنفق فأنا أيضاً أخرج وأعمل وأنفق .. وبالتالي ما يحق لك يحق لي .. وما يجب عليك يجب علي .. وعلى الرجل حينئذٍ أن يفهم .. ويتفهَّم ذلك!

ومنها: أن عطاء المرأة نحو بيتها، وأبنائها، وزوجها سيضعف كثيراً .. إذْ ليس من العدل أن يُقال للمرأة يجب عليكِ أن تعملي خارج البيت طوال النهار .. ثم في نفس الوقت يجب عليك أن تؤدّي كامل حقوق الحياة الزوجية .. وحقوق الأبناء .. وفي حال حصول التقصير ـ ولا بد أنه سيحصل ـ على الرجل أن يفهم .. ويتفهَّم ذلك .. فإن لم يفهم .. ولم يتفهَّم ذلك .. وأراد من زوجه أن تقوم بالأمرين معاً: العمل والإنفاق، والقيام بكامل حقوق الأبناء والحياة الزوجية .. ثم هو مع ذلك أراد أن يُمارس كامل القوامة .. غير منقوصة .. فحينئذٍ عليه أن يتوقع حصول المشاكل والخلافات .. وتفاقمها إلى درجة يستعصي حلها على الحكماء .. والتي ـ في الغالب ـ لا تنتهي ولا تزول إلا بدمار البيت وخراب ما قد اكتسبه الرجل من عملها وأزوَد .. ولا يلومَنَّ إلا نفسه الجشعة الطَّمّيعة .. وعلى المرأة كِفْلٌ من الوزرِ والمسؤولية أيضاً.

إنها بعض ضريبة البعد عن تعاليم الإسلام .....!

* * * * *

476- عُقوقُ الأبناء للآباء.

تأمَّلتُ أسبابَ عقوق الأبناء للآباء .. فوجدت أهمها عقوق الآباء لأبنائهم وهم صغاراً .. فلا هم أدبوا وعلَّموا أبناءهم .. ولا هم أحسنوا رعايتهم وتربيتهم .. الوالدُ مشغول في عمله خارج البيت .. وفي بعض عاداته السيئة بعد العمل ـ والتي منها الجلوس في المقاهي لساعات طويلة مع أقران السوء ـ عن واجباته نحو بيته وأبنائه .. والمرأة كذلك مشغولة في عملها خارج البيت .. وفي القال والقيل، وبعض عاداتها السيئة مع قريناتها من نساء الحارَة .. عن بيتها وأبنائها .. وحقوقهم عليها كأم .. ثم بعد هذا الإهمال والتقصير .. إن عق الأبناء آباءهم وأمهاتهم في الكبر .. تسخّطوا .. وغضبوا .. واستنكروا .. وتساءلوا عن السبب .. وفاتهم أنهم هم السبب الأول لهذا العقوق .. وأنهم يحصدون بعض زرعهم وإهمالهم وتقصيرهم .. وعقوقهم لحقوق أبنائهم في الصغر!

فيا أيها الآباء إن أردتم أبناءً يبرونكم في الكِبَر .. لا بد لكم أولاً من أن تبروا أبناءكم وهم في الصِّغَر!

الأبناء على قَدر ما يُخدَمون في الصِّغَر .. على قدْر ما يَخْدِمون في الكِبَر .. ويكون عطاؤهم كبيراً .. لأنفسهم ولغيرهم .. أمَّا من ينشد عطاءَهم في الكِبَر .. مع إهمالهم في الصِّغَر .. فهو واهم .. وهو كمن ينشد الشيء وضِدَّه في آنٍ معاً!

* * * * *

477- السِّباقُ على العَتَبَات!

أدرك بعض الدعاة والشيوخ .. ممن كانوا يُحسَبون على مشايخ الصحوة .. وعقَدَت الأمة عليهم الآمالَ برهة من عمرها .. أدرك هؤلاء الشيوخ: أن الحصار قد طال .. وأن الصبر على محنة وشدة الحصار قد نفد .. وأن الطريق إلى الظهور .. في المحافل .. والمنتديات .. والمؤتمرات .. وصرف وجوه الناس إليهم عبر القنوات الفضائية وغيرها .. لا يتم لهم إلا بعد سباق محموم نحو عتبات الطواغيت .. يخطبون ودَّهم .. ويسترضونهم .. ويستعطفونهم .. ويقدمون لهم فروض الطاعة والولاء .. والمديح والإطراء!

فقاموا أولاً بقراءة ذكية لأذهان الطغاة الحاكمين .. وأهوائهم .. لمعرفة ما يريدونه وما لا يريدونه .. فوجدوا أن لا شيء يُرضي الطغاة الآثمين ويكسب ودهم .. ويحقق القرب منهم .. ويحظَى بعطائهم .. كالطعن بالجهاد والمجاهدين .. وتخذيل الناس عن نصرة قضايا الأمة .. وتغييب عقيدة الولاء والبراء في الله .. وكتمان الحق .. والجنوح بالناس إلى التفريط والجفاء والإرجاء .. وقد فعلوا .. فنُفاجَأ بين الفترة وأختها بسباق محموم بين هؤلاء الشيوخ ـ غير مبرر، وبمناسبة وبلا مناسبة ـ للطعن بالجهاد والمجاهدين .. ومدح الطغاة الآثمين .. وتخذيل الناس عن نصرة قضايا الإسلام والمسلمين!

ذاك الذي نشَرَ مقالَه تحت عنوان "أهلاً وسهلاً بباراك أوباما ... وِش ها السَّاعة المباركة يابو حسين .. مرحباً ألف " مرحباً .. مثال على ذلك .. وواحد من هؤلاء الشيوخ .. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

* * * * *

478- عندما تَغيبُ القِيَم!

عندما تغيبُ قِيَمُ الخير؛ قيم الإيمانِ بالله واليوم الآخر .. قيم الرحمة .. وقِيم إحسان القوي على الضعيف .. يفقد الإنسان معاني إنسانيته .. وينحدر مستواه إلى ما هو أحط من مستوى الحيوانات والوحوش الكاسرة .. بل لو قُدّر للوحوش أن تنطق .. لاعترضت على تشبيهها بهكذا إنسان؛ الذي لا يعرف من القِيَم شيئاً سوى قيمة كيف يُشبِع رغباته، ونزواته، وشهواته .. وليكن بعدها ما يكون .. فالوحوش ترحم أطفالها .. وتُحسِن رعايتها وحمايتها .. فلا يُقاس مثله على مثلها .. ولا يستويان مَثَلا!

اقرأوا هذا الخبر .. والسطور المخيفة من ورائه ـ إن استطعتم ـ والذي تناولته بعض وكالات الأنباء .. على استحياء وكأنه شيء ثنوي .. قالت جمعية "أنقذوا الأطفال":"يتحول عدد كبير من الفتيات في زيمبابوي إلى الدعارة من أجل سدّ الرَّمَق .. إن تفشّي الفاقة في زيمبابوي يُؤدي بصبايا في الثانية عشرة من العمر إلى المتاجرة بأجسادِهنَّ نظير حفنةٍ من البسكويت أو شرائح بطاطس ..."ا– هـ.

ألهذا الحد تُمتَهن كرامة الإنسان .. ألهذا الحدّ يشحّ الأغنياء المتخمون على أطفال وبنات الفقراء .. ألهذا الحد يصل الابتزاز؟!

اذهبوا .. وابحثوا في ثنايا وكهوف الغابات التي يقطنها الوحوش .. أترون شيئاً من هذا السقوط والانحطاط في القيم والسلوك .. الذي يحصل لبني الإنسان؟!

هذا السقوط والإنهيار في القِيَم والسلوك .. يحصل رغم وجود مئات .. بل آلاف القوانين الأممية والمحلية .. التي تتحدث عن حقوق الطفولة .. وحماية الطفولة .. وحرمة مثل هذا العمل المشين الوارد أعلاه .. لكنها حبر على ورق .. لا قيمة ولا أثر لها في عالَم الواقع!

السبب .. والجواب عن هذه الظاهرة: أنهم حاربوا ـ في نفوس الناس ـ عقيدة الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر .. وعقيدة الخوف من الله .. وما للإنسان من ثواب أو عقاب على ما قدَّم ويُقدّم في حياته من عمَل .. وأفرغوا الإنسان من معاني الروح وقِيم الخير كلها .. حتى وصلَ إلى هذا الدَّرك الأسفل من الانحطاط والسقوط .. فأنَّى لمثل هذا أن تنفع معه القوانين الوضعية .. أو تردعه .. أو أن تُؤثر فيه .. ما دام يجد فرصة للنفاد منها؟!

وفي النهاية يُقال: الإنسان يدفع ضريبة بعده عن تعاليم الله .. ولا يلومَنَّ إلا نفسَه.

* * * * *

479- بلادُنا .. وبلادُهم.

تراهم يُوثّقون ـ في أفلام مصوَّرة جذّابة ـ كل شيء عن بلادهم .. البحار وما فيها من مخلوقات عظيمة .. وشواطئها .. والجبال .. والسّهول .. والوديان .. والأنهار .. والغابات .. والحيوانات البرية الوحشيّة منها والأليفة .. والطيور .. والآثار القديمة والحديثة منها .. والنباتات بأنواعها المختلفة .. حتى الزواحف وأنواع الحشرات الموجودة في بلادهم يصورونها ويوثقون لها بالتفصيل .. والتفصيل الممل .. بحيث يعرف الواحد منهم كل شيء عن بلاده .. وبسهولة ويسر .. وطريقة جذابة .. إضافة إلى ذلك فإن هذه المعالم والمخلوقات .. لو طرأ عليها ـ مع الزمن أي تغيير أو زوال ـ فالأجيال التَّالية يسهل عليها التعرف عليها .. والوقوف على حقيقتها كما كانت قبل أن يطرأ عليها التغيير .. من خلال تلك الأفلام الوثائقية المحفوظة .. فيربطون الحاضر بالماضي، والماضي بالحاضر، والحاضر بالمستقبل.

بينما بلادنا ـ على جمالها الفريد، وما لها من تاريخ حضاري مديد .. وما تتمتع به من تنوع بديع في المخلوقات ـ فإنها مهملة من كل ذلك .. فهي تخلو من التوثيق المصور الدقيق .. بل تخلو حتى من التوثيق الإنشائي النظري .. كما تنتفي الآلية التي تُسهّل على المتخصص منا الرجوع إلى تلك الوثائق .. إن وُجد شيء منها في المتاحِف أو المكتبات العامة!

فأصبح ابن الشرق لا يعرف شيئاً عن غرب البلاد .. ولا ابن الجنوب يعرف شيئاً عن شمال البلاد .. بل لربما أحدنا لا يعرف إلا القليل عن منطقته التي يسكنها .. وما فيها من مخلوقات .. وتنوع .. وجمال .. وآثار!

والمسؤول عن هذا التقصير .. وهذه الظاهرة السلبية اللاحضارية .. واللاوطنية .. هم الحكام الذين لا يهمهم من شؤون الحكم وطناً ولا مواطناً .. ثم الأدباء .. والكتاب .. والمؤرخون .. والهيئات والجمعيات البحثيّة، والبيئيّة.. إن وجِدت!

* * * * *

480- نحن نَلِد .. وهم يُربّون!

شدني حديث طفلة بريئة من بنات المسلمين في بريطانيا .. وهي تقول لي: "هل سمعت بدارون .. دارون الذي يقول: أن الإنسان أصله قرد .. وأنه انحدَر من قِرد .. هكذا يعلموننا في المدرسة"، وهي طفلة لا تتعدَّى السابعة من عمرها!

أطفال آخرون .. بل شبابٌ وشابّات .. من أبوين عربيين .. نشأوا في بلاد المهجر .. لا يُحسنون العربية قراءة ولا كتابة ولا تحدّثاً ولا فهماً .. القرآن الكريم ـ رسالة الله إلى عباده ـ بالنسبة لهم مجرد كلمات وأحرف لا يفقهون منها شيئاً .. ولا تعني لهم شيئاً .. وكيف تعني لهم شيئاً .. وهم لا يُحسنون تلاوتها ولا يعرفون معناها!

إنَّهم الآباء ... هم المسؤولون!

ما إن يبلغ الطفل سنتين من عمره .. وقبل أن يُحسِن لفظ الأحرف العربية .. يُرسلونه إلى محاضن ومدارس القوم ـ التي يسمونها بالمراحل التمهيدية قبل المرحلة الابتدائية ـ ليربونه على موائدهم .. ولغتهم .. وعقائدهم .. وعاداتهم .. وتقاليدهم .. طيلة ساعات النهار .. هذا حظه منهم إلى أن يبلغ الثامنة عشرة من عمره .. أما حظه من بيته وأبويه .. أن يستلموه في المساء من المدرسة .. مع قبلة استقبال وترحيب على خدِّه .. وأن يغسلوا ما تلوَّث من ثيابه .. ليُسلّموه إلى مدرسته من جديد في صباح اليوم التالي .. مع قبلة وداع على خده .. وما بين القبلة والقبلة .. يضيع الولد .. وينشأ نشأة فرنجية غربية إباحية لا دينية .. كأنه منهم .. لا مِنّا .. لا يعرف شيئاً عن دينه وأمته .. فيفقد الانتماء والولاء .. كغصنٍ مقطوع من شجرة .. فيتفطّن الآباء ـ بعد فوات الأوان ـ إلى قبح صنيعهم .. وجهلهم .. وظلمهم .. وما جنت أيديهم على أبنائهم وأنفسهم .. وذلك عندما

يخسرون أبناءَهم في الكِبَر .. حتى قبلة الوداع والاستقبال .. التي كانوا يتمتعون بها .. يفتقدونها ويخسرونها .. فيندبون سوء حظهم .. وسوء أخلاق أبنائهم .. ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾آل عمران:165. ولا تَلومُنَّ إلا أنفسَكم.

صدق من قال: نحن نَلِد .. وهم يُربّون .. لعلمهم أن الولدَ في النهاية مع من يربيه لا مع من يلده!

فهَلاَّ فَطِنتُم .. واستيقظتم؟!

* * * * *

481- الشَّماتَةُ .. والحَسَد!

الشَّمَاتةُ والحسَدُ خُلُقان مُتداخِلان ومُتشَابِكان؛ كلٌّ منهما مؤداه إلى الآخر، فالحسد يؤدي إلى الشّماتة بمصاب وآلام وأحزان الآخرين .. والشَّماتة تُؤدي إلى الحسَد بما أصاب الآخرين من خير أو نعمةٍ .. فكل منهما لازم وملزوم للآخر .. وكلُّ شامِتٍ حاسِدٌ .. وكل حاسِدٍ شامِت.

ومِن أكثر ما يُشِين المرء ويُعيبه .. ويُنقِص من إيمانه وعقله ومروءته .. ويُردِيه إلى مستوى التَّافهين .. خُلُق الشَّمَاتة .. الشَّماتة بمصابِ الآخرين، فتراه يَتلذَّذ بمصائبهم .. وآلامهم .. وأحزانهم .. كأنه يتناول العسَل المُصفَّى .. لا يستطيع أن يعيش ولا يهدأ له بال .. ولا يعرف لنفسه راحةً ولا هَدأة .. إلا على موائد آلام وأحزان ومصائب الآخرين .. وأكثر ما يكون ذلك ـ وللأسف ـ بين الأقارب والرّحم .. فيتغلَّظ حينئذٍ الظلم ويتضاعف العدوان .. إن أصابتهم ضرَّاءَ؛ أصابته سرَّاء ما بعدها سرَّاء .. وإن أصابتهم سرَّاء؛ أصابته ضرَّاء ما بعدَها ضرَّاء .. وهذا ظالمٌ ـ من ذوي الظلم المركَّب والمُغلَّظ ـ لنفسه .. ولغيره .. ظلماً شديداً .. لا تَسأل عن درجة تفريطه بحقوق العباد .. وحق رب العباد عليه .. وهو مريض بمرضٍ عُضَال .. يَسري في خلايا دَمه وعُروقه .. لا يُرجى لدائِه دواء .. سوى الإكثار من الدعاء .. فيُكثر من هذا الدعاء ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾الحشر:10. وأن يحمل نفسه حملاً على أن تحبَّ لعباد الله تعالى ما تُحبُّ لذاتها .. ويروّضها بتدريبات وإجراءات عملية على ذلك .. وأنَّى له بذلك .. إلا إذا شاء الله تعالى .. وَقَدَّرَ مُعجزَةً أو آية .. فاللهُ يفعل ما يشاء.

* * * * *

482- مِن عَلامَات الإخلاص.

للإخلاص علامات:

منها: وهو أقواها وأعلاها؛ أن تُخالف هواك، وهوى من تُحِبَّ من العِباد .. في مرضاة الله تعالى .. فتؤثِر في العمل الذي تقوم به، أو تريد القيام به .. مرضاة الله على ما تهوى ويهواه محبك من الناس .. كأن تُنفق على من لا تُحِب .. ولا يُحبه من تُحبهم من الناس .. ابتغاء مرضاة الله .. لأنه يستحق النفقة شرعاً .. والله تعالى يُحب منك أن تُنفق عليه .. أو أن تسلم على مَن تكره طاعة لله تعالى.

ومنها: أن تخفي عملَك الصالح عن أحبِّ وألصقِ الناسِ بك .. ثم لا تجد في نفسك حرجاً من ذلك .. بل تجد المتعة في ذلك .. كما لا تجد في نفسك ذلك الإلحاح الباطني الذي يدعوك للحديث عن عملك .. لمن تُحِب من الناس .. فالصبر على الإخلاص، وعلى مراقبة النيّة ومتابعتها، أحياناً يكون أشد على صاحبه من الصبر على ألم الجراح .. وهناك من يصبر على الجراح لكنه لا يصبر على الإخلاص!

ومنها: أن يستوي عندك ظهور العمل وخفاؤه .. فظهور العمل لا يُضفي على نفسك معنى زائداً عن المعنى المصاحب لإخفائه .. ومن كان إخفاء العمل أحب إلى نفسه من ظهوره .. فهذا أقوى في الإخلاص .. وأكثر دلالة عليه.

ومنها: أن لا تمتنع عن العمل الصالح لكون العمل سيظهر للناس .. بل تقوم بالعمل بحسب ما يقتضي منك الحال؛ سواء اقتضى منك الإخفاء أم اقتضى منك الإظهار .. فمن الرياء أن تترك العمل الصالح خوفاً من الرياء.

ومنها: أن لا يَجِد في نفسه حاجةً ماسّة على أن يُشْكَر ممن أسدى إليه معروفاً .. أو أن يُقابَل معروفه بمعروف .. أو أن يُطارِدَ مَن أسدَى إليه معروفاً فيُطالبه بمعروف مماثل ومقابل .. فمن مقتضى الإخلاص أن لا ينتظر المُحسِن ممن أحسن إليهم جزاءً ولا شُكُوراً .. كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً﴾الإنسان:9. وإن كان شكر المعروف واجباً .. وهو خلق إسلامي رفيع .. فمن لا يشكر الناس لا يَشكر الله.

* * * * *

483- قواعد في الطَّاعة.

للآباء والأمهات حق الطاعة على الأبناء .. والزوج له حق الطاعة على زوجته .. وكذلك للحكام والأمراء المسلمين لهم حق الطاعة على رعيتهم .. والعالِم المعلم له حق على تلامذته والناس .. لكن لا طاعة لأحدٍ من هؤلاء .. ولا لغيرهم .. في معصية الله .. فلا طاعة لمخلوق ـ أيّاً كان هذا المخلوق ـ في معصية الخالق .. إنما الطاعة تكون في المعروف.

وفي الحديث:" السمع والطاعة حق ما لم يُؤمَر بمعصية، فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة "البخاري.

كذلك لا استئذان لأحدٍ من هؤلاء .. ولا لغيرهم .. في القيام بفرائض الله تعالى .. فإذا تعين الفرض .. تعيَّن الفعل .. وتعيَّنت الحركة .. ولا إذن ولا التفاتة حينئذٍ لمخلوق في ذلك .. فأمر الله تعالى مُقدّم على أمر عبده .. وحقه ﷻ مُقدَّم على حق أو حقوق عباده.

أما إن تعارضَ مندوب متعلق بحق الله تعالى على عبده .. مع فرضٍ متعلق بحق العَبد على العبد .. ثم استحيل التوفيق بينهما .. قُدّم الفرض المتعلق بحق العبد .. ولا بد .. مثاله التنفل بالصوم بالنسبة للزوجة إن كان يتعارض مع الفرض المتعلق بحق زوجها عليها.

فإن تعارض فرضان .. كلاهما متعلقان بالعِباد .. ثم استحيل التوفيق بينهما .. قُدِّم الفرض المتعلق بمن له حق أكبر وأوكد من العباد .. مثاله حق الأخ وحق الأب أو الأم .. فيُقدّم الفرض التعلق بحق الأب والأم لأنه أغلظ وأوكد .. أو حق الزوج وحق العم أو العمة .. فيُقدّم الفرض المتعلق بحق الزوج .. أو حق الفرد وحق الجماعة فيُقدَّم الفرض المتعلق بحق الجماعة .. وهكذا بقية المسائل والحقوق والواجبات المتعلقة بموضوع الطاعة.

هذه قواعد عامَّة .. شامِلَةٌ لامَّة .. لا تستثني أحداً .. فمن فهمها وعَقِلها استراح وأراح .. والتزم جادة الحق والصواب .. والله تعالى يهدي من يشاء.

* * * * *

484- أنواعُ المرض.

المرَض أنواع: منه العضوي، ومنه المعنوي .. فالعضوي؛ هو الذي تقتصر آثاره على الجسد .. وهذا مرض يُرجى بُرؤه، وعلاجه ـ بإذن الله ـ إن التُمِسَت أسباب العلاج.

أما المرض المعنوي: فهو المرض الذي يطال الجانب الخفي من الباطن .. يطال القلب والروح .. والنفس .. وهو أخطر على الإنسان من المرض العضوي .. من جهة خفائه وتحديد موضعه .. ومن جهة أثره .. ومن جهة علاجه والتماس الدواء المناسب له .. وهو ثلاثة أنواع:

أولها: مرض الشهوات؛ شهوات البطن والفرج ومتعلّقاتها؛ والتي منها شهوة الحرص، وحب الرياسة .. وعلاجه اقتناع النفس بحظها المباح والمتاح من الشهوات .. فإن لم تحصل هذه القناعة .. وطلبت المزيد .. ظل المرء يركض وراء شهواته لإشباعها .. يستشرف الحرام والمباح منها .. كالكلب المسعور .. وكمن يلهث وراء سراب .. وأنَّى له أن يُشبعها .. أو يروي ظمأها .. وإنما هو بفعله هذا .. يُؤجّج نارها .. وهي تقول له: هل من مزيد .. كمن يشرب من ماء البحر؛ فلا يزيده إلا عطشاً!

ثانيها: مَرَض الشُّبهات؛ وهو أخطر من سابقه .. لتعلقه بالإيمان والاعتقاد، والأفكار، والقيم، والمبادئ .. إذ منه ما قد يكون كفراً .. ومع ذلك فصاحبه يحسب نفسه محقاً .. وأنه ممن يحسنون صنعاً .. وأنَّى لهذا أن يتنبه لمرضه .. فضلاً عن أن يتنبه لدوائه أو أن يُبادر إلى التوبة والتراجع!

ثالثها: مَرَض الطَّبع؛ وهو أصعب أنواع الأمراض الآنفة الذكر من جهة علاجها .. وخطورته تكمن في كونه يسري في دم وجينيات الإنسان .. يصعب التخلص منه بسهولة .. كمرض البخل والجبن .. ومرض الحسد والشّماتة وحب التّشفي .. ومرض الحقد .. والكِبر .. ونحوها من الأمراض الأخلاقية الطَّبَعِيَّة التي لها جذورها الممتدة في دمِ وجينيات صاحبها .. وعلاج هذه الأمراض لا يُمكن أن يتم عن طريق الوعظ والإرشاد وحسب .. وإنما من خلال رياضة عملية طويلة .. وتدريبات مكثفة .. تتضمن حمل النفس على فعل ما هو مضاد لتلك الصفات .. فالبخيل علاجه مثلاً: أن يحمل نفسه على التصدق والإنفاق .. وأن يقهرها ويُخالفها بإكرام الضيف .. واستقبال الضيوف باستمرار من غير انقطاع طويل بين الاستقبال والاستقبال .. وكذلك غيرها من الأمراض الطَّبَعِيَّةِ الآنفة الذكر .. مع التأكيد على أهمية الإلحاح في الدعاء وسؤال الله تعالى بأن يشفي ويُعافي .. إذ لا شافي إلا هو ﷻ .. نسأل الله تعالى لنا ولكم الشفاء من كل داء .. ما ظهرَ منه وما بطن .. إنه تعالى سميع قريب مجيب، وصلى الله على مُحَمَّد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم.

* * * * *

485- اتَّقوا الله، وحافظوا على الثوابت!

من العاملين في حقلِ الدعوة .. والمنتمين لبعض الجماعات الإسلامية المعاصرة .. تراهم لضعف في أنفسهم وإيمانهم .. يخطبون ودَّ الآخرين .. والتحالف معهم .. بينما الآخرون في إعراض عنهم ومنأى واستعلاء وكِبر .. فيصرحون لهم ـ ليرضوهم ـ التصريحات المنافية لتعاليم الإسلام وأصوله، كقولهم المكرر والممجوج: هدفنا وهمنا تحقيق الحريات أولاً .. نتحالف فيما بيننا على تحقيق الحريات .. نحن نناضل أولاً من أجل الحرية والحريات .. ثم بعد ذلك نسعى إلى تطبيق الشريعة، من خلال أجواء الحرية والحريات .. واختيار الشعب الحر .. وعلى قد المقاس الذي يريد!

يحرصون على تحقيق حقوق الآخرين وحرياتهم ـ بكل أطيافهم ومذاهبهم وأحزابهم .. وباطلهم ـ في الحكم وإدارة البلاد والعباد .. كما يحرصون على حقوقهم في ذلك وأزوَد .. فالإسلام ـ دين الله في نظرهم ـ طرف من جملة الأطراف الموجودة .. وحزب من جملة الأحزاب الوضعية .. يتساوى معها في القيمة، والحقوق والواجبات .. كما يتساوى أي مخلوق مع أي مخلوق .. بينما في المقابل الآخرون لم يعترفوا بهم .. ولا بشرعية تجمعاتهم وأحزابهم .. بل وليس لهم عند القوم وأنظمتهم سوى السجن .. والتنكيل .. والمطاردة .. وتكميم الأفواه!

ومنها: قولهم المكرر بالديمقراطية بكل أبعادها ومفهومها الشامل والسائد والمعمول به في الأمصار .. وغير ذلك من الاطلاقات الخاطئة المدمرة .. التي تتناقض مع تعاليم ومبادئ الإسلام .. إرضاء للآخرين .. والتي لا يستفيد منها إلا أعداء الأمة الحاقدين!

ولهؤلاء نقول: اتقوا الله .. اصبروا وصابروا .. حافظوا على ثوابت هذا الدين .. لا يحملنَّكم نفاد الصبر وطول الطريق .. ووعثاء السفر على التنازل عمّا هو حق خالص لله تعالى .. وعلى الاعتراف بشرعيّة الباطل والشِّرك .. والإلحاد .. ولا تكونوا كمن نقضت غزلها .. بعد عمل طويل وشاق كاد أن يُؤتي ثماره .. كما قال تعالى: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً﴾النحل:92.

إن من الأنبياء من لم يُؤمن به إلا الرجل الواحد .. وما حمله ذلك ـ حاشاه ـ على أن يغيّر أو أن يُبَدّل .. وإن نوحاً عليه السلام ظلّ يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً .. فما آمن معه إلا قليل .. وما حمله ذلك ـ حاشاه ـ على أن يغيّر أو أن يُبَدّل!

* * * * *

486- القيادَةُ الفاشلة!

القيادة الفاشلة الضعيفة؛ هي التي تكون غير قادرة على استيعاب واحتواء العناصر القوية المميزة من أفراد جماعاتهم!

القيادة الفاشلة الضعيفة .. هي التي تتعامل مع الأفراد الأذكياء والمميزين بصفات قيادية .. بروح عدائية .. وغَيرة وحسَد .. وغالباً ما ينتقمون منهم بإقصائهم وإبعادهم عن المواقع القيادية .. والخطوط الأمامية للمسؤوليات!

همهم الأساس حاضر الجماعة .. والمكاسب الآنية التي ترتد عليهم .. أما مستقبل الجماعة .. ومستقبل الأمة .. والوطن والأوطان .. فلا اعتبار ولا اكتراس له!

لجهلهم وعجزهم وفشلهم .. يضيق صدرهم بالنصيحة والرأي الآخر .. لا يُحسِنون الاستماع إلى الآخرين؛ لأنهم لو استمعوا لما أحسنوا ردَّاً .. فيربُّون شبابهم على مبدأ "لا تعترض فتنطرد" .. ولا تفكّر فالقيادة تُفكر بالنيابة عنك .. فينشِّئون جيلاً جباناً .. ذليلاً .. سلبياً .. جاهلاً .. ليس على مستوى الأحداث .. والتحديات، والمتغيرات!

يقرّبون إليهم .. ويُنِيبُون عنهم .. مَن هم أضعف منهم وأجهل .. مَن لا يُحسِن سوى إحناء الرأس وهزّه إلى أسفَل .. وأن يقول كلمة " نعم " على كل ما يسمع ويرى .. ليضمنوا الموافقة على كل ما يقولون .. ويفعلون .. ويوقّعون .. من دون أدنى معارضة أو نقاش .. أو سؤال .. فإن رحلوا عن الحياة ـ ولا بد أنهم راحلون ـ خَلَفَهم

في قيادة الجماعة أو الحزب .. هؤلاء الضعفاء؛ الأشد منهم ضعفاً .. ليكرروا سيرة سلفهم في قيادة الجماعة أو العمل بصورة أسوأ .. ولتنتقل الجماعة من تخلف إلى تخلف .. ومن ضعف إلى ضعف .. ومن جهل إلى جهل .. ومن فشلٍ إلى آخر .. حتى يُقضى عليها تماماً .. وتُصبح أثراً بعد عين!

وهؤلاء القادة أقل ما يُقال فيهم أنهم قد خانوا الأمانة .. وغشّوا الناس وأمتهم .. ووضعوا الرجل في غير موضعه المناسب .. وأنهم سيُسألون عن ذلك!

كما في الحديث:" من تولَّى عملاً وهو يعلم أنه ليس لذلك العمل أهل فليتبوَّأ مقعدَه من النار ".

وقال ﷺ:" إن شِئتم أنبأتكم عن الإمارة: أولها ملامَة، وثانيها ندامة، وثالثها عذاب يوم القيامة، إلا من عدل ".

* * * * *

487- بينك وبين السَّلامَة خطوة!

ترى كثيراً من الناس ـ لكسلٍ من عِند أنفسهم أو لعجلةٍ من أمرهم ـ يُؤثِر أحدُهم أن يتجاوز الطرق السريعة .. بطريقة غير قانونية .. فيُعرّض نفسَهُ وغيره للخطَر .. ولا أن يقصدَ المكان المخصّص لعبور المشاة .. علماً أنه ليس بينه وبين هذا المكان المخصص سوى أمتار قليلات!

تَرى أحدَهم ـ لِقلّة صبره ـ يَعبُرُ الطريقَ قبل أن تظهرَ الإشارة الضوئية الخضراء؛ التي تُفيد السماح للمشاة بالعبور .. فيعرّض نفسه وغيره للخطر .. علماً أن ظهورها قد لا يستغرق سوى ثوانٍ معدودات .. وهؤلاء لو أصابهم مكروه .. أو اصطدمت بهم سيّارَة .. يطالهم شيء من معنى قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ البقرة:195. وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾النساء:29.

* * * * *

488- من أسماءِ اللهِ الحُسنى " الجميل ".

من أسماءِ الله الحسنى، وصِفاتِه العُليا " الجميل "؛ فالله تعالى له الجمَال المُطلق، وكمال الجمال .. فهو ذاته ﷻ جميل .. وكلامه جميل .. وجميع صفاته وأفعاله جميلة .. ومن لوازم جماله ﷻ أن لا يَصدر عنه إلا الجميل .. فخَلْقُه جميل .. فيه آيات من الجمال .. وشرعه جميل .. وكل ما خالفه فهو باطل وقبيح .. وأمره جميل .. ونهيه جميل .. ووعده جميل .. ووعيده عدل وجميل .. وهو ﷻ جميل يُحب الجمال في الأمور كلها، كما في الحديث:" إن الله جميل، يُحب الجمال "مسلم.

والقبيح الموجود في الوجود؛ الذي خلقه الله، وقدر وجوده.. لو نُظِر إليه من مجموع جوانبه .. وأسبابه .. وغاياته .. لعلم أنه قبيح بذاته، جميل لغيره، وأن هذا الجمال لا يظهر ولا يكتمل إلا به.

لِذا عُدَّ من استقبحَ شيئاً مما شرَعه الله تعالى وأمر به، أو جمَّل وحسَّن ما هو مضاد له؛ كأن يقول الحجاب المفروض على المرأة ليس جميلاً، والسفور والتبرج أجمل وأحسن .. كافراً بالنص والإجماع؛ لأنه في حقيقته قد وصف الله تعالى بوصف يتنافى مع كمال جماله .. كما يتناقض مع مقتضيات ومعاني اسمه العظيم ﷻ " الجميل ".

* * * * *

489- عندما تواجهك مشكلة!

عندما تواجهك مشكلة حلّها مرتبط بأطرافٍ آخرين .. من الخطأ أن تضع لها حلاً واحداً ثم تُفاوض عليه الآخرين .. إمَّا أن يُجيبوك إليه .. وإلا فالمشكلة ستظل قائمة من غير حلٍّ .. وقد تتفاقم وتتوسع مع الزمن وتُصبح المشكلة مشاكل .. فيستعصي حينئذٍ على الحلِّ ما كان حله سهلاً!

والصواب في مثل هذه الحالة .. أن تضع عدة حلول وخيارات لحل المشكلة .. إن لم يصح الأول .. جُرِّب الثاني .. فإن لم يصح الثاني طُرِح الثالث .. ثم الرابع .. وهكذا إلى أن تُحَل المشكلة من دون أن تُترَك للمستقبل المجهول .. لتتفاقم وتتضاعف .. وهذا يستدعي منك مسبقاً أن تُعِد هذه الخيارات والحلول بصورة جيدة ومحكمة .. وترتب طرحها على مسامع الآخرين بحسب الأولوية .. وبما تسمح به ظروف المشكلة .. والأفكار التي تواجهك وأنت تحل المشكلة!

* * * * *

490- من البلاءِ الشَّديد!

بحكم المشاكل التي تحصل بين الأزواج .. والتي تُعرَض علي .. وجدت كثيراً من الحالات يكون فيها الزوجُ صالحاً بينما الزوجة تكون طالحة؛ سيئة الخُلُق والدين .. أو أن تكون الزوجة صالحة، بينما الزوج يكون طالحاً؛ سيء الخُلُق والدين ـ وهذا من البلاء الشديد الذي لا فكاك للمرء منه إلا بالتفريق أو الطلاق، وهو خيار صعب ليس بسهل؛ وبخاصة إن قضى الله بين الزوجين أبناء ـ قد يكون الزوج الطالح أو الزوجة الطالحة .. بعضُ سيئات الطرفِ الآخر الصّالح .. عاقبَه الله عليها في دنياه بقرينٍ طالح .. وهو لا يدري .. نسأل الله تعالى السلامة!

* * * * *

491- تحدٍّ صعب .. واختبارٌ أصعَب!

من جهة الشَّارع يأمرُ بصلةِ الرحم .. ويُرغّب به .. ويجزي عليه خيراً كثيراً .. ويتوعّد قاطعه بالعذاب والخزي في الدنيا والآخرة!

ومن جهة ثانية لا يصدر عن الرحم الذي يجب وصله إلا الشحَّ .. والبغي .. والظلم .. والأذى .. والإدبار .. والنفس واقفة في الوسط محتارة مترددة؛ تارة تصغي لنداء الشَّارع، ووعده ووعيده .. فتمتلئ رغبة ورهبة .. ومرة تُنصِت لنداء الانتصاف للنفس من ظالميها .. ومعاملتهم بالمثل وبما يستحقون من المعاملة .. فهي تتردد بين خيارين؛ اختيار أحدهما يعني التضحية بالخيار الثاني ولا بد؛ فإن اختارت الاستجابة لنداء الشَّارع .. ضحَّت بحق النفس في الانتصاف .. وما أصعبه من اختيار .. وإن اختارت الانتصاف للنفس .. ضحَّت بخيار الاستجابة لنداء الشّارع الذي يأمر بصلة الأرحام .. وما أصعبه وآلمه من اختيار!

ألم أقل لكم إنه تحدٍّ صعب .. واختبارٌ أصعب ... ما أقلّ الذين ينجحون في هكذا اختبار .. وهكذا تحدٍّ!

فإن قلتم: حقَّاً إنه لخيار صعب .. فماذا تختار لنا؟!

أقول: لا أزاود عليكم ولا أتفاهم .. ولكن حسبي أن أبين ما يختاره رسولُ الله ﷺ لي ولكم، كما في الحديث، عن أبي ذرٍّ قال:" أوصاني خليلي ﷺ أن أصلَ رحمي وإن أدبَرَت ".

وعن أبي هريرة أن رجلاً قال: يا رسولَ الله! إن لي قرابةً أصلهم ويقطعوني، وأُحسِنُ إليهم ويُسيئون إليَّ، وأحلمُ عليهم ويجهلون عليَّ؟!

فقال ﷺ:" لئن كنت كما قلت فكأنما تَسِفُّهم الملَّ ـ وهو الرماد الحار ـ ولا يَزالُ معك من الله ظهيرٌ عليهم ما دمتَ على ذلك "مسلم.

* * * * *

492- المرأة التي لا تتزيّن لزوجها!

من النساء من لا تتزين لزوجها إلا في حالتين فقط: عندما يهمّ بطلاقها .. أو عندما يريد الزواج عليها .. وفي ليلة زفافه على الزوجة الثانية .. وما سوى ذلك .. وبقية حياتها ـ ما دامت ضامنة أن زوجها لن يتخلى عنها ولن يتزوج عليها ـ فهي هاملة لنفسها وشكلها أبدا .. تُعاقبه في نفسها كلما نظر إليها .. أو همَّ أن يقتربَ منها .. وكأنها تستكثر عليه أن يرى منها ما يسره .. ويقر عينه .. ويحفظ بصره عن الحرام!

ثم أن هذا الزوج ـ بعد هذه السيرة الذاتية النكدة لحياته الزوجية ـ إن امتدت عينه إلى الحرام؛ فلم يحفظ بصره من النظر إلى الحرام .. والصور الإباحية الفاضحة .. والمنتشرة في كل مكان .. قامت زوجته تولول .. وتُهدّد .. وتشق الجيوب .. وتُعطي زوجها درساً في الشّرف .. والخيانة .. والوفاء .. وهي بعد ذلك لا تتردد في الاتصال بالشيوخ لتشكو زوجها المجرم إليهم .. ليفتوها بالعقاب الزاجر الذي يستحقه!

ولهذه وأمثالها أقول: عندما تمتد عين زوجكِ إلى الحرام .. فهو مخطئ .. ويطاله الوزر .. لكن أنتِ سبب فيما قد وقع فيه .. شريكة رئيسية له في كل وزرٍ يقترفه من هذا القبيل .. يطالك ما يطاله من الإثم والحرج .. لأنك ـ بإهمالك لنفسك ـ فرّطتِ بحقّه عليك .. وأعنتِ الشيطان عليه .. ولا تلومين إلا نفسك!

* * * * *

493- إلى متى ..؟!

إلى متى سنظل نسمع عن ثلة من خيرة شباب ورجالات الإسلام تُعدَم ـ بطريقة باردة مستهترة ـ على أيدي زبانية الطغاة الظالمين .. من دون أن تغضب الأمة غضبتها أو تقول كلمتها؟!

إلى متى سنظلُّ نسمع في كل يوم عن ثلة من خيرة شباب ورجالات الإسلام تُعتقل ويُزجّ بها في غياهب زنازين الطغاة الآثمين .. حتى اكتظّت واختنقت بهم السجون .. منهم من يُحكَم عليه بالمؤبد .. ومنهم من يُحكم عليه بعشرات السنين .. وكأن السنين في عرف الطغاة الظالمين أيّاماً .. وساعات .. والأمة ساكتة ساهية عن هذه الجرائم .. وكأن هذه الصفوة من الرجال ليسوا من أبنائها يحق لهم ما يحق لغيرهم من بني البشر؟!

إلى متى يستخف الطغاة الآثمون بحرمات ودماء وحرية الدعاة والعلماء العاملين من أجل الإسلام .. والأمة عن نصرتهم مشغولة .. غافلة ساهية؟!

إلى متى سيظل الالتزام بهذا الدين الحنيف .. تهمة .. وجريمة .. وعرضة للمساءلة .. يأخذ عليها الطغاة الآثمون بالنواصي والأقدام .. والأمة عن ظلمهم وإجرامهم غافلة ساهية؟!

إلى متى ستظل الأمة ساكتة على هذا البغي والظلم والعدوان .. متى ستغضب .. متى ستنهض .. متى ستنتفض؟!!

قال رسول الله ﷺ:" لا تُقدَّسَ أُمَّةٌ لا يُقضَى فيها بالحقِّ، ولا يأخذُ الضعيفُ حقَّه من القوي غيرَ مُتَعْتَعٍ ".

وقال ﷺ:" إنَّ النَّاسَ إذا رأوا الظالمَ فلم يأخذوا على يديه أوشكَ أن يَعمَّهم اللهُ بعقابٍ ".

* * * * *

494- دِماءُ المسلمين في الصين لا بواكي لها ..؟!

في ساعات معدودات قامت السلطات الصينية الشيوعية ـ بدمٍ بارد مستهتر ـ بقتل المئات من مسلمي الإيغور في إقليم "شينجيانج" .. لا يُبالون لعواقب إجرامهم .. لعلمهم أن كل ما هو مسلم وإسلامي .. سهل المنال .. لا حرمة ولا بواكي ولا راعي له .. وأن المجتمع الدولي سيتفهم هذه المجزرة بعقلية ديمقراطية متفتحة .. كما تفهّم غيرها من قبل .. وكيف لا؛ والمجتمع الدولي ذاته متواطئ ـ ولا يزال يتواطأ ـ في ارتكاب عددٍ كبير من

الجرائم والمجازر بحق المسلمين .. في فلسطين .. والعراق .. وأفغانستان .. والباكستان .. والصومال .. والشيشان .. .. وغيرها من البلدان!

تصوروا لو كانوا القتلى من النصارى أو اليهود .. كيف كان العالم المتحضر والمتخلف سواء سيستقبل الحدَث .. وكيف كانوا سيتعاملون معه .. لربما قامت دنياهم وما قعدت .. وهم يستنكرون ويشجبون .. ويتظاهرون .. ويعدون الخطط تلو الخطط لمعاقبة الصين .. ولأقاموا نُصباً تذكارية لقتلاهم .. وحوّلوا مناسبة قتلهم إلى مناسبة وطنية سنوية يُعبّئون فيها شعوبهم ضد الفاعلين .. وأنا لا ألومهم على نصرتهم لحرمات بني دينهم وجلدتهم .. فهذا حقهم وأمر متوقع منهم .. ولكن اللوم .. كل اللوم .. على بني قومي وأمتي .. على أمة المليار ونصف المليار .. الذين يمررون مثل هذه الجرائم المتكررة بحق المسلمين .. من دون أن يقوموا بالحدِّ الأدنى من النصرة المتوجبة عليهم نحو إخوانهم في العقيدة والدين؟!

قال رسول الله ﷺ:" ما من امرئٍ يخذلُ امرءاً مسلماً في موطنٍ يُنتقَصُ فيه عرضه، ويُنتهكُ فيه من حُرمته، إلا خذله الله تعالى في موطنٍ يُحبُّ فيه نصرتَه، وما من أحدٍ ينصر مسلماً في موطنٍ يُنتقصُ في من عِرضه، ويُنتهكُ فيه من حرمته إلا نصره الله في موطنٍ يُحبُّ فيه نصرَتَه ".

وقال ﷺ:" من نصرَ أخاه بالغيبِ نصرَه الله في الدنيا والآخرةِ ".

وقال ﷺ:" المؤمنون كرجلٍ واحد، إذا اشتكى رأسَهُ اشتكلى كلُّه، وإن اشتكى عينَهُ اشتكى كلُّه ".

فأين نحن من الوفاء بهذه الحقوق .. ومن هذه المعاني الأخوية النبيلة التي يجب أن تكون بين المسلمين؟!

* * * * *

495- حِصارُ غَزَّة!

تناولت بعض وسائل الإعلام خبراً مفاده: أن سفينتين حربيتين إسرائيليتين، قد عبرتا قناة السويس من البحر المتوسط إلى البحر الأحمر .. والسفينتان الحربيتان هما: المدمرة "حانيت"، والمدمرة "إيلات" تبلغ حمولة كل منهما ألفي طن من السّلاح!

وقد علق المسؤولون المصريون على هذا الخبر بقولهم:"ليس هناك ما يمنع قانوناً السفن الحربية الاسرائيلية من عبور قناة السويس .. إنه يتم السماح للسفن المدنية والعسكرية بالمرور فى القناة طالما أنها تراعي ما يُعرف بحق المرور البريء"!

قلت: يا سبحان الله .. عبور السفن والمدمرات الحربية للعدو الصهيوني عبر الأراضي والمياه المصرية .. لا حرج فيه .. ولا يوجد ما يمنع من ذلك .. وعبورها بريء لا يتعارض مع القانون المصري .. بينما عبور رغيف خبز .. أو علبة دواء .. عبر الأنفاق تحت الأرض من الأراضي المصرية إلى غزّة .. فهو عبور غير بريء .. وغير

قانونين يحمل النظام المصرية على مصادرتها .. وتجريم الفاعل ومعاقبته .. ومن ثم تدمير الأنفاق على من فيها من المسلمين الجياع؟!

أيكون عبور السفن الحربية للعدو .. بريء وقانوني ومسموح به وفق القانون المصري .. بينما عبور رغيف خبز للجياع من أبناء وأطفال غزة المحاصرين .. جريمة لا تُغتفَر .. ومخالفة للقانون يُؤخَذ عليها بالنواصي والأقدام؟!

حقاً .. إنه أمر مُضحِك .. مبكي .. محزن .. مُخجِل .. ينم عن مدى الخيانة والظلم والعمالة والخِسّة .. والتخلف .. وانعدام الحياء .. عند تلك الأنظمة الطاغية الفاسدة .. كما يدل عن مدى الجُبن والخور الذي أصابَ الشعوب!

* * * * *

496- المجاهِدُ وأمَّتُه.

عجِبتُ لأمر هذا المجاهد .. هو يُجاهِد ـ في سبيل الله ـ دون أمته .. يذود عنها بنفسه وماله .. وبكل ما يملك من غالٍ ونفيس .. وهي تكشف ظهرَه .. وتُسلِمه لعدوها .. وعدو الله!

يحرسها .. ويحميها .. بدمه .. وهي تخونه .. وتغدر به .. وتتخلى عنه .. وعن عائلته وأطفاله .. فتخلفه فيهم بالقطيعة والشح والظلم!

هو يركب المخاطر، والصعاب، ويقتحم الخطوب .. من أجلها وأجل سلامتها .. وسلامة حرماتها .. وهي تتخلى عنه .. وتتبرأ منه .. ومن جهاده .. وتستكثر عليه كلمة شكر وتقدير وعرفان!

هو يقلق لأجلها .. لا همَّ له إلا كيف يحمي بيضتها .. وحرماتها .. ويسترد ما قد سُلِب منها .. لا يهنأ بعيش من دونها .. دائم الأحزان والتفكر بها وبمصالحها .. بينما هي تقلق من أجل عدوه وعدوها .. وتهتم لسلامة العدو من دون سلامته .. ولمصاب العدو من دون مصابه!

يفترشُ الجبالَ والكهوفَ والوديان، وكل ما هو شاق وصعب .. من أجلها وأجل مستقبلها الواعد المأمول .. وهي تفترش فراش اللهو واللعب والتَّرف .. ساهيةً لاهية عنه، لا تأبه له في شيء!

لذا لا غرابة ولا عجب مما أصاب الأمة ـ في هذا الزمان ـ ولا يزال يُصيبها من وهن .. وذلٍّ وضَعف .. وتخلف .. وحبٍّ للدنيا .. وكراهية للموت في سبيل الله .. حتى أصبحت كالقصعة المكشوفة الغطاء .. يتكالب عليها الأكلة من كل حدبٍ وصوب .. سهلة المنال .. يمتطي أسوارها كل من عنَّ له الامتطاء!

أما أنت أيها المجاهد البطل .. لكَ الله .. لكَ الله .. ومن كان الله له، ومعه .. فلا خوف ولا ضَيعة عليه.

* * * * *

497- وما سوى ذلك فهو عَبَث.

كل عملٍ تقوم به أو تريد أن تقومَ به ـ أي عملٍ كان ـ انظر هل فيه خير راجح لنفسك .. أو لغيرك من الناس .. فإن كان نعم، فامضِه وتوكّل على الله .. وإن كان غير ذلك؛ لا يوجد فيه خير راجح لنفسك، ولا لغيرك من الناس .. فأمسِك عنه .. واحترم نفسك ووقتك .. وعمرك .. واعلم أنه من العَبَث الذي نُهِينا عنه.

هذا هو الميزان .. وهذا هو الضّابط الذي به ومن خلاله تَقبَل هذا العمل أو ترده .. وتُقبِل على هذا العمل أم على غيره من الأعمال.

* * * * *

498- من علاماتِ طَلَبِ العلمِ وحُبِّ العلم.

من علامات طلَب العلم وحُبِّ العلم .. حُب العلماء .. واحترامهم .. وتوقيرهم .. ومراعاة حقوقهم .. والحرص على مجالستهم والقرب منهم .. والتقرّب إليهم بما يُحبون مما ليس فيه معصية لله تعالى .. فإن لم يحصل شيء من ذلك .. ثم بعد ذلك زعم زاعم أنه من طلبة العلم وممن يُحبون العلم .. ويهتمون بالعلم .. فاعلموا أنه كذّاب .. وأنه يتشبَّع بما لم يُعطَ!

* * * * *

499- أهلُ الحقِّ وأهلُ الباطلِ.

أهلُ الحقِّ يُنصفون أنفسَهم والآخرين .. وأهل الباطلِ يُنصفون أنفسهم دون الآخرين.

أهلُ الحقِّ يستدلون بما لهم وما عليهم .. ويُظهرون ما لهم وما عليهم .. وأهل الباطل يستدلون بما لهم دون ما هو عليهم .. ويُظهرون ما لهم ويخفون ما عليهم.

أهلُ الحق يُنصفون الحقَّ ولو من أنفسِهم .. وأهل الباطل يُنصفون الحقَّ ما قضى لأنفسِهم!

أهلُ الحقِّ يُظهرون الحقَّ ولو كان على أنفسِهم .. وأهل الباطل يكتمون الحقَّ إن كان على أنفسهم .. وما خالف أهواءهم وشهواتهم!

أهلُ الحقِّ يُحبون الحقَّ لذاته .. ويدورون معه حيثما دار .. وأهل الباطل يُحبون الحقَّ لغيره .. ما دام يتماشى مع مصالحهم وأهوائهم .. يدورون معه ما دار معهم .. فإن خالفهم خالفوه!

أهل الحقِّ تَبَعٌ للحقِّ .. وأهلُ الباطلِ؛ الحقُّ تبَعٌ لهم!

أهلُ الحقِّ؛ الحقُّ عندهم وسيلةٌ وغاية .. وأهلُ الباطلِ؛ الحقُّ عندهم وسيلةٌ لغاية!

لذا فإن أهلَ الباطل لا يستحقون الاستخلاف؛ فهم غير أمناء على الأرض وساكنيها .. ولا على قيادة البلاد والعباد .. بخلاف أهل الحق.

* * * * *

500- الرِّياضَةُ البدنيَّة.

الرياضَةُ البَدَنيَّةُ سلوكٌ حضاري رَاقٍ .. يجب أن يُمارسه الإنسانُ في جميع مراحل وأطوار حياته بحسب استطاعته، وبحسب ما تتطلبه كل مرحلة من مراحل عمره وحياته .. وهو مَطلبٌ صحِّي وشرعي في آنٍ معاً: أمَّا أنه مطلبٌ صحي .. فقد تحقَّق إجماع الأطباء وخبراء الصحة ـ من دون مخالف ـ على أن الرياضَة نافعةٌ جداً للبدَن .. وأنها شرط لسلامةِ الصحة والبدَن من كثير من الأمراض.

أما أنه مَطلبٌ شرعي؛ فهو مرتبط بكثير من الواجبات والفرائض الشرعية التي تستلزم جسداً صحيّاً وقوياً .. بخاصة منها فريضة الجهاد في سبيل الله .. وما لا يتمّ الواجبُ إلا به فهو واجبٌ .. وقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾الأنفال:60. يشمل الإعداد البدني الجسدي .. وكذلك قوله ﷺ:" المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف "مسلم. فهو يعني ويشمل القوة البدنية الجسدية .. وممارسة الرياضة البدنية على هذه النية؛ نيَّة الإعداد والتَّقوِّي على طاعة الله .. من أعظم العبادات التي يتقرب بها العباد إلى ربهم عز وجل .. وما أكثر الذين يغفلون عن هذه العبادة!

مما يُدهشني في المرء .. أنه من جهة تراه يريد الجهاد .. ويستشرف مواطن الجهاد .. بينما جسده يعني أنه لو تيسَّر له الجهاد .. سيكون همَّاً وعالةً على المجاهدين .. كما سيكون صيداً سهلاً للعدو!

* * * * *

501- هل أنتَ أخٌ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم.

المسلمون بالنسبة للنبي ﷺ واحد من اثنين: أصحاب أو إخوان .. أما الأصحاب ﷺ أجمعين فقد مضوا .. ومضت معهم الصحبة .. هنيئاً لهم .. وبقي الإخوان؛ وهم كل مسلم موحد صادق الإسلام والإيمان لم تُكتَب له الصحبة .. ولم تُكتَب له رُؤية النبي ﷺ .. وإلى يوم القيامة، كما في الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: " وددتُ أنَّا قد رأينا إخواننا " قالوا: أولسنا إخوانك يا رسولَ الله؟ قال:" أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد ... " مسلم. أنصف رسولُ الله ﷺ أصحابه الكرام .. وأنصَفَ كل من جاء بعده من المسلمين.

والسؤال الكبير والمحرج الذي يفرض نفسه على كل مسلم: هل أحدنا يستحق هذا الشرف الرفيع والعظيم .. الذي منحنا إياه النبي ﷺ .. لقب ونسب "أخ للنبي ﷺ"، هل أنت حقاً تستحق هذا اللقب

والنَّسب " أخ للنبي ﷺ " .. هل أنت في مستوى من الالتزام والاقتداء بأخلاق وسنن الحبيب المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه .. يُؤهلك بحق لأن تكون أخاً للنبي ﷺ .. وأن تقول صراحة: أنا أخ للنبي ﷺ ...؟!

من جهتي فإني أستحي من النبيّ ﷺ أن أزعم هذا الشّرف الرفيع .. أسأل الله تعالى أن يعينني لأن أرقى إلى مستوى أن أكون أخاً للنبي ﷺ .. اللهم آمين .. آمين .. آمين.

* * * * *

502- حقُّ الدنيا وحقُّ الآخرة.

للدنيا حق .. وللآخرة حق .. فمن أراد أن يستوفي كامل حق الدنيا .. ويتمتع بكل ما هو مباح له من أمر دنياه .. بحجة أنها مباحة .. سيكون ذلك حتماً على حساب حق الآخرة .. كما سيؤدي ـ ولا بد ـ إلى التفريط ببعض حقوق الآخرة عليه .. كذلك من أراد أن يستوفي كامل حق الآخرة .. فعليه ولا بد أن يُضحي ببعض حقوق الدنيا .. وببعض متاعها وزخرفها المباح .. وأن لا يتوسع في المباحات وبخاصة منها التي تُلهي وتُنسي صاحبها عمّا يجب عليه نحو آخرته .. والنقل والعقل يُلزمانه حينئذٍ بأن يُقدم التضحية ببعض حقوق الدنيا الزائلة من أجل الآخرة؛ دار المقامة الأبدية التي لا تزول.

كلما عظمت الغاية ـ حتى لو كانت غاية دنيوية ـ كلما عظمت التضحية من أجلها .. ورخص الغالي والنفيس في سبيلها .. فما بالك إذا كانت هذه الغاية .. هي سلامتك الأبدية يوم القيامة .. أن تكون من أهل الجنّة مع الأنبياء، والصديقين، والشهداء .. ألا تراها تستحق منك التضحية ببعض متاع ومباحات الدنيا؟!

* * * * *

503- الفسادُ الأوربي مكفولٌ.

على المستوى الأخلاقي والعلاقات الاجتماعية في أوربا يوجد فساد كبير .. لكنه فساد مكفولة نتائجه .. حيث توجد المؤسسات الحكومية والخاصة التي ترعى وتحمي مضاعفات ونتائج هذا الفساد .. فالمرأة عندهم ـ على سبيل المثال ـ لو زنت وحملت وولدت من الزنى .. لا تواجه أية مشكلة .. من حيث رعايتها ورعاية طفلها؛ رعاية كاملة شاملة .. وهكذا ما من فسادٍ يقَنّنونه، إلا وتراهم يقنّنون لآثاره ونتائجه المتوقعة!

هذا في أوربا .. أمّا في بلادنا التي تُسمي نفسها بالعربية والإسلامية .. فإنهم يتبعون خطى أوربا في الفساد والتفسخ الأخلاقي خطوة خطوة، حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ من الفساد لدخلوه .. وهم لم يتركوا وسيلة من وسائل إفساد وتفسيق المرأة والرجل سواء إلا وسلكوها .. ورخصوا لها .. وصنعوا لها الدعاية في وسائل إعلامهم .. ثم بعد كل هذا الضغط، وهذا المكر والكيد والكم الهائل من الإفساد والترويج له .. لا يريدون أن يتحملوا نتائج فسادهم وإفسادهم .. فلو أن المرأة ـ على سبيل المثال ـ أخطأت ووقعت في الفاحشة .. قام المجتمع ـ

برعاية وتواطئ الحكومات الظالمة ـ ليعاقبها بالقتل ذبحاً على جنايتها .. ولو ولدت من الحرام .. فالولد إن نجا من القتل .. يُنبذْ على جميع المستويات .. ويُحرَم من أدنى حقوق الرعاية والحماية .. وهم بفعلهم هذا يكونون قد ارتكبوا ثلاثة أخطاء:

أولاً: لما ساروا في طريق الفساد .. وقنَّنوا له .. وروجوا له .. تأسياً ببلاد الغرب!

ثانياً: لما تهربوا من تحمل تبعات أخطائهم وما جنت أيديهم .. وسياساتهم .. فقتلوا ضحية فسادهم وفسقهم ومكرهم .. وحرموها وولدها من أبسط حقوقهما!

ثالثاً: لمَّا نجا المسؤول الحقيقي عن انتشار الفساد، وحمايته، والتقنين له .. الذي كان ينبغي أن يُعاقَب قبل أن تعاقَب ضحاياه التي وقعت في شباك فساده وإجرامه!

ففي بلادنا ومجتمعاتنا: محافظون وشرقيون عند الانتقام من الضحية فقط .. أما قبل وقوع الضحية في الخطأ، وقبل الانتقام منها، فهم ليبراليون .. وديمقراطيون .. وحداثيون .. وإباحيون .. وغربيون .. يُؤمنون بالحريات كلها .. فأي تناقض .. وانفصام بين الفكرة وواقعها .. يعلو هذا التناقض والانفصام .. وأي غش وظلم للناس يعلو هذا الغش والظلم؟!

* * * * *

504- اللص المتمشيخ!

أن يكون اللص لصاً فهذا قد عرفناه .. وصفاته يعرفها غالب الناس .. أمّا أن يكون المتمشيخ لصاً .. فهذا الذي يحتاج إلى توضيح، وبيان، وتحذير!

اللص المتمشيخ .. هو اللص الذي يتظاهر أمام الناس بالتدين .. فإذا خلا بحرمات الله تعالى انتهكها .. كما ينتهك الوحش المفترس فريسته!

هو اللص الذي يحفظ بعض كلمات أهل العلم .. ومصطلحاتهم .. فيرددها بتكلفٍ وتشدّق على مسامع الناس، وبخاصة منهم من يطمع باصطيادهم والسطو على حقوقهم وحرماتهم .. ليظنوه عالماً متديناً وما هو بعالم ولا متدين!

هو اللص الذي يستأكل ويعتاش بالدين .. وباسم الدين .. ويجعل الدين تبعاً للدرهم والدينار في الحركات والسكنات؛ ميَّالاً مع الدرهم والدينار .. يدور معهما ويميل حيثما دارا ومالا .. ويتواجد معهما حيثما يتواجدا .. يبذل الدين لمن يرمي له بالدرهم والدينار .. وبالطريقة التي تُرضي صاحب الدرهم والدينار!

هو اللص الذي يُقاتل دون نفسه وظلمه .. بالكذب .. والفجور .. والغدر .. والخيانة!

هو اللص الذي يتقوى ببعض الكلمات عن الدين والإيمان .. وبالأيمان المغلَّظة الكاذبة .. على نهب .. وغش .. وظلم .. وغدر .. وخيانة الناس .. وهذا النوع من اللصوص قد كثروا في هذه الأيام .. فلزم التحذير منهم ومن شباك مكرهم وغدرهم .. فالحذر الحذر!

* * * * *

505- الصغيرُ لا يبقى صغيراً.

الصغير لا يبقى صغيراً .. فالأيام والسّنون والحياة .. قد تجعله ـ بإذن الله ـ كبيراً في عمره .. كبيراً في علمه .. كبيراً في مواقفه .. كبيراً في كلماته .. كبيراً في أثره على الناس والحياة .. وبالتالي من الخطأ أن تظلَّ تتعامل معه على أنه صغير .. وتقول أنا أعرفه وهو صغير .. يوم أن كان يقول كذا .. ويفعل كذا .. ويلعب بكذا .. ولا أريد لتلك الصورة في نفسي أن تتغير .. أو تتبدل .. كما لا أريد أن أتعامل معه إلا على أساس تلك الصورة القديمة عنه .. فحينئذٍ تكون قد ظلمت الحقيقة .. وظلمت نفسك .. وظلمت ذاك الكبير الذي تجتهد أن تصغّره من عند نفسك .. وظلمت وغششت الناس ممن يتعاملون مع من تحرص على تصغيره .. وهو كبير!

* * * * *

506- الذِّلُّ المركَّبُ.

الذلُّ المركَّبُ الذي يعلو بعضه بعضاً .. هو عندما يُستمرَأ الذلُّ حتى يُصبح جزءاً من حياة الإنسان لا فكاك لأحدهما عن الآخر .. ولا طاقة لعيش أحدهما دون الآخر!

الذل المركب؛ هو عندما تستعذب الشعوب تمجيد الطغاة الظالمين .. وتتعامل مع سياطهم على أنها مِنّة ورحمة من الطغاة على شعوبهم!

الذل المركب؛ هو عندما ترضى الشعوب بالعبودية للطغاة الظالمين .. ثم هي لا تشعر أنها قد ارتكبت شيئاً مُشيناً!

الذل المركب؛ هو عندما يُفسَّر ظلم الطغاة على أنه رحمة وحكمة .. وكفرهم على أنه إيمان وصلاح .. وإسرافهم وتبذيرهم على أنه حق خالص لهم من دون شعوبهم .. وهزيمتهم أمام العدو على أنه نصر وفتح ما بعده فتح ولا نصر .. وعمالتهم وخيانتهم لأمتهم ودينهم على أنه سياسة وكياسة تقتضيها مصلحة البلاد والعباد!

الذل المركب؛ هو عندما يغيب الإحساس بالظلم والذل .. ويُصبح الذل كأنه شيء من أساسيات الحياة الضرورية!

الذل المركب؛ هو عندما يُصبح العمل من أجل تحرير العباد من العبودية للطغاة العبيد .. ثوراً .. وعملاً طائشاً مستهجناً تشمئذ منه ذوو النفوس الذليلة!

هذا هو الذل المركَّب .. أعاذنا الله وإيَّاكم منه .. وما أكثر المصابين به من بني قومي!!

* * * * *

507- يَتَضَاحَكُون.

شدَّني تجمعٌ للكافرين .. يتضاحكون بصخب وصوت مرتفع .. فتأملت الوجوه .. والعيون .. والضحكات .. فوجدت الوجوه تعلوها الكآبة والقلق .. والعيون يعتريها الزيغ والشك والخوف .. كما وجدت ضحكهم .. تضَاحُكاً .. وتصنّعاً .. وتكلّفاً .. يتكلفونه من عند أنفسهم .. وما في أنفسهم رغبة حقيقية في الضحك!

يتضاحكون .. وفي كثير من الأحيان يتضاحكون وهم يُقارعون شرب الخمر .. لينسوا تلك الحقيقة الباهرة التي تُلاحقهم بالأسئلة التالية على مدار الوقت: من أين أتوا .. ولماذا أتوا .. وإلى أين يصيرون؟!

أكادُ أجزم أنه لا يوجد كافر مشرك على وجه الأرض سعيد في حياته .. أو يعرفُ طعمَ السعادة الحقيقية .. فسعادتهم متصنَّعة .. يعلوها التكلف والنفاق .. سرعان ما تزول وتتكشّف؛ لأنهم يعيشون القلق والخوف من المجهول القادم لا محالة .. ولأنهم ينشدون السعادة من غير مظانها؛ من حيث يوجد الشقاء .. وأنَّى للشقاء أن يهبهم السعادَة .. ففاقد الشيء لا يُعطيه!

قال تعالى:﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾الأنعام:125. ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً ﴾طه:124.

* * * * *

508- ليس من الأمانة.

ليس من الأمانة .. ولا الفقه .. ولا العدل .. عند مورد الصغائر والكبائر .. أن يُسلَّط الضوء على الصغائر ـ التي منها ما قد يدخل في دائرة المتشابهات، ومنها ما يقبل الاجتهاد ويدور المجتهد فيها بين الأجر والأجرين ـ؛ شرحاً، ونقداً، وتجريحاً، وتجريماً .. ويُغَض الطرف عن الكبائر وأهلها .. فلا يُشار إليها ولا إليهم تلميحاً ولا تصريحاً!

على الفقيه ـ الذي يتصدَّى لمشاكل الناس ـ أن يتنبه لهذا المعنى الهام .. إذ لا ينبغي أن يُشغل نفسه ـ أو يقبل من الآخرين أن يُشغلوه ـ بالصغائر على حساب الكبائر .. فيُناقش هل دم البعوضة نجس أم لا .. بينما دم أخيه المسلم ينزف ـ ظلماً وعدواناً ـ أمامه من دون أن يُشير إليه وإلى قاتله بكلمة .. وأينما توجهت تجد مجازر تُمارس بحقِّ المسلمين؟!

* * * * *

509- العلماءُ والمجاهدون.

العلماء يعصمون الأمة ـ بإذن الله ـ من الضلال والانحراف .. والجهل .. والمجاهدون يعصمون الأمة من أن يسطو العدو عليها وعلى حرماتها.

العلماء يحرسون ثغور الأمة من أن يتسلل من خلالها البدع والأهواء والشركيات الضارة والفتاكة .. والمجاهدون يحرسون ثغور الأمة من أن تتسلل من خلالها طلائع العدو.

العلماء حرَّاس العقيدة والشريعة .. والمجاهدون حرَّاس دار العقيدة والشريعة.

العلماء بهم يسود الحق والعلم والعدل، والإخاء والمحبة، وكل خلق حميد .. والمجاهدون يحمون ويحرسون مكتسبات وآثار العلماء .. وبهم يسود الأمن والأمان.

العلماء والمجاهدون هم غرس الله في الأرض؛ الذين يستخدمهم الله تعالى في طاعته ونصرة دينه، والجهاد في سبيله.

العلماء مثلهم في كتاب الله تعالى الميزان .. والمجاهدون مثلهم في كتاب الله تعالى الحديد .. كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾الحديد:25. والميزان والحديد يكملان بعضهما البعض .. إذ لكل منهما رسالة تكمل رسالة الآخر .. لا قيام لأحدهما من دون الآخر .. بهما تتحقق ـ بإذن الله ـ العصمة والسلامة والإزدهار والعزة للأمة .. وهما بالنسبة للنظام كالجناحين بالنسبة للطائر فإن أصيب في أحد جناحيه وقع وعجز عن الطيران .. وتهاوى بين الحفر .. كذلك النظام الذي يُصاب من جهة العلماء أو المجاهدين .. فإنه يُصاب بمقتل .. ويعجز عن النهوض والقيام بواجباته الشرعية .. كما يعجز عن مواجهة التحديات الداخلية والخارجية سواء .. ولو حاول النهوض أو المواجهة فإن مآله إلى السقوط والإنهيار لا محالة .. لذلك لم تتوقف محاولات العدو ـ ومن غير كلل ولا ملل ـ عن إحداث الفتن بين العلماء والمجاهدين للتفريق والتحريش بينهما .. وإحداث شرخ كبير من انعدام الثقة فيما بينهما

.. وكأن لكل منهما مساره وتوجهه وغاياته المختلفة عن الآخر .. لعلمه بالآثار المدمرة التي تُصيب جسد الأمة جرَّاء ذلك!

* * * * *

510- الشِّدَّةُ على قدرِ المخالَفَةِ.

يُنكِر عليَّ بعض الإخوان شدتي في بعض الردود على المخالفين ..؟!

وللإخوة هؤلاء أقول: انظروا إلى نوع وقدر المخالفة التي وقع فيها المخالف .. فستجدون أنه ومخالفته يستحقان هذه الشدة.

فالشدة ليست على الإطلاق ممدوحة أو مذمومة .. بل منها الممدوح ومنها المذموم بحسب نوع وكم المخالفة التي وقع فيها المخالف .. وبحسب قصد المخالف من وراء مخالفته .. فالمخالفة التي تُصادم وتُناقض التوحيد .. لا ينبغي أن تُنكَر كما يُنكر أي ذنب دون الشرك والكفر .. والمخالفة التي يترتب عليها سفك الدم الحرام .. لا يجوز أن تُنكر كما تُنكَر الصغائر أو الذنوب التي هي دون وزر وجرم قتل الأنفس البريئة المعصومة والمصانة شرعاً .. وهكذا بقية المخالفات .. وفي السُّنة دليل على صحة ذلك: حيث أن من الأخطاء والمخالفات كان النبيّ ﷺ ينكرها بعبارات شديدة كأنما حب الرمان يتفقأ من وجهه الشريف .. ومن الأخطاء والمخالفات كانت تُعالَج على طريقة ما بال أقوامٍ .. وأحياناً بكلمة أو عتاب لطيف .. أو بنظرة .. أو بسمة .. فكل هذا وارد .. والفقه يقتضي منا بأن نضع كل أسلوب من الإنكار في موضعه الصحيح .. وبحسب نوع وقدر وآثار المخالفة التي وقع فيها المخالف .. من غير زيادة ولا نقصان.

* * * * *

511- هكذا الدُّنيا!

قد تأملت الدنيا فوجدتها عبارة عن خليطٍ هائلٍ من التغيرات، والتقلبات، والتجاذبات، والانفعالات المتغايرة، والمختلفة، والمتعاكسة .. وجدت فيها الحركةَ والسكونَ .. العملَ والخمولَ .. الصحة والمرض .. الغنى والفقر .. الشّرف والوضاعة .. القناعة والطمع .. الشح والكرم .. الأمانة والخيانة .. الجهل والعلم .. الكفر والإيمان .. الصلاح والطلاح .. الظلم والعدل .. العدوان والمعتدى عليه .. الجهاد والتدافع المستمر بين الحق والباطل .. القتل والقتال .. الكوارث الطبيعية والبشرية وضحاياها .. الصلة والقطيعة .. الاستقامة والفسوق .. الطهر والنجاسة .. السرور والحزن .. الهمَّ والغم والسعادة .. الربح والخسارة .. الغفلة واليقظة .. العزة والذلة .. اليد العليا واليد السفلى .. اللقاء ثم الفراق .. وفراق أكبر وفراق دون فراق .. وما بين كل صنفين أصناف عدة؛

بعضها قريب إلى هذا الصنف، وبعضها الآخر قريب إلى الصنف الآخر .. ولكل صنف من هذه الأصناف الآنفة الذكر ـ وما بينها من أصناف ـ أهله وطلابه .. وأحكامه!

وجدتُ المكرَ والخداع والغش .. محناً وفتناً وبلاء .. مشاكلَ تُدْبِر وأخرى تُقبِل .. فما إن تدبر مشكلة حتى يظن صاحبها أنها قد فُرِجت، وأنه قد استراح وأراح .. إلا وتُقبل عليه أختها التي هي أشد من سابقتها .. وذلك من غير توقف ولا انقطاع .. كما وجدت التزاحم والتدافع فيما بين الناس على الكسب وأسبابه، بالحلال أو الحرام .. والرياسة وأسبابها، بالحق أو الباطل .. ضغط يرتفع، وضغط ينزل .. وما بين الضغطين جلطات وسكتات .. وموتات!

هكذا هي الدنيا؛ فهي عبارة عن حركة دؤوب ـ لا تعرف الثبات ولا القرار ـ تعبر عن تلك التغيرات والتقلبات والتفاعلات المتغايرة المتقلبة .. أرحامٌ تدفَع .. وقبور تَبلَع .. وما بينهما آهات .. وبلاءات .. وآلام .. وفتن ومحن .. ومن لم يفهمها على هذا الوجه .. ويتعامل معها على هذا الوجه .. وأنها دار عمل وكدٍّ واختبار .. ثم أرادها لنفسه دار استقرار ومتاع وجزاء .. لا هم ولا غم ولا نكد فيها .. لا ينتظر بعدها لنفسه متاعاً ولا جزاء أو حساباً .. فهو واهم وخاسر .. وسرعان ما سيصدمه الواقع الأليم .. الذي لا يُحسن تفسيره .. والذي قد يُوقعه في قلقٍ شديد .. قد ينتهي به إلى الانتحار .. أو إلى كثير من الأمراض والعقد النفسية!

هذا المعنى المشار إليه أعلاه هو المراد من قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾العنكبوت:2. وقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾محمد:31. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ﴾الانشقاق:6. وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾التوبة:105. وقال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾العنكبوت:64.

* * * * *

512- الإحسانُ الخسيس!

الإحسان الخسيس؛ هو الإحسان الذي تسبقه نية المنّ والأذى بما تمَّ الإحسان به؛ كأن يعجز الخسيس عن الإساءة إلى من يرغب بالإساءة إليه، فيُحسن إليه بعطاءٍ أو معروف ليؤذيه ويذله بإحسانه .. أو ليستخدمه لمآرب خاطئة عند الحاجة .. من دون أن يقوَى المحسن إليه على أن يرد له طلباً أو يرد الإساءة بالمثل؛ إذ كيف يردها عليه بالمثل وبالأمس القريب قد تلقى منه إحساناً أو معروفاً .. فأخلاقه وحياؤه يمنعانه من فعل ذلك .. لذا

فهو يؤثر الصبر على ذل وإذلال وأذى المحسن الخسيس ولا أن يرد عليه بالمثل .. أو أن يرد له طلباً .. والمحسن الخسيس يعلم منه هذا الخلق النبيل .. لذا فهو لا يتوانى في أن يستمر بالإحسان إليه بين الفينة والأخرى .. ليستمر تمتعه بإذلال وأذى من يُحسن إليه .. وليقوى على استخدامه لأغراضه الخبيثة عند الحاجة!

هذا هو الإحسان الخسيس، وهذا هو المحسن الخسيس .. والصبر على أكل التراب خير للمرء من أن يمد يده لهكذا محسن خسيس .. أو يقترب من هكذا محسن خسيس، وهذا المحسن الخسيس يدخل دخولاً كلياً في معنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾البقرة:264. وقوله تعالى: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾البقرة:263.

* * * * *

513- إن أردت لعلمك أن يُثمر ويزيد.

إن أردت لعلمك أن يُثمرَ ويزيد .. ويُبارك الله به .. فاعمل به .. فما رأيت سبباً يزداد به العلم .. وينمو .. ويُثمر .. ويكثر عطاؤه .. مثل العمل به .. وما رأيت سبباً يمحق العلم .. ويمحق بركته وأثره .. مثل تنكّب العمل به .. فيكون صاحبه مثله مثل من يقول ما لا يفعل .. ويعلم الناس وينسى نفسه .. وكمثل السراج؛ يحرق نفسه ويُضيء للآخرين .. وهذا حظه من كتاب الله تعالى، قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾الصف:3. وأنَّى لمن كان موضع سخط ومقت الله تعالى أن يُبارك الله به وبعلمه!

* * * * *

514- ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾الضحى:10.

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾الضحى:10. هذا هو حكم الله تعالى .. لا يجوز لك أن تنهر وتزجر السائل لمسألته .. أيّاً كان وضعه .. والدافع له على السؤال .. إذ تكفيه عقوبة ـ إن لم يكن من ذوي الحاجة ـ ذل المسألة وآثارها .. فأنت معه بين خيارين لا ثالث لهما: إما أن تُحذيه بعض ما تملك .. أو تعتذر له بلطف ورفق .. وما وراء ذلك فهو العدوان!

هذا هو حكم الله تعالى .. لكن ما هو حكمه عند حكومات بلادنا القرقوشية: فهم من جهة أجاعوا الناس وأفقروهم .. ونهبوا أموالهم .. وسطوا على حقوقهم وخصوصياتهم .. تحت عناوين شتى ما أنزل الله بها من سلطان .. وأهملوا حق الرعية عليهم .. ثم بعد ذلك سنوا قوانين جائرة تنص على اعتقال كل من تسول له نفسه أن يتسول .. أو يسأل الناس شيئاً يسد به حاجته وفقره وجوعه .. فوقعوا في الظلم من جهتين: من جهة كونهم قد ظلموا الناس وأفقروهم .. وأجبروهم على السؤال ومد الأيدي .. ومن جهة معاقبتهم لمن اضطروه بظلمهم

وعدوانهم على السؤال .. وزجّه في السجون أشهراً لكونه أصبح من طبقة المتسولين .. وما كان ليكون من هذه الطبقة لولا ظلمهم وعدوانهم، وإهمالهم له ولحقوقه!

* * * * *

515- ﴿ أَيْنَ شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ ﴾النحل:27.

كل من يُجادل عن الطاغوت .. ويُقاتل ويُخاصم دونه .. ويُوالي ويُعادي فيه .. سواء كان هذا الطاغوت صنَماً من حجر .. أو شجر .. أو بشَرٍ .. أو قبرٍ .. أو كان نظاماً جاهلياً باطلاً .. أو حزباً .. أو منهجاً باطلاً متَّبعاً .. أو دستوراً وقانوناً يحل حراماً ويحرم حلالاً .. أو حاكماً لا يحكم بما أنزل الله، يزعم لنفسه خاصية الحكم والتشريع من دون الله .. فهو ممن سيوجَّه إليه هذا السؤال التقريعي التوبيخي، يوم القيامة؛ يوم لا ينفع مال ولا بنون ﴿أَيْنَ شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾؟! الذين كنتم تجادلون دونهم، وتدخلون في خصومات وعداوات من أجلهم .. أخرجوهم وأظهروهم ـ إن كنتم قادرين ـ لكي يُدافعوا ويُجادلوا عنكم يوم القيامة .. كما كنتم تدافعون وتجادلون عنهم في الحياة الدنيا .. وتُعادون أوليائي من أجلهم .. وأنَّى ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾النحل:27.

* * * * *

516- ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾هود:49.

لمن يستبطئ النصر والفَرَج والفَتْح .. ثم بدت عليه علامات الانهيار والاستسلام .. والركون إلى الظالمين .. يُقال له: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

لمن تتكالب عليه العِدَى .. وتتناوشه سهام الظالمين والمنافقين من كل حدبٍ وصوب .. يُقال له: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

لمن يستوحش من الغربة وقلة الأعوان والأنصار .. ويرى من الناس نفوراً من الحق .. يُقال له: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

لمن لم يترك الحقُّ له صاحباً .. يُقال له: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

لمن يستوحش طول الطريق الموصل إلى الحق والنجاة .. وتضعف نفسه عن المواصلة وإتمام المسير، ومقاومة التحديات .. ثم أن نفسه تحمله على التماس طرق قصيرة ملتوية ما أنزل الله بها من سلطان .. التماساً للراحة .. يُقال له: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

لمن يجد في نفسه ضعفاً .. ثم هي تحمله على مداهنة الطغاة الظالمين، والركون إليهم، وإطرائهم .. يُقال له: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

لمن أصابته رهبة وخشية من قوة الطغاة الظالمين وجندهم .. وظن أن لا قائمة للحق وأهله .. تجاه قوتهم وجبروتهم .. يُقال له: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

لمن داهمته المحن والهموم .. وتراكمت عليه البلايا والخطوب .. وظن أن لا منجى ولا مخرج منها .. يُقال له: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

لمن آلمه ظلم الظالمين .. ثم لم يجد سبيلاً ولا معيناً للانتصاف لمظالمه منهم .. يُقال له: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾. ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾القصص:37.

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ اجعلها ـ أيها المسلم ـ شعارك .. أينما كنت .. وحيثما حللت وتوجهت .. تُفلح بإذن رب العالمين.

* * * * *

517- كلمةُ حق يُرادُ بها باطل.

في كثير من الأحيان يعجز أهل الباطل عن نصرة باطلهم بكلمة باطلة .. فيلجؤون حينئذٍ إلى كلمة حق لينصروا بها باطلهم .. وهذا أسلوب دنيء .. هو أشد فتكاً وأثراً واشتباهاً على الناس .. من الانتصار للباطل بالباطل أو بكلمة باطلة!

كم من فتنةٍ انتصروا لها .. وسقطوا فيها .. باسم وزعم محاربة الفتنة!

كم من ظلم انتصروا له .. باسم العدالة .. وتحقيق العدل!

كم من غلوٍّ يُمارَس .. بزعم محاربة الغلو والغلاة .. والتكفيريين!

حاربوا الدين والتديّن .. باسم الوسطية والاعتدال!

كم من علم يُظهَر وما أرادوا منه سوى الانتصار لظلم الطغاة .. وكم من علم يُكتَم وما أرادوا منه سوى الانتصار لظلم الطغاة!

كم كمّموا من أفواه الناس .. وحجّموا من حرياتهم وحقوقهم المشروعة .. باسم استتباب الأمن .. ومكافحة الإرهاب!

كم من فساد وكفر وإلحاد نشروه .. وزرعوه في دروب الناس .. تحت زعم ضرورة احترام الحريات .. وقدسية الحريات!

كم من مجزرة يرتكبها المجرمون بحق الأبرياء .. ثم يزعمون إن أردنا إلا الدفاع عن النفس .. وتوجيه ضربة استباقية للعدو!

ومن يسلك هذا الدرب الخبيث، والخسيس .. حتى أنه يُعرَفَ به .. حق على الناس أن يحذروه .. وأن يُحذّروا منه!

* * * * *

518- تَصديقُ الكَذِب!

مِن مُدمني الكذب .. الذين يقتاتون بالكذب .. ويُقاتلون بالكذب .. مَن يَكذب ويَكذب .. ويُكرّر الكذبَ .. حتى يُصدِّق كذبَه بأنه حقٌّ وصدق ما بعده إلا الكذب والضلال .. وهو بعد أن يُصدّق كذبَه .. ويُقنِع نفسه ـ ومن حولَه ـ بصدق كذبه .. يستدل بكذبه كدليل وبرهان لا راد له .. ويُؤرّخ له على أنه حقيقة من حقائق التاريخ والماضي التي لا تقبل النقاش .. وما أكثر ضحايا هذا النوع من ذوي الكذب المركَّب والمغلَّظ!

* * * * *

519- عَواقِبُ الكَذِب!

قال رسولُ الله ﷺ:" إيّاكم والكَذِب؛ فإنَّ الكَذِب يهدي إلى الفجور، وإنَّ الفجورَ يهدي إلى النار، وما يزالُ الرجلُ يكذب ويتحرَّى الكذبَ حتى يُكتب عند الله كذَّاباً "مسلم.

وقال ﷺ:" رأيتُ الليلَةَ رجلين أتياني، قالا: الذي رأيتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فكذَّابٌ، يَكذبُ بالكَذْبَة تُحمَلُ عنه حتى تبلُغَ الآفاقَ، فيُصنَعُ به إلى يومِ القيامةِ "متفق عليه.

ومن عواقب الكذب أنه يُورث صاحبه النفاق، كما في الحديث:" أربَعٌ خلال من كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً: من إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلَف، وإذا عاهد غدَر، وإذا خاصم فجرَ، ومن كانت فيه خصلة منهنّ كانت فيه خصلة من النّفاق حتى يدَعها "متفق عليه.

وقال ﷺ:" آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعدَ أخلفَ، وإذا اؤتُمِنَ خانَ "متفق عليه.

قلت: ومن لوازم خلف الوعد، وخيانة الأمانة، والغدر بالعهد .. الكذب .. فكل من أخلف الوعد، أو خان الأمانة، أو غدر بالعهد لزمه أن يكذب وأن يكون من الكذَّابين ولا بد .. فالكذب هي الخصلة المشتركة بين جميع خصال النفاق .. والعياذ بالله.

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول:" من يَكذب يفجُر ".

وعن الصدّيق ﷺ قال:" الكذبُ يُجانِبُ الإيمان ".

وقال لقمان لابنه:" يا بنيّ احذر الكذب، فإنه شهيٌّ كلحم العصفور مَن أكلَ منه شيئاً لم يصبر عنه ".

ومما يجني الكذب على صاحبه في دنياه ـ وبخاصة إن كان شديد الكذب، ويقتات بالكذب ـ أنه يَفقد ثقة الناس به؛ فيتعاملون معه بشكٍّ وارتياب، ويأخذون صدقه بكذبه، وأن كل ما يصدر عنه يحتمل الكذب؛ إذ لم يعد بمقدورهم أن يميزوا بين كذبه من صِدقه .. فمن يستعذب الكذبَ مرةً يستعذبه مراتٍ ومرات .. ومن يقتات بالكذب يعزُّ عليه الإمساك عنه .. لكنه بذلك يخسر الأصحاب والخلان والأعوان .. وغيرهم الكثير الكثير .. ولا يلومَنَّ إلا نفسه!

* * * * *

520- عالميّةُ الإسلام.

الإسلام دين الله للعالمين .. ومُحَمَّد ﷺ رسول الله للعالمين .. والمسلم ينتمي إلى أسرة المسلمين العالمية بغض النظر عن جنسياتهم، وبلدانهم، وألوانهم، ولغاتهم .. له أخوة وأحباب في كل مكان .. وله بيوت ينتمي ويأوي إليها في كل مكان .. يألم لآلام المسلمين ـ أينما كانوا ـ كما يألم المسلمون لآلامه .. وهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والقلق والحمّى .. ولا يجوز لهم أن يكونوا غير ذلك .. لا فرق لعربي على أعجمي، ولا أعجمي على عربي، ولا أبيض على أسود، ولا أسود على أبيض إلا بالتقوى والعمل الصالح .. يستوون في الأصل والمنشأ ويتباينون في العمل والاجتهاد والعطاء .. وهم ـ على ما بينهم من تباين في المواهب والعمل ـ إخوان متحابون في الله، تربطهم رابطة العقيدة والدين .. غاياتهم .. ووسائلهم .. وهمومهم .. وتطلعاتهم واحدة ومشتركة .. ما يجمعهم أكبر وأكثر بكثير مما يفرقهم.

من يستشعر ويعيش هذه العالمية بكل جوارحه ومشاعره .. يُدرك تفاهة وضيق الروابط الأخرى التي يتنادى بها الناس في هذه الأيام: الروابط القوميّة .. والروابط العِرقية .. والروابط الوطنية القطرية .. والروابط القبلية العشائرية .. وغيرها من الروابط الأرضية الضيقة التي تجعل صاحبها يعيش في قفص وسجن العصبيات والجاهليات ونعراتها بعيداً جداً عن سعة ورحابة عالمية الإسلام!

كنت في مجلس ـ يضم عدداً من الجنسيات المختلفة؛ منهم البريطاني، والباكستاني، والبنغالي، والصومالي، والهندي، والعربي، والارتيري، والإفريقي، والتركي ـ أتلقى فيه مداخلات وأسئلة الحضور .. فتكلم أحدهم على طريقة الوطنيين مستخدماً مصطلحاتهم الوطنية .. وإذ بالجميع يلتفتون إليه وينظرون إليه نظرة تعجب واستهجان؛ وكأن كل واحد منهم يقول له: أين حظنا من حديثك وكلامك .. وأين نحن منك .. وما هي مكانتنا عندك .. ثم إذا كان كل واحد منا سيضرب على وتر الولاء الوطني والقطري .. فما الذي يجمعنا .. دعك مما أنت فيه ـ يا هذا ـ إنها جاهلية نتنة .. لا تليق بالمسلم الموحّد .. فأدرك الأخ أنه ارتكب خطأ لا يليق بمثله!

* * * * *

521- الكلمة الطيبة.

ما أحوجنا جميعاً؛ كباراً وصغاراً ـ في تعاملنا مع بعضنا البعض .. ومخاطبتنا لبعضنا البعض ـ إلى أن نلتزم غرز الكلمة الطيبة .. وأن نقول الكلمة الطيبة .. وأن نسمع من الآخرين الكلمة الطيبة الرقيقة الرفيقة .. إذ كثير منا من يزهد بأثر وقيمة وفاعلية الكلمة الطيبة .. وهو لا يدري أن الخير كل الخير فيها!

للكلمة الطيبة وقع عظيم في النفوس .. وأثر سحريٌّ أخّاذٌ للقلوب .. تستحوذ بها على النفوس والقلوب، وتنال منها مالا تناله بغيرها .. فالذي تفعله وتنجزه الكلمة الطيبة لا تفعله ولا تنجزه الحروب .. ولا المخاصمات والمجادلات بالسوء من القول .. ولا الاستقواء بالباطل وأساليبه على تحصيل الحقوق.

لو يعلم الشريرون فاعلية الكلمة الطيبة .. وما تنجز لصاحبها من أرباح ومكاسب وخير .. في الدنيا والآخرة .. لتخلوا عن الشَّرِّ .. ولما التجأوا في حياتهم قط إلى كلمة خبيثة فاجرة كاذبة .. لكنهم لا يعلمون .. فيستبدلون الفحش والفجور من القول بالكلم الطيب من القول!

من أجل ذلك جاء التوجيه الإلهي بضرورة الالتزام بالكلم الطيب، وانتقاء أحسن القول، إذا تكلمنا وإذا استمعنا، كما في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾الإسراء:53. وقال تعالى في صفات المؤمنين: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾الحج:24. وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾فاطر:10. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾الزمر:18.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم ممن يتحرّون ـ في كلامهم ـ أحسن القول وأطيبه .. وممن يستمعون القولَ فيتبعون أحسنه وأطيبه .. اللهم آمين.

* * * * *

522- علمانيّة من نوع آخر!

ذهب رمضان وذهب معه الذين يعبدون الله في رمضان .. وخلت المساجد منهم .. وبقي أولياء الله تعالى الذين يعبدونه سبحانه وتعالى في جميع أشهر وأيام السنة؛ في رمضان وغير رمضان .. وهم القلة من بين الناس!

هذه عادة قديمة جديدة .. تتجدد مع كل قدومٍ لشهر رمضان .. وكل مناسبة دينية .. حيث كثير من الناس يُقبلون على الله تعالى في المواسم فقط .. فإذا انقضت تلك المواسم .. أعرضوا ونأوا عن العبادة .. وعادوا إلى لهوهم .. ومشاغلهم .. وسيرتهم الأولى .. بعيداً عن ذكر الله تعالى وعبادته!

وهذه علمانية من نوع آخر؛ إذ العلمانية تنص على أن يُعبد الله تعالى في المساجد، والمعابد وحسب .. وفيما يتعلق بالنسك والشعائر التعبدية ذات الطابع الشخصي فقط .. وما سوى ذلك من شؤون ومجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .. فهي لآلهتهم .. وقياصرتهم .. لا يصل منها شيء إلى الله .. ﴿فَقَالُواْ هَذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾الأنعام:136. كذلك هؤلاء ـ الذين يعرفون الله في المواسم والمناسبات فقط ـ قالوا ـ ولو بلسان الحال ـ: الله تعالى له من أشهر السنة وأيامها رمضان وحسب .. حقه علينا أن نعبده في المناسبات الدينية وحسب .. وما سوى ذلك من الأشهر والأيام فهي ليست لله تعالى .. لا حظَّ لله فيها .. وإنما هي للشركاء .. والأنداد .. والأهواء .. وهذا مناقض لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾الأنعام:162-163.

فهلاَّ تفطَّن الناس لهذا المعنى .. وعادوا إلى ربهم .. ورشدهم؟!

* * * * *

523- تحية إكبار إلى أدباء وكُتَّاب رابطة أدباء الشام.

تضم رابطة أدباء الشام عدداً كبيراً من الأدباء والكتاب النبلاء .. منهم العضو المؤسس .. ومنهم المشارك المساهم في رسالتها .. وعلى ما تقدمه أقلام هؤلاء الأدباء من عطاء مميز لأمتهم .. والناس أجمعين .. إلا أنني لم ألحظ تلك الكلمات الودية الرقيقة فيما بين الأدباء ذاتهم .. والموجهة من الأدباء إلى بعضهم البعض .. رغم وجود الحاجة الماسة لها .. فالكلمة الطيبة الرقيقة الأدبيّة التي تؤالف بين النفوس والقلوب .. وتسمو بالأرواح عالياً .. كلنا بحاجة إليها!

تمر المناسبات تلو الأخرى .. وتمر الأعياد تلو الأعياد .. مر الكرام .. من دون أن نلحظ هذا المستوى من التواصل المطلوب بين الأدباء ذاتهم، أو حتى نقرأ لأديب كلمةً يخص بها إخوانه الأدباء .. ممن هم معه، ويُشاركونه جهاده ورسالته .. وهذا من الجفاء الذي لا يليق بالأدباء .. فالأدب يُذكَر وتُذكر معه الرقّة والرحمة،

والصِلَة، والرفق .. والسمو .. والشعور بالمسؤولية .. وكل خلقٍ حميد .. والأخوة الأدباء ـ في رابطة أدباء الشام ـ أهل لكل هذه المعاني النبيلة بإذن الله .. وهم جزء كبير من الأمل المنشود لهذه الأمة .. وأحسب هذا الجفاء فيما بينهم ـ المشار إليه أعلاه ـ ما هو إلا غفلة أو كبوة لفارس لا يقصدها .. استحقت منا هذا التذكير!

وأنا أكتب هذه الكلمات .. حدثتني نفسي قائلة: وما الذي يميزك عنهم .. تتحدث عن الجفاء .. والتواصل .. وأنت أكثرهم جفاءً .. فهلاّ رميت عليهم السلام مرة .. وهم أهل لكل تحية وإكرام وسلام؟!

على كثرة كلماتك .. ومقالاتك .. فأنت لم تخصهم بكلمة واحدة .. لا تتأسْتَذ وتتفاهم؛ فتتكلم عن التقصير وأنت أول المقصرين، وأكثر المقصرين تقصيراً!

حقاً إنني من المقصّرين إن لم أكن أولهم .. أستغفر الله وأتوب إليه من كل تقصير أو جفاء بحق إخوة كرام فضلاء .. فلكم مني ـ يا أخوتي ـ كل حبٍ وسلام .. وتقدير واحترام .. غفر الله لي ولكم .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * * * *

524- الأهم من الجامِعَة!

تحدثت وسائل الإعلام ـ بشيء من الابتهاج والتعجب ـ عن افتتاح جامعة جديدة ضخمة في إحدى الدول العربية الخليجية .. تبلغ مساحتها الكلية سبعاً وخمسين كيلو متر مربع .. كلف إنشاؤها ملياري ونصف المليار دولار .. تتمتع بكامل وأرقى التجهيزات والتقنيات التكنولوجية الحديثة!

قلت: الأهم من هذا كله .. هي العقلية الإدارية التي تُدير هذه الجامعة .. والكادر العلمي الذي يُشرِف على عملية التعليم والتدريب .. فإن كان مستواه عالياً وجيداً .. وكان مخلصاً في عطائه .. أعطت هذه الجامعة ثمارها .. ورُوجي عطاؤها .. وإن كان مستواه متخلفاً دون المطلوب .. فلن تُعطي هذه الجامعة عطاءها المرجو .. ولن يكون لها أي دور إيجابي في تقدم البلاد والعباد .. وهي حينئذٍ لا تعدو أن تكون مجرد عمارة أو بناء؛ كأي عمارة تطاول القوم في بنيانها، وتفننوا وأسرفوا في إنشائها!

* * * * *

525- كتمانُ العلم.

لكتمان العلم، صور عدة:

منها: تعمد إخفاء العلم، وحجبه، ومواراته عن الأنظار والأفهام .. وهذه صورة فاضحة لكتمان العلم .. يعلمها القاصي قبل الداني.

ومنها: تعمد الاستدلال الخاطئ بنص منفرداً لا يكتمل معناه الصحيح إلا إذا أضيف إلى ما قبله وما بعده من نصوص .. فيعطي بذلك معناً لا يريده النص .. ونحوه الذي يتعمد الاستدلال بجزء من النص لا يتضح معناه الصحيح إلا إذا أضيفت إليه كامل أجزائه المقتطعة والمحذوفة!

ومنها: الاستدلال بالمتشابه على المحكم، وجعل المتشابه حكماً على المحكَم .. وتبعاً له، دون العكس .. وما أكثر العلوم التي يُتكتّم عليها بهذا الأسلوب الخبيث!

ومنها: تعمد الاستدلال بالنص وتنزيله على غير واقعه ومسائله؛ فيكون مثله مثل من يضع الشيء في غير موضعه .. كمن يستدل بالآيات التي قيلت في المؤمنين فيحملها على الكافرين .. أو الآيات التي قيلت في الكافرين فيحملها على المؤمنين!

ومنها: الذي يكتم حقاً ـ من غير مانعٍ شرعي معتبر ـ في مواضع يتعيّن فيها البيان والإظهار .. لهوى في النفس أو لغرض من أغراض الدنيا!

ومنها: أن يكون البيان مشروطاً بعَرَضٍ من الدنيا .. فإن توقف العطاء أو الأجر توقف وأمسك عن بيان الحق وبذله للناس!

ومنها: أن يكون الفوز، والنصر، والتمكين مشروطاً بجملة من الشروط .. فيُظهر ـ رهبة أو رغبة ـ بعضها دون بعض!

ومنها: الكِبر، وحتى لا يُقال أنه أخطأ، وأن رأيه وقوله مرجوح .. يترفَّع عن قبول الحق .. ويُخفي الحقَّ الذي يبين خطأ قوله ومذهبه!

ومنها: تعمد تحميل النص مالا يحتمله من المعاني ـ لهوى في النفس أو لغرض من أغراض الدنيا ـ والذي يكون ـ في الغالب ـ على حساب معناه الصحيح!

ومنها: تعمد تصحيح الضعيف، وتضعيف الصحيح من الأدلة .. فيُحِق بذلك باطلاً، ويُبطل حقاً؛ وما أكثر هؤلاء الذين يسلكون هذا المسلك الخبيث!

ومنها: أن يُشهَد ـ عن سابق علم ـ على المحسن بأنه مُسيء، وعلى المُسيء بأنه محسن!

ومنها: أن يُشهَد بالزور على معيّن بأنه قد فعل شيئاً .. وفي حقيقته لم يكن قد فعل ذلك الشيء!

ومنها: أن تُكتَم الشّهادة في المواضع التي يتعين بيانها، وبذلها .. والتي بكتمانها يبطل الحق .. ويحق الباطل!

كل هذه الصور من الكتمان والاحتيال .. تندرج في خانة ومعنى كتمان العلم الذي يطال صاحبه الوعيد ـ بحسب درجة ونوع كتمانه ـ الوارد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلعَنُهُمُ اللَّه وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾البقرة:159. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ

الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾البقرة: 174.

وفي الحديث، فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال:" ألا أنبئكم بأكبر الكبائر" قلنا: بلى يا رسول الله، قال: "الإشراك بالله، وعقوق الوالدين ـ وكان متكئاً فجلس ـ فقال: ألا وقول الزور، وشهادة الزور، ألا وقول الزور، وشهادة الزور "؛ فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكَت! متفق عليه.

وقول الزور؛ منه ما يتعلق بإثبات أو إحقاق باطل، ومنه ما يتعلق بنفي أو إبطال حق .. فكلا الوجهين من قول الزور، وشهادة الزور، والعياذ بالله.

واعلم أن صور كتمان العلم كلها سيئة وخطيرة على صاحبها .. لكن أخطرها وأسوأها؛ من كان كتمانه متعلقاً بالعقيدة والتوحيد .. أو كان على حساب بيان معاني العقيدة والتوحيد .. والتحذير من الشرك ودروبه الموصلة إليه .. أعاذنا الله وإياكم من جميع ضروب وصور كتمان العلم .. ما ظهر منها وما بطن .. وما كبر منها وما صغر .. اللهم آمين.

* * * * *

526- من الحكمةِ والعقل.

من الحكمة والعقل أن لا ترمي بمشاكلك بين يدي من لا تعنيه ولا تهمه مشاكلك في شيء .. أو بين يدي من لا يُحسِن أن يُعينك في شيء على قضاء حوائجك، وحل مشاكلك .. أو بين يدي من لا يعنيه من مشاكلك سوى أن يتلذّذ بأخبارك ومعاناتك، ويجعل منك ومن مشاكلك مادة للسَّمَر في مجالسه مع أخلائه وأقرانه .. أو بين يدي من لا يعنيه من مشاكلك سوى كيف يسترزق ويأكل بها .. ومن يأبى إلا أن يفعل .. يذل نفسه .. ويكون مثله مثل من يرمي زرعه في البحر .. ثم ينتظر عطاءَه وثمره .. وأنَّى!

* * * * *

527- من الإيمان والتَّقوى.

من الإيمان والتقوى .. والمروءة والرجولة .. أن لا تنتصر لمظلمتك بالظلم والزور والباطل .. مهما نازعتك نفسك على حب التشفي والانتقام.

أحياناً ـ لحكمة يريدها الله ـ قد تفقد ـ في مرحلة من المراحل ـ خيار الانتصار لمظلمتك وحقك عن طريق الحق .. ولم تبقَ أمامك ـ للانتصاف لمظلمتك ـ سوى الخيارات الباطلة الظالمة .. فيزينها الشيطان لك .. ويُجرّئك على اقتحامها .. وولوجها .. ويُريك أن حقك لا يمكن أن تتحصل عليه إلا من خلالها، وبعد عبورها وامتطاء مزالقها .. والتلبّس بها .. وهذا من البلاء الشديد الذي لا يقوى على مواجهته إلا المؤمنون الأتقياء!

فحذار ـ يا عبد الله ـ أن تقتحم غمار تلك الخيارات الباطلة الظالمة أو أن تستعين بها على تحصيل حقوقك .. مهما دعتك الحاجة إلى ذلك .. أو اشتدت عليك المحن .. أو نازعتك نفسك على التشفي والانتقام .. وعلى الاستعجال بالظفر .. واعلم حينئذٍ أنك مُبتلى .. وأن الله تعالى ناظر إليك ماذا ستفعل .. وماذا ستختار .. فاحذَر أن يراك حيث لا يُحب ولا يرضى .. فتسقط ـ حينئذٍ ـ من عين الله .. وتخسر توفيقه وعونه لك .. ويدَعك ونفسك وشيطانك وخياراتك الباطلة .. لتتخبّط فيها .. وتُصبح ظالماً مدحوراً بعد أن كنت مظلوماً منصوراً؛ لك من الله نصير وأنت لا تدري .. وقد خاب وخسر من تخلّى الله تعالى عنه .. وتركه لنفسه وشيطانه وباطله!

* * * * *

528- لا تُصدِّقوه ..!

من رأيتموه يرفع راية الجهاد في سبيل الأوطان .. بينما يُعرِض صفحاً عن الجهاد في سبيل الله من أجل إقامة شرعه في الأرض .. فيُعظّم من شأن الجهاد الأول .. ويستخف ويقلل من شأن الجهاد الثاني .. فمن وجدتموه يفعل ذلك فلا تصدقوه .. فلا هو أمين على الأوطان .. ولا على ساكني الأوطان .. فمن لا يُستأمَن على دين الله لا يُستأمَن على أرضٍ أو عِرض .. ومن فرَّط بحق دين الله عليه .. فهو بحق الأوطان والأعراض أشد تفريطاً وضياعاً!

كذلك من رأيتموه يُفرّق بين جهاد الأجنبي المستعمر الغازي .. وبين جهاد عملاء الأجنبي المستعمر الغازي من بني جلدتنا .. فيوجب جهاد الفريق الأول .. ويُحرّم ويُجَرّم جهاد الفريق الثاني؛ والذين هم أشد كفراً وجرماً بحق الأمة، والإسلام والمسلمين .. من الفريق الأول .. ويعتبر جهاده من العنف والطيش الذي لا يُجدي نفعاً .. وأنه نوع من الخروج على الولاة الشرعيين .. فهذا كذلك لا تُصدقوه .. فهو كاذب؛ إذ لو أراد أن يُجاهد العدو الأجنبي المستعمر .. لأراد جهاد أعوان وعملاء وأنصار العدو الأجنبي المستعمر؛ الذين يقفون سداً منيعاً، وعقبة كأداء أمام مواجهة وجهاد العدو الأجنبي الغازي؛ المستعمر للبلاد والعباد .. والذين ـ في كثير من الأحيان ـ يُقاتلون بالنيابة عن العدو الأجنبي .. وفي سبيل مصالح ومآرب العدو الأجنبي .. وما لا يتمّ الواجب إلا به لا خلاف على وجوبه.

قال تعالى في شأن جهاد الزنادقة المنافقين من بني جلدتنا الذين ينتمون إلى الأمة في الظاهر والكلام .. وإلى أعدائها في الباطن والفعل .. وفي كثير من الأحيان ـ كثير منهم ـ ينتمون إلى أعدائها في الباطن والظاهر سواء: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾التوبة:52.

529- فهو لِصٌّ ..!

مَن رأيتموه يقترب من الطغاة الظالمين .. يعتاد أبوابهم .. ويستشرف عتباتهم .. ويطوف حول عروشهم .. وقصورهم .. يُداهنهم .. ويُجادل عنهم .. ويُجالسهم .. ويُؤاكلهم .. ويستعطفهم العطاء .. فهو لِص كبير .. أشر من لص الدرهم والدينار؛ لا يُستأمَن على دين .. ولا على أرض أو عِرض ... فاحذروه .. كائنٌ من كان!

قال رسولُ الله ﷺ:" سيكون أمراء تعرفون وتُنكرون من خالطهم هلَك ". وقال ﷺ:" إيّاكم وأبواب السلطان؛ فإنه قد أصبحَ صعباً هبوطاً ".

وقال ﷺ:" من أتى أبوابَ السّلطان افتُتِنَ، وما ازدادَ أحدٌ من السلطان قُرباً إلا ازداد من الله بُعداً ". هذا فيمن يأتي أبواب السلطان .. فكيف إذا كان هذا السلطان من الطغاة الظالمين الآثمين؟!

وفي الأثر، عن سعيد بن المسيب، قال:" من رأيتموه يعتاد أبوابَ السلاطين، فهو لِصٌّ "!

* * * * *

530- لا تتباكوا على بيت المقدس ..!

للصهاينة اليهود أطماع توسّعية شريرة في بيت المقدس .. فهذا أمر معلوم .. متوقع منهم .. يعلمه القاصي والداني عنهم .. لا ينبغي أن نفاجأ إن حصل منهم نوع اعتداء على بيت المقدس!

ولكن الشيء الذي يشتد له العجب .. ويندى له الجبين .. أن نفراً من مثقفي بني جلدتنا .. منهم شيوخ ودعاة .. يستميتون في الجدال عن طغاة ظالمين متنفذين .. يُضفون عليهم الشرعية .. ويُخاطبونهم بولاة الأمر .. ويجرّمون ويُؤثّمون من يرى جهادهم والخروج عليهم .. مع علمهم المسبق أن هؤلاء الولاة لأمورهم قد خذلوا بيت المقدس .. وأهل بيت المقدس .. وباعوه وأهله بثمن بخس للصهاينة اليهود .. ثم قاموا بحراسة عدوان الصهاينة اليهود على بيت المقدس .. ومنعوا الشعوب المسلمة من أن تقوم بواجبها .. وأن تأخذ طريقها نحو تحرير بيت المقدس .. ثم هم مع ذلك ـ وبعد كل ذلك ـ لا يستحون؛ ففي كل مناسبة اعتداء على بيت المقدس .. تراهم يتصايحون .. ويتباكون .. ويكتبون الأشعار في بيت المقدس، وأهل بيت المقدس!!

خذلوا الجهاد والمجاهدين ـ الذين من غاياتهم حماية بيت المقدس .. وتحرير بيت المقدس من أيدي الصهاينة اليهود ـ وتآمروا عليهم .. وعلى قتلهم .. وتسليمهم للطغاة الظالمين .. ونفَّروا الأمة عنهم وعن نصرتهم .. ثم بعد ذلك ـ لا يستحون ـ فيتباكون ويتزارفون الدموع الكاذبة ـ كدموع التماسيح ـ على بيت المقدس كلما حصل له نوع اعتداء من الصهاينة المعتدين!

ما نفع وقيمة تلك المهرجانات الغنائية التي تتباكى على بيت المقدس .. وما قيمة تلك القصائد الشعرية التي تُقال في بيت المقدس .. إذا كان نفس هؤلاء الذين يصنعون تلك المهرجانات .. ويكتبون تلك القصائد ..

هم أنفسهم يصنعون نفس تلك المهرجانات، ويكتبون القصائد في تمجيد الطغاة الظالمين الذين يصدون الشعوب عن تحرير بيت المقدس .. ويُحاربون ويقتلون ويسجنون من يرون فيه همة ورغبة في تحرير بيت المقدس؟!

كفوا دموعكم أيها الدجاجلة الكذابين .. ووالله لدموعكم الكاذبة أثقل على الحق .. وأهل الحق من عدوان الصهاينة ذاته .. لا تتباكوا على بيت المقدس .. فبيت المقدس له أهله .. وهو منكم براء .. نسأل الله تعالى أن يكشف خفاياكم، ويفضح نواياكم .. وقد ظهر منها الكثير، ولله الحمد!

* * * * *

531- المنافق والزنديق.

المنافق: هو الذي يُضمِر الكفر، ويُظهر الإسلام فَرَقاً من سطوة وسلطان أهل الحق. وعلامته الدالة عليه وعلى نفاقه: إذا حدَّث كذَب، وإذا وعَدَ أخلَف، وإذا عاهد غدَر، وإذا أؤتمن خان، وإذا خاصم فجَر .. فمن عُرِف بهذه الصفات مجتمعة .. كان منافقاً خالص النفاق .. ومن كانت فيه خصلة منهن، كانت فيه خصلة من خصال النفاق حتى يدَعها!

والمنافقون يتكاثرون في المجتمعات التي يكون فيها للمسلمين شوكة وقوة وسلطاناً.

أما الزِّنديق: فهو الذي يُظهر الإسلام والكفرَ معاً؛ يُظهر الإسلام حيثما يستدعي الموقف منه ذلك، وحيثما يختلط بأهله .. ويُظهِر الكفر حيثما يختلط بأهله، ويخلو له الجو، وكلما سمحت له الفرصة بذلك، وأمِن سطوة أهل الحق وسلطانهم عليه .. ثم يُعرَف عنه ذلك ويَشتهر .. فإن رُوجِع فيما بدر منه من كفر .. أنكر وجَحد .. وتأوّل لكفره؛ وأنه أرادَ شيئاً آخر غير الذي فُهِم أو نُقِل عنه .. وأن الناس لم يفهموا مراده .. لينجو من المؤاخذة والمحاسبة .. وحتى لا يتوب أو يُستتاب .. وهؤلاء ما أكثرهم في زماننا .. وهم طابور خبيث خطير في جسد الأمة؛ أخطر عليها من عدوها الصريح .. وهم عادة يتكاثرون في المجتمعات التي يأمنون فيها على أنفسهم من سطوة وقوة الإسلام والمسلمين .. وتكون الشوكة والغلبة فيها لغير المسلمين!

* * * * *

532- إذا أردتَ أن تُذْكَر باسمك عند الله.

إذا أردت أن تُذْكَرَ ـ يا عبدَ الله ـ باسمك عند الله تعالى في السماء فأكثِر من ذِكر الله تعالى في الأرض؛ أكثر من التَّسبيح، والتَّهليلِ، والتَّحميد .. فإنها تُذَكّر بك عند الله تعالى على قدر ما تُكثِرُ منها، كما في الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" إن مما تَذكرون من جَلالِ الله؛ التسبيحُ والتهليلُ والتَّحميدُ، يَنعطِفن حولَ

العرشِ؛ لهنَّ دوي كدوي النحل، تُذكِّرُ بصاحِبها، أما يُحبُّ أحدُكم أن يكون له ـ أو لا يزال له ـ من يُذكِّرُ به ".
وفي رواية:" ألا يحبُّ أحدُكم أن لا يزال له عند الرحمن ما يُذَكِّرُ به "؟!

ما أجمله وما أعظمه من معنى إن تدبّرناه " إنها تُذكِّرُ بصاحبها " عند مَن؛ عند مالِك المُلْك والملوكِ .. وخالق الخلق سبحانه وتعالى .. وإلى أن تقوم الساعة ...!!

ثم ـ يا تُرى ـ ماذا تقول عن صاحبها .. وكيف تَذْكره وتُذَكِّر به وباسمه .. ومعها وبجوارها ما لا يُحصيه إلا الله تعالى من التسابيح والتهاليل والتَّحاميد .. كل منها لها صاحبها ـ من الأحياء والأموات ـ تُذَكِّر به .. وكأن كل ذِكْرٍ لا همَّ له سوى صاحبه؛ كيف ينجو .. وكيف تطاله الرحمة .. وكيف تُدركه المقامات العليا .. وكيف يُلتَمس له العفو .. وأن يُعْرَف باسمه عند ربه!

كأني بهذه الأذْكَار .. تُزاحِمُ بعضها بعضاً وهنَّ ينعطِفنَ حول عرش الرحمن .. كل منها تريد أن تُعرّف يصاحبها .. تقول: يا رب صاحبي صاحبي .. كذلك صاحبي يا رب .. صاحبي يارب اسمه كذا وكذا .. ارحمه يا رب .. واعفُ عنه .. واغفر له .. أجره من عذابك .. وأدخله جنَّتَك .. والله تعالى أعلَمُ بها وبأصحابها .. لكن الله تعالى أراد أن يُظهر كرامة الذِّكْرِ، وما له من فضل على صاحبه.

* * * * *

533- هَوْنَاً مَا ..!

هَوْنَاً ما إذا أحببت .. وهوناً ما إذا أبغضت .. وهوناً ما إذا سالمت ووواليت .. وهوناً ما إذا عاديت وتبرأت .. وهوناً ما إذا خالطت .. وهوناً ما إذا اعتزلت وقاطعت .. وهوناً ما إذا أقبلت .. وهوناً ما إذا أدبرت وخاصمت .. وهوناً ما إذا وصفت وقدَّرت .. وهوناً ما إذا مدحتَ وأطريت .. وهوناً ما إذا ذمَمتَ وقبَّحت .. وهوناً ما إذا حكمت على الأشياء والآخرين .. فلا يحملنّك الهوى على المبالغة والشّطط في التوصيف .. ومن ثم إصدار الأحكام على توصيفك الذي يفتقد رصيده من المصداقية والواقع .. ولا يكون موجوداً إلا في خيالك وظنّك الخاطئين .. فتظلِم وتُظلَم.

كم من مُتشابَه ـ بسبب المبالغة ـ يُنظَرُ إليه على أنه محكم .. وكم من مُحكم يُنظَرُ إليه على أنه مُتشابَه .. وكم من ظنّ يُنظر إليه على أنه يقين .. وكم من يقينٍ يُنظر إليه على أنه ظني .. وكم من قبيحٍ يُنظَر إليه على أنه جميل، وكم من جميلٍ يُنظَرُ إليه على أنه قبيح .. وكم من سُنّةٍ يُنظَرُ إليها على أنها بدعة .. وكم من بدعةٍ يُنظَرُ إليها على أنها سُنَّة .. وكم من معصية يُتعامَل معها على أنها كفر .. وكم من كفر يُتعامَل معه على أنه معصية دون الكفر .. وكم من عاصٍ يُتعامَل معه على أنه كافر .. وكم من كافر يُتعامَل معه على أنه عاصٍ .. وكم من منكَرٍ يُستحسن إنكاره بالكلمة الطيبة الهادئة .. وعلى طريقة ما بالُ أقوامٍ .. فينكر باليد وبكثير من الشدة والغلظة ..

وكم من دم حرام سُفِك .. كان حقه أن يُصان ويُحترَم .. وهذا كله بسبب مرض المبالغة المتفشي في التوصيف والحكم على الأشياء .. والبعد عن آداب وفقه " هَوْنَاً ما "!

وفي الحديث فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال:" أحبِب حبيبَك هَوْناً ما عسى أن يكون بغيضَك يوماً ما، وأبغِض بغيضَك هوناً ما عسى أن يكون حبيبكَ يوماً ما ".

وقال ﷺ:" أبغض عدوَّك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما ".

وقال ﷺ:" زُرْ غِبَّاً تَزدَد حُبَّاً ". أي ليكن بين الزيارة والزيارة أياماً؛ فهذا أشوَق وأحب للزائر والمُزار. قال الحسَن: في كل أسبوع.

وعن عمر بن الخطاب ﷺ، قال:" لا يَكُن حُبُّك كَلَفاً، ولا بُغضُك تَلَفاً، قِيل: كيف ذلك؟ قال: إذا أحببتَ كلفتَ كَلَف الصبي، وإذا أبغضْتَ أحببتَ لصاحبك التّلَف ".

* * * * *

534- أسوأ من خالَطتُ وعرفت!

قد خالطتُ كثيراً من الناس .. وتعرّفت على طبائع شعوب كثيرة .. ومن بقاعٍ شتَّى .. فكان أسوأ من خالطت وعرفت؛ مَن إذا كان في موقف المحتاج الضعيف تذلّل .. وتواضع .. وتباكَى .. وتمسْكَن .. وأخفض من رأسه وصوته .. حتى كأنه والأرض سواء .. فإن استقوى وحصل على حاجته ومراده .. واستغنى .. انتفَش وطغَى واستكبر .. وظلمَ وبَغى .. وسَطَا .. وكفَرَ النعمة، وأنكَرَ الجميل .. ورَفع رأسه ويدَه .. وعلا صوته .. وكأنه لم يكن هو ذاك الذي كان يتذلّل ويتمسْكن قبل أن يحصلَ على مُراده أو أن يَغنى!

في موقف الحاجة والاستضغاف .. ينشد الرحمة .. وفي موقف ـ أو مرحلة ـ الاستقواء والاستغناء .. يسخَر من الرحمة، وممن ينشده الرحمة .. وكأنه لم يسألها من قبل!

وكونه الأسوأ؛ لأن من عُرِف بهذا الطبع الخسيس اللئيم، لزمه ـ ولا بد ـ التلبس بجملة من الأخلاق الرديّة، منها: الكذِب .. والغش .. والغدر .. والخيانة .. والفجور .. والظلم والبغي .. والجحود .. وكُفران النعمة والمعروف .. والزور .. والتشبُّع بما لم يُعطَ وما ليس فيه .. وواحدة من هذه الأخلاق الرديّة كفيلة بتدمير صاحبها .. فكيف لو اجتمعت عليه كلها .. فحينئذٍ لا تسأل عن درجة هلكته وخُسرانه!

535- لا تُجرِّئ زوجتَكَ عليك.

من الأزواج من تراه يطمَع بحسنِ أخلاق زوجته .. وحسن منبتها ونشأتها .. وتعلّقها به .. وأن أخلاقها تُلزمها بمعرفة حق الزوج عليها .. فيحمله ذلك على التمادي في إهانتها .. وإهمالها .. وشتمها وشتم أهلها ..

وتحقيرها .. وضربها .. وإذلالها .. وظلمها .. بسبب وبدون سبب .. ثم هو مع ذلك مَثَلٌ سيء لها؛ فلا يُريها منه إلا ما يُسيء ويُعيب من الأخلاق الرديَّة!

ولهذا النوع من الأزواج أقول: لا تُجرّئ زوجتكَ عليك .. وتزهّدها بك .. ولا تراهِن كثيراً على حسن أخلاقها، ومنبتها .. واعلم أن لطاقتها في الصبر والتحمّل حدود .. ثم هي ـ بعد ذلك ـ إن أفَلَ إعجابها بك .. وردَّت عليك بعض ظلمك وبغيك .. وبِضاعتك .. فبما كسبَت يَدَاك، ولا تلومَنَّ إلا نفسَك!

* * * * *

536- لِذّةُ الاعتذار عن الخطأ ..!

للاعتذار عن الخطأ .. والرجوع إلى الحق .. وطلب السماح ممن أخطأت معهم وبحقهم .. والتواضع للإخوان .. لِذّة عظيمة .. تعلو لِذة الانتصار للنفس أو للحق بالباطل عشرات المرات .. لكن هذه اللذة لا يعرف طعمها ولا لونها من أُصيب بلوثة الكبر والتَّعالي على الخلق!

أكتب إليكم هذه الكلمات بعد خطأ وقعت فيه بحق أحد الإخوان الفضلاء .. حيث أنني أنكرت عليه خطأً قد وقع فيه بشدّة لا يستحقها الأخ .. ولا خطؤه .. فلما انصرفت أدركت ذلك من نفسي .. وأنني قد بالغت في الإنكار .. وأنني قد أنكرت خطأ بخطأٍ أكبر منه .. فآلمني ذلك جداً .. واعتلى صدري همٌّ وغَمٌّ وحزن لا يعلمه إلا الله .. فقصدت الأخ للاعتذار منه إلا أنني ـ بعد يومين من البحث عنه ـ لم أجدْه .. مما زاد من همي وحزَني وقلقي .. فالتجأت إلى الله تعالى بالدعاء بأن يُريني إياه في أقرب ساعة .. فاستجاب الله تعالى ـ ولله الحمد ـ الدعاء .. فلما اعتذرت من الأخ .. وقبّلت رأسَه .. وقَبِل الأخ ـ مشكوراً ـ الاعتذار .. كأنَّ جبلاً قد انزاح عن صدري .. ووجدت على إثرها من اللذة والراحة والطمأنينة ما يصعب عليَّ وصفه بهذه الكلمات .. جربوا إن شئتم وكنتم في شَكٍّ من ذلك!

صدقَ رسولُ الله ﷺ حيث قال:" ما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله "مسلم.

وقال ﷺ:" ما من آدمي إلا في رأسه حِكمة بيد ملَك، فإذا تواضَع قيل للملَك ارفع حِكمَتَه، وإذا تكبَّر قيل للملَك ضَع حِكمَتَه ".

وكتبَ عمر إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما:" لا يمنعك قضاءٌ قضيتَه، ثم راجعتَ فيه نفسَك، فهديتَ لرشدك أن تنقضَه؛ فإن الحقَّ قديمٌ لا ينقضه شيءٌ، والرجوع إلى الحقِّ خير من التمادي في الباطل ".

اللهمَّ اجعلنا ممن تهون عليهم أنفسهم في الرجوع إلى الحق .. وإنصاف الحق .. اللهمَّ آمين.

* * * * *

537- مَثَلُ المنافق في التحاكم إلى شرع الله تعالى.

مَثَلُ المنافق في التحاكم إلى شرع الله تعالى؛ إن وجد الشَّرعَ يحكمُ له، أقبَلَ على التحاكم إلى شرع الله .. وعظَّمَ شرعَ الله .. وأظهرَ رغبة عجيبة في التحاكم إلى شرعِ الله تعالى .. لا لإيمانه بوجوب التحاكم إلى شرع الله، وإنما لما سيناله من حَظٍّ بسبب التحاكم إلى الشرع .. وإن وجدَ أن الشرعَ يحكم عليه .. ولَّى وأدبَر .. وأعرَض .. ونأى بجانبه .. وأظهر استخفافاً بحكم الله .. وأقبل في التحاكم إلى الطاغوت .. وعلى هذا وأمثاله يُحمَل قوله تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾النساء:65. وقوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾المائدة:50.

* * * * *

538- مما يُعِين على الإمساك عن الغِيبة!

تأمَّلتُ الأسبابَ التي تحمِلُ المرءَ على أن يغتابَ الآخرين .. فوجدت أعظمَها وقوع الآخرين بخطأ يتعلَّق بالمستَغِيب؛ فلا هو يُراجعهم بخطئهم نحوه .. ولا هو يُمسِك عنهم فيُسامحهم .. أو يُرجِئ أمرهم إلى الله .. وإنما يظل يغتابهم الزمن الطويل .. ويذكر ما كان منهم نحوه .. وتحت الغضب والانتصار للنفس .. لا يتورَّع من أن يزيد عمّا كان منهم نحوه .. فيَظلِم ويُظلَم .. ويمنحهم من حسناته أضعاف أضعاف ما له عليهم .. ولو أسرعَ بمفاتحتهم ومكاشفتهم بما كان منهم من خطأ نحوه .. وانتصفَ لحقه منهم أو عفا عنهم .. لأراح واستراح .. ولما وجدَ في نفسه حاجة للغيبة أو أن يغتاب أحداً.

المكاشَفَةُ، حَلٌّ لكثيرٍ من الخلافات الشَّخصية!

* * * * *

539- عَلِمُوا التفاصيل، وجَهِلُوا الغاية!

عَلِمُوا التفاصيل، وجهلوا الغاية .. مثلهم علماء الطِب، والطبيعة، والفلك من الكافرين .. حيث علموا تفاصيل ودقائق الأمور عن النفس البشرية .. وعن الفلك .. وعن الطبيعة .. تخضع لها العقول وتنبهر لها الأنفس .. تكلموا وخاضوا في جزئيات دقيقة جداً عن الكون والنفس والطبيعة .. كل جزئية منها تدل دلالة قطعية على أنه لا إله إلا الله .. وأن الله تعالى حق .. كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ

لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾فصلت:53. ومع ذلك جهلوا الغاية من وجودها، ومَن أوجدها .. وحفِظها إلى قدَرٍ معلوم .. وأذِن لها في أن تعمل عملها .. وما لموجِدها من حقّ على العباد .. وأن يَشكروه ولا يَكفُرُوه .. وما زادتهم اكتشافاتهم واطلاعاتهم إلا كِبْراً وإعراضاً .. صدق الله العظيم: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾البقرة:171. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾الأنعام:39. وقال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾الأعراف:179. هذا التوصيف ينطبق على علمائهم أكثر مما ينطبق على جهَّالهم؛ لأن الجاهل جاهل .. أما العالم منهم جاء جهله بعد علم ومعرفة!

* * * * *

540- أنواعُ السّائلين ..!

السائلون عن العِلم، أنواع: منهم من يسأل استرشاداً وطلباً للحق .. للعمل به .. وهذا على العالِمِ أن يتواضَع له .. ويُقبِلَ عليه .. ويُجيبه عن مسألته .. ما أمكنه لذلك.

ومنهم: من يسأل لمجرد الاطلاع .. وتوسيع المعرفة .. وحاجة هذا أقل من سابقه .. إن وجد العالم له متَّسعاً من الوقت أقبل عليه وإلا تركه.

ومنهم: من يسأل فتنة .. وطلباً للفتنة .. والوقيعة بالعالم .. وعلى وجه الاستدراج .. فهذا على العالِمِ أن يُعرِض عنه وعن مسألته .. فلا يُجيبه في شيء!

ومنهم: من يَعلَم حرمة ما يقترفه من عمل .. ومع ذلك تراه يبحث عن عالم يرخّص له ويجيز له ما يقترفه من وزر .. ليرمي عليه تبعات وزره .. وليستريح من وخز الضمير الذي يُلاحقه .. ويقول: الشيخ فلان قد أفتاني بالجواز .. فإن كنتُ مخطئاً فهو يبوء بإثمي وإثمه يوم القيامة .. وأنا ما أردت إلا ذلك .. وهذا أيضاً على العالم أن يتنبّه لمراده .. فيُعرِض عنه وعن مسألته .. ويزجره عما يسعى إليه .. وما أكثر الذين يسألون على هذا الوجه والمقصد .. وما أكثر الذين يفتونهم ويتفاعلون مع مسائلهم من مشايخ هذا العصر!

والعالِمُ الفطِن هو العالم الذي يُحسن التمييز بين أنواع السائلين .. ويعرف كل سائلٍ ومراده .. ومدى حاجته لما يسأل عنه .. ويُعامل كلَّ سائل بما يستحق!

* * * * *

541- الثَّقافة الطبيعيّة!

أكثر الناس انسجاماً مع الطبيعة وتآخياً لها هو المسلم .. فالطبيعة بسمائها ونجومها، وبحارها، وأنهارها، وجبالها، وسهولها، وشجرها، ونباتها، وأزهارها، وحيواناتها، وطيورها .. كلها تشترك مع المسلم في الغاية والمقصَد من الوجود، وفي خاصية عظيمة نبيلة؛ ألا وهي خاصية توحيد الخالق سبحانه وتعالى .. خاصية عبادة الله تعالى، والتسبيح بحمده، والسجود له .. والمسلم وهو يقلب بصره في عوالم السماوات والأرض .. يدرك هذا المعنى، وينتابه هذا الشعور الأخوي النبيل العظيم للطبيعة .. أنعِم به من شعورٍ وأكرِم.

كما قال تعالى: ﴿وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾الرعد:15.

وقال تعالى: ﴿وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَالْمَلآئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾النحل:49.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾الحج:18.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾النور:41.

وقال تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾الرحمن:6.

وقال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾الإسراء:44.

وغيرها كثير من الآيات القرآنية الدالة على هذا المعنى العظيم .. وفي الحديث:" سبحان الله وبحمده؛ فإنها صلاة كل شيء، وبها يُرزَق كل شيء ".

وقال ﷺ:" ما من مسلم يَغرسُ غرساً أو يزرعُ زرعاً، فيأكل منه طيرٌ، أو إنسانٌ، أو بهيمة، إلا كان له به صدقة "البخاري.

وهذا مدعاة للمسلم أن يتعرّف على الطبيعة .. وأن يتفكر بالطبيعة .. وأن ينظر إلى الطبيعة .. وأن يحبَّ الطبيعة .. وأن يُؤاخي الطبيعة .. وأن يحترم الطبيعة .. وأن يخدم الطبيعة .. ويحرص على سلامتها من أي نوع من أنواع الأذى .. وأن يشعر بشعور العوالم من حوله إذا ما تعرّضت إلى أي نوع من أنواع الضرر والأذى، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾آل عمران:191.

وقال تعالى: ﴿قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾يونس:101.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾الأنعام:99.

أعجب لمن دينه مليء بهذه النصوص والتوجيهات ـ التي نطقت بالحق ـ عن الطبيعة، والعوالم التي تعيش في الطبيعة .. ثم يكون غيره ممن لا يعلم ما يعلمه المسلم عن الطبيعة .. ولا يُؤمن بما يُؤمن به المسلم .. أكثر انسجاماً وتعلقاً وخدمة للطبيعة منه!

* * * * *

542- ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً ﴾.

وإن كان لهذه الآية الكريمة مناسبة .. لكن يمكن حملها وتعميمها على كل مناسبة أو حدثٍ يحمل المؤمنين والمؤمنات على أن يظنوا بأنفسهم شرّاً .. فالعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

كم من رجل صالح؛ له سابقة علم وبلاء وجهاد .. يرد مورداً متشابهاً للبعض .. أو يقول كلمة متشابهة على البعض .. فيخوض فيه الخائضون بين التفسيق، والتضليل والتخوين .. وأحسنهم الذي يتوقف عن الخوض .. تاركاً مساحة لاحتمال صحة خوض الخائضين فيما يخوضون فيه!

موقف يحتمل من وجه راجح ظن الحسن .. ومن جانب ضعيف ومرجوح يحتمل ظن السوء .. فيُسارعون في تقديم ظن السوء على ظن الحسن!

كلمةُ قَذْفٍ تَصدُرُ عَن فاسِقٍ؛ يَرمي بها المؤمنين الصَّالحين .. فيتناولها الناس مباشرة في مجالسهم ومنتدياتهم .. على أنها صدق .. وأنها الحقيقة التي ما بعدها إلا الضلال .. ومن دون أن يكلفوا أنفسهم عناء التبين والتثبت مما يُشيعه الفسَّاق عن عباد الله المؤمنين!

ما ضرَّ هؤلاء لو ظنوا بالمؤمنين والمؤمنات خيراً .. وقدموا ظن الحسَن على ظن السوء .. والتفسير الحسن على التفسير السوء؟!

ما ضر هؤلاء لو تبينوا وتثبتوا قبل أن يصدقوا .. ويتناقلوا .. وينقلوا .. ما يُشيعه الفسّاق والمنافقون عن عباد الله المؤمنين الصالحين، عملاً بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾الحجرات:6.

ما ضرّهم لو فعلوا ذلك ..؟!

* * * * *

543- ربعُ سكانِ العالم مُسلمون!

أفادت بعض الإحصائيات التي تناولتها بعض وسائل الإعلام، أن ربع سكان العالم من المسلمين، وأن عدد سكان المسلمين يزيد عن المليار ونصف المليار نسمة ..!

قلت: ومع ذلك لا توجد لهم دولة تجمعهم .. تتكلم باسمهم .. وترعى شؤونهم .. كما لا يوجد لهم الحاكم المسلم الذي يمثلهم، ويذود عنهم، ويُقاتل دونهم، ودون حرماتهم، ومصالحهم .. فالكل يتسوَّر محرابهم، ويعتدي على حرماتهم .. ويرفع صوته وسوطه عليهم .. فكان مثلهم كما في الحديث:" يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فقال قائل: ومن قِلَّةٍ نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير ـ ربع سكان العالَم! ـ ولكنكم غثاء كغثاء السَّيل؛ ولينزعنَّ اللهُ من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذِفَنّ اللهُ في قلوبكم الوهن. فقال قائل: يا رسولَ الله! وما الوهن؟ قال: حبُّ الدنيا وكراهيةُ الموت "؛ أي كراهية الموت في سبيل الله ..!

كل الشعوب والأمم مهما قلّ عدد أبنائها لهم الدول التي تمثلهم .. وترعاهم .. وترعى شؤونهم .. ولهم الحكام ـ من بني دينهم وثقافتهم ـ الذين يمثلونهم .. إلا المسلمون ـ على تعدادهم الضخم الذي بلغ ربع سكان العالَم ـ لا يحق لهم أن يُقيموا دولة إسلامية تتكلم باسمهم .. وترعاهم .. وترعى شؤونهم .. ومن يفكر ـ فضلاً عن الذي يسعى ـ بقيام دولة إسلامية، تحكم بالإسلام، وترعى شؤون المسلمين بالإسلام .. سرعان ما يُجرّم ويُؤثَّم .. ويُعاقَب .. ويُحاصَر .. ويُرمَى بالإرهاب .. وينبزونه بأسوأ الألقاب، حقداً من عند أنفسهم!

وهم مع كل هذا الكيد والمكر .. والحرب .. يزعمون زوراً .. أنهم يحترمون إرادة وكلمة الشعوب!

* * * * *

544- مِلعقةٌ من عَسَل!

كم تتعب النحلةُ حتى تصنع ـ بإذن ربها ـ ملعقةً من عسل .. وكم هي تطوف في الوديان، والسهول، والحقول .. وكم هي المسافات التي تتجاوزها ـ ذهاباً وإياباً بين عشها وحقول ومنبت الأزهار ـ بحثاً عن الأزهار .. والأشجار .. ثم هي كم من الزمن تستغرق حتى تنجز هذه الملعقة من العسل .. ليتناولها الإنسانُ ـ في النهاية ـ بثوانٍ معدودات .. ثم يرمي بالملعقة في مجلَى الصحون .. من دون أن يحمد الله تعالى .. ولا أن يكترث أو يتنبَّه للعناصر العديدة التي سخّرها الله تعالى من أجل أن تصله هذه الملعقة من العسل المصفّى .. التي لم يُلقِ لها بالاً .. حقَّاً وصِدقاً، كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾سبأ:13. ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾عبس:17.

كل هذه المعاني راودتني وأنا أتناول ملعقةً من عَسَل ... اللهمَّ أعنّا على ذِكرِك، وشُكرك، وحسنِ عبادتك.

* * * * *

545- حجّةٌ وعمرة من غير فلوس، ولا نَصَب!

لمن أعجزَه ظلم الطغاة .. فمنعه أن يلبي نداء الله بحج وعمرة!

لمن أعجزته فاقته؛ فلم يجد المال الكافي لأداء الحج والعمرة!

لمن أعجزته صحته؛ فأقعدته عن الحج والاعتمار ..!

لمن لم يأمن على نفسه من غوائل الطريق وعواقبه .. فمنعه ذلك من الحج والاعتمار!

لهؤلاء المستضعفين المحاصرين، الذين أقعدهم العجز والضعف عن القيام بالواجب، أقول: لا تحزنوا على ما فاتكم .. فقد عوضكم الله عما فاتكم خيراً كثيراً .. وكتب لكم أجر الحاج والمعتمر، من دون أن تشدوا الرحال إلى الديار المقدسة .. وبعملٍ أيسَر من شدّ الرحال إلى الديار المقدسة، كما في الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" من صلى الفجرَ في جماعة، ثم قعدَ يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، كانت له حجة وعمرة تامّة، تامّة، تامّة ".

* * * * *

546- شاركني برأيك ..!

فلان أراد الزواج من فلانة .. أبوها موافق لكن أخوها غير موافق .. أخوها يحب أخت فلانة .. وهي مسافرة في بلد ثان .. لكن ابن عمها يريد الزواج منها .. وهو طالب يدرس في الجامعة وبعد سنة يتخرج من دراسته .. لكن أمها غير راضية .. تريد أن تزوجه ابنة خالته .. وهي كذلك طالبة .. لكن أبوها غير موافق .. أما أخوها موافق .. لكن يشترط شروطاً صعبة .. ويوجد خلاف قوي في العائلة بين مؤيد ومعارض .. وبالنسبة لزواج فلان قد وافقوا عليه .. لكن اشترطوا عليه شروطاً صعبة .. وهو متردد بين فلانة وبين ابنة عمه .. كما يريد أبوه .. بخلاف أمه .. وهو متردد بين طاعة أبيه وأمه .. فأيهما يُطيع .... الخ!

هل فهمتم شيئاً ...؟!

هناك من يتكلم بهذه الطريقة ثم يُطالبك أن تُشاركه برأيك .. والويل لك إن لم تفعل .. أو لم تجبه، ويجد منك تفاعلاً مع حديثه!!

* * * * *

547- لا تكتُبْ ..!

لا تكتب وأنت غضبان .. أو منفعلاً مضطرب المزاج .. أو على طريقة المتشنّج المخنوق .. الذي يسترق الأنفاس بصعوبة؛ نفَساً بعد نفَس .. فيضيق عليه صدره كأنما يصّعدُ في السماء .. فإن أبيت إلا أن تفعل؛ لتخطئن .. ثم لتندمنّ ندماً شديداً بعد أن يعود إليك اعتدالك .. ويصطلح عليك مزاجك .. ويصفو لك ذهنك .. ويأخذ جسدك قسطاً من الاسترخاء والراحة .. فتريد حينئذٍ أن تُصلِح ما قد أخطأت فيه ـ بعد أن تطاير خطؤك في الأمصار ـ فلا تستطيع ذلك!

وما أكثر الذين يكتبون على هذه الطريقة .. فيُؤذي ويتأذَّى .. فيندم، ولات حين مندم!

وفي الحديث، فقد نهى النبي ﷺ القاضي أن يقضي بين الناس أو يحكم على الأشياء وهو غضبان .. وكذلك الكاتب الذي يحكم ـ فيما يكتب ـ على الأشياء بالحسن أو التقبيح .. بالذم أو المدح .. فهو قاضٍ .. وهو يُمارس فيما يكتب نوعاً من القضاء .. لا يستحسن به أن يفعل شيئاً من ذلك وهو غضبان!

* * * * *

548- ما تكتبه في الليل ..!

ما تكتبه في الليل، راجعه وقلّب النظر فيه ـ قبل نشره ـ في النهار .. فإن للنهار فتح ونور وجلاء قد لا تجده في الليل .. وما تكتبه في النهار، راجعه وقلب النظر فيه في الليل .. فإن للّيل هدوء وسكون .. وخشوع .. وصفاء .. لا تجده في النهار .. يتكشّف لك فيه ما لا يتكشّف في النهار .. والذي يكتب في النهار ثم لا يُعيد النظرَ فيه في الليل .. أو يكتب في الليل ثم لا يُعيد النظر فيه في النهار .. فعمله سيكون ناقصاً .. وخطؤه وارد .. بخلاف من يكتب ثم يقلّب نظره ويعيد فكره فيما كتب في الليل والنهار .. فإن عمله حينئذٍ سيكون أكثر قرباً للنضج والكمال!

* * * * *

549- الشكرُ شكران.

الشكر شكران: شكر يتبع المعروف مباشرة، ويكون مقصوراً على الساعة التي يُسدَى فيه المعروف .. ثم يتبعه نسيان، وكفران للمعروف ولصاحبه .. وهذا الذي عليه أكثر الناس.

وشكر دائم؛ يعرف لذوي المعروف حقوقهم من الشكر ساعة تقديم المعروف، وبعد تقديم المعروف .. مهما طال الزمن .. فهو ما إن يذكرهم إلا ويذكر مع ذكرهم معروفهم وفضلهم .. فيجدد لهم الشكر والعُرفان؛ وكأن معروفهم قد بُذِل إليه السَّاعة .. وهؤلاء هم الشاكرون حقاً .. وما أقلهم بين الناس!

* * * * *

550- مما تعلمته في هذه الحياة ..!

مما تعلمته في هذه الحياة .. أن الإنشغال بصرف وجوه الناس وإقبالهم، واستشراف مَن أقبل منهم ومن أدبر .. مضيعةٌ للوقت .. وهَدرٌ للطاقات .. وإرهاق للقلب .. ومَنقصة في العقل والإخلاص .. ومُذهِبٌ لبركة الأعمال .. وذِلة للنفس في غير موضعها .. وإشغال للفكر فيما لا ينبغي له .. وفيما يستحي منه الكبراء من الصديقين والشهداء.

ما قيمة هذا الإقبال .. وهو منقطع عنك منذ الخطوة الأولى نحو قبرك .. ثم يشتد هذا الانقطاع ساعة أن توسَّد في قبرك وحيداً فريداً .. ثم ـ مع الزمن ـ يتحول هذا الانقطاع إلى نسيان!

ما قيمة هذا الإقبال .. إن كان على حساب إعمار ما بينك وبين خالقك!

مِن أصدق ما قرأت، كلمات تلك المرأة الصالحة:

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنامُ غِضابُ

وليتَ الذي بيني وبينك عامرٌ ... وبيني وبين العالمين خرابُ

* * * * *

551- الطاغيةُ الذليل!

الطاغية الذليل؛ هو الذي يتذلل للناس ـ قبل التمكين ـ حتى يكون لهم أرضَاً .. وبِساطاً يُوطَأ .. يتملّقهم .. ويستعطفهم .. ويرجوهم .. ويقف على أبوابهم يكرر عليهم السؤال إثر السؤال .. فإن تمكّن .. وتحقق له مراده .. استعلى وتكبر .. وطغى .. وتفرعَن .. وتنكّر لمن كان يتذلل لهم .. وقال للناس: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾غافر:29. ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِى﴾القصص:38.

مثاله: النائب المشرّع؛ الذي يجعل لنفسه خاصيّة التشريع من دون الله .. كما في المجالس النيابية التشريعية السائدة والمعمول بها في الأمصار .. فهو قبل أن يفوز في الانتخابات تراه يشحذ أصوات الناس .. بطريقة أذل من طريقة الشحَّاذ الذي يقرع الأبواب ليسأل الناس بعض اللقيمات، أو القروش!

يأبى الله تعالى للطغاة أن يُمارسوا طغيانهم على الناس .. إلا بعد نوع ذِلّة يمارسونها .. ويقعون فيها .. ليدرك الناس أن هؤلاء الطغاة لا ينبغي ولا يجوز أن يكونوا عليهم آلهة ـ يشرّعون، ويحلون ويحرمون ـ من دون الله!

* * * * *

552- متى أستطيع زيارة بلَدٍ عربي ..؟!

قال لي صاحبي: متى ستستطيع أن تزور بلدك سورية ..؟!

قلت له: لو اقتصر المنع والحظر على بلدي سورية لهان الخطب .. وخفَّ المصاب .. وإنما الحظر والمنع امتد ليشمل جميع الأقطار العربية وللأسف .. وأصارحك القول: أنني أرغب بزيارة أي بلد عربي .. لو أستطيع إلى ذلك سبيلاً .. وآمن فيه على نفسي وديني!

كلما أفَلَ نجم طاغية .. وتشوَّفنا الإياب .. ولقاء الأحباب .. ظهر مكانه طاغية أشد ـ ممن سبقه ـ طغياناً وكفراً!

بلادنا ـ يا صاحبي! ـ ليست لنا .. ولا هي ملكاً لأهلها وأبنائها .. وإنما هي ملك للطاغوت وحزبه وعائلته .. وطائفته .. يتحكم بقوتها وخيراتها .. وبالداخل والخارج منها .. يُدخِل إليها ـ من أبنائها ـ من يشاء، ويمنع عنها ـ من أبنائها ـ من يشاء .. لا يُسأل عمَّا يفعل وما سواه من الناس يُسألون ويُحاسَبون .. والناس عنده لا يعدو قدرهم أن يكونوا سلعة من تلك السّلع التي يملكها ويُساوم عليها .. وعندما تعود البلاد لتصبح ملكاً للشعوب .. وليس للطاغية وفئته ـ أو عائلته ـ الحاكمة .. حينئذٍ سنتمكن ـ بإذن الله ـ من زيارة سورية .. وغيرها من بلادنا العربية!

عندما يتحرر الإنسان العربي من الخوف والجبن .. ومن هيمنة الطغاة الآثمين وجلاديهم .. والعبودية لهم .. ويأخذ حقه بقوة غير متعتع .. وليس كمنّة أو فُتات يُرمَى إليه من الطاغوت .. حينئذٍ سنتمكن ـ بإذن الله ـ من زيارة سورية .. وغيرها من بلادنا العربية!

عندما يُصبح الحاكم موظفاً عند الشعوب .. خادماً لهم .. وليس العكس .. يُسأل كغيره من الناس: من أين لك هذا .. وما هي حجتك فيما فعلت وفيما تركت .. حينئذٍ سنتمكن ـ بإذن الله ـ من زيارة سورية .. وغيرها من بلادنا العربية!

عندما تُحترَم الأنفس الآدمية .. وتُصَان حرماتها من السطو والعدوان والانتهاكات .. ويأمَن المرء ـ في سِربه ـ على نفسه، وأهله، ودينه .. حينئذٍ سنتمكن ـ بإذن الله ـ من زيارة سورية .. وغيرها من بلادنا العربية .. ولا أدري كم بيننا وبين ذلك اليوم الذي نتطلع إليه بشوق ..؟!

أرجو أن يكون قريباً ..!

* * * * *

553- الشَّعبُ الذليل المتكبر!

الشعب الذليل المتكبر .. هو الشعب الذي يرضى لنفسه الدنيّة والعبودية للطاغوت .. ثم هو من جهة يتكلم بكبر واستعلاء وأنَفَة .. وبطَر .. ولو مشى أحدهم فكأنما يخرق الأرض .. أو قد بلغ الجبالَ طولاً!

إذا توجه بوجهه نحو الطاغوت وجلاديه .. أو مرَّ الطاغوت بموكبه عليه .. انحنى وركع وسجد بنفس طيبة راضية .. وكان للطاغوت وجلاديه أرضاً سهلة الوطء والامتطاء .. وإذا توجّه ـ أي الشعب الذليل المتكبر ـ تلقاء الناس الآخرين .. أو تجاه بعضهم بعضاً .. تكلَّمَ بازدراء واحتقار واستخفاف، رافعاً أنفه إلى السماء .. ترتسم على ملامح وجهه كَشرَةٌ .. وزَوْرَةٌ .. وليٌّ في الحنَك السفلي .. وكأنه لم يَعرف الذِّلة في حياته قط!

أذلة على الطغاة وجلاديهم .. أعزة على بعضهم البعض!

ينتقمون من إذلال الطاغوت لهم، بإذلال بعضهم بعضاً .. وإذلال الأعلى منهم للأدنى!

هذا هو الشعب الذليل المتكبر .. الذي يتشبَّع بما لم يُعطَ وبما ليس فيه!

* * * * *

554- الولاء والبراء، والكُرَة!

عندما استعظموا الولاء والبراء في الله .. والحب والبغض في الله .. وأبغضوه .. ونَفَرُوا ونفَّرُوا منه .. هان عليهم عقد الولاء والبراء في كل شيء .. سوى الله تعالى .. حتى الكرة التي يركلونها بأقدامهم ـ لم تعد في كثير من الأمصار مجرد رياضة مباحة يتقوى بها الأبدان ـ فقد اتخذوا منها إلهاً؛ يوالون ويُعادون فيها من دون الله .. يُحاربون ويُسالمون فيها .. يُقاتلون ويُقتَلون في سبيلها .. ومن أجلها .. كما حصل مؤخراً بين مصر والجزائر .. والأمثلة الدالة على ذلك كثيرة لو أردنا الإحصاء!

لو كانت قلوبهم عامرة بمحبة الله تعالى، وبالحب في الله، والبغض في الله .. لما وجدت هذه الترهات .. والتفاهات .. والصراعات .. والولاءات الساقطة .. إلى قلوبهم ولا إلى حياتهم سبيلاً .. ولكن لما خوت قلوبهم من الولاء والبراء في الله .. والحب والكره في الله .. هان عليهم أن يوالوا ويعادوا في كل شيء، وبما هو أقل منهم شأناً وقدراً!

تصوروا هذا المشهد المخزي يوم القيامة .. يوم يقول الله تعالى للعباد: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾النحل:27. فيأتي عبّاد الكرة ـ وما أكثرهم في زماننا ـ في طابور طويل .. ليقفوا خلف الكرة التي كانوا يُشاقُّون ـ ويوالون ويُعادون ـ فيها!

* * * * *

555- نزَلَ سِعرُ الشيخ ..!

دخلت مكتبةً تعرض كتاباً لأحد دعاة الفضائيات المعاصرين .. الذي اتسع صيته في الأمصار .. وافتتن به كثير من الشباب والشابات .. يتكلم فيه عن سيرته الشخصية .. وحياته الخاصة .. والكتاب مليء بصوره الشخصية .. وهو يلعب .. وهو مع ولده .. وفي وضعيات مختلفة .. فما بين الصفحة والصفحة صورة له!

كُتِب على الكتاب: كان سعره عشرة جنيهات إنكليزية ـ أي ما يُعادل عشرين دولاراً ـ والآن سعره جنيهاً واحداً ...!

فسألت البائع: لماذا هذا الكتاب نزل سعره بهذا القدر الكبير ..؟!

فأجابني: نزَلَ سعرُ الشيخ ...!

قلت له: صدقت ... يأبى الله أن يضع القبولَ في الأرض إلا لأوليائه .. إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم .. وما سوى ذلك؛ يركُمَه .. ويجعله هباءً منثوراً .. ولو بعد حين.

* * * * *

556- مَن هو المجنون ..؟

سُئِل سفيان الثوري: مَن المجنون؟ فقال: مَن لم يُميّز غيَّه من رُشدِه.

وقال الفضيل بن العياض: دعاكَ الله إلى دار السَّلام وقد آثرت في دنياك المقام، وحذَّرك عدوَّك الشيطانَ وأنت مُخالفه طول الزمان، وأمركَ بخلاف هواك وأنت معانقه صباحك ومساك، فهل الحمْقُ إلا ما أنت فيه؟

وسُئِل خَلَف بن أيوب: مَن الأحمق؟ قال: من عمل لدنياه، ووافق هواه، وآثر على ربه سواه.

وقيل لآخر: من المجنون؟ قال: من لم يأمن على روحه ساعةً وهو يسعى في عمارة دنياه!

وسُئل آخر: من الأخرَق؟ فقال: من خرَّب آخرته بدنيا غيره.

وقِيل: إنما المجنون المقيم على معصية الله!

وقيل: المجنون الذي يستبدل الفانية بالباقية، والذي هو أدنى بالذي هو خير .. والقليل بالكثير .. وجناح البعوضة بجنة عرضها السماوات والأرض!

وقِيل: المجنون الذي ينطلق في سفرٍ طويل لا رجعة بعده، من دون أن يحمل معه زاداً يكفيه.

قلت: وعلى هذا يكون أكثر الناس في زماننا مجانين وهم يحسبون أنهم عقلاء .. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* * * * *

557- هم السَّابقون ونحن اللاحقون.

بين الفينة والأخرى يطيف بذاكرتي أعلام وأرحام مقربون كانوا ـ يوماً من الأيام ـ بيننا، ومعنا .. كانت حركتهم تملأ الساحات والميادين .. كما كانت سيرتهم العطرة تملأ المجالس والخلوات .. والمنتديات .. قد رحلوا عن دنيانا .. وبرحيلهم توقفت تلك الحركة .. وخلت المجالس من سيرتهم وذكراهم .. وكأنهم لم يكونوا يوماً بيننا!

قلت لنفسي: لا تحزني .. ولا تقلقي .. ولا تجزعي .. هم السابقون .. ونحن اللاحقون .. وإلى مصيرهم صائرون .. غفر الله لنا ولهم.

اليوم نقول عنهم رحمهم الله .. وغفر الله لهم .. وغداً هناك ـ إن وُجِد! ـ من يقول عنكِ رحمها الله .. كان فلان بيننا، غفر الله له!

حقاً العاقل من اتعظ مما فات لما هو آتٍ .. واغتنم دنياه لآخرته .. قبل أن يُفاجئه الموت، فيقول نادماً، والحسرة تعمر صدره: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾الفجر:24. يا ليتني قدمت في حياتي القصيرة الفانية لحياتي الطويلة الباقية .. اللهمَّ غفرانَك .. غفرانك.

* * * * *

558- ﴿ إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ ﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم﴾؛ هذا الشراء شامِلٌ لجميع المؤمنين .. لا يستثني منهم أحداً .. فمن أنكر البيعَ فهذا ليس ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾، وهذا من لوازمه أن تكون حياتك ـ يا عبد الله ـ كلها لله .. وأن يكون مالك كله لله .. فلا يراك الله إلا حيثُ يحب ويرضى .. ولا تضع مالَكَ إلا حيث يُحب ويرضى .. فأنت ومالك مملوك لله تعالى من وجهين: من وجه أنك ومالك من ملكه ﷻ قبل أن يشتريك .. ومن وجه أنه سبحانه وتعالى ـ تمنّناً وكرَماً ـ قد اشتراك ومالَك ثانية ليوثق الملكية والبيع .. وليذكّرك بأن البيع قد تمَّ وانتهى .. وأنَّك غير حرٍّ في نفسك ومالِك .. حتى لا تخول لك نفسك فتبيعها ثانية .. أو تبيع بعضاً منك .. أو بعضاً من عمرك .. أو بعضاً من مالِك لغير الله تعالى .. فتقع في الشِّرك .. بعد أن بعت نفسك كلها، ومالَك كله لله .. إذ لا يحسن بك ـ ولا يصح منك ـ أن تبيع ما لا تملك، وما هو مُلك لغيرك .. أو أن تبيع السلعة مرتين .. ولجهتين مختلفتين!

فإن قيل: أين الثمن ..؟!

قال تعالى: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ﴾؛ أنعِم به من ثمنٍ وأكرِم ...!

* * * * *

559- كيف يتعامَلُ الطغاةُ مع كتاب الله!

في حياتهم وظل حكمهم يُحاربون كتابَ الله، ويرمون حكمه بالتخلف والرجعية .. ويمنعون الشعوبَ المسلمة من التحاكم إليه .. وأيما امرئٍ يُطالبهم بالحكم بما في كتاب الله .. يستهجنون مُطالبَته .. ويرمونه بالجنون والتخلف .. والتهور .. وأنه لا يعيش زمانه .. وربما رموه في غياهب السجون والزنازين ليسوموه سوء العذاب .. حتى يرجع عن موقفه .. ومطلَبه!

فإذا هلك الواحد منهم .. فزعوا إلى تلاوة كتاب الله تعالى .. وأمروا القرَّاء أن يقرأوا القرآن عن روح الطاغية أربعين يوماً .. وأكثر .. وأنَّى لهؤلاء الطغاة أن ينفعهم القرآن الكريم أو يشفع لهم .. وقد هجروه، وناصبوه في حياتهم العداء، والبغضاء، والحرب .. أنَّى لهم .. ثم أنَّى لهم؟!

* * * * *

560- مقاصِدُ الإسلام والنّاس!

المقاصد التي جاء الإسلام ليحافظ عليها ـ بحسب التسلسل ـ: الدين، والنفس، والعقل، والعِرض ـ أو النَّسل ـ، والمال.

فإذا تعارض مقصدان، واستحيل التوفيق بينهما، والعمل لأجلهما في آنٍ معاً، قُدّم الأول على الآخر منهما .. هذا هو الحق الذي لا ينبغي العدول عنه .. ومع ذلك فإن كثيراً من الناس تراهم يقدمون مقصد الحفاظ على المال .. على جميع مقاصد الإسلام الأخرى المتقدمة عليه .. ويجعلون من المال .. وطرق تحصيله .. وتكثيره .. والحفاظ عليه .. المقصد الأعظم الذي يُضحَّى في سبيله .. وسبيل تحصيله .. جميع مقاصد الدين الأخرى!

فكم هؤلاء الذين يضحون بالدين، وبالنفس، وبالعِرض والشَّرف .. من أجل حفنة من المال .. أو من أجل وظيفة يقتاتون بها .. ثم يحسبون أنهم يُحسنون صنعاً .. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

* * * * *

561- وقفة مع سيد الاستغفار.

قال رسولُ الله ﷺ:"سيّدُ الاستغفار "؛ سُمي سيداً لأنه متضمن للتوحيد والتمجيد .. شامل لآداب الدعاء والاستغفار .. فاستحق بذلك أن يكون " سيد الاستغفار ".

" أن تقول "؛ موقناً بلسانك وقلبك معاً؛ فاللسان يُعرِب عما في القلب، والقلبُ مستحضر لما يُتلَى على اللسان.

" اللهمَّ أنتَ ربي "؛ توحيد الله تعالى في ربوبيته، والإقرار بأنه تعالى هو وحده الرب الذي يربي عباده وينشئهم على ما يشاء .. لا ربَّ لهم يرعاهم ويربيهم ويرزقهم ويغذيهم ويطعمهم ويسقيهم سواه .. كما تتضمن الإقرار بخضوع وفقر وحاجة المربوب إلى ربه .. الذي لولاه لما قدر على أن يربو وينمو وينشَأ .. بل ولا أن يتماسك دقيقة واحدة في هذه الحياة.

" لا إله إلا أنت "؛ توحيد الله تعالى في ألوهيته، والإقرار بأنه تعالى هو المألوه المعبود بحق لا شريك له .. كما تضمنت البراء من الشرك والشركاء والأنداد .. "لا إله"؛ نفي وبراء .. وكفر بالطاغوت والأنداد "إلا"؛ أداة استثناء تُفيد الحصر والقصر "أنتَ"؛ فلا نكفرك ولا نتبرأ منك ولا من عبادتك .. بل نوحدك ونعبدك ونعظمك .. لأنك المعبود المألوه بحق.

" خلقتني "؛ مرة ثانية اعتراف وإقرار بتوحيد الربوبية، المتضمن الإقرار بأن الخلق من اختصاص الله تعالى وحده دون أحدٍ من خلقه .. وما دام الأمر كذلك فليس للمخلوق أن يلجأ فيما يحتاجه إلا لمن خلقه وملكَه .. أما من لم يخلق .. وهو غير قادر على أن يخلق .. ثم هو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله .. من نواقض الإيمان وخوارم العقل .. الحيدَة إليه في الملمّات، والسراء والضراء من دون الخالق ﷻ.

"وأنا عبدك "؛ إقرار العبد بالعبودية .. وأن مقامه لا يتعدى مقام العبد والعبودية .. ثم هو إقرار بأن هذه العبودية لا تُعطى ولا تُصرَف إلا إلى الخالق سبحانه وتعالى .. والعبد دائماً هو في فقر وحاجة إلى خالقه وسيده.

فأنا أقصدك يا رب في السؤال والدعاء لأنك خلقتني "وأنا عبدك" .. أمَّا من لا يخلقني، ومن لستُ عبداً له .. فلا أقصده بسؤال ولا دعاء .. ولا ينبغي لي أن أقصده؛ لأنه أعجز وأضعف من أن يُقصَد في ذلك .. فهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله .. ومن كان لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً .. فكيف يعطيه للآخرين .. ففاقد الشيء لا يُعطيه ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾الحج:73.

" وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت "؛ أي أنا لا زلت على العهد والوعد؛ فما قطعته على نفسي من عهد ووعد في أن أعبدك وأوحدك ولا أشرك بك شيئاً ـ يا ربنا ـ فأنا لا زلت محافظاً عليه، فما غيرت ولا بدلت .. لكن " ما استطعت "؛ لأن التقصير من طبعي كعبد .. فأنا مهما اجتهدت في العبادة لا يمكن أن أوفي بعض حقك العظيم علي .. وحسبي أنني أبذل جهدي في توحيدك وعبادتك وطاعتك "ما استطعت".

" أعوذ "؛ أي ألوذ وأحتمي .. وأتقي.

" بك "؛ أي برحمتك، وعفوك، ومغفرتك، ورضاك، وبجميع أسمائك الحسنى، وصفاتك العُليا.

" من شرِّ ما صنعتُ "؛ أي من شر ونقمة الذنوب والمعاصي التي تُجلب عليَّ غضبك وسخطك .. فأنا أحتمي بك منك .. وألوذ بك منك .. وأهرب منك إليك .. إذْ لا مهرَبَ لي ولا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك

.. فأنا ألوذ وأحتمي برحمتك التي وسعت كل شيء .. والتي غلبت وسبقت غضبك .. من غضبك وسخطك عليّ.

" أبوء لك بنعمتك عليّ "؛ أي أقر وأعترف ببالغ نعمك العظيمة علي التي لا تُحصى ولا تُجزَى.

" وأبوء لك بذنبي "؛ أقر وأعترف لك ـ يا رب ـ بذنبي .. فإنني قد اقترفت ذنباً .. قابلتُ نعمك السابغة عليّ بالذنوب .. وهذا لا ينبغي ولا يجوز، وليس من الشكر في شيء .. لكن ها أنذا .. جئتك ـ يا رب ـ مقراً بعظَم ذنبي وجرمي .. كما أنني مقر ومعترف بعظيم فضلك علي.

توحيد .. وتعظيم وتمجيد .. وخضوع .. ثم إقرار بالفضل والنعم .. أتبعه إقرار واعتراف بالذنب .. بعد كل ذلك جاء الطلب .. إذ ليس من الأدب أن يقتحم العبد الطلب والسؤال قبل ـ ومن دون ـ أن يمهد بين يدي الدعاء والطلب بالتوحيد والتعظيم والتمجيد .. وحسن المديح للخالق ﷻ.

ماذا تريد ....؟

" فاغفر لي " فتجاوز لي عن ذنبي، وعافني منه ومن آصاره وآثاره في الدنيا والآخرة.

" فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت "؛ فلا يقدر أحد على غفران الذنوب إلا أنت .. وبالتالي لا أقصد ولا أسأل أحداً في غفران ذنبي إلا أنت .. فأنت وحدك ـ لا شريك لك ـ القادر على غفران الذنوب .. فاغفر لي ذنبي!

قال رسولُ الله ﷺ:" من قالها من النهار موقناً بها، فمات من يومه قبل أن يُمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقنٌ بها، فمات قبل أن يُصبح، فهو من أهل الجنة "البخاري.

ثم بعد ذلك، لا تنس أن تختم الدعاء بالصلاة على النبي ﷺ؛ لأن كلَّ دعاء محجوب حتى يُصلَّى على النبي صلوات ربي وسلامه عليه.

أعلمت الآن ـ يا عبد الله ـ لماذا هذا الدعاء سُمي بسيد الاستغفار ....؟

* * * * *

562- ظلم ذوي القربى!

الظلم شديد .. لكن أشده مضاضة على المرء؛ ظلم ذوي القربى؛ وذلك للأسباب التالية:

أولها: أن الأصل بذوي القربى أن يُلتمَس عندهم العدل، والرحمة، والوفاء .. والنُّصرَة .. لا الظلم، والبغي!

ثانيها: ظلم ذوي القربى يتضمن نوعاً من الغدر والطعن في الظهر؛ إذ لا يتوقع المرء أن يأتيه الظلم والطعن ممن وثق بهم، واستأمنهم على ظهره، وخاصة أمره .. فيكون ظلمهم من هذا الوجه ظلم وغدر!

ثالثها: أنه ظلم يدخل إلى البيت؛ لا سبيل للفكاك منه أو تجاهله .. وكما يُقال: مشكلة داخل البيت توازي مائة مشكلة خارج البيت!

رابعها: ـ وهو أشدها ـ أنك لا تستطيع أن تنتصف لمظلمتك ممن ظلمك من ذوي القربى؛ لأن الانتصاف يعني في الغالب قطع الرحم .. وقطع ما ينبغي أن يوصَل .. وهذا شديد جداً على المؤمن .. لذا تراه يؤثر الصمت والصبر على ظلم وأذى ذوي القربى، ولا أن يقطعهم!

صدق من قال:

وظلم ذوي القربى أشد مضَاضةً . . . على النفسِ من وقْعِ الحسامِ المهنّد

* * * * *

563- عندما يتجرّأ الضعيفُ على السيّد القوي!

عندما يعتدي السيد القوي على الضعيف الفقير .. وتكون ضحايا اعتداءاته عشرات الآلاف من الأبرياء .. فعدوانه يُكسَى بثوب العدالة والديمقراطية والإنسانية .. والرحمة .. والكياسة .. واللباقة .. والتحضّر .. ثم هو سرعان ما يُطوى ويُنتسى وكأنه لم يكن!

بينما عندما يتجرأ الضعيف الفقير على السيد القوي بنوع اقتصاص أو انتصاف .. مهما قلَّ .. تقوم الدنيا ولا تقعد لغضب وحرمات السيد القوي .. والجميع يُشارك في الاقتصاص والانتصاف للسيد القوي من الضعيف الفقير أضعاف أضعاف ما بدر من الضعيف الفقير .. ثم هم بعد ذلك يحولون مناسبة تجرؤ الضعيف الفقير على السيد القوي إلى مناسبة وطنية .. يتجدد ذكراها في العام مرات ومرات .. ينوحون فيها على ضحاياهم ـ التي هي في الحقيقة ضحايا عدوانهم وظلمهم وسياساتهم الحاقدة الطائشة ـ ويجددون فيها العهد والعزم على مواصلة تجريم الضعيف الفقير، ومن ثم مواصلة الاقتصاص والانتصاف منه .. لتكون له ولغيره من الضعفاء الفقراء عبرة وعِظة .. وحتى لا يتجرّأ ثانية على التفكير بمد يده على السيد القوي الذي لا ينبغي أن يُسأل عما يفعل .. مهما انهالت عليه يد السيد بالصفع والضرب!

ثم هم مع كل هذا الظلم والعدوان .. يزعمون زوراً أنهم ما حملهم على مواصلة العدوان والإمعان في قتل الأبرياء من الضعفاء .. سوى حرصهم على قيم العدل والحرية والديمقراطية والإنسانية .. وإنه لزعم ـ في ميزان الحق ـ أثقل على الحق من العدوان نفسه!

* * * * *

564- المحقّقُ الجبان!

المحقق الجبان؛ أعني به ذاك الذي يخط اسمه على غلاف الكتاب بخطٍّ أكبر مما يخط به اسم مؤلفه .. فيكتب ـ بالخط العريض ـ تحقيق وتخريج وتعليق فلان ابن فلان!

وعند التدقيق والمراجعة .. تجد تخريجه يقتصر على تخريج الآيات القرآنية وحسب .. وما أسهل ذلك في زمن فشو البرامج الالكترونية .. وتجد تحقيقه وتعليقه يقتصر على السهل الواضح ـ من نصوص وكلمات الكتاب ـ الذي لا يحتاج إلى تحقيق ولا تعليق .. بل تحقيقه وتعليقه يُخرج النص من دائرة السهل الواضح المحكم إلى دائرة النص المتشابه الغامض الصعب .. أما ما يستحق التعليق والتحقيق والشرح من نصوص وكلمات الكتاب .. فتراه يتهرب منه .. ويغض الطرف عنه .. وكأنه لم يره .. أو أنه ليس من كلمات ونصوص الكتاب .. فهذا هو المحقق الجبان؛ المتسلق على أكتاف وعطاء المؤلفين العظماء .. وما أكثر هؤلاء الجبناء في هذه الأيام!

* * * * *

565- علامة أهل الحق.

من علامة الأعلام من أهل الحق .. أن الجميع ـ الناس بكل أطيافهم وانتماءاتهم وتوجهاتهم ـ يرجع إليهم .. ويستدل بأقوالهم .. ينتصف لمظلمته وحقه بكلماتهم .. لما يجدون عندهم ـ وفي كلماتهم ـ من عدل وحقٍّ وإنصاف .. لا يُجاملون ولا يُحابون فيه أحداً .. فيظن الظان أن أهل الحق هؤلاء ممن يُداهنون ويُجاملون أهل الباطل على باطلهم .. وإلا كيف تراهم يستدل أهل الباطل بهم وبكلماتهم .. وفاتهم أن الحق هو ما أشرنا إليه.

فإذا علمت ذلك .. علمت لماذا الجميع يُقاتِل بعصا وكلمات شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وغيره من أهل العلم الأعلام .. ولماذا الجميع يستدل لمظلمته وحقه .. بكلمات وأقوال سيد الخلق، المبعوث رحمة للعالمين، صلوات الله وسلامه عليه.

* * * * *

566- هَلاَّ ترجَّل أحدُهما ..؟!

تعتذر شعوبنا في عدم إقدامها على التضحية والبذل والعطاء من أجل التغيير نحو الأفضل .. بأن ليس لهم قادة وعلماء يتقدمونهم في القيادة والتضحية .. ويقولون: إذا كنت إمامي فكن أمامي .. ويعتذر القادة والدعاة بأنهم لو ترجّلوا، ونزلوا إلى الشارع .. تخلت عنهم الشعوب، واستكانت، وتركتهم بمفردهم لمواجهة مصيرهم بالقتل، والسجون، والتهجير .. من دون أن يظهر من الشعوب ذلك الحراك أو التضامن المطلوب .. ويستدلون لقولهم ببعض شواهد الواقع.

وللفريقين أقول: حركة الحياة لا ترحم .. ولا تمهل .. ولا تتوقف لأحدٍ أو لفريق من الفرقاء .. وقد طال الحوار والجدال .. والانتظار .. واستطار ظلم الطغاة الآثمين .. فهلاَّ ترجَّل أحدكما .. لنرى مدى صدق الطرف الآخر في دعواه .. وأجره على الله .. إلى متى سنظل نتقاذف التهم والمسؤوليات .. من يبدأ قبل مَن .. ومن يترجّل قبل مَن .. ومَن يُضحي قبل مَن .. وكل فريق تراه يرمي الكرة والمسؤولية في مرمى غيره .. ليرفع عن نفسه العتَب والمؤاخذة، والمسؤولية؟!

إلى متى ...؟!

* * * * *

567- مهارة العمل الجماعي.

من أعظم المهارات التي يكتسبها الإنسان في حياته مهارة العمل الجماعي، ومهارة التعاون مع الآخرين على الخير والبر والتقوى، كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى﴾المائدة:2. ولما في العمل الجماعي الراشد من حسنات عظيمة ترتد على المجتمع والناس بالخير الوفير .. ما لا يمكن أن يحصل عن طريق الجهد أو العمل الفردي الأناني!

أعرف شيوخاً ودعاة ورموزاً يتميزون بمهارات عدة إلا أنهم يفتقدون مهارة العمل الجماعي .. مهارة التفاهم والتعاون مع الآخرين على قواسم مشتركة متفق عليها .. فأحدهم تراه لا يُحسن العمل ولا الحركة إلا بمفرده .. ولو شاركه أحد في عمل من الأعمال ـ صغر أم كبر ـ سرعان ما تظهر له كثير من العيوب .. والعورات .. لا تليق به كداعية!

فهو يريد أن ينزل إلى الملعب بمفرده .. ويلعب بمفرده .. ويكون بمفرده الفريق والفريق المضاد .. والحكم على الفريقين .. فهو اللاعب والحكم معاً .. تارة يقذف الكرة في هذا المرمى .. وتارة يقذفها في المرمي المعاكس .. وقد خاب وخسر .. وثكلته الثواكل من يتجرّأ على اللعب معه؟!

* * * * *

568- العَرَبُ بين جاهِليَّتين.

العربُ بين جاهلِيَّتين: جاهلية ما قبل الإسلام .. كانوا أذلاء .. متفرقين .. متناحرين .. تافهين .. يتقاتلون ويتذابحون فيما بينهم من أجل ناقة .. فجاء الإسلام .. فأعزَّهم الله تعالى به .. ورفع قدْرَهم وشأنهم ..

وجعل منهم عمالقةً وعظماء في جميع ميادين العلم والعطاء والخير .. فدان لهم ولدينهم الشرق والغرب .. وأصبحوا بالإسلام أسياداً بعد أن كانوا عبيداً للعبيد!

ثم انتكسوا ثانية ـ إلا من رحم الله ـ فأجلاهم الشيطان عن إسلامهم .. سبب عزهم ومجدهم وكرامتهم .. ومصدر قوتهم ومنعتهم .. فعادوا من جديد إلى الجاهلية وأخلاقياتها .. وأجوائها .. كما هم عليه في هذا الزمان: أذلاء .. متناحرون .. متفرقون .. تافهون .. ساقطون .. متخلفون .. ضعفاء .. الكل يسطو ويتطاول عليهم .. ويتجرأ على صفعهم .. يتقاتلون فيما بينهم من أجل كُرةٍ .. فكانوا بذلك أسوأ من سلفهم الجاهليين الأوائل الذين تقاتلوا وسفكوا الدماء من أجل ناقة!

ما أتفَه هذا العربي العلماني الجاهلي عندما تراه يَتَمَنْطَع ويَتَمَشْدَق وهو يُطالب بفصل الإسلام ـ دين الله ـ عن الحياة .. والسياسة .. وواقع الناس؟!

ماذا تساوي أنت ـ ومن لفّ لفيفك ـ من دون الإسلام .. وماذا أبقيت للأمة من أواصر وروابط، إن أخرجت الإسلام من حياتها؟!

انظر لنفسك ـ ومن لفَّ لفيفك ـ كم أنتم أذلاء .. وكم جلبتم على الأمة ـ التي تنتمون إليها بأجسامكم ولغتكم، وتتبرؤون منها بأرواحكم وقلوبكم وتفكيركم وأعمالكم ـ من ذل .. وضعف .. وجهل .. وتخلف .. وتمزق .. وتفرق؟!

ما هي حضارتك .. وما هي ثقافتك .. وما هي مرجعيتك .. وما هو تاريخك الذي تتماجد به .. من دون الإسلام؟!

أنتَ من دون الإسلام .. كورقةٍ هزيلةٍ أصابها العفَنُ والعطَب .. تتهاوى عن شجرة عظيمة أصلها ثابت في أعماق الأرض، وفرعها ممتد ليُعانق السماء!

صدق الفاروق عمر ﷺ إذ قال:" كنا في الجاهلية أذلاء، فأعزَّنا الله بالإسلام، فإذا ما ابتغينا العزَّةَ بغير ما أعزَّنا اللهُ به، أذلَّنا الله ".

ولا أصدق شاهد على ما قال .. من واقع العرب في جاهليتهم المعاصرة التي يعيشونها .. ولا ندري متى سيصْحون ويخرجون منها .. نسأل الله تعالى أن يكون ذلك قريباً.

* * * * *

569- عاطِفةُ المرأة.

من الرجال من يُعِيبُ في المرأة عاطفتها .. وأنها عاطفية في قراراتها ومواقفها .. وحياتها .. وفات هؤلاء أن أمهاتهم تحمَّلت ثقل الحمل بهم في بطونهن بسبب قوة هذه العاطفة .. ووضعنهم وهناً على وهن بسبب هذه العاطفة .. وأرضعنهم وتحملن عناء وثقل تربيتهم وتنشئتهم ـ إلى أن أصبحوا رجالاً ـ بسبب هذه العاطفة .. ولولا هذه العاطفة لما كانوا ولا كانت الدنيا معهم .. ولولا هذه العاطفة الجيّاشة التي أودعها الله في المرأة لخرجت كلمات " الحب، والعطف، والحنان، والرحمة " من مفردات المعاجم والقواميس .. ومن ثم من حياة وسلوك الإنسان .. وما أقساها وأجفاها من حياة تلك الحياة التي تخلو من هذه المعاني والكلمات النبيلة!

وها هي المرأة اليوم ـ إلا من رحم الله ـ لكي تثبت أنها غير عاطفية .. نراها تتكلّف وتحمل نفسها حملاً على مقاومة فطرتها، وخصائصها الجميلة التي أودعها الله فيها .. وأن تتشبه ـ من أوجه عِدة ـ بالرجال .. وخشونة وقساوة وجفاء وغِلظة الرجال ... فحرمت البشرية بذلك من خير كثير .. وشقي الإنسان أو كاد أن يشقى!

بالله عليكِ يا أختاه عودي إلى عاطفتك التي عُرِفتِ بها .. ولا تحرمينا منها .. فنحن ـ والبشرية كلها معنا ـ بحاجة ماسّة إلى عاطفتك وعطفك وعطائك الذي لا يُحسنه إلا أنتِ .. أكثر بكثير من حاجتنا إلى الخشونة والغِلظة والجفاء التي تُحاكي بها طبائع وخصائص الرجال ...!

* * * * *

570- من مظاهر التقدم والتَّحضر.

عندما يتساوى روّاد المكتبات مع رواد المطاعم والمقاهي أو يزيد .. ويتساوى اهتمام الناس بالكتاب والعلم مع اهتمامهم بالمطعومات والملبوسات أو يزيد .. فاعلم حينئذٍ أن هؤلاء الناس فيهم خصلة من خصال التقدم والتحضّر، وهم يمتازون بعلامة بارزة من علامات التقدم والتحضر .. وإذا كان الأمر على العكس من ذلك؛ تراهم يرتادون المطاعم والمقاهي أكثر مما يرتادون المكتبات .. ويهتمون بألوان الطعام واللباس أكثر من اهتمامهم بالعلم والكتاب .. فاعلم حينئذٍ أن بين هؤلاء الناس وبين التقدم والتحضر بوناً واسعاً .. وأنهم واهتماماتهم في واد، والتحضر والتقدم في واد آخر، مهما كست أجسامهم الريَش، والثياب المزخرفة والمفرقعة .. وظهرت عليهم آثار النعمة!

* * * * *

571- ما يصعبُ عن طريق الرجال يسهل عن طريق النساء.

إن كانت لك حاجة عند ملِكٍ أو رئيسٍ، أو وزيرٍ، أو موظَّفٍ .. كان كبيراً أم صغيراً .. ثم لم تتحقق لك .. ووجدت أبوابهم موصدة دون حاجتك .. فاطلبها عن طريق نسائهم وزوجاتهم ـ إن استطعت ـ فسوف تُنجَز لك من غير تلكئ ولا تردد، ولا تأخر ..!

قال أحد الملوك القُدامَى لطفله: أنا أحكم العالم، وأمُّك تحكمني، وأنت تحكم أمَّك!

ثم بعد ذلك يقولون: المرأة ضعيفة .....؟!

* * * * *

572- الحضانة عند الحيوانات.

أزعم أنني متابع جيد لطريقة حياة الحيوانات، وطريقة تعاملها مع أبنائها .. فهي من جملة العوالم والآيات التي أُمِرنا بالنظر إليها، كما في قوله تعالى: ﴿قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾يونس:101. وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾الغاشية:17. فوجدت أن حضانة أبناء جميع الحيوانات ـ المفترسة منها والأليفة .. البريّة منها والمائية ـ هي من مهمة الأنثى، حيث يظل الأبناء محاطين برعاية وحضانة أمهاتهم إلى أن يكبروا ويُصبحوا قادرين على مواجهة الحياة ومتطلباتها بمفردهم، ومستقلين عن أمهاتهم .. هذه سُنَّةٌ ماضية في عالم البهائم والحيوانات لا يكاد يتخلف عنها حيوان .. بينما الذكور منها؛ بعضهم المتعاون مع أنثاه على الحضانة .. وهذا يوجد في الغالب بين الطيور .. وبعضهم الأناني الذي لا يكترث لرعاية وحماية أبنائه .. ولا يبذل أي جهد في التعاون مع أنثاه .. فمهمته تنتهي عند وضع بذرته ثم يمضي .. وهم الجانب الأكثر في عالم الحيوانات .. وبعضهم الذي يتحايل على أنثاه؛ ليفترس ويأكل أبناءه إذا ما جاع .. كما هو الغالب في عالم السّباع!

هذا في عالم البهائم والحيوانات .. أما في عالم الناس؛ فإنه يوجد ـ وللأسف ـ من الرجال ـ لغرض في أنفسهم ليس بريئاً ـ من يريد أن ينتزع الأبناء ـ وهم في مرحلة الطفولة ـ من أمهاتهم .. من محاضنهم الآمنة الدافئة .. فتراهم يُزاحمون الأمهات على مهمة حضانة الأبناء .. ويُطالبون بحضانة الأبناء لأنفسهم من دون الأمهات .. فتكون الحيوانات والبهائم ـ في ذلك ـ أهدى منهم سبيلاً!

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" من فرَّق بين والدةٍ وولدها فرَّق الله بينه وبين أحبته يومَ القيامَة ".

* * * * *

573- مشايخ الجماهير!

مشايخ الجماهير؛ هم الذين يسيرون مع الجماهير حيثما ساروا .. وحيثما انعطفوا .. وفي الاتجاه الذي شاءوا .. وفي أي وادٍ هاموا أو نزلوا .. وما أسهل هذا النوع من المسير!

يهتفون إذا ما الجماهير هتفت .. ويصمتون إذا ما الجماهير صمتت .. وينتفضون ويتظاهرون إذا ما الجماهير انتفضت وتظاهرت .. ويهدأون إذا ما الجماهير هدأت وسكنت .. ويغضبون إذا ما الجماهير غضبت .. ويرضون إذا ما الجماهير رضيت!

الجماهير تقودهم .. لا هم يقودون الجماهير!

صفيق وصفير الجماهير عندهم غاية .. يتشوّفون، ويستشرفون لها المنابر .. وتشرئبّ لها الأبصار والأعناق!

يخافون ويهابون الجماهير .. وغضب الجماهير .. وأن ترجمهم الجماهير .. أكثر من غضب رب العالمين .. ويستشرفون رضا الجماهير أكثر من رضا رب العالمين.

يعصون الحق من أجل الجماهير .. وعيون ورغبات الجماهير .. فمرضاة الجماهير ـ عندهم ـ مقصد من مقاصد الفقه والدين .. وقد كذبوا!

قصائدهم دائماً في مدح الجماهير .. وفيما يطلبه الجماهير .. ويحبه ويميل إليه الجماهير .. وفيما يجتمع عليه الجماهير .. هؤلاء هم شيوخ الجماهير .. وهؤلاء ليسوا من خيار المسلمين .. وليسوا ممن قال عنهم النبي ﷺ: " طوبى لهم .. قِيل من هم يا رسول الله؟ قال: الذين يُصلحون إذا فسد الناس ".

* * * * *

574- الرجلُ الجبانُ الضَّعيف!

الرجل الجبان الضعيف .. هو الذي تهزمه مشاكل الحياة خارج البيت .. فيضعف في مقاومتها ومواجهتها .. فيفشُّ جام غضبه وانتقامه في مسكينته التي تنتظره في البيت ـ على أحر من جمر ـ وكأنها هي سبب مشاكله وفشله وعجزه!

هو الذي يخفض ـ مكرهاً ومرغماً وضَعفاً ـ جناح الذل من الرحمة للناس خارج البيت .. مُطأطئ الرأس والهامَة .. خافض الصوت والبصَر .. يوزّع البسمات ـ تكلّفاً ـ على الجميع .. يتملّق ويطري الجميع .. بما فيهم وبما ليس فيهم .. وإذا خاطَبَ جربوعاً من الجرابيع قال له: يا سيدي .. فإن دخلَ على مسكينته في البيت .. تنفَّس الصَّعَداءَ .. وهاجَ وماجَ .. وانتفَخَ .. وصَخَب .. وارتفع صوته .. وضغطه .. وترطقت شفتاه ورجفت .. كجمَلٍ هصور هائج لا يقف لغضبه وهيجانه شيء .. وتناثرت شظايا رذاذات لعابه من الغضب ـ يُمنةً ويُسْرةً،

وفي كل حدبٍ وصَوب ـ كأنها رصاصات قاتلة .. لينتقم من ذله خارج البيت بإذلال وقهر من تحته داخل البيت .. وكأنها هي سبب ذله ومعاناته خارج البيت .. عساه ـ كما يُخيّل إليه ـ أن يسترد بعض ما سُلِب من كرامته وعزته خارج البيت!

هذا هو الرجل الجبان الضعيف .. وهم ليسوا قلة في هذا الزمان!

* * * * *

575- لا تَتَزَبْزَبْ قبل أن تَتَحَصْرَم!

من الناس مَن يطيب له أن يَتزَبزب ويُصبح زبيباً قبل أن يَتحَصْرَمَ ويمر بمرحلة الحصْرَمَة .. فيُطالب مَن حوله بأن يُخاطبوه بعبارات المشيخة والتفخيم والتعظيم والأستذَة وهو دون تلك الألقاب بكثير .. وهو لا يزال طويلباً في مرحلة الحصْرَمَةِ والنشوء .. ولكي يُقنِع من حوله أنه أصبح زبيباً ـ يستحق لقب الزَّبيب ـ فهو لا يتورع من الإفتاء والخوض في المسائل الكبار .. والتوقيع عن رب العالمين فيما ليس له به علم .. ولا أهل .. ثم الويل ـ بعد ذلك ـ لمن يتجرأ على ذكر اسمه من دون أن يُقدم بين يدي اسمه أو من بعده .. بعبارة الشيخ أو العلامة .. إذ سرعان ما تُراه يغضب ويتكلم عن أدب التعامل والتخاطب مع العلماء!

ومن عادتي أنني ـ أحياناً ـ أمازح بعض الإخوان فأخاطبهم بعبارة "شيخ فلان أو الشيخ أبو فلان"، إلا أنني مرة ناديت أحدهم باسمه مجرداً عن لقب الشيخ .. فنظرَ إليَّ نظرة غضب وتعجب واستنكار، وكأنه يقول لي: أنسيت أنني أنا الشيخ فلان ...!

فقلت لنفسي: هذا ممن يريد أن يتزبزب قبل أن يَتَحَصْرَم .. فلا تُعنه على ذلك .. ولا ينبغي أن يُعَان على ذلك .. حتى لا يصدّق أنه زبيبٌ وهو في حقيقته لا يزال حصرماً!

ما أكثر الزبيب المغشوش في زماننا .. الذي لا يعدو الحصرمَ حقيقةً وقَدْراً ومكانةً!

* * * * *

576- الشَّجَاعة والعَقل.

إذا انفردت الشجاعة بصاحبها أوردته موارد الهلَكَة .. وإذا انفرد العقل بصاحبه أورده موارد التردد والإحجام في موضع يُستحسَن فيه الإقدام .. وأخَّره عن مواكبة القافلة وهي تسير .. ورمى به في الحفر ذليلاً مخذولاً!

والكمال في أن تؤاخي الشَّجاعةُ العقلَ، فتنصتُ إليه تارةً، وينصتُ العقلُ إليها تارة .. فإذا طغت الشجاعة عن حدها المحمود .. زَبَرَها العقلُ وألزمها الاعتدالَ .. وإذا طغى العقلُ عن حدّه المحمود .. زبَرَته الشجاعة وألزمته الاعتدالَ .. وجرَّأته على الاقتحام والإقدام .. وفي ذلك تتحقق المصلحة والسلامة معاً.

مصداق ذلك من سنة رسول الله ﷺ، قوله ﷺ:" ليس الشَّديدُ بالصُّرَعَةِ، إنما الشديدُ الذي يملكُ نَفْسَه عند الغَضَب "متفق عليه. ولا يملك المرء نفسه عند الغضب إلا إذا جعل من عقله كوابح لشجاعته، ولنفسه عندما تثور وتغضَب.

* * * * *

577- الغَضَب.

اعلم أن الغضَب ليس مذموماً على الإطلاق، ولا هو ممدوح على الإطلاق؛ إذ أن منه المذموم، ومنه الممدوح .. فالغضب في الباطل، ومن أجل الباطل، أو الذي يحمل صاحبه على الانتصار والانتصاف لحقه بالباطل .. والظلم والتَّعدي .. فهذا هو الغضب المذموم الذي نهت عنه الشريعة .. كما في الحديث أن رجلاً قال للنبيّ ﷺ: أوصني، قال ﷺ:" لا تغضَب "، فرددها مِراراً، قال:" لا تَغضَب "البخاري.

وقال ﷺ:" من قاتل تحت راية عُمِّيَّةٍ، يغضَبُ لعصَبَةٍ، أو يدعو إلى عصَبةٍ، أو ينصرُ عصبَةً، فقُتِلَ؛ فقِتْلَةٌ جاهليّة "مسلم.

وقال ﷺ:"مَنْ قُتِل تحت راية عُمِّيَّةٍ، يغضَبُ للعصَبَةِ، ويُقاتِل للعَصَبَةِ فليس من أمتي" مسلم.

إما إذا كان الغضبُ في الحق، ومن أجل الحق، والذي يحمل صاحبه على الانتصار والانتصاف للحق بالحق، من غير إفراط ولا تفريط .. فهو غضبٌ محمود، ومطلوب، وضروري لحياة الناس والأمم .. كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾الشورى:39. أي ينتصرون لحقوقهم ومظالمهم بالعدل، من غير ظلم ولا عدوان ﴿إِنَّ اللَّه لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ﴾البقرة:190.

وكان النبي ﷺ إذا ما انتُهِكَت محارمُ الله أشدَّ الناس غضباً لمحارم الله، كما في الحديث عن عائشة ﵂، قالت:" ما رأيت رسولَ الله ﷺ منتصراً من مظلمةٍ ظُلِمَها قط ما لم تُنتَهَك محارمُ الله، فإذا انتُهِك من محارم الله شيءٌ كان أشدهم في ذلك غضَباً ".

وقد خرَجَ رسولُ الله ﷺ ـ ذات مرة ـ على أصحابه وهم يختصمون في القدَر، فكأنّما يفقأ في وجهه حبُّ الرمان من الغضَب، فقال:" بهذا أُمِرتم أو لهذا خُلِقتُم تضربون القرآن بعضه ببعض، بهذا هلكَت الأمم من قبلكم ".

ومما جاء في صفات أصحاب رسول الله ﷺ أنهم لم يكونوا متحَزِّقين ـ أي متفرقين في كتل وجماعات ـ ولا متماوتين، وكانوا يتناشدون الشِّعرَ في مجالسهم، ويذكرون أمرَ الجاهليّة، فإذا أُريد أحدٌ منهم على شيءٍ من أمرِ الله دارت حماليقُ عينيه كأنه مجنون!

ما أحوجنا في هذا الزمان إلى هذا النوع من الغضَب ـ الذي يعمل الطغاةُ على قتله في الأمة، وفي الشعوب ـ تتحصَّل به الحقوق .. ويُذادُ به عن الحرمات .. ويُحِقُّ الحقَّ، ويُبطِل الباطلَ .. وتعود للأمة ـ بإذن ربها ـ عزتها وكرامتها.

* * * * *

578- ذكورٌ أم أزواج؟!

من الرجال من يفهم الزواج ويتعامل معه كنزوةٍ وشهوة .. وسطوة .. ثم بعد ذلك يمضي؛ لا يُبالي لحقوق ولا لواجبات شرعها الله تعالى .. ومنهم من يزيد على ذلك .. فيستعمل ويستخدم زوجته في الخارج عند الأجانب لتأتي له بالمال، وتنفق عليه، وعلى بيته .. فهي بالنسبة له لا تعدو عن كونها مشروعاً استثمارياً ربحه يغلب خسارته .. وإن كان لها مال أو يأتيها ـ وأبناءها ـ مال من جهة من الجهات .. يسطو عليه بحجة القوامة .. وأن التي تحته لا حرية لها في مالها ...!

وهؤلاء ذكران .. وليسوا أزواجاً!

* * * * *

579- ظاهرة القراءة في المجتمعات العربية.

ظاهرة القراءة والإقبال على القراءة في المجتمعات العربية تُوصَف بأنها ضعيفة قياساً إلى غيرها من المجتمعات .. وذلك ـ من وجهة نظرنا ـ لأوجه عدة:

منها: غياب الثقافة والبرامج، والمحاضن التربوية التي تُعزّز قيمة وأهمية القراءة في نفوس الأبناء والأجيال، ومنذ مراحل الطفولة.

ومنها: عدم الاهتمام الرسمي الحكومي ـ ووسائل إعلامه ـ بتعزيز ثقافة القراءة لدى الناس .. ربما لأن القراءة تفرز أجيالاً مثقفة واعية ـ صعبة الميراس ـ يصعب اقتيادها والضحك عليها من قِبل حكومات جاهلة متخلفة.

كان إذا داهم الطغاة منازلنا .. كان همُّنا كيف نخفي الكتبَ عن أعينهم .. حيث كان أول ـ وأكثر ـ شيء يستدعي منهم التوقف، والتدقيق، والمساءلة .. الكتب .. إذا وجدوا في المنزل كتباً؟!

ومنها: سوء الوضع الاقتصادي .. وسياسة التجويع التي يسلكها الطغاة مع الشعوب، والتي تجعل الإنسان العربي مهموماً ومشغولاً ـ طيلة وقته ـ في كيفية تأمين قوت يومه وأطفاله .. وأنَّى لجائع .. يتضوّر حوله أطفاله الجياع .. أن يهتم بالكتاب، وبشراء الكتاب، ومن ثم يجد لنفسه الفرصة للقراءة!

ومنها: انعدام وجود الحد الأدنى من الحرية والأمان .. الذي يسمح للكتّاب والمؤلفين بالإبداع، وأن يواكبوا ـ في مؤلفاتهم وموضوعاتهم التي يتناولونها ـ حاجيات واهتمامات ومشاكل الناس .. وهذا بالتالي يُؤدي إلى فقدان ثقة الناس بالكِتَاب، والكتَّاب، وما يكتبه لهم الكتَّاب .. فيضعف إقبالهم على الكتَاب .. ويضعف ـ مع ضعفهم هذا ـ الإقبال على القراءة!

في كثير من الأحيان ـ كما في الأنظمة الديكتاتورية المتخلفة ـ يُعاقَب الإنسان العربي لكونه مثقَّفاً واعياً أو قارئاً جيداً .. فيضعون بجوار اسمه نقطة سوداء، ويُصبح ـ وكل من يقترب منه ـ مشبوهاً .. ومراقَباً .. وهذا أيضاً من جملة الأسباب التي تحمل الناس على العزوف عن القراءة، والاهتمام بالقراءة!

كيف تريدون إنعاش ظاهرة القراءة في مجتمعات، يرى الشباب فيها في الجهل والعزوف عن القراءة السلامة من ظلم واختطاف الطغاة لهم .. وأن في القراءة .. وطلب العلم .. تهمة لهم قد يُؤخذون عليها بالنواصي والأقدام؟!

كثير من الشباب العربي يَعزف عن القراءة .. وبخاصة القراءة الراشدة النافعة .. ليمارسوا عادات تافهة خاطئة .. بحجة أن القراءة تُجلب لهم وجعاً في الرأس .. وتعرضهم لمشاكل هم بغنى عنها!

كيف تريدون إنعاش ظاهرة القراءة في مجتمعات؛ الحكومات فيها تخاف من الكتَاب الراشد النافع أكثر مما تخاف من كتيبة دبّابات تستهدفها .. وتحاربه ـ وتحارب صاحبه ـ كما لو أنها تحارب عدواً يغزوها بجيش وسلاح ..؟!

كم من موقع الكتروني ملتزم بالكلمة النافعة .. يُثري الثقافة ويمدها بحبل من القوة والحياة .. محجوب عن الشعوب في بلادنا .. وكم هي عدد الكتب التي يُمنَع من دخولها إلى بلادنا .. ربما إدخال المخدرات أهون وأسهل، وأقل حرجاً على صاحبها من إدخال تلك الكتب والمؤلفات؟!

كم من شاب دخل أقبية سجون الطغاة لسنوات طوال .. وفقد سنوات شبابه وعطائه في غياهب السجون .. بسبب اقتنائه لكتَاب ـ وأحياناً لمقال ـ لا يروق للطاغية ولا لمخابراته .. هذا فيمن يقتني الكِتاب .. فكيف بالكاتب ذاته؟!

أن يُكتَب في البقالات والمطاعم .. ممنوع التدخين .. فهذا أمر نتفهَّمه .. ونتقبَّله ونستحسنه .. أمَّا أن يُكتَب فيها ممنوع الحديث بالسياسة والدين .. فهذه مشكلة تستدعي الدراسة والمعالجة من قِبَل ذوي الشأن والاختصاص!

هذه الأسباب بمجموعها لها دور في ضَعف ظاهرة القراءة في المجتمعات العربية .. وضعف إقبال الإنسان العربي على القراءة .. ولمن يريد أن يعالج هذه الظاهرة .. يجب عليه أن يُعالج هذه الأسباب أولاً .. وإلا سنظل دهراً نتكلم عن مرض الظاهرة من دون أن نضع لها العلاج النافع!

* * * * *

580- حِكَمٌ جادَ بها الخاطِر.

هذه بعضُ الحِكَم والفوائد جادَ بها الخاطرُ على غير ميعاد ولا اتفاق، فأقول ناصحاً:

من يجهل التاريخ، لا يفقه الواقع، ولا يُحسِن التخطيط للمستقبل.

مَن لا يعرِف الشرَّ يقع فيه .. ومَن يجهل الحقَّ يُعاديه .. ومن لا يُخالِط الناسَ لا يعرفهم.

لا تحكم على الناس من مظاهِرهم .. وإنّما من أعمالِهم.

تُعرَفُ قيمةُ الأشياء بمعرفة أضادها.

من لا يثق بنفسه لا يمكن أن يثق بالآخرين.

لا راحة ولا تقاعد للمسلم إلا في قبره.

لا تقل قد كبرت على العلم، فالعلم يُطلَب من المهد إلى اللحد.

اثنان لا يتعلمان: متكبر، وخجول.

من أفرطَ في الظنِّ أفسد عليه مَن حولَه، ومَن اجتنبَ كلَّ الظن سهل لدغه.

الصاحب ساحب .. فانظر من تُصاحِب .. وقل لي مع من تمشي أقل لك: من أنت.

مَن أكثَرَ العِتَابَ، خَسِرَ الأصحابَ.

ليس بصاحِبٍ من كان سريعَ الانقلابِ والتَّغيُّرِ على صاحبه .. إنما الصاحبُ من أدام الصحبةَ، وأحسنَ إقالة العثرات، والتأويلِ لها.

الكرَم يُكثّر الأصحابَ، والبخلُ يكثّر الأعداء.

اتَّخِذ لنفسك في كل مدينةٍ وقريةٍ بيتاً؛ وذلك باتخاذك من كل مدينة وقرية صديقاً وفيّاً.

البخيلُ إذا وجدَ مَن يَدفنه، فهو محظوظ.

ما أنفقتَ في سبيلِ الله فهو الباقي، وما ادَّخرتَ وأمسكتَ فهو الفاني.

ثلاثة لا تستشرهم: البخيل، والجبان، والكذّاب.

ليست المشكلة في أن تقع، لكن المشكلة في أن لا تنهض من وقعتك.

لا تتعاجَز فتعجَز، ولا تتمارَض فتمرَض، ولا تتجاهل فتجهل، ولا تتَكاسل فتكسَل، ولا تتناوم فتنَم .. ولا تتواكَل فتندَم.

لتكن أمورك كلها وسَطاً؛ من غيرِ إفراطٍ ولا تَفْرِيط.

لا تُفرِط في الهمّ والحزنِ .. فما تحزَن عليه اليوم تنساهُ غداً .. وما أهمَّك اليوم يُفرَجُ غداً، بإذن الله.

إذا خُيرت بين أمرين فاخترْ أقربهما إلى الحق، فإن استويا في القرب من الحق، فاختَر أيسرهما.

السَّفيهُ مَن لا يُحسِن تقديرَ عواقب الأمور .. ولا الموازنة بينها .. فيضع الأمورَ في غير موضِعها الصّحيح .. ويُفسِد على نفسِهِ أبواب الخيرِ المُشْرَعَة إليه.

تفاءل بالخير .. وتطلّع إليه .. واسعَ نحوه .. تجده بإذن الله.

أنت والهدَف الذي تضعه لنفسك، وتسعى إليه؛ فإن كان الهدف وضيعاً تبقى وضيعاً، وإن كان الهدف كبيراً وعظيماً ـ تُصبح بإذن الله ـ كبيراً وعظيماً.

إذا ألِفتَ النَّومَ بين الحُفَر .. يَصعبُ عليك صعودُ الجبال.

على قَدْرِ العزمِ تأتي العزائمُ .. وعلى قدر الهِمَّة تصغرُ المهمَّة .. وعلى قدر المأونة تأتي المعونة .. وعلى قدرِ البلاء يتنزّل الصبر .. وأجملُ الصبر عند الصَّدمةِ الأولى .. والصبرُ كله جميل.

من تَعِب في الصّغَر استراحَ في الكِبَر .. ومن استراح ولَهَا في الصِّغَر تعِبَ في الكبر .. وما تزرعه في الصّغر تحصده في الكبر.

من تمكّن اليأس منه، حكَم على نفسه بالإعدام.

لا تقلْ تأخرت، قد فاتني قطار الحياة .. فلئن تصل متأخراً خير من أن لا تصل أبداً.

مَن يستَسْهِل الصَّعبَ يَسْهُل عليه، ومَن يَسْتصعب السَّهلَ يَصعب عليه.

أن تعيش عاصياً ثم تموت على توبة، خير من أن تعيش طائعاً ثم تموت على معصية.

مهما كان العمل كبيراً، بدايته خطوة .. فابدأ هذه الخطوة، ولا تُكثِر من التردد.

يوجد مهندسون ومصلحون للطرق والمباني، والعمارات، والأشياء .. أشرفهم الذين يهندسون ويُصلحون العقولَ والسلوكَ؛ وهم العلماء.

مَن ناظرَ في مجلِسِ ريبةٍ، كتمَ الحقَّ، وأعانَ على ظهورِ الباطلِ.

من لا يأنَس بالله .. لا يأنس بشيء .. ومن لا تعظُهُ كلماتُ الله لا يَعِظُه شيء.

قلبٌ لا يَذكرُ الله، قلوبُ الوحوشِ خيرٌ منه.

مَن كان يخافُ اللهَ، لا تَخَفْ مِنه.

الإلحاد يُورِث الخوفَ والقلَق .. والركون إلى الدنيا يورث الذل .. والسكوت عن الحق يُورث الطغيان .. ومسألةُ الناسِ تُورِثُ الفقرَ .. والجَهل يُورِثُ كلَّ عيب.

كما لا تغفل عن غذاء جسدك، فلا تغفل عن غذاء روحك، وعقلك.

من جعل من يومه ساعة للرياضة، وصام من أسبوعه يومي الإثنين والخميس، لا يعرف المرض سبيلاً إلى جسده، بإذن الله.

لا تغفلْ عن القراءة .. ولا عن التفكّر .. فيضمر عقلُك.

لا تنسَ الله، وأنت الفقير إليه .. فينساك وهو الغني عنك.

إن غلبتك نفسك على المعصية، فاغلبها أنت على التوبة والاستغفار.

لا تُرضِ الناسَ بسخطِ الله، ولا تعمّر دنيا غيرك بخراب آخرتك .. فالمجنون هو الذي يفعل ذلك.

مرضاةُ الناس غاية لا تُدرَك، فلا تُهلِك نفسك ووقتك في طلبها.

لو خفتَ الخالِقَ، لما خفتَ المخلوقَ .. والخوفُ من المخلوقِ من خوارِم الدين والإيمان.

اعتبارُ الأسبابِ عَقلٌ ودِينٌ .. وتعلّقُ القلبِ بها شِركٌ يُنَافي اليقين.

ليست الشَّجاعةُ في أن تُلقي بنفسَك إلى التَّهْلُكَةِ .. ومِن غيرِ طائلٍ يُذكَر .. وإنما الشجاعة والبطولة في أن تنالَ من العدوّ أكبَرَ قدْرٍ ممكن قبل ـ أو من دون ـ أن ينالَ مِنْك.

ليس بحكيمٍ من لا يُعاشِر بالمعروف والمداراة، ممن لا بد له من معاشرتهم .. إلى أن يجعلَ الله له فرجاً ومخرَجاً.

لا تُصاحِب لجوجَاً، ولا سريعَ العطَبِ والإنقلاب؛ فإنه سرعان ما يهجوكَ، وينسى فضلك.

في قتال الفتنة اتَّخِذ سيفاً من خشَبٍ .. وكن ابنَ آدم المقتول لا القاتل.

مَن أفشَى سِرَّه للآخرين، أصبح مملوكاً لهم.

مَن حافظ على سِرِّه، كان سيدَ نَفْسِه.

المؤمن يخاف من معصيته أكثر مما يخاف من عدوه.

إن هانت عليكَ حسناتك، فاهجُ قبيلةً بأكملها.

إذا أردت أن تزداد من الله قرباً، فازدَدْ من السلطان الظالم بعداً.

مَن كثَّرَ سوادَ الظالمين فهو منهم .. ومَن وقّرَ صاحبَ بدعةٍ، فقد أعان على هدم الإسلام من حيث لا يدري.

الصغائر ـ مع الاستخفاف ـ بريد إلى الكبائر، والكبائر ـ مع الاستخفاف ـ بريد إلى الكفر، والكفر بريد إلى النار.

مَن تدخَّل فيما لا يعنيه، طاله ما لا يُرضِيه .. ومن أتى الأشياء من غير أبوابها أفسدها، ورُجِم، ولو كان من الصادقين.

إذا أردت أن يحترمك الناسُ فاحترمهم .. وإذا أردت أن يُكرموك فأكرمهم .. وإذا أردتَ أن يفتحوا لك أبوابَهم .. فافتَحْ لهم بابَك.

تواضَع للحقِّ، ولو جاءكَ من صغير .. يرفعك الله.

الجماعةُ ما وافق الحق، ولو كنتَ بمفردِك.

لا يُعرَفُ الحقُّ بموافقة كثرة أو قِلّة، وإنما يُعرَفُ بموافقة الكتاب والسُّنَّة.

الحقُّ يُؤخَذ ولا يُستجْدَى .. واستجداءُ الحقِّ امتهانٌ له، واعترافٌ بشرعيّة الباطلِ، وبسيادته على الحق.

الاعترافُ بشرعيَّة الباطلِ، باطلٌ .. وهما في الوزرِ سواء.

الاستجداءُ كلُّه مذمومٌ .. أسوأه استجداءُ الشّعوبِ حقوقها من الطغاة الظالمين.

ما أُخِذَ بالقوَّة لا يُستردُّ بالاستجداءِ، والإرتماء على العتَبَات.

ضريبة العِزَّة مهما تعاظَمَت فهي أقل بكثير من ضريبة الذُّلّ .. والشيطانُ يُحاولُ دائماً أن يُظهِرَ العكسَ.

تسَلّط الطغاةِ من ذنوبِ شعوبهم .. وأيما شعب يريدُ أن يتحرَّرَ من هيمنة الطُّغاةِ، عليه أن يتحرَّرَ ـ أولاً ـ من الذنوب التي مكَّنَت للطغاة.

العفو عندَ المقدرة مِنَّةٌ، وشَرفٌ، وعِزٌّ .. والعفو عندَ الضَّعفِ والعجزِ ذِلٌّ وخزي.

الكلمة الطيبة .. والبسمة الصادقة .. خيرٌ من صَدقةٍ يتبعها أذَى.

الحبُّ الصادق المخلص مفتاحٌ للقلوب المؤصدَة.

عقوبة العاق لوالديه أقرب إليه من شِراكِ نعلِه.

عاقبة الظالم وخيمة .. ومحتّمَة .. ولو بعد حين!

إنْ خُيّرتَ بين أن تكون ظالماً أو مظلوماً ـ ولا مناص لك من الاختيار ـ فكُنْ عبدَ الله المظلوم، فهذا خيرٌ لك.

فأنت تساوي وقتك، ووقتك يُساويك .. ويحدد قيمتَك.

عندما تبيع وقتَك للآخرين، يعني أنك تبيعُ نفسَك للآخرين.

قد أعزَّك الله بالتوحيد، فلا تذلّ نفسكَ بالشّرك.

القناعة كنز لا يفنى، ولكي تُحافظ عليه فانظر إلى من هم دونك في النّعَم.

حافِظ على النِّعَم بشكرِها، وشكرُها يكون من جنسِها.

كما لا تسمح أن يُقذَف في بطنك رديء الطعام، فلا تسمح أن يُقذَف في رأسك رديء الأفكار.

من أدمنَ النَّظر إلى مُستقبَح، فسُدَ عليه مزاجه.

مَن هانَ عليه الاعتذار .. لا تُشارِكْهُ في عمَلٍ.

مَن كَثُرَت طلباتُه وتعلّلاته، قَلَّت أعمالُه، وضَعُفَ عطاؤه.

مَن سرّته السيئة، وساءته الحسنة، فهو من أموات الأحياء.

لا تدَعْ الحقدَ يستولي عليك، فيمنعك من إنصاف الحق، والإنصات إليه.

الوقاية خير من العلاج، ومن قبل قيل: درهمُ وقاية، خير من قنطار علاج.

درهَمٌ يُنفَق عن فقر وحاجة، يسبقُ مائة ألف درهم يُنفَقُ عن غِنى.

يطلبُ الناسُ العُلا عن طريق الاقتداء بالقادة والعظماء، فأنت اجعل مُحَمَّداً ﷺ أسوتك وقدوتك تعلوهم جميعاً.

الطاعةُ صبرُ ساعةٍ، والمعصية ذلٌّ إلى قيامِ الساعة.

أقصَرُ الحبالِ ـ مهما بدا طويلاً ـ حبلُ الكذِب .. وأضعَفُ الحبالِ ـ وإن بدا متيناً ـ حبلُ الكذب .. وعاقبةُ الكذبِ وخيمةٌ، ولو بعد حين.

ما انتصَرَ عبدٌ بالكذبِ إلا وهُزِم .. وما انتصَرَ عبدٌ بالصِّدقِ إلا ونصَرَه الله.

يأبى اللهُ أن يَضع القبولَ في الأرضِ إلا لأوليائه المخلصين .. والمنافق مهما تجمهرَ حوله ـ في مرحلة من المراحل ـ المتجمهرون، وتكاثروا، فمآله إلى بغضٍ وسخط.

اللصوص كُثُر، وهم أنواعٌ .. أسوأهم الذين يكتمون الحقَّ؛ فلا يبينونه للناس.

صنفان من الناس إذا فسدا، فسدَ الناسُ، وإذا صلُحا، صلُحَ الناسُ: العلماءُ، والأمراء.

الولاية تتحقّقُ بتحقيقِ المتابعةِ للسنَّةِ، والجهادِ في سبيل الله، والإخلاص .. فمن نشد الولايةَ عن غير هذه السّبُلِ، فهو ضالٌّ .. ونجومُ السماء أقربُ إليه منها!

المذهبُ الصَّحيح في اتباع الدليل الصَّحيح .. ومَن تديَّنَ بزلات أهلِ العلمِ تَزَندَقَ، أو كَاد.

جُعِل لك أُذنان وفَمٌ واحد، لتستمع أكثر مما تتكلم .. فأنصِف أذنيك ـ وآذانَ من حولك ـ من فِيك .. واعلم أن مَن كثر كلامُه كثر لغطه وخطؤه.

لا تستر عيوبَك بمحاسن آبائك .. ولا تقل كان أبي، وقل ها أنذا.

لا تذلّ نفسَكَ باستشرافِ البلاء، لكن إذا نزلَ بساحتك فاصبر، واسأل اللهَ العافيَةَ.

ليس الماهر الذي يسعد بالسعادة، وإنما الماهر الذي يجعل من حالات الشقاء والبلاء سعادة.

كثيرون هم الذين يُبدِعون الشَّقاء، وقليلون هم الذين يُبدِعون السَّعادة.

كيف تسْعَد، وكيف تُحدِث من لا شيء سعادة .. فنٌّ لا يُتقنه إلا المهرَة المبدعون.

الحقودُ لا يعرف طعمَ الراحة والسَّعادة، ولو اجتمعت له أسبابُ السعادة كلها.

مواجهة الخطأ، خير من الهروب منه، وعدم الاعتراف به.

من علامات سوءِ الطويَّة، عدم الاعتراف بالخطأ .. والخطأ يَصْغرُ مع الاعترافِ به، ويَكبرُ مع إنكاره وجحودِه.

مَن رَضي شيئاً كان كفاعلِه، وإن لم يَشْهَدْهُ .. فاحذَر أن تقع في الذنوب والمعاصي، وتكسَب أوزارها، لمجرد رِضاكَ بها.

يُحشَرُ المرءُ مع من أَحَبَّ .. فاحرِصْ أن لا تُحِب من تُسيئكُ جيرتُه يوم القيامة.

الفراغ داءٌ، إن لم تقتله بما ينفَع، قتلَك بما هو ضار.

نوِّع في حياتِك .. يتنوَّع عطاؤك، ويتجَدَّد.

لا تطْلُب النِّزالَ فتُهْزَم .. لكن إذا دُعيتَ إليه فترَجَّل.

إذا اجتمع فيك فراغٌ، ومال، وصحّة .. اجتمعت عليك شياطين الأرض.

إذا داهمتك الشهوات، فاهزمها بذكر الموت؛ هازم اللذات.

تأمَّلتُ الشَّهواتِ التي يُؤتَى منها الإنسانُ، فوجدتُ أشدَّها عليه شَهْوة حُبِّ الشَّرفِ والرِّياسَةِ والزَّعامة .. ولا يَسْلَم منها إلا من سلَّمه الله.

لا تدَعْ عملَ اليومِ إلى غدٍ، فقد لا تعيش إلى يوم غد .. واعلم أن للّيل أعماله، لا يُقبَل أن تُؤتَى في النهار، وأنَّ للنهارِ أعماله لا يُقبَل أن تُؤتَى في الليل .. وأحبُّ الطّاعاتِ إلى الله تعالى أدومها .. والتي تُنجَز في وقتها.

علاقَةُ العبدِ مع ربّه قائمة على الرّضا المحض .. والاستسلامِ المحض .. بينما علاقته مع عباد الله؛ منها القائم على الرضا، ومنها القائم على السخط والبغض، بحسب قربهم من مرضاة الله، أو بعدِهم، وبحسب موافقتهم لمرضاة الله أو مخالفتهم.

التأسّف عن فعلِ الله اعتراضٌ، وتعقيبٌ، ومنافاة للعبودية .. وخروجٌ عن الأدَب .. والتأسّف عن فعلِ العباد، فحقه حقٌّ، وباطله باطل.

التأسّف عن الحق؛ تجريمٌ للحقّ وتقبيحٌ له .. وإحقاقٌ للباطل وتحسينٌ له .. يفعلُ ذلك من كان على حقٍّ ثم تأسَّف عنه.

لو اطَّلعت على الغيبِ لرضيتَ بالواقِعِ، واستكثَرتَ منه .. فلا تسخطَنَّ بلاءً نزلَ بساحتك، لا تدري الحكمةَ منه .. قد يجعلُ اللهُ لك فيه خيراً كثيراً.

كم من حرَكَةٍ تكرهها؛ لمخالفتها للمألوف .. ثم بعد ذلك ترضاها، وتحمد الله عليها ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾البقرة:216.

صَلِّ كمودّع .. واعمَل كمودّع .. ونَمْ كمودِّع .. وعِش حياتك كلها كمودِّع .. تسلَم في دينك، ودنياك، وآخرتك.

لا شيء يُكثّر الحسَنات كحُسنِ النيّة، والإخلاص.

مُتابعة النيَّة ومراقبتُها أشدّ على الصّالحين من إزالة الجبال[3].

* * * * *

581- ناسٌ لا تستطيع أن تحبَّهم.

من الناس من لا تستطيع أن تُحبَّه، ولا أن تُقبل عليه؛ فهو إن أحببته وأقبلت عليه أدبر ونأى عنك، وإن أدبرت ونأيت عنه، أقبل عليك .. وهو ـ إن كنت تحبه ـ عذاب لك في الحالتين: في حالة الإقبال والإدبار سواء .. لأن النتيجة إما أن تُدبر أنت أو يُدبِر هو .. وأي حب أتعس من حبٍّ تكون نتائجه في جميع أحواله الإدبار والإعراض .. وهذه الخصلة وإن كانت موجودة في بعض الرجال إلا أنها في النساء أكثر!

ما أسهل أن نتعلم كيف نكره .. وكيف نُدْبِر .. وما أصعب أن نتعلم كيف نحب، وكيف نُقْبِل!

* * * * *

582- في جسدي عدة جروح.

في جسدي عدة جروح، بعضها أشد وأوغر من بعض: جرح قديم جديد اسمه فلسطين .. وجرح آخر اسمه العراق .. وجرح آخر اسمه سورية الجريحة .. وجرح آخر في القارة السمراء اسمه الصومال الجريح .. والسودان

---

[3] أضفنا إلى هذه الحكم حكم وفوائد أخرى جمعناها في كتاب مستقل، أسميناه " بستان الزهور، حكم وفوائد جاد بها الخاطر "؛ وهو من مجلدين .. ولله الحمد والمنة والفضل..

المستضعَف والمحاصر، والمؤامرات التي تُحاك ضده لتقطيع أوصاله .. وجرح آخر في البلقان والقوقاز اسمه الشيشان والبوسنة والهرسك .. وجرح آخر اسمه أفغانستان وكشمير .. وجرح آخر اسمه طغاة الحكم والكفر والظلم والفساد في بلاد المسلمين .. وجرح آخر اسمه الأسرى من المسلمين والمسلمات المغيبين في غياهب سجون وزنازين الطغاة الآثمين .. ثم بعد ذلك أجد في قلبي حنيناً قديماً وشديداً للأندلس السليبة.

وفي كثير من الأحيان تختلط دماء وآلام الجروح بعضها مع بعض حتى بِتُّ غير قادر على تمييز جرحٍ عن آخر، ودم جرح عن آخر كأنها أصبحت جرحاً واحداً .. ونزيفاً واحداً، ودماً واحداً.

ثم لو أردت أن أنصرف لأنشغل بجرح من تلك الجروح .. صاحت بي بقيّة الجروح لا تسهو عنا .. النزيف لا يزالُ مستمراً .. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

اللهم إليك أشكو ضَعفي وقِلّة حيلتي، وهواني على الناس .. فإن لم يكن بك علي غضَب فلا أبالي ...

583- لا تَتخلّوا عن التَّكْفِير.

أعني بالتكفير؛ التكفير الشرعي من غير غلوٍّ، ولا جنوح إلى إفراطٍ أو تفريطٍ، فهذا التَّكفير إن صادف أعيانه لا تتخلوا عنه، لما يلي:

أولاً: لأنه حكم الله تعالى، والعباد لا بد لهم من أن يحكموا على الأشياء بحكم الله تعالى.

ثانياً: لأن التّكفير سبب يُعين على التمايز بين المؤمنين والمجرمين، وإحياء عقيدة الولاء والبراء .. فهو بذلك سبب لواجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

ثالثاً: فيه تنبيه للغافلين من المؤمنين على حقيقة وخطورة الشخص أو الأشخاص الذين حُكم عليهم بالكفر.

رابعاً: لأن التكفير يُغيظ الطواغيت الآثمين، وأذنابهم وأبواقهم من المنافقين المتزلفين .. وإغاظة هذا الفريق من الناس مطلب من مطالب الشريعة، كما قال تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾الفتح:29.

* * * * *

584- البديل عن الأسرة.

لمّا حاربوا قِيَم الأسرة، والحياة الزوجية الآمنة الدافئة .. كان البديل عند هؤلاء القوم هو صخبُ الشَّوارع، والبارات .. التّسافد ـ كالبهائم ـ في الأزِقّة والأسواق .. غلبة أبناء الحرام على أبناء الحلال .. فلا الأبناء يعرفون آباءهم ولا الآباء يعرفون أبناءهم .. فُشُو الأمراض القاتلة التي لم يكن يعرفها سلفنا من قبل .. فُشو القلَق، والكآبة، والأمراض النفسية .. غياب الاستقرار النفسي، والحب الحقيقي .. وفُشو الغدر والخيانة .. لأن

الكل يبحث عن إطفاء الغريزة .. وبأي طريقة كانت .. إذ لا هم لهم إلا ذلك .. فأنّى لهؤلاء أن يعرف الوفاءُ والإخلاصُ إلى نفوسهم سبيلاً.

ومع ذلك فريق كبير من بني قومي في بلاد العرب والمسلمين لا يتعظون .. إذا تراهم يسيرون كالمجانين وبخطا سريعة نحو هذه النتائج المدمرة لجميع مظاهر الحياة الأسرية والاجتماعية، صدق رسولُ الله ﷺ إذ يقول:" لتَتَّبعنَّ سننَ من قبلكم شِبراً بشبرٍ، وذراعاً بذراعٍ، حتى لو سلكوا جحر ضبٍّ لسلكتموه، قلنا: يا رسولَ الله، اليهود والنَّصارى؟ قال: فمَن "؛ أي من يكون غيرهم ....؟!

* * * * *

585- الإملاءُ للكافر.

كثير من الناس يظن أن الغِنى الفاحِش الذي يتمتع به الكافر .. والفقر الذي ينزل بساحة المؤمن علامة على سعادة الأول وشقاء الآخر، وعلامةٌ دالة على رضى الله تعالى عن الأول، وسخطه على الآخر!

وهذا خطأ من أوجه:

منها: أن الإملاء بالمال والنّعم على الكافرين وهم مقيمون على كفرهم، يكون للاستدراج، وليزدادوا إثماً على إثم، وظلماً على ظلم، حتى إذا أخذهم الله تعالى يأخذهم أخذة عزيز مقتدر .. لينالوا جزاءهم الأوفى يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾آل عمران:178. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾الإسراء:16. هذا في الدنيا قبل الآخرة، وغير الذي ينتظرهم في الآخرة.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾؛ فيُفتنون في دينهم، فيجتمعون على الكفر، فيحسبون هذا الإملاء والاستدراج للكافرين بالمال والنعم علامة على استحسان ما هم عليه من كفر وضلال ﴿لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾الزخرف:33. وفي قصة قارون وطغيانه وما آتاه الله من الملك عبرة لمن أراد أن يعتبر.

ومنها: أن الكافر يُعطى على حسناته في الدنيا حتى إذا أفضى إلى ربه، فليس له إلا العذاب، كما في الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" إن الله تعالى لا يظلم المؤمن حسنة، يُعطى عليها في الدنيا ويُثابُ عليها في الآخرة، وأما الكافر فيُطعم بحسناته في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يُعطى بها خيراً ".

ومنها: أن الله تعالى يُعطي المال لمن يحب، ولمن لا يُحِب، أما الإيمان والآخرة فلا يُعطيهما إلا لمن يُحِب، كما في الحديث:" إن الله يُؤتي المالَ من من يُحِب ومن لا يُحِب، ولا يُؤتي الإيمان إلا من أحب، فإذا أحبَّ الله عبداً أعطاه الإيمانَ ". وقال ﷺ:" إذا أراد اللهُ بعبدٍ خيراً، فقهه في الدين، وألهمه رشده ".

ومنها: أن الله تعالى يحمي عبده المؤمن من الدنيا وفتنتها، كما يحمي أحدنا مريضه من الطعام والماء ليشفى، ففي ظاهر الأمر الحرمان، لكن في باطنه الخير والشفاء، والفوز بالنعيم المقيم .. فالله تعالى إذا أحب عبداً غار عليه من أن تفتنه الدنيا، فتشغله عنه وعن عبادته فيحميه منها، كما في الحديث:" إذا أحب اللهُ عبداً حماه الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه الماءَ ليشفى ". وفي رواية:" إن الله عز وجل يحمي عبده المؤمن من الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه من الطعام والشراب ".

وقال ﷺ:" ما طلعت شمس قط إلا بعث بجنبتيها ملكان يناديان، يُسمعان أهل الأرض إلا الثقلين: يا أيها الناس! هلمّوا إلى ربكم؛ فما قَلَّ وكفَى، خيرٌ مما كثُرَ وألهى ".

ومنها: إذا أحب الله عبداً ابتلاه، ثم أعانه على الصبر، ومن البلاء النقص في المال والثمرات، كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾البقرة:155.

وفي الحديث، قال ﷺ:" إذا أحب الله قوماً ابتلاهم، فمن صبر فله الصبر، ومن جزعَ فله الجزع ".

* * * * *

586- عندما يكونُ شاهِدُ الزُّورِ شَيخاً!

امرأةٌ ترعى أطفالها أحسنَ رعاية، وأحسنَ ما ترعى أمٌّ أطفالها .. تعطيهم من روحها ونفسها أكثر مما تُعطي نفسها .. يستطيع طليقها المنافق أن يأتي بطائفة من الشيوخ ـ بعضهم لحاهم تصل إلى سرّتهم ـ ليشهدوا معه شهادة زور، أمام المحاكم الوضعية .. بأنها تسيء معاملة الأطفال .. لينتزعوا منها أطفالها بغير حق .. ليس حرصاً منهم على رعاية وسلامة الأطفال .. فهممهم دون ذلك بكثير .. وإنما حرصاً على الفُتَات الذي يأتي باسم الأطفال!

وفي الحديث، قال ﷺ:" مَن فرَّق بين والدةٍ وولدها فرَّق اللهُ بينه وبين أحبَّته يومَ القيامَة ".

قلت: يا سبحان الله .. شيوخٌ يأمّون الناسَ في الصلاة .. تعلو جباههم أثر السجود .. يسعون لشهادة الزور من تلقاء أنفسهم .. ومن دون أن يُدعَوا إليها .. ليظلموا امرأة مسكينة في فلذات كبدها!

كيف لو كان لهؤلاء الشيوخ سطوة ودولة .. وكلمة .. لأعدموا ورجموا حينئذٍ أناساً أبرياء لا يعلم عددهم إلا الله باسم المشيخة والدين .. وليس وراء ذلك ـ على الحقيقة ـ إلا الكذب والزور .. والطمع ببعض حظوظ النفس، والدنيا!

أعلمتم الآن: لماذا إلى الساعة لم يمن الله علينا بدولة إسلامية .. تكون الكلمة فيها لأمثال شهداء الزّور هؤلاء؟!

* * * * *

587- الولدُ ابنُ لُغَتِه.

الولدُ ابنُ لغته أكثر مما هو ابن بيته أو أبويه؛ فمن كان يُحسِن العربية فهو عربي، وإن كانت أصوله أعجمية، ومن كان لا يُحسِن العربية فهو غير عربي وإن كانت أصوله عربية .. وينتمي لأبوين عربيين.

وبلاد الغرب التي تحررت من عِقدة العصبيّة للجِنس والعِرق، والقومية ـ في زمنٍ اختلطت فيه الأعراق والأجناس ـ أدركت هذه الحقيقة، فتراهم يُجنّسون ويُوطِّنونُ من يُحسِن لغتهم، وبخاصة إن كان يجهل لغته الأم، لإدراكهم أن المرء ـ في النهاية ـ هو ابن لغته .. وأن اللغة هي التي ستشكل عقيدته، وأفكاره، وثقافاته، وعاداته، وشخصيته، وتحدد انتماءاته وولاءاته.

وفي الحديث الضعيف:" يا أيها الناس إنَّ الربَّ واحدٌ، والأبُ واحدٌ، وليست العربية بأحدكم من أبٍ ولا أمٍّ، وإنما هي اللسان، فمن تكلم بالعربية فهو عربي ". والحديث وإن كان ضعيفاً إلا أن معناه ولفظه قد جريا على لسان السلف الصالح.

قال ابن تيمية:" هذا الحديث ضعيف، لكن معناه ليس ببعيد، بل هو صحيح من بعض الوجوه ".

* * * * *

588- يوم عاشوراء يوم فألٍ.

يوم عاشوراء من شهر محرم يوم فألٍ للمستضعفين المظلومين .. فيه نصر الله موسى عليه السلام ومن آمن معه من المستضعفين .. على الطاغية فرعون، ومن شايعه من جنوده المستكبرين .. فنجَّى الله موسى ومن آمن معه من الغرَق، وأغرق فرعونَ وجنده .. فشرعَ النبي ﷺ لنا صيامَه احتفاء بهذا النصر، وشكراً لله ﷻ على نصره لعباده المؤمنين.

وإني لأرجو أن يكون هذا اليوم يوم فألٍ لكل مظلوم مستضعف يخوض معركة مع طاغية ظالمٍ في هذا اليوم .. بأن ينصره الله تعالى .. ويُظهره، ويعليه على مَن ظلمه.

وقد رُوي أن جاريةً لسعيد بن المسيّب رأت كأن موسى عليه السلام ظهر بالشام، وبيده عصا، وهو يمشي على الماء، فأخبرت سعيداً برؤياها، قال: إن صدقت رؤياكِ فقد مات عبد الملك بن مروان! فقيل له: بمَ علمت ذلك؟ قال: لأن الله تعالى بعث موسى ليقسم الجبارين، وما أجد هنالك إلا عبد الملك بن مروان، فكان كما قال.

* * * * *

589- أحَسَنُ العمَل.

أحسنُ العمل هو الذي يتحقق فيه شرطان: سلامةُ القصد والنيّة، وحُسْنِ المتابعة للسُّنَّة، إذ لا يُغني أحدهما عن الآخر، ولا يُقبَل العمل إلا بهما معاً .. فمن أتى بعمل خاطِئ، لا يتشفَّع له سلامة القصد والنّية، ومن فسدت نيته وطويّته، لا يتشفع له العمل الصائب، وهو المراد من قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾الملك:2. أي أيكم يأتي أصوبَ العملِ، وأخلَصَه معاً. وقوله تعالى:﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً ﴾؛ موافقاً للسنة ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾الكهف:110. شرط الإخلاص.

* * * * *

590- أحسَنُ الصدقات.

أحسَنُ الصدقات، من تتوفر فيها هذه الصفات:

أولها: أن تكون من كَسْبٍ حلالٍ.

ثانيها: أن تكون خالِصةً لوجه الله تعالى.

ثالثها: أن تُخْرَجَ سراً عن أعين ومسامِع الناس، بحيث لا تدري شمالُ المُتَصدِّقِ ما تنفق يمينه.

رابعها: أن تَخرُجَ مِن يدِ مَن يخشَى الفقرَ، ويرجو الغِنَى.

خامسها: أن تُلامِسَ كَرباً عند المتصَدَّق عليه، فتكون سبباً في تفريجه عنه.

سادسها: أن لا تَتْبَعُها ـ ولو بعد حين ـ أدنى صورةٍ من صور المنّ والأذَى.

فهذه أحسَنُ الصدقات .. ودرهم واحد ـ يُتصَدَّق به على هذا النحو ـ يسبق مائة ألف درهمٍ ويزيد.

* * * * *

591- أزهدُ النَّاسِ بالنّعمةِ صاحِبُها!

أزهدُ الناسِ بالنّعمَةِ صاحبُها .. وهو لا يعرف لها قدْرَها إلا عندما يفتقدها .. ثم هو لو فقدها بكاها .. وفي كثير من الأحيان يطلبها فلا يجدها .. عقوبة له على تفريطه .. وعلى كفرانه وجحوده للنعمة .. ولفضل المنعِم عليه .. فيندم ولات حين مندم!

وقد تأملت فرأيت عجَباً: رأيتُ أزهدَ الناس بالحرم المكي أهله ومن يسكن بجواره .. وأزهد الناس بنعمة الصحة .. والفراغ .. والمال .. صاحبها .. وأزهد الناس بالعِلم مَن يسهل له طلبه .. وتتوفر له أسبابه .. وأزهد الناسِ بالعالِم هم أهله، وجيرانه .. وأزهد الناس بالنَّبيّ قومه وعشيرته .. صدق الله العظيم: ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾عبس:17. وقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾سبأ:13.

* * * * *

592- عندما يَستعينُ السَّفيهُ بالسَّفيهِ.

السفيه هو الذي لا يُحسِن التصرف فيما يملك .. ولا فيما له عليه سلطاناً .. كما لا يحسن تقدير عواقب الأمور ومآلاتها، ولا حسن الاختيار والتمييز بين ما ينفعه وما يضره .. فيضع الأشياءَ في غير موضعها الصحيح .. ويُفسِد ويُؤذي ـ نفسه ومن حوله ـ من حيث يحسب أنه يُحسن صنعاً .. فإذا استعان على قضاء حوائجه بسفيه مثله .. واجتمع السَّفَهُ مع السَّفَه، اجتمع عليه ـ حينئذٍ ـ الضَّرَرُ والشرُّ كله، وأضاف على الفساد فساداً .. وعلى الخراب خراباً .. وجعل الديار ـ بعد أن كانت عامرة بأهلها ـ بلاقِعَ .. وخسر كل شيء .. إلى أن يخسر في النهاية نفسه .. وكان مثله مثل من يستعين على إطفاء ناره بتزكيتها بالوقود، والحطَب .. وأَنَّى لهذا أن تُطفأ ناره!

نعوذ بالله من إمارة ومعاملة ومشورة السفهاء .. وقد صدق من قال: عدو عاقل، خير من صديق سفيه.

* * * * *

593- فرَحُ الكَذِبِ ساعةٌ، وفرَحُ الصِّدقِ إلى قِيامِ السَّاعة.

قد يفرح الكذّاب ببعضِ سَقَطِ المتاعِ الذي يجنيه عن طريق الكذب .. وببعض المنافع المستعجلة والمؤقتة التي ترتد عليه بسبب الكذب .. ولهذا ـ وأمثاله ـ نقول: لا تفرح .. ففرح الكذب ساعة يعقبه ندم إلى قيام الساعة، وحَزَن الصدق ساعة، يعقبه فرَح إلى قيام الساعة .. وما تربحه بالكذب حالاً .. تخسر مئات أضعافه لاحقاً .. وما تخسره بالصّدق حالاً تربح آلاف أضعافه لاحقاً ومآلاً .. فالكذب ما كان ـ ولن يكون ـ يوماً سبب فلاحٍ ولا منجاة لصاحبه .. والصدقُ ما كان ـ ولن يكون ـ يوماً سببَ خسرانٍ ولا هلاك لصاحبه .. وفي الحديث:

" عليكم بالصِّدق؛ فإن الصِّدقَ يهدي إلى البرِّ، وإن البِرَّ يهدي إلى الجنَّة، وما يزال الرجلُ يصدق ويَتحرَّى الصدقَ حتى يُكتبَ عند الله صِدِّيقاً. وإياكُم والكذب؛ فإن الكذبَ يهدي إلى الفجورِ، وإن الفجورَ يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذبَ حتى يُكتب عند الله كذَّاباً ".

* * * * *

594- لا تسألوا اللهَ النَّصْرَ!

لا تسألوا اللهَ النَّصرَ .. ولا تستشرفوه .. ولا تتباكوا عليه .. ولا تستعجلوه .. ولكن انظروا أين أنتم من نصركم لله .. أين أنتم من دينِ الله .. أين أنتم من شرط النّصر .. فإن تحقق نصركم لله .. جاءكم نصر الله تعالى وإن لم تسألوه .. فلا أحَدَ أصدق من الله قِيلاً ولا وعداً .. والله تعالى قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾محمد:7. فنصر الله لنا مشروط بنصرنا لله تعالى .. فإذا انتفى المشروط انتفى الشرط .. والبحث عن الشرط من غير مشروطه عبث وسفَه لا يليقُ بالعقلاء!

ونحوه الحديث: " احفظ الله يحفظك "؛ فإن لم تحفظ الله، فالله لا يحفظك .. ولو سألته بأن يحفظك من دون أن تحفظ حقه عليك .. أسأت الظن والطلب والأدب .. وبالتالي فإن السؤال الأهم والملح، الذي يجب أن نجد له جواباً صادقاً، هو: هل نحن نصرنا الله تعالى حقاً .. هل حفظنا الله تعالى حقاً .. هل حققنا في أنفسنا وواقع حياتنا شروط الاستخلاف والتمكين .. وهل ارتفعنا بأنفسنا إلى مستوى قيم ومهام وأخلاق هذا الدين .. ثم ـ بعد ذلك ـ لو منَّ الله تعالى علينا بالنصر هل نستطيع أن نحافظ على بريقه ومكاسبه من دون أن نسيء إليه، وإلى دين الله ...؟؟!

هذا هو الجانب الأهم في القضية، فإن جاءت الإجابة بالإيجاب .. فاحمدوا الله تعالى، ولا تقلقوا حينئذٍ على النصر، ولا تستبطئوا قدومه .. فهو حينئذٍ أقرب لأحدكم من أنفه .. ولسوف يأتيكم ـ بإذن الله ـ طوعاً وسِراعاً، علمتم بذلك أم لم تعلموا .. وإن جاءت الإجابة بالنفي .. ثم نأى النصرُ عنكم .. وابتعد .. فلا تلومن حينئذٍ إلا أنفسكم، وابكوا على خطيئتكم .. واحذروا أن تسألوا الله النصرَ وأنتم على هذا الوصف والحال .. فما عند الله تعالى يُطلَب بطاعته لا بمعصيته .. قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾آل عمران:165.

* * * * *

595- هذا حُكمي في زوجَتِك يا صاحبي ..!

طلّقها مرتين، وهمَّ بالثالثة .... ثم جاءني يستشيرني فيها؟!

نفسها فيه كأشدّ ما تكون نفس امرأة في رجل .. لكنها إذا أقبل عليها بإحسانٍ نأت عنه، وترفَّعت، وأدبرت، ونخَرت .. وتكبَّرت .. وكفرت المعروف والإحسان!

لو قِيس لسانها بقدر انفلاته وتطاوله على زوجها، لكان طوله مئات الأمتار .. لا بضع سنتمترات!

قتلها أهون عليها ـ ألف مرة ـ من أن تقول له: شكراً على معروف .. لأنها لا تعترف له بمعروف .. ولأن كلمات الشكر ليست من لغتها .. ولا هي داخلة في مفردات قاموسها .. فهي ممكن أن تضع له ـ ولغيره ـ خطة عمل وخدمة على مدار شهرٍ كاملٍ تلزمهم بها .. من دون أن تقول لهم: شكراً!

والأصعَبُ عليها من هذا كله، أن تقول له كلمة حبٍّ .. أو تعترف له ـ مباشرة ـ عما في نفسها نحوه من تعلق .. وحتى تعترف له بشيء من ذلك فهي تحتاج إلى حكَمٍ من أهله، وحكَماً من أهلها!

إن تشاجرا ـ وما أكثر المشاجرات بينهما ـ كان لزاماً عليه استرضاؤها .. والأوبة إليها .. والإنحناء عليها .. وهي ما عليها حينئذٍ إلا أن تقابله بمزيد من النفور والإدبار والتمنّع .. وإن لم يفعل مرة .. يظل البيت ملتهباً بنارها وغضبها شهراً .. إلى أن يعود إليها تائباً مستغفراً!

تتمنَّع عنه كأشد ما يكون التمنّع وهي راغبة فيه كأشد ما يرغب شيء بشيء!

تريده في بيتها رجلاً خادماً .. لا زوجاً قيِّماً!

هي في جسدها امرأة .. وفي روحها .. كأشد وأغلظ رجلٍ عرفته بادية العرب!

لشدة غيرتها .. وحسدها .. لم يبقَ لها لحم على عظم .. ثم هو لا يستطيع أن يُظهر أمامها أي عاطفةٍ له نحو أمه أو أبيه .. أو رَحِم!

وهذه لو جاز القول بطلاقها أكثر من ثلاثٍ .. لقلت بطلاقها ألفاً!

هذا حكمي في زوجتِك يا صاحبي .... وفي كل من ابتُلي بزوجةٍ كزوجتك!

* * * * *

596- عندما تَتضَاعف الضريبة.

تتردد الشعوب في دفع ضريبة العِزّةِ والكرامة .. بحجة أنها ستكون باهظة ومكلفة كما يُخيّل إليها، علماً أنها تدفع عشرات أضعافها كضريبة للذل والاستكانة والهوان.

ولهؤلاء نقول: إن لم تبادروا إلى دفع ضريبة العزة والكرامة اليوم ستدفعونها غداً مضاعفةً .. وإن لم تدفعوها غداً ستدفعونها بعد غدٍ أضعافاً مضاعفة .. وهكذا كلما طال التماطل .. وأمد السداد .. كلما تضاعفت الضريبة وتغلّظت، وأُخذت من أعز ما تملكون: من دينكم، وعِرضكم، وأرضكم، وكرائم أموالكم .. وذلك لسببين:

أولهما: أن الطاغوت يزداد تمكيناً وقوةً .. وتثبيتاً لدعائم ملكه وحكمه .. فالزمن عامل مساعد له على ذلك .. وبالتالي فإن معالجته ومعالجة نظامه الفاسد بعدئذٍ ستكون أكثر كلفة وتضحية بالنسبة للشعوب.

ثانيهما: أن للظلم، وإقراره، والتعايش معه .. ضريبته التي يقتاتها يومياً من الشعوب .. وهذه الضريبة تتضاعف وتتغلظ كلما تغلظ وتضخم الظلم كماً ونوعاً .. وكلما طال أمد مكثه وبقائه .. وهو مثله مثل المرض الخبيث الذي تمتد وتنتشر آثاره الخبيثة في سائر الجسد .. إذا ما أُهمل وأُعطي فرصته الزمنية الكافية.

* * * * *

597- الفِعْلُ ورَدّةُ الفعلِ.

ما من فِعل إلا وله ردة فعل .. فمن قُلِعت عينه .. فلا تتسرع البكاء عليه قبل أن تتبين فعله الذي أدى إلى قلع عينه .. فقد يكون قد سبق له أن قلع عيني من قلَع عينه .. فقُلِعت عينه كردة فعلٍ على فعله وبغيه!

الطُّغاةُ وقوى الاستكبار العالمية .. يمارسون شتى أنواع الظلم والقهر، والبطش .. والاستعباد .. والتنكيل للشعوب المستضعفة .. ثم هم مع ذلك لا يريدون أن تكون لهذه الشعوب المستضعفة أي ردة فعل .. تقلل من حجم ونوع ضحايا ظلم الطغاة المستكبرين .. ولو فعلوا شيئاً من ذلك .. تسارع الطغاة .. وتسارعت معهم أبواقهم من المثقفين المأجورين .. في التحليل لظاهرة ردة الفعل .. وفي التهديد والوعيد .. والاستنكار .. والشجب بشدة .. على ردة فعل المستضعفين .. وكأن المفروض على المستضعفين أن يستسلموا لسكين الجزار، وسوط الجلاد أمَدَ الدهر .. من دون أدنى حِراك أو اعتراض!

ولهؤلاء نقول: اقرأوا التاريخ وتجارب الشعوب .. لكل فعلٍ ردة فعل ولو بعد حين .. والمرء يزرع ما يحصد؛ فإن زرع خيراً حصد خيراً، وإن زرعَ شراً حصدَ شراً .. ومن أراد أن يتكلم عن النتائج عليه أن يتكلم عن الأسباب .. ومن أراد أن يتكلم عن ردة الفعل .. عليه أن يتكلم عن الفعل .. ومن أراد أن يشجب ردة الفعل .. عليه أن يكون أكثر شجباً للفعل ذاته؛ الذي أدى لهكذا ردة فعل .. وإلا فهو من الظالمين .. ومن أبواقهم المأجورة .. مهما تكلف الظهور بخلاف ذلك .. وأنه من المستقلين ومن المثقفين المتنورين!

* * * * *

598- كيف يُودّعون عامهم ..!

كلما ذهب يومٌ منك .. ذهبَ بعضٌ منك .. واقتربتَ مسافةً ـ الله أعلم مقدارها ـ نحو حتفك، وقبرك .. ونهايتك .. وهذا مدعاةٌ لك للقلق .. ومحاسبة النفس .. والاستغفار .. والبكاء على النفس وما قد فرَّطَت به نحو ربها .. ونحو الناس .. والمبادرة إلى استدراك ما قد فات .. وما يمكن استدراكه .. قبل فوات الأوان، وحصول الندم، ولات حين مندم!

إلا أن الأمرَ عند هؤلاء القوم الذين يحتفلون بيوم رأس السنة الميلادية على طريقتهم الماجنة الفاسقة الطائشة .. على خلاف ذلك تماماً؛ فتراهم يودعون عامهم المنصرم بكل فرح وبهجة .. وفسوق .. وفجور .. وطرب .. ويستقبلون عامهم الجديد بنفس الأسلوب!

من قبل ـ ولا يزالون ـ عبدوا الأداة "الصليب" التي قتل عليها ـ كما يزعمون زوراً ـ المسيح عليه السلام .. واليوم يحتفلون بطريقة ماجنة مجنونة على انصرام عام من أعمارهم .. وكأنهم قد كسبوا إلى حياتهم عاماً جديداً إضافياً!

صدق الله العظيم: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾الحج:46

* * * * *

599- فُجُورُ طالبِ العِلم.

عندما يُقبِل العالِم بكليته على طالِب العلم .. تعليماً .. وتأديباً .. ويعطيه من وقته وجهده الشيء الكثير الكثير .. ثم لأدنى كبوة أو هفوة أو خطأ قد يكون للعالم له فيه أجر .. يُقابله الطالب بسوء الظن .. وسوء القول .. والخُلق .. وينقلب عليه .. متنكراً لجميل وفضل شيخه عليه .. فهذا طالبُ عِلمٍ فاجر .. فيه خصلة من خصال النفاق " وإذا خاصم فجر " .. وفيه خصلة من خصال النساء اللاتي يكفرن الإحسان والمعروف .. اللاتي يكفرْنَ فضل ومعروف وإحسان الزوج عليهن لأدنى خطأ أو خلاف!

وهؤلاء عددهم في زماننا هذا ليس بلقليل ... ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* * * * *

600- يكذبون عليَّ وأنا حيّ!

أفاجأ بين الفينة والأخرى، أن بعض الجهات الإخبارية والإعلامية .. والتي منها بعض المنتديات الحواريّة .. يقوّلونني ما لم أقل .. وينسبون لي زوراً وكذباً ما لم أقل .. وما لم ينسجم مع منهجي وأسلوبي .. ابتغاء الفتنة بين الشباب المسلم المجاهد .. والصَّدّ عن سبيل الله .. وابتغاء الطعن بنا وبمنهجنا .. والتشكيك بمدى مصداقيتنا والتزامنا بهذا المنهج الذي نحن عليه، والذي ـ بفضل الله تعالى ـ لا نعرف الحيدة ولا الالتفات عنه منذ أكثر من أربعة عقود ... نسأل الله تعالى الثبات وحسن الختام.

أقول: يكذبون عليّ وأنا حي .. فكيف بعد الممات؟!

اللهمّ إني أعوذ بك من شرورهم وظلمهم وزورهم قبل الممات وبعد الممات .. اللهمّ أنتَ الخليفَةُ في هؤلاء القوم، فاكفناهم بما شئت وكيف شئت .. إنك سميع قريب مجيب .. وصلّى اللهُ على مُحَمَّد النبيّ الأمي، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * * * *

601- شَرطُ الاستخلافِ والتمكين.

للاستخلاف في الأرض شرطان: أولهما؛ الارتفاع ـ ظاهِراً وباطناً ـ إلى مستوى قيم ومبادئ الإسلام كله من غير تبعيضٍ لبعضٍ منه دون بعض، ولا إهمال لأي جزئية من جزئياته. ثانيهما؛ الأمانة والقدرة على رعاية الأرض كل الأرض من غير تبعيضٍ لشيء منها دون شيء؛ البر، والبحر، والجو .. وكل من عليها .. وما علاها .. وما فيها من مخلوقات .. والشعور بالمسؤولية والرعاية الصادقة نحو كل ما يدب على وجه الأرض، وما يسري في باطنها، وما يعلو سماءها من مخلوقات .. وهذا لا ولن يتحقق إلا بتحقق الشرط الأول.

وبالتالي قبل أن نسأل الله تعالى التمكين والاستخلاف في الأرض .. أو أن نستشرف هذه المهمة العظيمة .. علينا أن نسأل أنفسنا بصدق .. هل امتلكنا المؤهلات النفسية، والعلمية، والأخلاقية التي تمكننا بنجاح من القيام بواجب هذا الاستخلاف ومتطلباته .. هل ارتفعنا بأنفسنا بحق إلى مستوى الالتزام بجميع تعاليم وقيم ومبادئ الإسلام، من غير تفريط بأي جزئية من جزئياته .. أو خُلُقٍ من أخلاقه .. إذ أن أي تفريط على مستوى الفهم ومن ثمّ الالتزام ـ أياً كان قدْره ونوعه ـ سيؤدي لا محالة إلى التفريط في الرعاية والقيادة والاستخلاف على قدر ونوع التفريط في الالتزام .. فالإيمان ـ كما في الحديث ـ بضع وسبعون شعبة .. وبالتالي فإن التفريط بأي شعبة من شعَب الإيمان سيؤدي واقعاً وعملاً إلى ضدها من شعب الكفر، والظلم، والضلال.

* * * * *

602- لا بد من طهور.

عندما يمرضُ الإنسانُ ويُصاب بالحُمّى، تراهُ يخرج منه العرق ليتطهر من مرضه، وما رسب في بدنه من سموم، كذلك الأمة عندما تمرض لا بد من أن تُسال الدماءُ لتتطهر من أمراضها وسمومها، وما علاها ـ عبر العقود السالفة ـ من رانِ الذل والهوان، والوهن ... ولما عبد بنو إسرائيل العجل أياماً كانت الكفَّارة والطهور بحقهم: ﴿فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾البقرة:54. فكيف بأمةٍ ابتليت بعجولٍ .. قد عُبِدَت من دون الله عقوداً ودهراً .. لا بد لها من طهور، الله تعالى أعلم بكمِّه ونوعه .. نسأل الله السلامةَ، والعفو والعافية.

603- عندما يُساء للعظماء!

أتدرون متى يُساء للعظماء والكبار من عمالقة الأمة والتاريخ ..؟

لا يُساءُ إليهم عندما يتجرأ عليهم أعداؤهم بالطعن، والانتقاص .. فطعن العدو مدحاً لهم، ثم جرت العادةُ في العدو عدم الانصاف في حكمه على الأعيان والنبلاء من عظماء هذه الأمة.

وإنما يُساء إليهم عندما يجري مدحهم ـ والاستدلال بكلماتهم ـ على ألسنة المنافقين الكذابين، والمتلونين .. الذين يقولون مالا يفعلون!

يُساء إليهم؛ عندما ينتسب إليهم من هو ليس منهم، ولا هو على أخلاقهم وطريقتهم .. فيكون بأخلاقه السيئة شاهد زور على أخلاقهم وسيرتهم الحميدة.

يُساء إليهم؛ عندما يُنسب إليهم ما ليس فيهم، ولا مما تقتضيه صفاتهم النبيلة!

* * * * *

604- الضَّحِكُ والبُكاء.

الضَّحكُ في غير المواطن التي تستدعي الضحك .. خِفَّةٌ .. ومن خوارم المروءة والرجولة .. وقليله ككثيره ضار بالقلب .. وخير الأمورِ أوسطها.

والبكاء في غير مواطِنِه .. علامة على التَّزَلّف، والتملّق، والكذب، والنفاق .. وهو حينئذٍ أقرب للتباكي منه إلى البكاء .. الفجار هم الذين يملكون دمعتهم؛ فيرسلونها متى شاؤوا، ويمسكونها متى شاؤوا!

ومن علامات جبن المرء .. عندما يصرخ عالياً .. يريد المبارزة والمنازَلة .. مع علمه المسبق بخلو الساحة من الفرسان!

* * * * *

605- الشَّرِطَةُ في بلادِ الغَرْبِ وفي بلادِ العَرَب.

الشَّرَطيُّ في بلاد الغربِ خادمٌ للناسِ، وصديق لهم، يتودد لهم بالبسمات والتحيات، وإبداء الخدمات، وهو بالنسبة لهم عنصر أمنٍ وأمانٍ، يستريحون لرؤياه، ويرجعون إليه في كثيرٍ من قضاياهم ومشاكلهم، وحاجياتهم، عندما تواجههم مشكلة!

بينما الشّرطي في بلاد العرب، عنصر خوف وإرهاب، مُقطّب الحواجب على مدار الوقت، وكأن الكآبة كلها قد اجتمعت فيه .. فَهِمَ ـ وأفهموه ـ أن مهنة الشرَطي ـ بالدرجة الأولى ـ الجلد، وتكسير العصي على الظهور .. فهو جلادٌ قبل أن يكون أي شيء آخر .. يظهر وكأنه عدو للناس، والناس أعداء له، يمقتهم ويمقتونه، يلعنهم ويلعنونه، لا يمكن أن تسأله عن شيء، أو تُراجعه في شيء، ولو أخطأت فسألته من أين الطريق ... لنظرَ

إليكَ نظرَة تعجب واستغراب .. كيف تجرأت على سؤاله ـ من بين الناس ـ عن الطريق .. ومن ثم يفتح معك تحقيقاً مفصلاً في الطريق .. من أنت .. وأين تسكن .. ولماذا تسأل .. ومن تريد .. وماذا تعمل .. ولماذا أنت هنا .. وقبل أن تكون هنا أين كنت ... إلى آخر الأسئلة الفضولية المقيتة .. وهذا كله قبل أن يجيبك عن سؤالك من أين الطريق .. والويل لك لو تلكأت فقصَّرت في جواب عن سؤال من أسئلته الكريهة .. رحت ـ حينئذٍ ـ في داهية .. واصطحبك معه إلى مغفر الشرطة .. وغاب خبرك عن أهلك .. ليشاركه رفقاؤه في التحقيق .. والطعن والاستهزاء بك .. وربما ضَرْبِك .. وليتحول التحقيق معك إلى عملية ابتزاز .. ورشوة .. تدفع بموجبها كل ما تملك .. وإلا لطالت معاناتك .. وطال غياب خبرك عن أهلك .. وطال مكثك بين هؤلاء الشرطة اللصوص، والذي هو أمقت على النفس من المكث بين اللصوص وقطاع الطريق .. ولاحتجت إلى شفعاء وواسطة قوية تخرجك مما أنت فيه!

لذا فالإنسان العربي، لو أضل الطريق، تراه يسأل قاطع الطريق عن الطريق .. ولا يسأل الشرطي العربي عن الطريق .. بينما الإنسان في بلاد الغرب، لا يعدل عن الشرطي إنساناً آخر يسأله، ويُراجعه في حاجته .. وهذه من جملة الفوارق الحضارية الراقية التي يتباهون بها على شعوبنا وبلادنا .. وللأسف!

* * * * *

606- متاعُ الطّاغيةِ ساعة.

متاعُ الطاغيةِ ساعةٌ ـ يتخللها من المكدرات والمنغّصات ما لا يعلمه إلا الله ـ يعقبها خزي وندامة .. ولعنة الله والملائكة والناس أجمعين .. إلى قيام الساعة .. ثم يوم القيامة يُرَد إلى أشد العذاب، وبئس المصير.

الطاغيةُ يُؤثِر مدحَ وتملق الناسِ له ساعة .. ثم هو لا يُبالي ـ بعد ذلك ـ أن يُسجله التاريخ في خانة وسجل الملعونين المطرودين والمرجومين .. لتلعنه الأجيال التالية كلما ذُكِر .. هذا إذا ذُكِرَ، وتذَكَّرَه الناسُ.

ومع ذلك كثير من الناس لا يتعظون، ولا يُبالون .. إذ تراهم يتسابقون ـ إلى درجة التقاتل وسفك الدم الحرام ـ إلى مهام ووظائف الطغاة .. وأعمالهم .. طمعاً بمتاع ومدائح تلك الساعة وزخرفها.

صدق رسولُ الله ﷺ:" ما ذئبان ضاريان في حظيرةٍ يأكلان ويُفسدان؛ بأضرّ فيها من حُبِّ الشَّرَف، وحبِّ المال في دين المرء المسلم ".

* * * * *

607- هكذا يُنبَذُ الطُّغاةُ العملاء.

عندما تكون الدولة للطغاة .. الكل ـ رهبة أو رغبة ـ يتودّد لهم .. ويتقرّب إليهم .. ويتسارع لاستقبالهم .. والاحتفاء بهم .. لاستدرار بعض ما في أيديهم من العطاء الحرام .. فإذا ما كانت الدولة عليهم .. وانهار نظامهم .. وذهبت شوكتهم .. وتوقفت خدماتهم لأسيادهم المستكبرين في الأرض .. لفظتهم الأرض ومن عليها .. وتنكّر لهم المعارف والمُقَرَّبون .. ورماهم الناس عن قوسٍ واحدة .. ونفَروا منهم كما ينفرون من الكلاب العقورة الجرباء المصابة بداء الكلَب والجَرَب .. وأصبح القربُ منهم سُبَّة وعاراً ـ أبدَ الدَّهرِ ـ يُلاحق المرء أو الجهة التي كانت تأويهم أو تقترب منهم .. مثال ذلك: ما حصل مع طاغية تونس "شين العابدين"، واللصوص من أبناء عائلته .. لما أفَلَت دولتهم وشوكتهم ... فهل يتعظ الطغاة الظالمون؟!

* * * * *

608- مصانعُ الطُّغاة!

لكل آلة مصنعها .. ومصانع الطغاة؛ هي الشعوب التي تحتقر، وتذل، وتهين نفسها .. الشعوب التي تعيش وتنام وتستيقظ على تمجيد الطغاة وتعظيمهم .. والهتاف باسمهم .. وفدائهم بالروح والدم .. فقد يكون الطاغية بادئ ذي بدئٍ ليس طاغية .. أو طاغية صغيراً .. لكن بهذا الأسلوب من تعامل الشعوب معه يصنعون منه طاغية كبيراً .. ويحملونه على أن يتصرف كطاغية؛ لا يرى إلا نفسه .. ورأيه .. وما على الشعوب التائهة الضالة سوى طاعته ومتابعته فيما يرى، على مبدأ فرعون رمز الكفر والطغيان والاستعلاء: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ﴾الزخرف:54. ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾غافر:29.

فالشعوب المستخَف بها .. والتي ترضى لنفسها الذل والدَّنية وأن يُستخف بها .. هي التي تصنع الطغاة .. وقد تُصَدِّر للإنسانية والبشرية عدداً من الطغاة مالا تصدره في أي مجال من مجالات التصنيع الأخرى .. والمنطقة العربية ـ في الآونة الأخيرة ـ قد حفلت وأبدعت ـ وللآسف ـ في هذا المجال من المصانع، والتصنيع!

609- الناسُ فريقان ..!

الناس فريقان: فريق يجنح لأخلاقيات وسلوكيات الذباب؛ حيثما يجد قيحاً .. ودماً نازفاً .. وقمامة .. يحط ويقيم .. ويجد نفسه .. وشخصيته .. ويمارس مهاراته .. وهواياته .. فهو لا يجد راحته ومتعته إلا هناك!

وفريق يجنح لأخلاقيات وسلوكيات النحل؛ حيثما يجد زهرة أو وردة تراه يحط عليها؛ ليستخرج منها ما ينتفع به لنفسه .. ولغيره .. فهو لا يجد راحته ولا أنسه إلا هناك.

ولو أردت أن تحمل كل فريق على أن يقيم ويحط ويرعى في مكان الآخر لما استطعت .. ولو حاولت بالإكراه .. أو بالإحراج، والاستحياء .. فإن كلاً منهما سينتظر أقرب فرصة تسمح له بالفرار والانتقال إلى مرعاه الذي يألفه ويستأنس به!

حاولت دهراً مع قومٍ قد ألفوا مجالس السَّفه، والغلو، والفجور في الخطاب .. أن أحملهم على مجالس الذكر، والفقه، والأدب .. فما استطعت .. فطبائعهم " الذبابية " سرعان ما تعود بهم إلى سيرتهم الأولى، وإلى تلك المجالس الفاجرة التافهة .. وبنشاط وحماس غريبين!

صدق الله العظيم: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾القصص:56.

* * * * *

610- مجتهد مسألة، وعقلية مسألة!

مجتهد مسألة؛ هو الذي يحيط علماً ودراية بمسألة من المسائل، من حيث النظر في واقعها، والنظر في أدلتها الشرعية .. وبصورة تمكنه من الخوض والإفتاء فيها .. فهذا يُسمى مجتهد مسألة .. وهو خير وبركة!

فما هو عقلية المسألة؟

أعني بعقلية المسألة؛ أن ينشأ المرأ على مسألة واحدة .. فهو لا يتدارس إلا هذه المسألة .. ولا يتكلم إلا بهذه المسألة .. ولا يميل إلا لهذه المسألة .. وهو ينظر لمن حوله من خلال هذه المسألة .. فيحكم عليهم مدحاً أو ذماً من خلال هذه المسألة، وبحسب قربهم أو بعدهم عن هذه المسألة .. فيوالي ويُعادي، ويسالم ويحارب في هذه المسألة .. ولو كلمته بغير هذه المسألة .. لسرعان ما أطرك إلى هذه المسألة .. لأنه لا يبدع الحديث إلا في هذه المسألة .. ولا يحب الحديث إلا في هذه المسألة .. وإلا فإن حديثك لا يعنيه ولا يهمه شيئاً .. فعقله، وتفكيره ووجدانه كله خاضع وعبد لهذه المسألة .. فهو عبد مملوك لهذه المسألة .. لا فكاك له من سلطانها ومن تورماتها .. وهذه مشكلة كبيرة عصيَّة .. ولا ابن تيمية لها .. وما أكثر الذين يقعون فيها!

* * * * *

611- أُحِبُّ البحرَ ..!

أحب البحر لمعنيين: لأنه آية من آيات الله تعالى، ينتقم الله به ممن يشاء من أهل الفسوق والطغيان .. ولأنه معطاء لما في بطنه من خير كثير للناس.

ومعنى ثالث: لأنه مثوى لغريب طريد ...!

قسموا الأرض فيما بينهم، فقالوا: هذه الأرض لأمريكا .. وهذه للطاغية فلان، وهذه للطاغية علان .. ليس منها شيء لله، ليُدفَن فيها أبو عبد الله .. يا سبحان الله!

فتنادَوا فيما بينهم .. هذا الرجل لعنة علينا حياً وميتاً .. فماذا أنتم فاعلون؟!

فقال كبيرهم في البيت الأبيض: فألقوه في غيابَةِ اليَمّ .. تلتقطه حيتان البحر .. فتتوزع جثته في بطونها .. فيضيع ثأره، ويغيب أثره!

يا ويحهم ـ بصنيعهم هذا ـ قد نصبوا مناراً من دمٍ يوحي للأجيال التالية الكراهية، والعدواة والبغضاء!

* * * * *

612- الشعوب الحرة، والثورات الناضجة.

الشعوب الحرة .. والثورات الناضجة الهادفة التي تؤتي أكلها بإذن الله .. لا تتمحور حول أفراد، ولا تربط مصيرها بمصيرهم؛ إن انحرفوا انحرفت، وإن ماتوا ماتت، وإن سكتوا سكتت .. لا؛ ليس شيئاً من ذلك .. وإنما هي التي تربط مصيرها وتتمحور حول المبادئ والقيم والعقائد والبرامج والغايات الكلية .. فهذه ثابتة لا تموت مهما دار عليها الزمن أو جفاها الناس .. كشجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها .. لا تؤثر بها العواصف ولا التقلبات.

لاحظنا عبر التاريخ حركات وجماعات تمحورت وربطت مصيرها بشخص أو مجموعة أشخاص .. فكان مصيرها الزوال والاندثار في وقت مبكّر .. إضافة إلى أن عطاءها للإنسانية كان قليلاً .. وهناك حركات وجماعات تمحورت حول الأفكار والعقائد، والقيم والمبادئ .. فطال بقاؤها وذكرها .. وكثر عطاؤها وخيرها للإنسانية.

* * * * *

613- ثمن العِلم، وثمن الجهل.

للعلم ثمن؛ وثمنه يرتد زيادة ـ في كل شيء ـ على صاحبه .. وللجهل ثمن؛ وثمنه يرتد بالنقصان ـ في كل شيء ـ على صاحبه ..!

مهما أنفقت في سبيل العلم فأنت رابح .. بينما الجهل سواء أنفقت في سبيله أم لم تنفق، فهو سبب خسارة لك في دينك، وجسدك، ومالك، وحقوقك، ووقتك، وكرامتك .. وفي كل شيء .. ولو فتشت عن كل نعمة تجد سببها العلم .. ولو فتشت عن كل نقمة تجد سببها الجهل .. ومع ذلك فإن طلاب الجهل؛ الذين ينفقون حياتهم وأموالهم في سبيله .. أضعاف أضعاف طلاب العلم .. وما يُنفق في سبيل العلم .. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* * * * *

614- الغرسُ باقٍ ومتجدّد.

لا تحزنوا يا أخوتي .. الغرسُ باقٍ ومتجدِّد، قال رسولُ الله ﷺ:" لا يزالُ اللهُ يَغرسُ في هذا الدين غرساً يستعملهم في طاعته ". فإن انقضى غرسٌ نحبَه، تجدَّد الغرسُ بغرسٍ جديد، يستأنف الطاعة والعمل، والعطاء والجهاد من جديد .. وهذا من معاني حفظ الله تعالى لدينه .. ومن تكفل الله بحفظه فلا ضيعة ولا خوف عليه .. فما إن يذهب غرسٌ إلا ويعقبه غرسٌ جديد بإذن الله .. وما إن يرحل منا بطل مجاهد، إلا ويخلفه بطل آخر .. بل وأبطال عدة يجددون لهذه الأمة أمر دينها، ودورها الريادي في الوجود.

والشهيد منا ـ عندما يمضي ـ له معنى الزيادة الذي لا يتسرب إليه النقصان من أي وجه من الوجوه؛ الزيادة من حيث الأثر والعاقبة، في الدنيا والآخرة .. كما قال تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾الأعراف:128.

الإسلام دين الله، والله تعالى قد تكفل بحفظه وإعلاء كلمته .. فأمره ماضٍ بنا وبغيرنا، لا يأبه لمن يخذله ولا لمن يتخلف عنه، حتى يبلغ ما بلغ الليل والنهار بإذن الله، كما في الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" ليبلغنَّ هذا الأمر ما بلغَ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدَر ولا وَبَرٍ إلا أدخله الله هذا الدين، بعزِّ عزيزٍ أو بذل ذليلٍ، عِزّاً يعزُّ الله به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر ".

وقال ﷺ:" لا تزال طائفةٌ من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرُّهم من خذلَهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس ".

* * * * *

615- حقوق الإنسان والمجتمع.

إذا أردت أن تعرف مجتمعاً من المجتمعات أين هو من حقوق الإنسان .. فانظر أين هو ـ بجميع مؤسساته الرسمية والشعبية ـ من أربعة أصناف: من الأطفال، والنساء، والشيوخ الكبار في السن، والمعاقين من ذوي الحاجات الخاصة .. فإذا كان المجتمع ـ بجميع مؤسساته ـ يتعامل مع هذه الأصناف الأربعة بإحسانٍ، ورفقٍ،

واحترام .. ويُؤدي لها كامل حقوقها .. فهو مجتمع على درجة عالية من التحضر، واحترامٍ لحقوق الإنسان .. وإن كان غير ذلك، أو على النقيض من ذلك .. فهو مجتمع متخلف، وعلى درجة عالية من التخلف .. لا يحترم حقوق الإنسان .. مهما زعم بلسانه ومن خلال قوانينه على الورق أنه متحضر .. ويحترم حقوق الإنسان .. إذ العبرة بالتحلي لا بالتمني ومجرد الزعم، والكتابة على الأوراق!

* * * * *

616- زوال الدول وبقاؤها.

الدول تزول بأمرين: بالظلم، والفسوق .. وعلى قدر تمكن واستفحال الظلم والفسوق في دولة من الدول تكون سرعة الزوال والدمار .. أما الظلم، فلقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ﴾يونس:13. وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً﴾الكهف:59. وقال تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾النمل:52.

وأما الفسوق، فلقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾الإسراء:16.

ولما كان قوم لوطٍ يأتون الرجال شهوة من دون النساء؛ وهو من أشد أنواع الفسوق .. جاءهم العذاب والدمار، كما قال تعالى:﴿ فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾هود:82.

وإذا كانت الدول تزول بالظلم والفسوق .. مفهوم المخالفة يقتضي أنها تدوم وتنمو وتزهو بالعدل والطاعة والاستقامة، كما قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً﴾الجن:16. وقال تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾هود:3. وقال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ﴾هود:52. وقال تعالى عن نبيه نوح: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً﴾نوح:10-12.

* * * * *

617- ما أخشاه على الثورات ..!

أكثر ما أخشاه على ثورات الشعوب المسلمة في المنطقة العربية فريقين: فريق العلمانيين الذين ناصبوا الإسلام والمسلمين العداء .. الذين يريدون أن يأخذوا البلاد والعباد بعيداً عن عقيدة وشريعة الإسلام .. وفريق

ثانٍ يميل للعنف والتشدد .. يريد الأمور كلها في سلة واحدة، وساعة واحدة .. ينزع لأخذ الأمور بالقوة والعنف .. فما يُؤخذ عن طريق الكلمة والرفق .. يأبى إلا أن يأخذه باليد وعن طريق العنف والتشدد .. وهؤلاء يُفسدون من حيث يدرون أو لا يدرون .. وهم ممن أخشاهم على مستقبل وعطاءات ثورات الشعوب المسلمة.

* * * * *

618- أغبى الطغاة!

تأملت حال الطغاة وسياساتهم .. فرأيت أغباهم، وأشدهم سفهاً الذي يركن على طغيانه واستبداده .. فيظن طغيانه حصناً آمناً له من نقمة وغضبة الشعوب .. فيتمادى في الطغيان والظلم أكثر وأكثر .. وهو في حقيقته يحفر قبره بنفسه .. ويسرّع أجله بنفسه وهو لا يدري .. وهو سرعان ما يكتشف أن حصونه التي بناها بالطغيان والظلم .. هي أوهن من بيت العنكبوت .. سرعان ما تتهاوى أمام غضبة وثورة الشعوب المظلومة.

الحاكم الذي يبني حصناً بالعدل، يحميه أكثر من ألف حصن يبنيه بالطغيان والظلم ...!

* * * * *

619- الإنسان والأشياء!

تأملت الأشياء كلها فوجدتها مسَخَّرة للإنسان وخدمته .. بينما الإنسان ـ إلا من رحم الله ـ ما من شيء إلا ويسيء إليه .. الدواب .. والنباتات، والخضروات، والأطعمة .. والأنهار والبحار .. والبيئة والطبيعة .. حتى الفضاء ما سلم من شرهم؛ فقد لوثوه بدخانهم ركضاً وراء الكسب السريع الحرام .. فارتد أذاهم للأشياء على أنفسهم بالضرر البليغ .. حتى فشت فيهم أمراض لم تكن في أسلافنا .. إذ سلامتهم وسعادتهم مرهونة بسلامة الأشياء من حولهم لو كانوا يعلمون!

الشيء من الطبيعة يبقى جميلاً جداً .. له جاذبيته الأخَّاذة .. ما لم تتدخل به يد الإنسان .. فإذا تدخلت به يد الإنسان الشرير أفسدته .. وأخرجته من وظيفته ومن دائرة الجمال إلى دائرة القبح والضرر!

ثم هم مع هذا الاستغلال الوحشي والخاطئ لكل شيء من حولهم .. وكأنهم حيتان وتماسيح لا تشبع .. فقليل منهم الشكور .. كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾سبأ: 13.

* * * * *

620- أعظم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كله عظيم، جليل النفع والفائدة .. لكن أعظم وأجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يكون في مجالس الخوف والرهبة .. فيخشى صاحبه على نفسه أن يصيبه مكروه، أو أن تفوته مصلحة.

أعظمه؛ عندما تشتد الحاجة إليه مع غياب الكفاية من الآمرين والناهين ..!

أعظمه؛ عندما يقف صاحبه في وجه الجماهير الجارفة الثائرة السائرة نحو الهاوية، والدمار .. وهو يريد منعهم وصدهم!

أعظمه؛ الذي يُهرَاق دم صاحبه عند طاغية جائر ..!

أعظمه؛ أبلغه أثراً، وأعمه نفعاً ...

أعظمه؛ الذي يكون سبباً لموت صاحبه، لكن بموته تحيى أمّة ..!

أعظمه؛ أصوبُه وأخلَصُه ...!

* * * * *

621- ... يتبع في الجزء الثاني من الكتاب إن شاء الله.

وصلى الله على محمد النبيِّ الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم.

عبد المنعم مصطفى حليمة

" أبو بصير الطرطوسي "

1430/8/8 هـ. 2009/7/30 م.

المواقع الالكترونية:	
.1	www.abubaseer.bizland.com
.2	www.altartosi.net

البريد الالكتروني:
Altartousi1@gmail.com
صفحات التواصل الاجتماعي
https://t.me/altartosi
www.twitter.com/Abubaseer123
www.youtube.com/altartosi

الـفـهـــــــرس

الموضوع **الصفحة**

. مقدمة: 1

1– لا إله إلا الله..... 3

2– محمدٌ رسولُ الله ﷺ. 3

3– متى يكون الفَرَج ..؟ 4

4– مَن هم المصلحون ..؟ 4

5– من هم المفسدون ..؟ 5

6– نادم على شيءٍ واحد ..! 5

7– ضريبة الحق .. وضريبة الباطل. 6

8– الديمقراطية ..! 6

9– الحرية في الإسلام ..! 7

10– يأبى الله أن يضع القبول إلا لأوليائه ..! 7

11– إذا أردت أن يُوسَّع عليك في الرزق 8

12– أكثر ما يُسيء العالِم ..! 8

13– الجاهِل العالم ..! 9

14– من هو العالِم ..؟ 10

15– الصديق الوفي ..!..... 10

16– خوارج هذا الزمان ..! 11

17– حتى تكون سلفياً ..! 12

18– غاياتُ البلاء ..! 12

19– أحياناً يكون الجهل نعمةً ..! 13

20– كفر لا ينتبه إليه كثير من النساء ..! 13

21– السياسة في الإسلام 14

22– استغلال الدين لمآرب سياسية ..!..... 15

23– السياسة لا تبرر الوسيلة ..! 15

24– إذا أردت أن تعيش طويلاً ..! 16

25- وسائل الغرب في صد شعوبهم عن الإسلام ..! 17
26- أسلوب جديد في الكذب على أهل العلم ..! 18
27- احذر قرين السوء ..! 18
28- ماذا يعني حق الفيتو الذي تمتلكه بعض الدول ..؟! 19
29- الطاغوت ..! 20
30- لماذا خلق الله إبليس ..؟! 20
31- أكتب لكم كأنني سأموت غداً ..! 21
32- كما قال الشيخ في الشريط ..! 22
33- المرء يُحشَر مع من أحب. 23
34- المستقبل لهذا الدين ولو بعد حين. 23
35- عواقبُ الغُلو في البُغض ..! 24
36- عواقب الغلو في المحبة والموالاة ..! 24
37- الاعتدالُ في الحبِّ والبُغض ..! 25
38- هل تريد أن يحبك اللهُ ورسولُه ..؟ 25
39- لن ننتصر حتى نكون أكثر منهم عدلاً ورحمة بالعباد ..! 26
40- التقليد ..! 27
41- قرصنة أمريكية ..! 28
42- بين إرهاب المستضعفين .. وإرهاب المستكبرين ! 28
43- ألا تستحي من الله يا عبد الله ..؟! 29
44- عِلْمُ الأسماءِ والصِّفات. 29
45- جسدٌ في حديقة .. وقلب في قبر! 31
46- لا تمدوا الباطل بالحياة ..! 31
47- ظاهرة سوء الاستدلال ..! 32
48- فيمن يعمل لغيره ..! 33
49- نريد أن ندخل الجنة ولكن ..! 33
50- فاعلية الإعلام ..! 34
51- الطواغيت يضحكون من المشايخ ..! 35

52– القافلة تسير والكلاب تنبح ..! 36
53– لا تُحَمِّل الأمورَ مالا تحتمل ..! 36
54– لماذا الانتفاضة فقط ..؟! 37
55– من الكِبر ..! 38
56– احفظ بصرك من أن يقع على سوء ..! 39
57– احذروا الملغومين ..! 40
58– خوارج على الدعاة .. مرجئة مع الطغاة! 41
59– مصيبة الأمة ..! 42
60. عقل ابن آدم في قلبه وليس في رأسه ..! 44
61– أشد ما قِيل في هجران المسلم لأخيه المسلم! 45
62– اعتذار إلى طاغية ..؟! 45
63– عملاء للعملاء ..! 47
64– مَن أولى بالإعدام ..؟! 49
65– لا تكن النملةُ أفضلَ منك ..! 49
66– عندما يكون الباطل قوياً ..! 51
67– من هم الغرباء ..؟! 52
68– غرباء الغرباء ..! 53
69– بماذا جُعلت أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس ..؟ 54
70– هدية إلى مجاهدي كشمير ..! 55
71– دلالاتُ حديث ..! 55
72– طاعة المشركين ..! 57
73– القدس وأهلُ الإرجاء ..! 58
74– قل آمين ..! 59
75. أكبر طاغوت في العالم ..! 59
76. قطط وكلاب تشكو السمنة ..! 61
77– ديكتاتورية الديمقراطية ..! 61
78– عنصرية جوازات السفر ..! 62

79– لماذا نحن نرفض الديمقراطية ..؟! 63
80– كيف ندعو الناس ..؟ 64
81– عجباً لهؤلاء القوم ..! 66
82– همتهم في الباطل ..! 67
83– مثلنا ومثلهم ..! 67
84– فعلت ذلك من أجل ثلاثة أشياء ..! 68
85– الشيخ بوش ..! 68
86– هم الأحياء وما سواهم أموات ..! 69
87– الذين يشجبون سياسة الشجب والاستنكار ..! 70
88– ماذا يعني الفراغ ..! 71
89– ماذا نفعل ..؟! 71
90– فيلٌ إرهابي ..! 72
91– لماذا خلق الله الشرَّ ..؟! 72
92– سنرحَل ..! 75
93– كلماتنا كالغراس ..! 76
94– طغيان العلم ..! 76
95– نوع من الجهاد لا نريده ..! 77
96– المجاهد الثرثار ..! 78
97– السَّهلُ .. والصَّعبُ! 78
98– ماذا تقولون عني بعد الموت ..! 80
99– مصانع يعلوها الصَّدَأ ..! 80
100– عادةٌ سُودانيَّةٌ جميلةٌ. 82
101– مرة ثانية .. أرثي الشيخ حمود الشعيبي رحمه الله ..! 82
102– جيل الحضانات ..! 83
103– خديعة الحفاظ على المكاسب والمصالح! 84
104– خمسُ خصالٍ أدركناهنَّ ..! 85
105– نسيتم الأندلس ..! 86

106– لا تستحقون عمراً ولا علياً! 86
107– ظلمهم بُشرى خير! 87
108– الإرهاب الفكري! 88
109– صَدَقةٌ مُتقبَّلة! 89
110– الرِّفقُ والشِّدَّةُ. 89
111– رَحِمَ اللهُ الوالد. 90
112– متى يكون العالِمُ صغيراً ؟! 91
113– أحسَنُ الحَسَن. 92
114– جهادٌ من المهدِ إلى اللحدِ! 93
115– لا يجتمع في قلبِ امرئٍ ولاآن ..! 94
116– بمَ تُعرف الدولة بأنها إسلامية ..؟ 94
117– دلالاتُ وفِقهُ حديثٍ 95
118– التقوى. 97
119– خُطباءُ الجُمعَةِ! 98
120– عندما يكونُ الحكمُ لغيرِ الله! 99
121– نعم أنا وهَّابِيٌّ! 99
122– أمثال شائعة تحكم الناس ..! 101
123– منظمة المؤتمر الإسلامي! 102
124– من كَلبِ الأزهر إلى كلبِ الروم شيراك! 103
125– حِزبِيَّةُ المسَاجِد! 104
126– ليلةٌ أفضلُ من ليلةِ القَدْرِ! 105
127– لا بد للأمَّةِ من طَهُور ..! 105
128– دَعِي السِّياسَةَ لأربابها ..! 106
129– الكلمة للقوي ..! 112
130– الغايةُ لا تُبرِّرُ الوسيلَةَ ..! 113
131– قالوا: لقد أكثرتَ النقدَ ..! 115
132– قد ترجَّل المجاهدُ البطل. 116

133– هذا ما أوصاني به شيخنا حمود بن عقلاء الشعيبي..... 117
134– رحم اللهُ أبا الوليد الغامدي..... 118
135– سجن " أبو غريب " في العراق ..! 118
136– من المدح والترحيب ما يكون شتماً ..! 120
137– بعد أن شوَّهوا مُصطلَح السَّلفيةَ يُشوِّهون مُصطلَحَ أهلِ السُّنَّة والجماعة! 120
138– قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً. 121
139– البيئة الفاسدة. 122
140– اثنان لا تستشرهما! 122
141– استفادوا منَّا ولم نستفِدْ منهم! 123
142– هذا في زمانهم فكيف في زماننا ..؟!..... 123
143– لا يغلِبنَّكُم الكفارُ على اسم دينكم!..... 124
144– وَقْفَةٌ معَ آيةٍ..... 125
145– بيتٌ لا مكتبةَ فيه!..... 127
146– نحبُّ الوطَنَ .. لكن لا يمكن أن نتخذه إلهاً! 128
147– سنَّةُ الله في الظالمين، والطغاة الآثمين..... 129
148– آيةٌ من آياتِ الله!..... 130
149– أسوأ المنِّ! 131
150– شُركاءُ المجرِم. 131
151– لِذَّةُ الإحسان..... 132
152– عندما يُقتَاتُ بالعِلمُ! 133
153– وطَنُ الإنسان..... 133
154– الطَّعام. 134
155– الغَدْرُ غدران. 135
156– الأدَبُ أدبان. 136
157– الصّحفِيون. 136
158– مَن الشَّهِيد..... 137
159– لا وَصيَّةَ لِوَارِث. 138

160– رسائلٌ بين يَدَي الموت..... 138
161– نَعم أنا أحبُّ جهنَّم..... 139
162– القُرآنُ الكريم..... 141
163– الدُّنيا بلا مُحمَّدٍ ﷺ..... 142
164– النَّاسُ وطَلَبُ العِلم..... 143
165– دَورُ الشُّعوب في نصرةِ الحق..... 147
166– لا تنقلوا شَتْمَ كُلَّ من شَتَمَ..... 147
167– للرجلِ فقط! 148
168– إذا رأيتَ أموراً..... 148
169– إذا أردتَ أنْ تَدومَ نعمةٌ عليك..... 149
170– المرأةُ والطاغوتُ..... 150
171– لماذا الدَّنْدَنَةُ حولَ التوحيد؟..... 151
172– انتفاءُ اجتماعِ الشِّركِ والتوحيدِ في الظَّاهرِ والباطنِ سواء..... 152
173– الإسلامُ دِينُ حَربٍ وسَلام..... 153
174– أمرٌ يُعينُكَ على الإخلاصِ..... 153
175– طالِبُ عِلمٍ شيخُهُ التقوى..... 154
176– دفتري القديم..... 154
177– البلاءُ بلاءان! 155
178– بلاءٌ واحدٌ يُعنَى منه أكثر من طَرَفٍ..... 156
179– ما بَعدَ رمضان..... 156
180– لِذَّةُ السَّيِّئةِ، ولِذَّةُ الحَسَنَةِ..... 157
181– الكلُّ يستفيدُ من الحقِّ، وقليلٌ مُنصِفُوه! 157
182– العَدْلُ..... 158
183– ظاهِرَةٌ حَضَاريَّة! 158
184– مِن الكَذِب على النبيِّ ﷺ..... 159
185– المسألَةُ فيها قولان! 160
186– ليعلَمَ الجميع! 160

187– دُعاةٌ يُسِيئون للنبيّ ﷺ!..... 161
188– الأرضُ..... 163
189– يَومَ يَنكَشِفُ الغِطاء!..... 164
190– الإنسانُ وفصُولُ السَّنَةِ..... 165
191– سمَكُ السَّردين!..... 165
192– الغزوات الدعوية!..... 166
193– لا تخافوا فدينُ اللهِ محفوظ..... 167
194– خوارج لكن نواعم!..... 168
195– عندما انتهى من وعظِه بكيت ..!..... 169
196– العالِمُ الجاهِل ..!..... 169
197– ذِكرُ جهنَّم يُؤنسني ..!..... 170
198– شَعبٌ يُقتَل من جهة بطنِهِ ..!..... 171
199– شهر الصيامِ أم شهر الطعامِ والتُّخمَة!..... 172
200– متى نرتقي إلى عِزّةِ الكِتاب؟!..... 173
201– قبل أن تقترض تفقَّد رصيدَك!..... 174
202– لا نصرَ لنا إنْ لم ننصر الله..... 174
203– حربٌ على الإسلامِ والمسلمين وليس على القاعِدة!..... 174
204– يقتلون أبناءهم بأيديهم!..... 175
205– أعجب لعربي لا يؤمِن بالله العظيم!..... 175
206– سيد قطب وبعض الكتَّاب!..... 176
207– نصف مجنون!..... 176
208– دُعاءٌ جامِعٌ مانِعٌ ماتِعٌ فاحفَظوه..... 177
209– الزَّوج الفاشِل..... 177
210– الحُبُّ السَّهلُ، والحُبُّ الصَّعبُ!..... 178
211– رجالٌ يشكون زوجاتهم..... 178
212– من البُخل والنِّفاق..... 179
213– لكي تحترِمُك زوجتك..... 179

214– المرأةُ الجاهِلَة الخاسرة! 180
215– لا يجتمعُ غَضَبَان! 180
216– خيرُ النِّساء. 180
217– الصهرُ الذي يجني على مَن بَعدَه! 181
218– الفرق بين المتحَضِّر والمُثَقَّف! 181
219– قَوَامَةٌ ناقِصةٌ. 182
220– الاتفاق على تربية الأبناء. 182
221– الحُبُّ الدائم 182
222– السُّحور عبادة، وتربية. 183
223– الزُّهْدُ. 183
224– ثلاثة إذا اجتمعن. 184
225– أجمل ما في الحياة الدنيا. 184
226– في العِيد. 185
227– الحياةُ الزوجيَّة. 185
228– يَنْكَح ثم يَسأل عن صِحَّة نكاحِه! 185
229– قَرْضٌ رابحٌ لا خَسَارة فيه. 186
230– العلاقة بين الرئيس والمرؤوس في مجتمعاتنا! 187
231– ما أجملها من لحظات ..! 187
232– العقوبة من جِنس العمل. 187
233– لماذا يُحاربون فكرة تعدد الزوجات ..؟! 188
234– من علامات صدق الأخوة. 188
235– لا تتسَرّع ..! 189
236– البخل! 189
237– الإعلام العربي والانتخابات الأمريكية. 190
238– المسؤولية عن النتائج! 190
239– موقف الاشتراكية، والرأسمالية، والإسلام من الإنسان الفرد. 191
240– هَيبَةُ الطاغوت! 192

241– شخصٌ لا ينفع معه الحوار! 193
242– مَثَلُ الذَّاهبِ والباقي. 193
243– هيبةٌ مزيّفَة! 193
244– جمالٌ مُزيَّف! 194
245– العلمانيون العرب في بريطانيا! 194
246– ما يأكله الوحوش والدواب، والحيتان، وما يأكله الإنسان! 195
247– الشّجَرةُ والإنسانُ! 196
248– رحَلَ الطّاغية وبقي الإسلام. 196
249– الغرَض من حوار الأديان؟ 197
250– من أخلاق وطبائع الوحوش والحيوانات! 198
251– أنا وقطرَةُ الماء! 198
252– إنصافُ الظالِم! 198
253– إطراءُ أهلِ البدع والأهواء! 199
254– خطأ إملائي شائع! 199
255– الظلمُ والعدلُ. 200
256– لا تُبطِل معروفَك بالمنّ والأذَى! 200
257– أنانيَّةٌ مُغلَّظة! 200
258– المكتسبات الماديّة لسُوءِ الخُلُق! 201
259– الهِجْرَةُ. 202
260– ذِكر الله. 202
261– ليس من النُّصْحِ ولا الفِقْه. 203
262– مَرضَاةُ النّاسِ. 204
263– الحِكمةُ من خَلقِ الذُّباب. 205
264– طبقاتُ المجتمع العربي! 205
265– قِيَم حَضارية غائِبَة! 206
266– لنفسِك حظّها من اللهوِ المُباح. 207
267– عادَةٌ مغربيّةٌ خاطِئةٌ. 207

268– عبدُ الدِّرْهَمِ والدِّينَارِ! 208
269– علامَاتُ الزَّندَقَة! 208
270– ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ إبراهيم:7. 209
271– العَصبيَّةُ القِطْرِيَّة! 210
272– الحقُّ والباطِلُ. " قِصَّة " 210
273– حوار بين الظاهر والباطن. 213
274– محبَّة اللهِ. 213
275– كلامٌ عن العقلِ أعجبني. 215
276– المذهبُ الصحيحُ. 215
277– الموتُ. 216
278– أمورٌ تَجِبُّ ما قبلها. 217
279– أمورٌ تُبطِلُ العمل. 217
280– هو المؤمن. 218
281– ليته ساعدني! 218
282– حقوق الشيخ! 219
283– الأصلُ في خرّيج جامعة الأزهر! 219
284– شخٌّ من نوعٍ آخَر! 220
285– شيخٌ لا يُرَبِي تلاميذه على الأدَب! 220
286– يومُ عَرَفَة. 221
287– ابتسامَةُ الإنكلِيزي، وابتسامَةُ العربي! 221
288– غَرِيبُ الأطوارِ والطَّبائع! 222
289– المتحَضِّر. 222
290– شِركُ المحبَّة. 223
291– إذا داهمَتْكَ مشكِلَةٌ! 223
292– الرَّحيم. 223
293– من مفاسد التكنولوجيا الحديثة! 224
294– الأدَب مع العلماء. 224

295– أبو حنيفة .. وجهالات الناس! 225
296– حِلمُ اللهِ تعالى. 226
297– مَعْذِرةً إلى أطفالِنا! 226
298– لا تبكي على أحدٍ ..! 227
299– المرأةُ المتَسَلِّطَةُ! 227
300– المرأة والقانون. 228
301– كلُّ كلمةٍ يَلُوكُها طرفان. 229
302– حُقُوق المرأةِ. 229
303– إلغاءُ صراعِ الحضارات. 230
304– تمسْكَنَ حتى تمكَّنَ! 230
305– كم المسافة بيننا وبين النَّصر؟! 230
306– آدابُ الدعاءِ المُستجاب. 231
307– التفكير على طريقة القَطِيع! 232
308– التَّدخِينُ. 232
309– ظاهِرةُ النِّسيان عند العرب! 233
310– عندما تثور الجماهير. 233
311– الوقت. 234
312– الإنسان العربي والتغيير. 234
313– التكنولوجيا والبطُولة. 234
314– حَسبُنا الله ونِعمَ الوكيل. 235
315– لا حَولَ ولا قوَّة إلا بالله. 235
316– الصلاةُ على النبيّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم. 236
317– لمن يُريد أن يَتَعَرَّف عليه النبيُّ مُحَمَّد ﷺ. 236
318– الخيانة. 237
319– كلماتٌ في الصَّبرِ مُهداة إلى أهلِنا في غزَّة. 237
320– الإنسانُ الرّخيص. 238
321– ناشدتُكم قليلاً من الحياءِ .. فالدماء لم تجفّ بعد! 239

322- أطفالنا .. وأطفالهم! 239
323- الجهادُ والمقاومة. 240
324- رسولُكم محمدٌ قال ...! 240
325- النصرانيّةُ والمسيحيّة. 241
326- الرابحُ والخاسر. 242
327- أنت والدنيا! 242
328- التَّنوُّع. 243
329- آية من آيات الله! 244
330- الحيادُ الظالم. 245
331- الحريّة عندما يكون لها اتجاهين ووجهين! 245
332- فُقِدَت الأمَانةُ! 246
333- نِعْمَ الجليس ..! 246
334- وصَايا لُقمَانيَّة. 247
335- كما تَدِينُ تُدَان. 250
336- نَبْعَان لا يَنضَبَان. 250
337- من علاماتِ حُبِّكَ للنبي صلى الله عليه وسلم. 251
338- ثلاثةُ أمورٍ تُعِينُكَ على حُبِّ النبيِّ صلى الله عليه وسلم. 251
339- لا تُعينُوا الشِّيطانَ على أخيكم! 252
340- مراتبُ الكلام. 252
341- مَن قدوتك؟ 253
342- الفقهاء والنبيُّ صلى الله عليه وسلم. 254
343- الفضُولُ والتطفّل! 254
344- من علاماتِ استحواذِ الشيطانِ عليك! 254
345- كلامُ السَّلَف وكلامُ الخَلَف. 255
346- حين يَغِيبُ الإنصافُ من العَالَم! 256
347- لماذا يجب أن تقرأ ..؟ 256
348- المرأة التي تتكلم عن حقوق النساء. 257

349– ماذا يريد الرجل من المرأة؟! 257
350– لكي تَسْلَم ..! 258
351– الحاكِمُ وشَعبُهُ. 258
352– ظاهرةٌ طبيعيّة. 259
353– عندما تكون المرأةُ أكثر تحصيلاً من الرجل 259
354– تَتَمنَّع وهي راغبة! 260
355– إيَّاكَ وما يُعتَذَرُ منه! 260
356– كُفرانُ العَشِير! 260
357– الأشَدُّ سَفَاهةً! 261
358– الرَّجلُ المحكوم! 261
359– ﴿ هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾الشعراء:79. 262
360– نزعةُ حُبِّ التَّشَفِّي والانتقام! 263
361– أسيرُ حبِّ التشفِّي والانتقام! 263
362– أسوأ الميسِر! 264
363– فُشُو القلَم. 264
364– الظلمُ في الدعاء! 265
365– نِعمَةٌ يَغفَلُ عنها كثيرٌ من الناس! 265
366– فِقْهُ الحَدَث. 266
367– لا تَقطَع رَحِمَك! 266
368– البريد. 267
369– رجالٌ صنعتهم الدعاية! 267
370– الدُّنيا التي يتقاتل عليها الناس! 267
371– أَسرَقُ الناسِ وأبخَلُهم. 268
372– شَبابٌ لا يتَّعِظ ولا يستفيد! 268
373– الذي لم يَمُتْ. 268
374– زيارة المستشفيات 269
375– لا تنقلوا القَيءَ والبَعْرَ! 269

376– جمالُ الطبيعَةِ وعظَمَةُ الكونِ! 270
377– لكي تَظهَر عبر وسائل إعلامِ الطغاة! 270
378– علاماتُ القبول في السماء والأرض. 271
379– الحيَاءُ والخَجَل. 271
380– أثَرُ المعصيةِ وعواقِبُها. 272
381– ليس لكنَّ أن تَتوسَّطْنَ الطريقَ! 274
382– لِكَي يهون عليك البلاءُ. 274
383– خطأ في دعاء شائع! 275
384– يا أسَفَاى على المال! 276
385– هذا الكتاب. 276
386– صِفاتُ الشُّعوب. 277
387– أمورٌ تُفسِدُ أموراً. 277
388– أمورٌ تُورِثُ أموراً. 278
389– شَجَرةُ العائلة! 279
390– نصيحةٌ للزوجين. 283
391– لكي يكون ولدُكَ بَطَلاً. 283
392– الفسادُ خُطوة، خطوة. 284
393– استمعتُ اليومَ إلى حَسنين هيكَل! 285
394– الشُّحُّ المُغَلَّظ. 286
395– يمينٌ خاطِئٌ شائع! 286
396– لا تُجرّئوا الطاغوت عليكم! 286
397– الاحتفالُ بالمولد النبوي في ظل الأنظمة الديكتاتورية حلال! 287
398– أخطاءُ المجاهدين. 287
399– الدينُ الذي تَلقَى اللهَ عليه. 288
400– الحنين إلى الأهلِ والدِّيار. 288
401– نَهرُ مَرْقِيَّة. 289
402– انظُر مَن تُحِب. 291

403– لا تحسبنَّ نفسَكَ محترَماً! 291
404– إذا أردت أن يتحقَّق لك مُرادُك! 291
405– تَقوَى الله. 292
406– الفَتْوَى!..... 292
407– أيهما أقرَأ العربي أم الإنكليزي؟! 293
408– دَور النّخبة في الحضارة الغربية!..... 293
409– بعضُ صفاتِ جهنَّم وأهلها! 294
410– الخلطَةُ والعِزلَةُ. 295
411– الموقف من الحقّ! 296
412– الدُّنيا والآخرة. 296
413– ما ارتفَعَ من الدُّنيا شيءٌ إلا وقَعَ..... 297
414– مَنْ يَحْكُمُ مَن؟! 297
415– قَلَمِي!..... 298
416– هكذا الإنسان!..... 299
417– في القِصَاص حياة. 299
418– إجابَةُ الدُّعاء. 299
419– البلايا ممحاةٌ للخطايا. 301
420– هكذا يتعاملون مع شيوخِهم! 302
421– لا تَسألوا النَّاسَ شيئاً. 303
422– استِشْرافُ محبَّة الناس. 303
423– عندما تَكونُ الشّهرةُ غاية!..... 304
424– عائِلٌ مُستَكبِرٌ! 304
425– حُكومَةُ الشّهوات!..... 305
426– من استعمار إلى استعمار! 305
427– ما يطلبه المستمعون! 306
428– كيف تتعامل أمريكا مع الحكومات ومعارضيها في المنطقة؟! 306
429– زوجُ الشَّهوةِ .. وزوجُ المرأةِ..... 307

430– نَسَبٌ لا تَقْطَعْهُ. 307
431– عَطاءُ العلماء والحُكَّام. 308
432– عِبادَةُ التَّفَكّر والنَّظَر. 308
433– جِيَفٌ تمشي! 309
434– رعيةٌ بلا راعٍ. 310
435– عُقُوقُ الوالد! 310
436– تحقِيقُ الخشُوعِ في الصَّلاة. 310
437– القَاتُ واليمَن. 312
438– عَلامَةُ المشبوه! 313
439– عندما يَشتمُكَ جليسُكَ وأنت لا تدري! 314
440– الحاكِمُ العَادِلُ. 315
441– كلامُك! 315
442– من معاني حِفظِ الله لدينه. 316
443– صِفَةُ عَمَلِ الدَّاعية النَّاجِح. 317
444– صِفَةُ أولياءِ الله. 317
445– بلادُنا ليسَت لنا! 318
446– ما يَظهر عن طريق الرياء ..! 318
447– شاهِدُ الزُّورِ. 319
448– أماكن لا تُدْخَل. 319
449– الكِتَابُ. 320
450– الولاءُ والبراء في البيعِ والشِّراء. 320
451– أنتَ ووسائِلُ التَّلَقِّي 321
452– عندما تُجالِسُ عالماً. 322
453– الطالِبُ الذَّكي! 322
454– العَالِمُ مَوْقِف! 323
455– الأدَبُ السَّاقِطُ، والأدَبُ الراقي! 323
456– أكذوبَةُ الحُبِّ العُذْرِي! 324

457– الوَعدُ العَربي!..... 325
458– رنَّاتُ الهواتِفِ في المساجِد! 325
459– زَكاةُ العِلم. 326
460– مَكْتَبَتِي. 327
461– ما تكرهه اليومَ قد ترضاهُ غداً! 328
462– قُولوا لي ...؟ 328
463– الذي يمكثُ في الأرض. 329
464– العقيدةُ والسياسة! 330
465– التوكُّلُ. 331
466– كيفَ تُحقِّق حلمك؟..... 331
467– تطبيقُ الشريعة. 332
468– الغِنَى. 333
469– من علاماتِ البُخلِ والبخيل! 334
470– الشّعوب التي تتقاتل فيما بينها! 335
471– المرأةُ والعمل السياسي. 335
472– الصبرُ الجميل .. والهجْرُ الجميل .. والصَّفْحُ الجميل..... 336
473– الحورُ العِين أجمَل. 337
474– يسرُّني .. ويُغضبني. 337
475– عندما تُلزَم المرأةُ بالنّفقةِ على البيت. 337
476– عُقوقُ الأبناء للآباء. 338
477– السِّباقُ على العَتَبَات! 339
478– عندما تَغيبُ القِيَم!..... 339
479– بلادُنا .. وبلادُهم..... 340
480– نحن نَلِد .. وهم يُربّون! 341
481– الشَّماتَةُ .. والحَسَد! 342
482– مِن عَلامَات الإخلاص. 342
483– قواعد في الطَّاعة. 343

484– أنواعُ المرض. 344
485– اتَّقوا الله، وحافظوا على الثوابت! 345
486– القيادَةُ الفاشلة! 346
487– بينك وبين السَّلامَة خطوة! 347
488– من أسماءِ الله الحُسنى " الجميل ". 347
489– عندما تواجهك مشكلة! 348
490– من البلاءِ الشَّديد! 348
491– تحدٍّ صعب .. واختبارٌ أصعَب! 349
492– المرأة التي لا تتزيّن لزوجها! 349
493– إلى متى ..؟! 350
494– دِماءُ المسلمين في الصين لا بواكي لها ..؟! 350
495– حِصارُ غَزَّة! 351
496– المجاهِدُ وأمَّتُه. 352
497– وما سوى ذلك فهو عَبَث. 353
498– من علاماتِ طَلَبِ العلمِ وحُبِّ العلم. 353
499– أهلُ الحقِّ وأهلُ الباطلِ. 353
500– الرِّياضَةُ البدنيَّة. 354
501– هل أنتَ أخٌ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم. 354
502– حقُّ الدنيا وحقُّ الآخرة. 355
503– الفسادُ الأوربي مكفولٌ. 355
504– اللص المتمشيخ! 356
505– الصغيرُ لا يبقى صغيراً. 357
506– الذِّلُّ المركَّبُ. 357
507– يَتَضَاحَكُون. 358
508– ليس من الأمانة. 358
509– العلماءُ والمجاهدون. 359
510– الشِّدَّةُ على قدرِ المخالَفَةِ. 360

511- هكذا الدُّنيا! 360
512- الإحسانُ الخسيس! 361
513- إن أردت لعلمك أن يُثمر ويزيد. 362
514- ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾الضحى:10..... 362
515- ﴿ أَيْنَ شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ ﴾النحل:27. 363
516- ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾هود:49..... 363
517- كلمةُ حق يُرادُ بها باطل. 364
518- تَصديقُ الكَذِب! 365
519- عَواقِبُ الكَذِب! 365
520- عالميّةُ الإسلام. 366
521- الكلمة الطيبة. 367
522- علمانيّة من نوع آخر! 368
523- تحية إكبار إلى أدباء وكتَّاب رابطة أدباء الشام. 368
524- الأهم من الجامِعَة! 369
525- كتمانُ العلم..... 369
526- من الحكمةِ والعقل. 371
527- من الإيمان والتَّقوى. 371
528- لا تُصدِّقوه ..! 372
529- فهو لِصٌّ ..! 373
530- لا تتباكوا على بيت المقدس ..! 373
531- المنافق والزنديق..... 374
532- إذا أردتَ أن تُذكَر باسمك عند الله. 374
533- هَوْناً مَا ..! 375
534- أسوأ من خالَطتُ وعرفت!..... 376
535- لا تُجرِّئ زوجتَكَ عليك. 376
536- لِذّةُ الاعتذار عن الخطأ ..! 377
537- مَثَلُ المنافق في التحاكم إلى شرعِ الله تعالى. 378

538– مما يُعِين على الإمساك عن الغِيبة! 378
539– عَلِمُوا التفاصيل، وجَهِلُوا الغاية! 378
540– أنواعُ السّائلين ..! 379
541– الثَّقَافة الطبيعيّة! 380
542– ﴿ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً ﴾ 381
543– ربعُ سكانِ العالم مُسلمون! 382
544– مِلعقةٌ من عَسَل! 382
545– حجّةٌ وعمرة من غير فلوس، ولا نَصَب! 383
546– شاركني برأيك ..! 383
547– لا تَكتُبْ ..! 384
548– ما تكتبه في الليل ..! 384
549– الشكرُ شكران. 384
550– مما تعلمته في هذه الحياة ..! 385
551– الطاغيةُ الذليل! 385
552– متى أستطيع زيارة بلَدٍ عربي ..؟! 386
553– الشَّعبُ الذليل المتكبر! 387
554– الولاء والبراء، والكرَة! 387
555– نزَلَ سِعرُ الشيخ ..! 388
556– مَن هو المجنون ..؟ 388
557– هم السَّابقون ونحن اللاحقون. 389
558– ﴿ إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ ﴾ 389
559– كيف يتعامَلُ الطغاةُ مع كتاب الله! 390
560– مقاصِدُ الإسلام والنّاس! 390
561– وقفة مع سيد الاستغفار. 390
562– ظلم ذوي القربى! 392
563– عندما يتجرّأ الضعيفُ على السيّد القوي! 393
564– المحقّق الجبان! 394

565– علامة أهل الحق. 394
566– هَلاَّ ترجَّل أحدُهما ..؟! 394
567– مهارة العمل الجماعي. 395
568– العَرَبُ بين جاهِلِيَّتين. 395
569– عاطِفةُ المرأة. 397
570– من مظاهر التقدم والتَّحضر. 397
571– ما يصعبُ عن طريق الرجال يسهل عن طريق النساء. 398
572– الحضانة عند الحيوانات. 398
573– مشايخ الجماهير! 399
574– الرجلُ الجبانُ الضَّعيف! 399
575– لا تَتَزَبْزَبْ قبل أن تَتَحَصْرَم! 400
576– الشَّجَاعة والعَقل. 400
577– الغَضَب. 401
578– ذكورٌ أم أزواج؟! 402
579– ظاهرة القراءة في المجتمعات العربية. 402
580– حِكَمٌ جادَ بها الخاطِر. 404
581– ناسٌ لا تستطيع أن تحبَّهم. 411
582– في جسدي عدة جروح. 411
583– لا تَتخلّوا عن التَّكْفِير. 412
584– البديل عن الأسرة. 412
585– الإملاءُ للكافر. 413
586– عندما يكونُ شاهِدُ الزُّورِ شَيخاً! 414
587– الولدُ ابنُ لُغَتِه. 415
588– يوم عاشوراء يوم فألٍ. 415
589– أحَسَنُ العمَل. 416
590– أحسَنُ الصدقات. 416
591– أزهدُ النَّاسِ بالنّعمةِ صاحِبُها! 417

592– عندما يَستعينُ السَّفيهُ بالسَّفِيهِ..... 417
593– فرَحُ الكَذِبِ ساعةٌ، وفرَحُ الصِّدقِ إلى قِيامِ السَّاعة. 417
594– لا تسألوا اللهَ النَّصْرَ! 418
595– هذا حُكمي في زوجَتِك يا صاحبي ..! 418
596– عندما تَتضَاعف الضريبة..... 419
597– الفِعْلُ ورَدّةُ الفعلِ. 420
598– كيف يُودّعون عامهم ..!..... 420
599– فجُورُ طالبِ العِلم. 421
600– يكذبون عليَّ وأنا حيّ!..... 421
601– شَرطُ الاستخلافِ والتمكين. 422
602– لا بد من طهور. 422
603– عندما يُساء للعظماء!..... 422
604– الضَّحِكُ والبُكاء. 423
605– الشَّرِطَةُ في بلادِ الغَرْبِ وفي بلادِ العَرَب. 423
606– متاعُ الطّاغيةِ ساعة..... 424
607– هكذا يُنبَذُ الطُّغاةُ العملاء. 425
608– مصانِعُ الطُّغاة!..... 425
609– الناس فريقان ..! 425
610– مجتهد مسألة، وعقلية مسألة!..... 426
611– أُحِبُّ البحرَ ..! 427
612– الشعوب الحرة، والثورات الناضجة. 427
613– ثمن العِلم، وثمن الجهل..... 427
614– الغرسُ باقٍ ومتجدّد..... 428
615– حقوق الإنسان والمجتمع. 428
616– زوال الدول وبقاؤها..... 429
617– ما أخشاه على الثورات ..!..... 429
618– أغبى الطغاة!..... 430

619– الإنسان والأشياء! **430**
620– أعظم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. **431**
621– ... **يتبع في التحديث التَّالي من الجزء الثاني من الكتاب، إن شاء الله.** **431**

كتب للمؤلف

* الأحكام السلطانية والسياسة الشرعية
* دفتر الثورة والثوار
* خواطر وأفكار في فقه الدعوة إلى الله
* المنهج في الطلب والتلقي والاتباع
* مصطلحات ومفاهيم شرعية
* أحكام ومسائل رمضانية
* الزواج والطلاق في الإسلام
* دراسة نقدية لكتاب" هكذا علمتني الحياة"
* صيد القلم" قطوف وخواطر"
* حِكَم وفوائد جاد بها الخاطر
* البلاء أنواعه ومقاصده
* فقه الاختلاف عند أهل السنة وأهل البدع
* صراع الحضارات مفهومه، وحقيقته، ودوافعه
* من دخل ديار غير المسلمين بعهد وأمان
* الجهاد والسياسة الشرعية، مناصحة
* الغلام والمِلك
* مبادرة الجماعة الإسلامية المصرية ..
* هذه عقيدتنا وهذا الذي ندعو إليه
* الهجرة مسائل وأحكام
* ملاحظات وردود على رسالة"مجمل مسائل الإيمان العلمية في أصول العقيدة السلفية"
* القانون الإسلامي
* أعمال تُخرج صاحبها من الملة
* شروط لا إله إلا الله
* تهذيب شرح العقيدة الطحاوية
* الانتصار لأهل التوحيد ...
* الطاغوت
* تنبيه الغافلين إلى حكم شاتم الدين
* صفة الطائفة المنصورة ...
* العذر بالجهل وقيام الحجة
* حقوق وواجبات شرَعها الله للعباد
* الطريق إلى استئناف حياة إسلامية
* الاستحلال
* حكم تارك الصلاة
* حكم الإسلام في الديمقراطية ...
* لمن الحكم
* مجموع الفتاوى
* رسائل في الإعداد والجهاد
* الشيعة الروافض طائفة شركٍ وردة
* قواعد في التكفير
* مذكرة في طلب العلم
* تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين
* وقفات مع سيرة النبي ﷺ